بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: البحوث المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي
الدولي السنوي السادس و السابع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام
الناشر: العتبة العباسية المقدسة
الاشراف: قسم الشؤون الفكرية و الثقافية
التصميم و الاخراج الطباعي: علي عبد الحليم -احمد نعمة- حسين عقيل
عدد النسخ: ٥٠٠
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشوون الفكرية والثقافية
البحوث المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي السادس والسابع لفكر الامام الحسن المجتبى عليه السلام. الجزء الثاني.-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٢ هـ. = ٢٠٢١.
مجلد ؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
١. الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٣-٥٠ هجري -- مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC : BP193.12.A3 .A836 2021
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

البحوث المشاركة ضمن فعاليات

المؤتمر العلمي الدولي السنوي السادس والسابع لفكر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين...

انه لمن النعم الالهية التي ينعم بها الله جل وعلا على عباده ان يهديهم ويرشدهم ويسهل لهم سبل نيل الاجر والكرامات، من خلال سعيهم في نشر العلم او تعليمه او المساهمة في احياء شعائر الله جل وعلا او احياء ذكرى النبي الاكرم وال بيته الاطهار صلوات اله وسلامه عليهم اجمعين.

ها نحن نخلد ونحي ذكرى اليمة على قلب كل محب للإنسانية ومحب للرسول ولآل بيته الاطهار صلوات الله سلامه عليهم اجمعين ذكرى شهادة السبط الاول مولانا ابي محمد الحسن المجتبى عليه السلام.

نلتقي مع مشاعر مخلصة تسكب العَبرة وتنهل من العِبرة لسيرة هذا الامام الهمام ..

نلتقي بأقلام علمية، كريمة، مباركة تكن المحبة والولاء للرسول الأعظم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم، ويجمعها حب الحقيقة العلمية المؤسسة على أساس علمي رصين..

نعم يمكن ان تُبعدنا المسافات او تُنسينا مشاق الحياة وقسوتها بعض ما ينبغي ان ننهض به من مهام والتزامات ، لكن ما يجمعنا ويُذكرنا دائما هو حب آل البيت عليهم السلام والذوبان فيهم وفي سيرتهم وفي مواقفهم وهو الاكثر اهتماما لنا ولكم فلم تنسينا ظروف الوباء ومصاعب التعايش احياء هذه الذكرى لذا عقدنا العزم وجمعنا الهمة لإقامة الدورة الثامنة من مؤتمر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والذي خطط له بحمد من الله وفضله ان ينعقد حضوريا و الكترونيا (اونلاين) بواقع جلستين بحثيتين الحوزوية والاكاديمية ولمدة يومين ، وقد اختير شعار للبحوث الحوزية (تراث الامام الحسن المجتبى عليه السلام قراءة وتحليل) اما المؤتمر الاكاديمي فسينعقد تحت شعار (تراث الامام الحسن عليه السلام في الدراسات الانسانية قراءات في الرأي والرأي الاخر).

وجاء هذا العزم والهمة رغم ما نمر به من جائحة كورونا عافنا الله وإياكم وبلادنا وسائر المسلمين وبلادهم والعالم اجمع منها ؛ وهي جائحة عطَّلت الكثير من مجالات الحياة، لكنها لم تعطل هاجس الحياة العلمية الكريمة المبدعة التي يتوق إليها المشتغلون في العتبة العبَّاسية المقدَّسة.

لقد كان للمؤتمرات والفعَّاليات العلمية مكانة واهتماما واعتزازا من قبل الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة ولطالما كانت راعيًا أصيلاً للفعَّاليات العلمية، ليس في رحاب

العتبة العباسية المقدسة ومؤسساتها بل توسع نطاقها وازدادت رقعتها لتصل الى بعض دول العالم العربي والاجنبي وفي مناسبات عديدة وكانت هذه المشاركات والمؤتمرات والمهرجانات محل اعجاب وقبول واعتزاز من قبل المختصين والمضيفين كون هذه العتبة رافد أصيل ودائم لحركة المعرفة والبحث العلمي، فهي السباقة في إثراء وإنماء الساحة العلمية والثقافية في شتى الاماكن وفي شتى المجالات.

نبارك لكلٍّ من تكون له إطلالة على هذا المؤتمر العزيز انضوائه تحت قول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ أَحْيُوا أَمْرَنَا فَرَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا ﴾. بحار الأنوار/ ج ٢/ ص٣٠.

نسأل الله تباركت أسماؤه أن يجعل ما يقدم في هذا المؤتمر من جهد علمي زلفًا ترفع منازل العاملين عند الله سبحانه وتعالى، وعند مواليهم آل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

الشكر الجزيل إلى الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ومركز الفكر والإبداع، ومركز العميد الدولي للبحوث والدراسات التابعين الى قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة ، وإلى الهيأة العليا لمشروع الحلة مدينة الإمام الحسن عليه السلام .

لما قدموه من دعم واسناد وجهد عالي لإنجاح هذا المؤتمر.

كما نشكر الجهات الداعمة والساندة والمتعاونة متمثلة بجامعة الكفيل وجامعة العميد وجامعة بابل ومديرية تربية بابل ومركز الدراسات والمراجعة العلمية لإسنادهم وتقديمهم الدعم للمؤتمر.

سائلين الله سبحانه وتعالى لهم دوام التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الأطهرين الأكرمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتويات

٩	**المحور الأول:** **الاحتجاج في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام**	
١١	احتجاجات حسنية في مجالس أموية	الحسين أحمد كريمو
٣٧	انحراف وخذلان الأمة واثره في خلافة الامام الحسن عليه السلام (دراسة تحليلية)	م. د. علي طالب عبيد السلطاني م. م. ازر عبد الكاظم اسماعيل السلطاني
٦٣	التوظيف الديني والأدبي في خطب الامام الحسن عليه السلام	المدرس الدكتور حسن عبد الزهرة كَيطان الابراهيمي
٨٤	الاحتجاج في خطاب الإمام الحسن عليه السلام خطبة الدلائل	السيد يوسف شفيق البيومي/ الرضوي
١٣٧	مُقيِّداتُ البناءِ النحويِّ في أقوالِ الإمامِ الحسن المجتبى عليه السلام الحكمية والوعظية	أ. د سعدون أحمد علي الرَّبَعيّ
١٦٧	خطابات الإمام الحسن عليه السلام	أ. م. د. أحمد يحيى السلطاني م. م. حسن هادي حسن السلطاني
١٨٧	جماليات الفكر الحسني وفق معطيات السلوك الإنساني للإمام الحسن عليه السلام - بحث في ضوء نظريات الحجاج –	أ. د. عبدالحسين العمري

٢١١	**المحور الثاني:** **بلاغة الخطاب عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في ضوء التداولية**	
٢١٣	الخطاب الحَسَنيّ في البُعدَيْن: الحِجاجيّ والتَّداوليّ	د. زهراء علي دخيل
٢٢٩	دقة الاختيار القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام	م. م. عبد الحي عبد النبي زيبك العبادي
٢٥٧	بلاغة الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في بناء شخصيته	م.م ميسون يونس محمود العبيدي
٢٧٧	الخطاب الإِقناعي في أقوال الإِمام الحسن عليه السلام	أ. د. كريمة نوماس محمد المدني
٢٧٩	آليات خطاب الامام الحسن المجتبى – مقاربة التداولية –	أ. م. د. زينب علي عبيد
٣١٣	التسامح في الخطاب الفكري للإمام الحسن عليه السلام	د. مها تو فيق شبيطه
٣٤٩	الآليات الاقناعية اللغوية في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام –دراسة تداولية–	م. د عبدالحسن علي الناصر
٣٦٥	النهج اللغوي في خطاب العصمة خطاب الإمام الحسن عليه السلام إنموذجًا –دراسة لغوية وتداولية–	أ. م. د. مرتضى مزيد جبر

٣٨٥	**المحور الثالث:** **الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في دراسات المستشرقين**	
٣٨٧	منهجية المستشرقين في إحياء المرويات التي نسجها الأمويون والعباسيون وإعادة انتاجها: تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام مثالا	د. أحمد الصفار
٤٢٥	الفكر الاستشراقي موضوعية خجولة وتهوين مقصود (صلح الامام الحسن ـ عليه السلام ـ انموذجا)	الباحث حسين جويد الكندي
٤٥٧	شبهات المستشرقين للإمام الحسن عليه السلام والرد عليها	أ.م.د. رحاب نذير الصفار م. م. ميسون يونس محمود
٤٧١	**المحور الرابع:** **الآخر في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام**	
٤٧٣	الآخر في شخصيّة الامام الحسن المجتبى عليه السلام ((القيم العربية الاسلامية أنموذجا))	ا. م. د حيدر زوين

المحور الأوّل

الاحتجاج في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

احتجاجات حسنية في مجالس أموية

الحسين أحمد كريمو[1]

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو الإمام المظلوم في هذه الأمة منذ أن كان وإلى اليوم، ولا أدري هل تُرفع ظلامته في القابل من القرون، أم سيبقى مظلوماً كما عهدناه في التاريخ والأمة، إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها؟

والذين ظلموا الإمام الحسن عليه السلام هم طرفا الأمة الإسلامية؛ وأعني أهل السُّنة والجماعة – الذين صاروا بهذا الاسم ببركته وبصلحه لمعاوية – وأهل التشيع والولاية الذين يعتقدون بإمامته وولايته عليهم، إلا أنهم جميعاً ظلموه – روحي فداه – أولاً إذ جهلوا قدره ومكانته، وظلموا أنفسهم ثانياً حين حُرموا من بركات وجوده، وأنوار علمه، وسعة جوده وهو كريم أهل البيت عليهم السلام. .

فالإمام الحسن عليه السلام كان المجتبى من الله، ورسوله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وذلك لِما يحمله من عظيم الصفات الجسدية والروحية والنفسية والعقلية، فكان يحمل مزايا أعظم ثلاثة في الكون وهم:

–جدُّهُ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ منه من الصدر وما علا، أي المحاسن. .

–والده ولي الله عليه السلام أخذ منه من الصدر وما نزل أي المراجل. .

–والدته سيدة النساء عليها السلام أخذ منها الحُسنَ والبهاء أي الفضائل. .

ولذا قالوا عنه: وكان عليه السلام يُشبه رسول الله صلى الله عليه وآله في الخَلق والخُلق ولذا قال صلى الله عليه وآله: (يا حسن أنت أشبهت خلقي وخلقي)، وأما المشهور؛ إنه أشبَهَ رسول الله صلى الله عليه وآله من صدره الى رأسه، وأشبه أمير المؤمنين أباه من القرن الى القدم فهو من حيث المجموع أشبه بأبيه من جده، وأما صنوه الحسين فبالعكس، ولذا كانت فاطمة تناغي الحسن عليه السلام فتقول: أشبه أباك يا حسن. .

وتناغي الحسين عليه السلام فتقول: أنتَ شبيهٌ بأبي * لستَ شبيهاً بعلي

وذكر المؤرخون في شمائله: أن الحسن بن علي عليه السلام كان أبيضاً مشرباً بحمرة دعج العينين، سهل الخدين، رقيق المشربة، كث اللحية ذا وفرة، وكأن عنقه إبريق فضة عظيم الكراديس بعيداً ما بين المنكبين، رَبْعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً (جميلاً) من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر حسن البدن). .[٢]

قال واصل بن عطاء: كان للحسن بن علي عليه السلام سيماء الأنبياء، وبهاء الملوك، ما بلغ أحد من

الشَّرف بعد رسول الله ﷺ مثل ما بلغ الحسن؛ كان يُبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس على البساط انقطع الطريق فما مرَّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فاذا قام ودخل بيته مرَّ الناس واجتازوا. . ولقد رأيتُه في طريق مكة ماشياً، فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى حتى رأيتُ سعد بن أبي وقاص يمشي خلفه ويقول:

يا حجة الله الجليل* وعينه وزعيم آله
وابن الوصي المصطفى* شبيه أحمد في كماله
أنت ابن بنت محمد* حذواً خُلقتَ على مثاله
فضياءُ نورك نوره *وظلالُ روحك من ظلاله
فيك الخلاص عن الردى* وبك الهداية من ضلاله
اثني ولستُ ببالغ * عشر الفريدة من خصاله [٣]

هذا وصف الإمام الحسن عليه السلام بلسان معاصريه، كسعد بن أبي وقاص الذي يشهد له بهذه الشهادة التي ما شهدها لغيره من الخلق طُراً، هذا الذي كان كنجم الثريا في عصر جده الرسول ﷺ الذي اكتملت نفسه، وكمَل شخصه فصار فريد دهره ووحيد عصره، وليس لهم به مغمزاً، ولا بشخصه مطعناً فهو كالسماء علواً، والنجم سمواً، والنور بهاءً، والماء طهارة، والهواء رقة وعذوبة، فعدُّوا أخلاقه وسموَّه منقصة. .

وتلك هي الكارثة العظمى تحلُّ بالأمم والحضارات فتفسدها ثم تبيدها، كما فعل طغاة بني أمية بهذه الأمة الذين تسلطوا عليها بالحديد والنار، ونزوا على منابرها نزو القردة والخنازير، كما وصفهم رسول الله ﷺ وحذَّرهم منهم، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام الذي، قال: (أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ اَلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ). [٤]

ولكن لم تتعظ وتحذر بل أعطتهم قيادها وسلَّمت إليهم أزمَّتها فكان معاوية يخطط لدفن الإسلام، [٥] ولا مانع له من ذلك إلا أهل البيت عليهم السلام فحاول تشويه صورتهم بكل طريقة ووسيلة لأكثر من عشرين سنة، فحارب أمير المؤمنين في صفين وكان يقنت بسُبابه ولعنه – والعياذ بالله – ثم تآمر على الإمام الحسن ليغتاله بالسُّم، إلى أن أوصلها إلى يزيده الخبيث ليبيد

أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء، ثم يستبيح المدينة ثلاثة أيام لجيش الشام، وثالثة الأثافي لضرب الإسلام كان قصفه لبيت الله الحرام وحرقه وتدميره، فظن الخبيث أنه حقق حلم أبيه وجده. .

لعبت هاشم بالملك ** فلا خبر جاء ولا وحي نزل

والأمة إلى اليوم تسير خلفهم إلى المقصلة كالخراف، أما آن لها أن تعي؟

عسى ولعل أن تُساهم مثل هذه النشاطات، والمؤتمرات، والنشرات، واللقاءات المباركة من قبلكم، وتُساعد في كشف الحقية، فنحن في عصر كشف الحقائق، وغربلة الأمة، لإعادة اصطفافها إما مع علي عليه السلام والإسلام، أو مع معاوية والكفر، وما الفكر التكفيري الوهابي المجرم إلا سيئة من سيئات بني أمية، وها هو يكشف حقيقته للعالم بأنه فصيل سياسي أوجدته الماسونية لحماية الصهيونية العالمية، ويهود إسرائيل وضرب الإسلام والمسلمين بكل طوائفهم، ومذاهبهم، وانتماءاتهم. .

والإمام الحسن عليه السلام أول المتضررين منهم، ألم يهدموا قبته الشريفة، وينهبوا كل ما فيها، وعليها من أثاث مع أبناء أخيه من أئمة المسلمين عليهم السلام، في بقيع الغرقد، أما آن لرفع هذه الظلامة عن الإمام الحسن عليه السلام، هذا الشاخص العظيم للدِّين والنور والهداية تحوِّله صبيان أمية إلى شخصية هزيلة، خائرة القوى، وذنبه عندهم أنه أخلاقه عالية فهو القرآن الناطق. ؟ أرجو ذلك وأتمناه من كل قلبي ومعي كل غيور أيضاً. .

أولاً: معنى الحِجاج وثقافته وأهميته. .

اِحتِجاج (اسم)، ج: احتجاجات. . مصدره احتجَّ بـ / احتجَّ على؛ اعتراض واستنكار. .

احتجَّ عليه: أقام الحُجَّةَ والبرهانَ. . أو عارضه مستنكرًا رافضًا فعله .

١ - إحتجَّ عليه: عارضه مستنكرا فعله. . (بالمعنى السياسي والاجتماعي) .

٢ - إحتجَّ عليه: أقام الحجة. . (بالمعنى الفلسفي البرهاني)..

٣ - إحتجَّ بالشيء: اتخذه حجة. . (بالمعنى الكلامي والفقهي) .

ولذا عرَّفوا الاحتجاج: الأخذ بالحديث كدليل على إثبات أو إنكار حكم شرعي معين.

وقدَّم ابن خلدون تعريفاً لعلم الكلام العقائدي بأنه: (الحِجاج عن العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية). [٦]

الحِجاج: وهو مفهومٌ مشتقٌ من الجذر الثلاثي حِججَ، بمعنى استخدام البرهان عند الدفاع عن رأي ما، ويُعرَّف الحِجاج: بأنه الاتفاق على رأيٍ مُعيّن بين مجموعة من الأشخاص، ويعتمدون على مجموعة من البراهين التي تدلّ عليه. . [٧]

ولها تعريفات أخرى لا تهمنا في بحثنا هذا، لأنها صارت شبه مصطلح سياسي في هذا العصر، فيطلق على المعارضين، والمحتجين على سياسة، أو حكومة، أو ظرف اجتماعي معين، والخروج إلى الشارع، والوقوف أمام السفارات وما شابه ذلك. .

خصائص الحِجاج: توجد مجموعة من الخصائص التي يتميز بها الحِجاج، وهي:

-**التشابه مع السياق**: أي إنّ الحِجاج قد يؤدّي إلى استنباط حُجج أخرى، أو نتائج جديدة من خلال دراستهِ للسياق النصي، وهكذا تحتوي العبارة الواحدة على حِجةٍ واضحةٍ تُثبت القضية، أو الفكرة المرتبطة بها.

-**النسبية**: أي إنّ الحجة يجب أن تتميّزَ بالقوةِ لتأكيدها، وقبولها فترتبط كل حجة بنتيجة معينة، فمثلاً: كل ما كان يُحاوله معاوية وبني أمية مع الإمام الحسن عليه السلام لقطع حجته وتفاخرهم عليه فكان يقذفهم بحججه الدامغة فيخرسهم.

-**القابلية للتبديل**: أي إنّ كلّ حجة قابلة للتغيير بما يتناسب مع السياق، والاتفاق، والبراهين، والدلائل المستحدثة، وخصوصاً عندما تأتي حجة جديدة تُبطلُ مفعول الحجة السابقة لتحل محلها.

أنواع الحِجاج: للحِجاج مجموعة من الأنواع التي تمّ اشتقاقها منه، ومنها:

-المُحاجَّة هي نوعٌ من أنواع الحِجاج، ومعناها أن يردّ كل شخص على غيره، عند التحدث حول موضوع معين، وإنّ لفظة مُحاجَّة تُعتبر من الألفاظ المستخدمة بشكل واسع في العلوم اللغوية، والدينية، والفلسفية؛ إذ إنّها تهتم بإثبات أو نفي قضية ما، بالاعتماد على وسائل الإقناع المنطقي، واللفظي .

-**الحِجاج الفلسفي** هو نوعٌ من أنواع الحِجاج، ويُسمّى بفن الإقناع العقلي؛ إذ يعتمد على حجج منطقية ويطلق عليها مُسمّى الاستدلال، كما أنّه يسعى لوصف، وتوضيح المنطق

الداخلي الخاص في الخطاب الحجاجي للتأكد من ترابط عناصره معاً، لذلك يسعى الحجاج الفلسفي إلى تطبيق الاعتماد المباشر على منطق العقل في طرح الحجج.

-**الحِجاج المُغالط** ويُطلق عليه أيضاً مُسمّى (السفسطة) والتي ارتبطت بالعصور اليونانية القديمة، وهو نوعٌ من أنواع الحِجاج الذي يعتمد فيه الشخص على مغالطة غيره، حتى لو كان ما يقوله صحيحاً، وموثوقاً فيتمسّكُ المغالط برأيهِ، حتى لو لم يكن على حق، ويستخدم مجموعةً من الحُجج، والدلائل على مصداقيته، وصحة قوله.

الحِجَاج: تتميَّز اللغة العربية بتنوُّع وتعدد أساليبها، وفنونها التعبيرية في ذات الوقت، فضلاً عن بلاغتها وفصاحتها، ومن هذه الأساليب أسلوب الحجاج، وهو إيراد الحجَّة، والحُجَّة تعني الإقناع والمحاجَّة والمخاصمة المتعلِّقة برد الرأي الخاطئ والانتصار للحق، من هنا جاء قوله تعالى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٨]

أساليب الحجاج في اللغة العربية: للحجاج في اللغة العربية عدة أساليب وصور منها:

١.**الندوة**، وقديماً تسمى المجلس – كمجالس الإمام الحسن – فالندوة أحد أشكال وفنون التعبير وتتضمن الحجاج المقرون بالدليل.

٢.**الحوار**، فالحوار المرَّتب جيداً والمعدُّ له بعناية يعد أسلوباً حجاجياً.

٣.**المحاضرة**، قد تكون شكل من أشكال التعبير وفيها قدر كبير من الحجاج.

٤. **الخطابة**، حيث إن الحجاج من إحدى عناصرها لأنَّها تتعلق بالردِّ على الباطل والانتصار للحق، ولكها يمكن أن نلحظَها في حياة الإمام الحسن عليه السلام.

فوائد الأساليب الحجاجيَّة في اللغة العربية: يترتب على الحجاج في اللغة العربية وأساليبه المتعددة فوائد منها:

-إيصال الفكرة المراد الحجاج حولها للطرف الآخر.

-تنمية مهارة الإقناع وتشجيعها.

-تعزيز لمبدأ الحوار كأحد عناصر الحجاج.

-الرد على الأفكار والآراء الخاطئة.

-تحقيق غرض الإقناع والأخذ بالرأي الصحيح، إذا يتعصَّب الطرف الآخر.

آداب الحجاج: هناك أيضاً آداب تتعلق بأساليب الحجاج منها:

-احترام الرأي المعارض والآراء الأخرى.

-الابتعاد عن التجريح الشخصي أو الشتم كما كان يفعل بنو أمية في حياتهم.

-الاستناد على الأدلَّة الصحيحة، الغير قابلة للإنكار كحجج الإمام الحسن عليه السلام.

- ترك التعصب الأعمى المجرد من الأدلَّة الصحيحة.

إنَّ الحجاج متى قام على عناصره الصحيحة، تصل رسالته للطرف الآخر، وفي المقابل متى تجرَّد منها فلن يفيد في ذلك بشيء، والحِجاج الصحيح يعبّر عن قدرة صاحبه في الإقناع وعن سلامة الفكرة الّتي يحاجج بها.

تعريف النَّص الحجاجي: هو أحد أنواع النَّصوص التي تهتمُّ بدراسة الفعالية الحجاجية، وهو وسيلة من وسائل الإقناع والتَّعبير عن الرأي؛ حيث إنَّه يتضمن مجموعة من الحجج والقضايا المثبتة، أو النافية التي يُؤتى بها إمَّا للتأكيد على صحَّة رأي أو بطلانه، ويتميَّز النَّص الحجاجي عن غيره من النُّصوص بكثرة الحقول المعرفية التي تشمله، فيشمل الحجاج الفلسفة، واللسانيات، والقانون، ونظرية التَّواصل، والمنطق، كما أنَّه أصبح حديثاً يتناول علم النَّفس، وعلم الاجتماع والكثير من التخصّصات والمجالات الأخرى، ويكون النَّص الحجاجي موجّهاً إمَّا لفردٍ واحدٍ أو لجمهور.

بنية النص الحجاجيّ: تشير الدراسات المتعلّقة بالنصوص الحجاجيّة إلى أنّ هذه النصوص تُكتب بلغةٍ ذات صفات تقريريَّةٍ وموضوعيَّةٍ، من خلال عرض الأفكار المراد التعبير عنها بطريقة واضحة وسلسة مباشرة، ويعدّ أسلوب البرهنة أحدَ أهمّ الأساليب المستخدمة في النصوص الحجاجيّة والتي تكونُ متطرّقة إلى الذاتية في بعض القضايا مع توظيف بعض العمليّات العقليّة للانتقال من فكرة لأخرى مثل الاستقراء، حيث تسمح هذه العملية بالانتقال من الفكر التخصيصيّ إلى الفكر التعميميّ بطريقة شموليّة.

أنماط النَّص الحجاجي: للنَّص الحجاجي نمطان اثنان هما:

أولاً: المحاورة الجدلية (المناظرة).

ثانياً: المحاورة الخطابية (الخطابة).

وكلاهما استخدمهما الإمام الحسن عليه السلام مع بني أمية وأذنابهم.

فإذا أردنا أن نبحث في المواقف الحِجاجية للإمام الحسن السبط عليه السلام التي أحصاها أحد الأخوة بما يزيد عن (٥٠)[٩] موقفاً، وهي مختلفة ما بين موقف بسيط وكلمات سريعة من الإمام عليه السلام بما يقتضيه الحال، وآخر طويل وجميل لا سيما فيما واجه به معاوية وبني أمية في مجالسهم الفاسقة، التي كانوا يعقدوها بإحدى أمرين:

-**مفاسقة وعهر**؛ بكل ما فيها من غِناء وتحلل وخَمر وفسق ومعصية. .

-**مؤامرة وكفر**؛ على الإسلام وأهله وسادة العصر من أهل البيت الأطهار عليهم السلام. . وفي كل أحوالهم كانوا لا يتفرقون إلا وينالوا من أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه الطاهرين - والعياذ بالله - فتلك سنتهم طول حكمهم حتى أبطلها أقسطهم عمر بن عبد العزيز[١٠]. .

ولكن بداية أقول: لا والذي رفع السماء، وأنبع الماء، وفتق الأجواء، وأجرى الهواء، ليس لأحد فخر إذا ذُكر فخر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وليخسأ المتقوِّلون، وليطأطئ المترفعون عند ذكره الشريف، ففخر الإمام الحسن عليه السلام لا يدانيه فخر ولا يشاركه فيه إلا صنوه الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما بيَّنه جدَّهما رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً وأمام المسلمين جميعاً، حيثُ تروي المجاميع الروائية لدينا عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. .

قال: الحسن والحسين، أنا جدهما سيد المرسلين، وجدتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة. . ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ قلنا: بلى يا رسول الله. .

قال: الحسن والحسين، أبوهما علي بن أبي طالب وأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين. . ألا أدلكم على خير الناس عمَّاً وعمَّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. .

قال: الحسن والحسين عمهما جعفر الطيار بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب، أيها الناس. . ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قلنا: بلى يا رسول الله. .

قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله (ثم

دمعت عينا رسول الله)، فقال: على قاتلهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار، أمناء معصومون، قوّامون بالقسط ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه، قلنا: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسين أئمة أبرار والتاسع مهديهم، يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلما). [11]

فخير الناس؛ أماً وأباً، وجداً وجدةً، وعماً وعمَّة، وخالاً وخالة، وأخاً وأختاً، وأصلاً وفصلاً، ونفساً ونسباً، وفخراً لا يُدانيه فخر، وعزاً لا يقاربه عز في أبد الدهر، ومدار العصر هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام السبط الأكبر، وبكر فحل الرجال وسيدة نساء العالمين (صلوات الله عليهم).

وكم قرأتُ في محاججات، ومساجلات، ومفاخرات فلم أجد أفخر من كلمات الإمام الحسن عليه السلام الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب في هذا الباب، لأنه كان في عصر أبناء آكلة الأكباد الذين تطاولوا عليه، وحاولوا أن يفاخروه، ويحاججوه فكان كالليث الهصور يطحنهم بحجته، ويذروهم بكلماته، ويقصفهم بقواصفه العاتية، ويقرعهم بقوارعه القاضية فيجعلهم كالهشيم المحتضر. .

ثانياً: احتجاجات حسنية في مجالس أموية. .

هذا العنوان يستوقفنا عند مسألة الشجاعة الحسنية وهي شجاعة تُبهر الألباب، وتدوِّخ أبناء التراب بكلتا شقيها. . فللشجاعة معنيان أو شقان كما يصنفها أهل الحكمة، هما:

١- **الشجاعة القتالية.**

٢- **الشجاعة الأدبية.**

ولن نطيل بالحديث عن الشجاعة القتالية للإمام الحسن السبط عليه السلام لأنه من أصحاب المواقف النادرة في حياة البشرية، ولا غرو فهو ابن الشجاعة كلها، والبطولة رأسها، والجرأة أصلها، إنه ابن حيدرة الغاب، قاطع الأصلاب، وباتر الرقاب، وداحي الباب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الذي لم تقم حرَّةٌ عن مثله إلا ابن آمنة النبي محمد صلى الله عليه وآله، والذي قال وقد رأى الحسن يتسرع إلى الحرب: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنني أنفس بهذين (يعني الحسنين عليهما السلام) على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله» فأسرعت إليه خيل من أصحاب علي فردوا الحسن). [12]

فكانت شجاعته مثار إعجاب حتى من والده العظيم، فكان يخاف عليه من شدة اقتحامه في المعركة فيأمرهم بردِّه، علماً بأن هذا حال أكثر بني هاشم فالنجدة الهاشمية، والشجاع الطالبية هي ما كانت تميِّز هؤلاء الكرام البررة، فعبد المطلب يتيم عاش عند عمه المطلب وساد العرب، وأبو طالب بيضة البلد، وشيخ البطحاء، وعصمة المستجير، (وقيل: قلَّ أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له وكانت قريش تسميه الشيخ)[١٣] . .

وأبناء أمير المؤمنين علي عليه السلام لهم الراية العظمى في كل حرب فهذا أبو الفضل العباس عليه السلام، وذاك محمد ابن الحنفية الذي ما كان في العرب أقوى منه يداً حتى استجار به معاوية حين جاءه بطل المصارعة الرومي يتحداه فأشاروا عليه بعبد الله بن الزبير ومحمد ابن الحنفية، فغلبه محمد وهو جالس على الأرض، فهو صاحب راية أمير المؤمنين علي عليه السلام في حروب التأويل الثلاثة (الجمل، وصفين، والنهروان) ويروى أن أمير المؤمنين علي عليه السلام دفع إليه الراية وقال له: تقدم، فقال: أعلى الأسنة يا أبي، (أما ترى السِّهام كأنها شآبيب المطر)؟

فغضب عليه السلام وقال له: لقد حنَّ إليك ضرع أمك، (أدركك عرق من أمك) إن العرق دساس، فأخذ الراية منه وغاص في القوم ولم يُعدها له إلا بعد ثناء عمار بن ياسر ومدحه لشجاعة محمد[١٤]..

ولما قامت حرب الجمل على ساق، واشتد الضِّراب واستقتل بنو ضبة وأصحاب الجمل حوله، صرخ أمير المؤمنين عليه السلام: ويلكم عرقبوا الجمل فإنه شيطان، وإلا تفانت العرب حوله. . وأعطى محمد ابن الحنفية رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل. . فذهب فمنعوه بنو ضبَّة فلما رجع إلى والده انتزع الحسن عليه السلام رمحه من يده، وقصد قصد الجمل، وطعنه برمحه، ورجع إلى والده، وعلى رمحه أثر الدم، فتمغَّر (احمرَّ خجلاً) وجه محمد من ذلك فقال أمير المؤمنين: لا تأنف فإنه ابن النبي وأنت ابن علي)[١٥].

ولا أراني بحاجة لكي أطيل في هذا الباب الذي حاول إغلاقه الأعداء من بني أمية للانتقاص من شخصية هذا الإمام العظيم المظلوم فحاولوا إطفاء ذكره الشريف، وفتحوا الباب واسعاً لأولئك الأعداء للتقوُّل عليه - روحي له الفداء – فقالوا عنه جباناً، وضعيف الشخصية، ومزواجاً ومطلاقاً، وأنه آثر الرَّفاه والمال على الجاه والسلطة فسلمها لمعاوية. .

فيا أسف الزمان عليك سيدي ومولاي يا أبا محمد أيها السبط الشهيد كم أراد صبيان النار أن يطفئوا لك ذكرك، وهكذا كانوا يريدون لنور الله من قبل، ولكن هل تُغطَّى الشمس بالغربال، وهل يَنكر الحقَّ الصراح إلا كل ضال، وهل ينفع الرعديد الجبان أقوال الرجال إذا حمي الوطيس، وهل ينكر الرئبال في يوم النزال. ؟

وأما الشجاعة الأدبية؛ وهي بالحقيقة تجلي للشجاعة القتالية، فرغم كل ما كان يتصف به الإمام الحسن السبط عليه السلام من أخلاق عالية، وسمات سامية، فقد روي أنه لم يُسمع قط منه كلمة فيها مكروه (أو قسوة أو أنها نابية) إلا مرة واحدة فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان، خصومة في أرض، فقال له الحسن عليهما السلام: (ليس لعمرو عندنا إلا ما يرغم أنفه). [١٦]

فهذه الكلمة هي أقسى كلمة نُقلت عنه – روحي فداه – ولكنه كان لا يقرُّ على الاعتداء، بل شجاعته الأدبية كانت تَظهر من مواقفه البطولية، التي كان لا بد منها، في وجه بني أمية وسلطانهم وفي أبياتهم، ومجالسهم، فإنني – وليشهد الله – ما قرأتُ أجمل منها بلاغياً، ولا أشجع منها أدبياً، ولا أفخر منها حين الفخر، أليس هو القائل: (مَنْ كان يُباء(يُفاخر) بجَدٍّ؛ فإنّ جدّي الرسول صلى الله عليه وآله، أو كان يُباء بأُمّ؛ فإنّ أُمّي البتول، أو كان يُباء بِزَور؛ فزَورنا جبرئيل). [١٧]

أليس هو القائل لمروان الوزغ في مجلس معاوية وحوله بنو آبائهم من اللقطاء والطلقاء: (يا مروان أجبناً وخوراً وضعفاً وعجزاً، زعمتَ إني مدحتُ نفسي وأنا ابن رسول الله، وشمختُ بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة، وإنما يبذخ ويتكبر – ويلك – مَنْ يُريدُ رفع نفسه، ويتبجح مَنْ يريد الاستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرَّحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدِّين. .)[١٨]. .

وأليس هو الذي خاطب داهية العرب كما يُسمونه المغيرة بن شعبة: (أعور ثقيف ما أنت من قريش فأُفاخرك، أجهلتني – يا ويحك – أنا ابن خيرة الإماء وسيدة النساء، غذَّانا رسول الله صلى الله عليه وآله بعلم الله تبارك وتعالى، فعلَّمنا تأويل القران ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا والفخر والسناء؛ وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق ما له والافتخار عن مصادمة الليوث ومجاحشة الأقران، نحن السَّادة ونحن المذاويد القادة، نحمي الذِّمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار)[١٩]. .

وحقاً ما قالوا: إن الشيء بالشيء يُذكر، والضد بالضد يظهر. . وكثير من الأحيان لا نستطيع أن نعرف أو أن نصف شيء إلا أن نُعرِّفه بضده كالنور مثلاً، فإذا أردنا أن نعرِّفه قلنا بأنه ضد الظلام، والخير ضد الشر، فالأمور البسيطة تكون أعقد ما تكون لدى التأمل بها، لأنها ظاهرة بنفسها ومظهرة لغيرها ولا نستطيع أن نعرفها إلا بالضد، فأشكل المشكلات توضيح الواضحات..

ونحن هنا برحاب واسعة ورحبة جداً ومن سعتها ضاقت الأفكار وحارت العقول بوصفها، وتاهت الأمة بمعرفة صاحبها، لأنه كان استثناء من بينهم فقاسوه على أنفسهم فما عرفوه، فهو من أهل بيت لا يُقاس بهم أحد. .

نعم؛ نحن في رحاب الإمام الحسن السبط الأكبر لرسول الله الأعظم ﷺوبكر علي والزهراء عليهما السلام تلك الشخصية الفريدة بمزاياها، الوحيدة بأوصافها فما كان يشاركه فيها أحد إلا صنوه الإمام الحسين السبط عليه السلام، وشقيقتهما السيدة زينب الكبرى عليها السلام عقيلة الهاشميين وبطلة كربلاء وشريكتهما بكل مصائبهما التي ورثت مصائب أمها الزهراء عليها السلام. .

فهؤلاء الكرام كانوا مع البشر ولكن كانوا روحانيين وسماويين وملكوتيين أكثر من الجسديين والأرضيين والناسوتيين ولذا خفيت حقيقتهم النورانية عن هذه الأمة المرحومة بهم، والمسؤولة عن ولايتهم، ومودتهم، وطاعتهم، كما قال ربنا سبحانه: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)[٢٠]

عن ولاية أهل البيت الأطهار عليهم السلام، والإمام الحسن عليه السلام هو السبط الأكبر وولي الله الأعظم في مدة إمامته وولايته على أمة جده التي استمرت عشر سنوات، ولكن كانت من أعقد سنوات الأمة ضبابية، وعدم وضوح الرؤية بما أثاره صبيان النار الأموية، ومَنْ تَبعهم من شبان قريش الطامعين بالسلطة والخلافة بعد أن سبقهم شيوخهم الذين استولوا على السلطة وليس لهم أي حق بها إلا أنهم من قريش. .

وهنا أحببت أن نأخذ من بعض هذه المجالس كما هي والتي روتها كتب التاريخ لنتبين الحق الصريح، والفضل الصحيح، والرأي النصيح، لنكون على بيِّنة من أمرنا، فالإمام الحسن السبط عليه السلام أقام الحجة (وهو حجة الله) عليهم في مجالسهم وبيوتهم، بشجاعة منقطعة النظير حتى أن معاوية كان يثبُ ويضع يده على فمه الشريف ويحلف عليه بالسكوت خوفاً من الفضيحة لهم.. وهي حجة علينا جميعاً لا سيما أولئك الذين ما زالوا يعيشون في ضباب بني أمية القاتل، لأنه ضباب سام من غازات الكفر والشرك والشك بالدِّين ورسوله والمؤمنين جميعاً .

تعريف الإمام بنفسه خطابياً:

وهو حِجاج من النوع الخطابي، فعن المنهال بن عمرو أن معاوية سأل الحسن عليه السلام أن يصعد المنبر – في الشام على ما يبدو – وينتسب، فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس مَنْ عرفني فقد عرفني؛ ومَنْ لم يعرفني فسأبيِّن له نفسي، بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفا، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحيا، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب، نقيات الجيوب. .

وأذن المؤذن، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فقال: يا معاوية محمد أبي أم أبوك؟ فإن قلتَ: ليس بأبي فقد كفرتَ، وإن قلتَ: نعم، فقد أقررتَ، ثم قال الحسن عليه السلام: أصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها وأصبحت العجم تعرف حق العرب بأن محمداً منها، وأصبحنا آل محمد نطلب حقنا ولا يردون إلينا حقنا)[٢١].

المجلس الأول: تعريف الإمام عليه السلام نفسَه الشريفة حوارياً.

وفي موقف حِجاجي آخر ولكن من النوع الحواري يُعرِّف الإمام الحسن عليه السلام نفسه ويُفاخر بني أمية مفاخرة للتاريخ، والأجيال، فهي عابرة للزمان والمكان، بل هي فخر كل عصر ومصر، وشرف لكل شريف من بني البشر، لو عرفت هذه الأمة مَنْ يخاطبها ليعلمها ويفهمها الحق وليميزه من الباطل الذي أزهقه بقوارعه، ولكن أصرَّت الأمة باتباع باطل بني أمية إلى اليوم. .

فقد روي في العقد عن ابن عبد ربه والاندلسي وكتاب المدائني أيضاً أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: ابعث إلى الحسن بن علي فمره أن يصعدَ المنبر ويخطب الناس، فلعله أن يحصر فيكون ذلك مما نعيِّره به في كل محفل. . فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر، وقد جمع له الناس، ورؤساء أهل الشام فحمد الله الإمام الحسن (صلوات الله عليه) وأثنى عليه، وصلى على محمد النبي وآله، ثم قال: مَنْ عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن ابن رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن المصطفى بالرسالة، أنا ابن مَن صلَّت عليه الملائكة، أنا ابن مَن شرُفت به الأمة، أنا ابن مَنْ كان جبرائيل السفير من الله إليه، أنا ابن مَن بُعث رحمة للعالمين (صلى الله عليه وآله أجمعين).

أيها الناس؛ مَنْ عرفني فأنا الذي يُعْرَفْ، ومَنْ لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عم نبي الله، أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وجدي محمد بن عبد الله نبي الرحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن مَن بُعث رحمة للعالمين، أنا ابن مَن بُعث إلى الجن والإنس أجمعين. . لو طلبتم ابنا لنبيكم ما بين لابتيها (طرفيها) لم تجدوا غيري وغير أخي. .

فأحسَّ معاوية بالخطر من هذا التعريف الشريف، فإنه إن استمرَّ فسيُقلب السحر على الساحر، ويُفتضح الفاسق الفاجر لذوي البصائر، فقطع عليه معاوية كلامه بوقاحة، فقال: يا أبا محمد خلِّنا من هذا وحدثنا في نعت الرُّطب. . وأراد بذلك تخجيله وإحراجه ولكن هيهات فهو إمام الكلام في الأنام، وقائد الأمة للإسلام الحق.

قال: نعم؛ يا معاوية الريح تلقحه، والشمس تنفحه(تنفخه)، والقمر يلونه، والحر ينضجه، والليل يبرده. .

ثم أقبل على منطقه فقال: أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن مَن كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول مَنْ ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن مَن يقرع باب الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن مَنْ قاتل معه الملائكة، وأحلَّ له المغنم ونُصر بالرعب من مسيرة شهر فأكثر. . أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن مَن خضعت له قريشَ رغماً، أنا ابن مَن سعد تابعه وشقي خاذله، أنا ابن مَن جعلت الأرض له مسجداً وطهوراً، أنا ابن مَنْ كانت أخبار السماء إليه تترى (تنزل)، أنا ابن مَن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ومضى – روحي له الفداء – في هذا النوع من الكلام، ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الإمام الحسن عليه السلام مَنْ لم يكن يعرفه من أهل الشام وغيرهم، فقال معاوية: أظن نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة؟

فقال عليه السلام: ويلك يا معاوية إنما الخليفة مَنْ سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعة الله، وليس الخليفة مَن سار بالجور، وعطل السُّنن، واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خِوَلاً، وماله دُولاً، ولكن ذلك أمر مَلِكٌ أصابَ ملكاً فتمتَّع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه، فأتخم لذَّته وبقيت

عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ،[٢٢] ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (١٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ [٢٣] وأومئ بيده إلى معاوية. .

ثم قال عليه السلام: ولعمري إنَّا لأعلام الهدى، ومنار التقى، ولكنك يا معاوية ممَنْ أبار(أمات وأهلك) السُّنن، وأحيى البدع، واتخذ عباد الله خِولاً (عبيداً) ودين الله لعباً فكان قد أخمل ما أنت فيه، فعشتَ يسيراً وبقيتْ عليك تبعاته.

يا معاوية؛ والله لقد خلق الله مدينتين إحديهما بالمشرق والأخرى بالمغرب أسماهما جابلقا وجابلصا، ما بعث الله إليهما أحداً غير جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. . فقال معاوية: يا أبا محمد أخبرنا عن ليلة القدر.

فقال عليه السلام: نعم؛ عن مثل هذا فاسأل، إن الله خلق السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والجن من سبع، والإنس من سبع، فتُطلب من ليلة ثلاث وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين. . ثم نهض عليهما السلام ونزل.

فقال معاوية لعمرو: والله ما أردتَ إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحداً مثلي في حسبٍ ولا غيره، حتى قال الحسن عليهما السلام ما قال. .

فقال عمرو: وهذا شيء لا يُستطاعُ دفنه، ولا تغييره، لشهرته في الناس، واتضاحه، فسكت معاوية). [٢٤]

هذه هي النتيجة الطبيعية للحجة القوية، والبرهان الساطع الذي لا يستطيع أحد أن ينكره عليه، فالعقل والنقل والمنطق والواقع كلها تقر تعترف بصحة وحجة الإمام الحسن عليهم السلام، وهذا ما بيَّنه عمرو بن العاص في نهاية هذه المحاججة، التي أرادوا أن يحصروا الإمام ثم يعيروه بحصره، فحصرهم وبيَّن فضله وفخره على كل أحد وأنهم خالي الوفاض من كل فضيلة. .

المجلس الثاني: (حقُّ الفخر والمفاخرة):

قلت لك: إن كان في الأرض مفخراً لابن آدم فهذا هو الفخر، وهنا السؤدد، والفضل الذي لا ينكره عليه أحد، وهنا الشجاعة الأدبية الحقَّة المُحقَّة، وإليك مفاخرة الإمام الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) على معاوية ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان. . في قعر ديارهم ومجالسهم. .

فقيل: وفد الإمام الحسن بن علي عليهما السلام على معاوية فحضر مجلسه، وإذا عنده رؤوس بني أمية وبعض أذنابهم الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم لهؤلاء القوم، ففخر كل رجل منهم بنفسه واستطال على بني هاشم بفسقه، فشمخوا بأنوفهم المرغمة، ووضعوا من أولئك الذين رفعهم الله، فذكروا أشياء ساءت الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، فقال مبيناً الحقيقة التي تؤرقهم: أنا شعبة من خير الشعب، وآبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب ونحن من خير شجرة، أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع بنا العز، ونحن بحور زاخرة لا تُنزف، وجبال شامخة لا تُقهر.

فقال مروان بن الحكم: مدحتَ نفسك، وشمختَ بأنفك، هيهات، هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفساً طابت وقوراً فنالت عزها فيمَنْ يلينا

فأبنا بالغنيمة حيث أبنا وأبنا بالملوك مقرنينا

ثم تكلم مغيرة بن شعبة، فقال: نصحتُ لأبيك فلم يقبل النصح، ولولا كراهية قطع القرابة لكنتُ في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أني أصدر الوارد عن مناهلها، بزعَّارة قيس، وحلم ثقيف، وتجاربها للأمور على القبائل.

فتكلم الإمام الحسن عليهما السلام، فقال: يا مروان أجبناً، وخوراً، وضعفاً، وعجزاً، وتزعم أني مدحتُ نفسي، وأنا ابن رسول الله، وشمختُ بأنفي وأنا سيِّد شباب أهل الجنة؛ وإنما يبذخ ويتكبر-

ويلك- مَنْ يريد رفع نفسه، ويتبجح مَنْ يريد الاستطالة، فأما نحن فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخِيَرَةُ، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدِّين، ألا تصمت - ثكلتك أمك- قبل أن أرميك بالهوايل، وأسِمُك بميسم تستغني به عن اسمك، فأما إيابك بالنِّهاب والملوك أفي اليوم الذي وليتَ فيه مهزوماً، وانجحرتَ مذعوراً(في الجمل)، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرتَ به فقتلته، قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك. ؟

فنكَّسَ مروان رأسه، وبقي المغيرة مبهوتاً، فالتفت إليه الإمام الحسن(عليه السلام)، فقال: أعور ثقيف ما أنت من قريش فأفاخرك، أجهلتني يا ويحك؟! أنا ابن خيرة الإماء، وسيدة النساء، غذانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعلم الله تبارك وتعالى، فعلمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام، لنا العزة العليا، والفخر والسناء، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق، ما له والافتخار عند مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران، نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار، ثم أشرت زعمت إلى خير وصي لخير الأنبياء، وكان هو بعجزك أبصر، وبجورك أعلم وكنت للرد عليك منه أهلاً لو عزك في صدرك، وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المضلين عضداً، وزعمك أنك لو كنت بصفين بزعارة قيس، وحلم ثقيف، فبماذا ثكلتك أمك؟ أ بعجزك عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟ (المُدافعات) أما والله لو التفتَ عليك من أمير المؤمنين الأجاشع[٢٥]، لعلمتَ أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنَّات (الباكيات) الهوالع.

وأما زعارة قيس؛ فما أنتَ وقيساً؟ إنما أنتَ عبدٌ آبقٌ فثقفَ فسُمي ثقفياً، فاحتل لنفسك من غيرها، فلستَ من رجالها، فأنتَ بمعالج الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب. فأما الحلم؛ فأيُّ الحلم عند العبيد القيُّون؟[٢٦]

ثم تمنيتَ لقاء أمير المؤمنين(عليه السلام) فذاك مَنْ قد عرفتَ؛ أسد باسل، وسمٌّ قاتل، لا تقاومه الأبالسة عند الطعن والمخالسة فكيف ترومه الضُبعان(الضباع)، وتناله الجعلان (الصراصير)، بمشيتها القهقري. . وأما وصلتك فمنكورة، وقرابتك فمجهولة، وما رحمك منه إلا كبنات الماء من خشفان الظباء، بل أنت أبعد منه نسباً.

فوثب المغيرة لينصرف، بعد أن التفت الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، ويقول: اعذرنا من بني أمية إن تجاوزنا بعد مناطقة القيون، ومفاخرة العبيد.

فقال معاوية: ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد، ولا تفاخرهم المذاويد. . ثم أقسم على الإمام الحسن عليهما السلام بالسكوت فسكت)[٢٧].

وأعتقد أن كلمة الإمام الحسن الزكي عليه السلام لمعاوية كان فيها شيء من الدبلماسية – كما نسميها اليوم – مع ما فيها من التعريض به وبمجلسه الذي كان يضم العبيد والقيون من أمثال المغيرة. . وكأنه قال له: إلى متى يضم مجلسك من أمثال هؤلاء الذين هم (بموالج الزرائب أعرف) وأولى من مجالس الأكابر؛ وإلى متى يتطاول عندك العبيد الأرقاء على السادة النجباء؟

وبالفعل فهمها معاوية فصاح بالمغيرة ليجلس ونهره بشدة وافتخر بالإمام الحسن عليه السلام عليه، بقوله: هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد، ولا تفاخرهم المذاويد. . والإمام السبط عليه السلام هو من عبد مناف وأما معاوية فهو منتسباً لصيقاً إليه بجده أمية العبد الرومي كما بينا في مكانه..

المجلس الثالث: إثباته فضل أبيه عليهما السلام وخبث أصولهم

روي عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم، قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان(كل من):

١-عمرو بن عثمان بن عفان. .

٢-عمرو بن العاص. .

٣-عتبة بن أبي سفيان. .

٤-الوليد بن عقبة بن أبي معيط. .

٥-المغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤوا على أمر واحد(هو منابذة الإمام الحسن عليه السلام والتهجم عليه حقداً وحسداً).

فقال عمرو بن العاص: لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتُحضره، فقد أحيى سُنة أبيه، وخفقت النِّعال خلفه، أمر فأُطيع، وقال فصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثتَ إليه فقصَّرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغَّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك

حتى نصدق لك فيه، (هل عرفت على أي شيء تواطأ هؤلاء الأشقياء؟).

فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يقلِّدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيتُه قط إلا كرهتُ جنابه، وهبتُ عتابه، وإني إن بعثتُ إليه لأنصفنه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا(تأمل بكلام ابن ليلى، وتصديق ابن هند له على كذبه). قال: لا. . قال: فابعث إذاً إليه. .

فقال عتبة بن أبي سفيان: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيت خَصِمٌ جَدِلْ. .

فبعثوا إلى الإمام الحسن عليه السلام، فلما أتاه الرسول(مبعوثهم)، قال له: يدعوك معاوية. .

قال عليه السلام: ومَنْ عنده؟ قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلاً منهم باسمه.

فقال الإمام الحسن عليه السلام: ما لهم خَرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. . ثم قال: يا جارية أبلغيني ثيابي. ثم قال: « اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنى شئت، من حولك وقوتك، يا أرحم الراحمين « وقال للرسول: هذا كلام الفرج، فلما أتى معاوية رحَّب به، وحيَّاه وصافحه.

فقال الإمام الحسن عليه السلام: إن الذي حييتَ به سلامة، والمصافحة أمن.

فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك؛ أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم، ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك، فلا يمنعك مكاني(باعتباره سلطان وحاكم) من جوابهم.

حجر أولى برأس معاوية الطاغية

فقال الإمام الحسن عليه السلام: فسبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك! والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيهما تقر، ومن أيهما تعتذر، وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدتهم من بني هاشم مع أني مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم، فإن الله عز وجل لوليي اليوم وفيما بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فأسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وراح الإمام الحسن السبط عليه السلام يضربهم بأحجاره الدامغة، ويبهتهم ببراهينه الساطعة، فيقمعهم واحداً بعد الآخر حتى أتى على آخرهم، ثم جاء منتصراً لهم مروان الوزغ ففعل به أشدَّ ما فعل بهم لمعرفته به وبوقاحته وقلة حيائه وبذاءة لسانه، ولذا ترى معاوية في آخر المجلس يفعل به ما لم يفعله بأحد من العالمين. .

فيقول الراوي: فوثب معاوية فوضع يده على فم الإمام الحسن عليه السلام، وقال: يا أبا محمد ما كنتَ فحَّاشاً ولا طيَّاشاً. . فنفض الإمام الحسن عليه السلام ثوبه، وقام فخرج، فتفرق القوم عن المجلس بغيظ، وحزن، وسواد الوجوه في الدنيا والآخرة)[٢٨].

ولطول المجلس اختصرته هنا وليت الأحبَّة يطَّلعون عليه خاصَّة مَنْ لم يقرأه من قبل ففيه علم غزير، وحق واضح، وحجة قاطعة، وأنوار ساطعة من منبع علم الوحي والتنزيل فلا يفوتكم أيها الأعزاء. .

المجلس الرابع: إسكات معاوية وقطع لسانه.

إن الحقد الأموي على أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبنائه كان من نوع حقد العبيد على السادة، وهو من أشد وأبشع أنواع الحقد الذي عرفته البشرية لأن صاحبه دائماً وأبداً يعيش حالة الضعف والاحتقار لنفسه أمام سيده الذي كان عبداً رقيقاً عنده، فيحقد عليه ويحاول أن يضع من شأنه ليرتفع هو – كما يظن وهو ظن السوء طبعاً – وهذا ما كان يحدوا ويدفع معاوية وبني أمية للانتقاص من بني هاشم وسُبابهم ولعنهم على المنابر التي بنوها، والعياذ بالله. .

وحقيقة إن الحقد كله والسُّباب كله كان لرسول الله صلى الله عليه وآله لأنه هو صاحب الرسالة وهو الذي هدم مجدهم الجاهلي،[٢٩] وهو الذي حطَّم أصنامهم وأحلامهم الفاسدة إلا أن الله سبحانه نزع هذا العداء لرسوله من قلوب قريش يوم فتح مكة المبين لتستمر هيبته في العيون ومحبته في القلوب، فيحملون الرسالة ظاهراً وهم مقهورون ويتعاملون فيها وهم منافقون، ولذا حذَّر الأمة منهم وأمرهم بقتلهم إن صعدوا على منبره وبالخصوص معاوية، قال صلى الله عليه وآله: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[٣٠].

إلا أن هذه السخينة والحقد لم تذهب عن أمير المؤمنين علي عليه السلام فحمل آثام الإسلام كله عند العرب العاربة وقريش المنافقة بالخصوص فصبُّوا جامَ حقدهم عليه يلعنونه وأهل البيت

– والعياذ بالله – على سبعين ألف منبر مدة أربعين عاماً، وجعلوها سُنة سيئة بعد كل خطبة، والسُّنة الصحيحة ما كان معمولاً به قبلهم وهي معمولاً بها اليوم في جميع بلاد المسلمين والحمد لله وهي الصلاة والسلام عليهم وذكرهم بالأسماء(رابع الخلفاء أمير المؤمنين علي، وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين) عليهم صلاة ربي وصلاة المصلين من اليوم وإلى يوم الدِّين، نُرغم بذلك أنف المنافقين. .

وروي أن معاوية فخر يوماً بحضرة المولى أبا محمد الإمام الحسن السبط عليه السلام، فقال: أنا ابن بطحاء ومكة، وأنا ابن أغزرها جوداً، وأكرمها جدوداً، أنا ابن مَن ساد قريشاً فضلاً ناشئاً وكهلاً.

فقال الإمام الحسن عليه السلام له: أعليَّ تفتخر يا معاوية، أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى، أنا ابن مَنْ جاء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا، بالفضل السابق، والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تباهيني به، وقديم كقديمي تساميني به، قُلْ نعم، أو لا. .

قال معاوية: بل أقول: لا، وهي لك تصديق. .

فقال الإمام الحسن عليه السلام: الحق أبلج ما يحيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب)[٣١]. .

الله، الله ما أفخر وأجمل هذا الكلام من المولى السبط الزكي عليه السلام فهل قرأتَ عن أحد أنه، قال: أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى. ؟

وروى الشعبي أن معاوية قدم المدينة فقام خطيباً، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ (يريد التعريض والسُّباب لأمير المؤمنين عليه السلام)، فقام الإمام الحسن بن علي عليهما السلام فخطب وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه لم يُبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله من بعده، وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتي خديجة، وجدتك نثيله، فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفراً، وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقاً. .

فقال عامة أهل المجلس: آمين؛ فنزل معاوية فقطع خطبته)[٣٢]. . ونحن وكل المنصفين يقولون معنا: آمين يا رب العالمين.

فنـزل معاويـة وقطـع خطبتـه. . وكـم لهـذا المأفـون مـن هـذه المجالـس وكأنـه كان لا يعـي، والأصـح أنـه كان يُسـاق إليهـا ليفضحـه الله ويُبـيِّن حقيقتـه الدينيـة للأمـة التـي جعلـت منـه عجـلاً جديـداً يعبدونـه مـن دون الله وهـم مأمـورون بقتلـه وبقـر كرشـه الواسـع. .

- نتيجة المجالس الحسنية

بعـد هـذا الاسـتعراض لبعـض هـذه المجالـس الرائعـة في الحجـاج التـي خاضهـا الإمـام الحسـن السـبط عليه السلام مـع صبيـان النـار الأمويـة، والأوزاغ المروانيـة نتوصـل لأبـرز النتائـج التـي تمخضـت عنهـا هـذه المجالـس التـي عقـدت لأمـر أراده معاويـة وبنـو أمـه، ولكـن قلـب الآيـة عليهـم سـليل الوحـي ولسـان التنزيـل الإمـام السـبط الأكـبر عليه السلام فأعطاهـم حجمهـم وأقعاهـم عـلى قدرهـم. .

كل ذلـك بمحاججـة تطفـح بالمنطـق السـليم، والحجـة البالغـة مـن حجـة الله عـلى خلقـه، فـإذا نظرنـا بعـين البصـيرة إلى تلـك الأقاويـل والمحاججـات التـي تدحـض الأباطيـل نعـرف أهميـة المحاججـة في الخطـاب وفي الحـوار، بحيـث أعطتنـا الفكـرة الصحيحـة، بالأقـوال الصريحـة، فعرفنـا الحـق وأهلـه، والباطـل وأهلـه وهـذا بالضبـط هـو هـدف المحاججـة وعلمهـا وثقافتهـا كـما قدَّمنـا ذلـك كلـه، ثـم طبقنـاه عـلى مجالـس الإمـام الحسـن السـبط عليه السلام بمختلـف الظـروف والأحيـان، كل ذلـك بـكلام بليـغ، وبأقـصر الجمـل والعبـارات التـي لا يمـل سـامعها، ولا يـكل قارئهـا ولا غـرو فيهـا فهـي مـن منبـع النـور، والكتـاب الناطـق بالحـق في هـذه الحيـاة الدنيـا. .

فـما أحرانـا أن نتخذهـا منهجـاً ودسـتوراً في مخاصماتنـا السياسـية اليـوم – لا سـيما في صفـوف المعارضـة الذيـن يقتـدون جميعـاً ببنـي أميـة في الكـذب والدَّجـل والـدَّس – لأن الإمـام الحسـن عليه السلام كان قائـد الجبهـة السياسـية المعارضـة، بـل وصاحـب الحـق المغتصـب ولكـن كان يحـضر مجالـس القـوم ويسـتمع لترهاتهـم – وكل إنـاء ينضـح بـما فيـه – فيحلـم عليهـم ويجيبهـم بـكل قـوة واقتـدار، ويقارعهـم بالحجـة والبرهـان والبيـان. .

وكذلـك عـلى الأخـوة الإعلاميـين مـع السياسـيين أن يقتـدوا بالإمـام الحسـن عليه السلام ويدرسـوا حياتـه الشريفـة، ويتخـذوا هـذه المجالـس كمـدارس يتعلمـون منهـا الشـجاعة الأدبيـة، بقـول الصـدق والحـق مهـما كان وإلى أي طـرف مـن الأطـراف، فالحـق أحـق أن يتَّبـع أيهـا السـادة الكـرام، الإمـام

الحسن المجتبى عليه السلام جامعة في هذا الباب، وإلى الآن لم أجد كتاباً يبحث حياة الإمام الحسن عليه السلام ومجالسه بهذه النظرة كمعارضة سياسية يعكسها على واقع الأمة اليوم، التي هي أحوج ما تكون إليه، فبني أمية وأتباع مدرستهم دوخوا الأمة وأخرجوها من دين الله أفواجاً، وما زلنا نتبعهم طمعاً بالمصالح الضيقة.

أيها الأعلام في السياسة والإعلام؛ حررونا وحرروا الأمة من بني أمية وسياستهم الفاسدة، وثقافتهم الجاهلية، فسياسة (الغاية تبرر الوسيلة) وحقكم هي من معاوية سرقها ميكيافلي، ونحن ننبهر بكل ما يأتينا من خلف البحار، والحق عندنا ومن بيننا وفي ديننا وشريعتنا، التي ضربها الأميون بمقتل، وما بقيت إلا ببركة سياسة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ودم الإمام الحسين عليه السلام وشهادته بكربلاء. .

- ختامه مسك حسني

عفوك سيدي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. .

عفوك سيدي يا ابن أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهما السلام. .

عفوك سيدي ومولاي وإمامي يا أبا محمد بحيث تجرأتُ على الوقوف بحضرتك في هذه الوقفة التي أردتُ منها أن أنقل كلامك، وحججك، وبيناتك، الرائعة، القامعة لبني أمية وطاغيتهم معاوية الذي كان يحاول ويطاول كي يساميك ولكن هيهات الثرى من الثريا، والظلام من النور، والباطل من الحق، فأنتَ أنت – لله درَّك مَنْ أنت سيدي – هم هم والله أعلم بمَنْ هم. .

فالحق أنتَ، والقرآن الناطق أنتَ، والإيمان والدِّين أنتَ، فمَنْ يساميك أو يفاخرك وأنت ابن عروق الثرى، أو مَنْ يفاضلكَ وأنت ابن خليات العيوب ونقيات الجيوب، أنت ابن الطاهرة المطهرة البتول، بضعة الرسول صلى الله عليه وآله، التي كانت أنقى من الهواء، وأطهر من ماء السماء. .

فإن اتهموك بالأخلاق، أو عابوك بالفضائل، فتلك تهمة لا ننكرها عليك سيدي إذ أنت الفضيلة كلها، والأخلاق منك نأخذها، فأنت الملاذ في حفظ الدِّين والأخلاق والفضائل والقيم، فأنت الحسن وكل ما فاض منك حسن، يا حسنةً وهبها لنا أحسن الخالقين رب العالمين، فلهُ الفضل والشكر والمنن، إذ وهب لنا إماماً هو الحسن عليه السلام.

الهوامش

١) الامام علي عليه السلام وحروب التأويل ١/ ٢ ط دار العلوم – بيروت.

٢) الامام علي عليه السلام وحروب التنزيل ١ ط دار العلوم – بيروت.

٣) معركة السماء في أرض كربلاء(دراسة عسكرية معاصر) ١ ط دار العلوم – بيروت.

٤) علموا أولادكم حب الامام الحسين عليه السلام ١ ط دار العلوم – بيروت؟.

٥)التشيع ثقافة المستقبل. . ط١ دار المحجة البيضاء - بيروت ٢٠١٥م.

٦) الوهابية وجذورها التاريخية. . ط قم – مركز الأبحاث العقائدي. . ايران - قم.

٧) شهر الله المعظم (أحكام وأعمال) طبع منذ سنوات في مسجد الإمام الحسين عليه السلام في دمشق.

٨) تقرير وتحقيق بحث قرآني (تحفة البيان بنداء القرآن لأهل الإيمان).

٩) الأخلاق الحسينية والوهابية تحقيق وتدقيق ومراجعة.

) عدد من الكتب المخطوطة أو الجاهزة للطبع:

-فاطمة الزهراء عليها السلام كوثر النور.

-الإمام الحسن عليه السلام وحروب التأويل.

-الإمام الرضا عليه السلام وحروب التأويل.

-الإمام الهادي عليه السلام وحروب التأويل.

-الحياة السياسية والعسكرية وبناء الدولة الإسلامية.

-الشهيد مسلم بن عقيل أول نخلة في بستان الشهادة.

١٠) هناك الكثير من التحقيقات لأخوة وعلماء مختلفين مطبوعة ومخطوطة.

١١) هناك الكثير من التقريرات العقائدية والثقافية والفكرية المطبوعة أيضاً.

١٢) هناك أكثر من عشرة كتب مخطوطة وجاهزة للطبع. . وهي على قرص مضغوط cd ولكن كل شيء متوقف عندنا بسبب هذه الفتنة التي عصفت بنا منذ سنوات عجاف.

١٣) لديَّ تفسير قرآن كامل مخطوط ربما يصل / ١٥/ مجلد بقي في بيتي المغتصب في حي القابون في الشام.

٢)شجرة طوبى للحائري: ج٢ ص٦٣ بتصرف منا.

٣)(شجرة طوبى للحائري: ج٢ ص٦٣، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٣٢٢، والسيد الامين في الاعيان ج ١٢ ص ٢٦٠ والشيخ الاميني في الغدير ج ٢ ص ٢٥١).

٤)(نهج البلاغة: خ٩٢).

٥)مروج الذهب عن مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنده، ثمّ ينصرف إليَّ فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب ممّا يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة، وظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟ قال: يا بنيّ، إنّي جئت من عند أخبث الناس! قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له – وقد خلوت به –: إنّك قد بلغت منّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً؛ فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم؛

فواللهَّ ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!! ملك أخو تَيمٍ فعدل وفعل ما فعل، فواللهَّ ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: أبوبكر، ثمّ ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمّر عشر سنين، واللهَّ ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعَمل ما عَمل وعُمل به، فواللهَّ ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذِكر ما فُعل به، وإنّ أخا هاشم يُصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسول اللهَّ، فأيّ عمل يبقى مع هذا؟ لا أُمّ لك، واللهَّ ألا دفناً دفناً). (مروج الذهب: ٤/ ٤١، الأخبار الموفّقيّات: ٥٧٦/ ٣٧٥، شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٢٩؛ كشف اليقين: ٤٦٦/ ٥٦٥، كشف الغمّة: ٢/ ٤٤ كلّها نحوه، بحارالأنوار: ٣٣/ ١٦٩/ ٤٤٣).

٦) (تاريخ ابن خلدون، دار احياء التراث العربي- بيروت - لبنان، ط ٤: ج١ص٤٨٥).

٧) (اعتمدتُ في البحث هنا على عدد من المواقع في الشبكة العنكبوتية مختلفة بتصرف منا).

٨) (آل عمران: ٦٦).

٩) الألفين في أحاديث الحسن والحسين عليهما السلام الشيخ علي حيدر المؤيد: ج٢ ص٧٥ - ١٤٥ .

١٠) هناك أكثر من قصة وردت في بيان منع عمر بن عبد العزيز سب أمير المؤمنين علي عليه السلام ففي موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الويشهري ١١/ ٣٩٥ ما نصه: (٦٣٧٤) بحر المعارف: لما آل نوبة الإمارة إلى عمر بن عبد العزيز تفكر في معاوية وأولاده ولعنه عُلياً عليه السلام وقتل أولاده من غير استحقاق فلما (أصبح أحضر الوزراء فقال: رأيت البارحة أن هلاك آل أبي سفيان بمخالفتهم العترة وخاطر ببالي أن ارفع لعنهم وقال وزراؤه: الرأي رأي الأمير. فلما صعد المنبر يوم الجمعة قام إليه ذمي متمول، واستنكح منه بنته، قال عمر: إنك عندنا كافر، لا تحل بناتنا للكافر، فقال الذمي: فلم زوج نبيكم بنته فاطمة من الكافر علي بن أبي طالب؟ فصاح عليه عمر فقال: من يقول أن علياً كافر؟ فقال الذمي: إن لم يكن علي كافراً فلم تلعنونه؟ فتخجل عمر ونزل، وكتب إلى قاضي بلاد الإسلام: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رفع لعن علي عليه السلام لأن ذلك بدعة وضلالة. . وهناك قصة أخرى يرويها ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٥٨ ينسبها إلى أستاذ عمر.

١١) (بحار الانوار / جزء ٣٦ / صفحة [٣١٩] عن كفاية الاثر: ١٣).

١٢) (المعيار والموازنة ص ١٥١ ونهج البلاغة بشرح عبده ج ٢ ٢١٢ وتاريخ الطبري حوادث سنة ٣٧ ج ٤ ص ٤٤ والفصول المهمة للمالكي ص ٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٤٤ والاختصاص ص ١٧٩ وتذكرة الخواص ص ٣٢٤).

١٣) (شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٤ص١٨).

١٤) (الإمام علي وحروب التأويل الحسين أحمد السيد(كريمو): ج٢ ص٣٨ وما بعدها).

١٥) (الإمام علي وحروب التأويل، وبحار الأنوار: ج ٤٣ ص٣٤٥).

١٦) (بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٣٤٥).

١٧) (بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٣٥٢).

١٨) (بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٩٤).

١٩) (بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٩٤).

٢٠) (الصافات: ٢٤).
٢١) (بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٣٥٦).
٢٢) (الأنبياء: ١١١).
٢٣) (الشعراء: ٢٠٧).
٢٤) (بحار الأنوار: ج ٤٣ ص٣٥٤، عن الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص٤٢٠).
٢٥) (والأشاجع أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، والتفاف الأشاجع: كناية عن التمكن والاقتدار منه).
٢٦) (القيُّون جمع القين بمعنى العبد، أو الحداد والصانع).
٢٧) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٩٥، عن الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص٤١٩.
٢٨) (بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٨٦، والاحتجاج: ج١ ص٤١٧).
٢٩) وهو بالحقيقة سباب لله تعالى والعياذ بالله كما في الروايات لأن الله هو الذي بعث الرسول بالرسالة ليهدم لهم أصنامهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها فمازال أبو سفيان يحلف باللات والعزى إلى آخر لحظة بعمره السخيف. .
٣٠) تهذيب التهذيب: ١/ ٦٣٧/ ١٧٠٨ عن عبد اللهَّ وج ٣/ ٧١/ ٣٦٦ عن عبد اللهَّ مرفوعاً وج ٤/ ٣٤٦/ ٥٩٥٦، تاريخ دمشق: ٥٩/ ١٥٧ كلاهما عن الحسن، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٤٩ وج ٦/ ١٠٥؛ وقعة صفّين: ٢٢١ كلاهما عن الحسن وص ٢١٦ عن زرّ بن حبيش وعن عبداللهَّ بن مسعود وزاد في ذيله «قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا».
٣١) بحار الأنوار؛ ج ٤٤ ص ١٠٤).
٣٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٩١، عن الاحتجاج ص ١٤٥.

انحراف وخذلان الأمة وأثره في خلافة الإمام الحسن عليه السلام

(دراسة تحليلية)

م. د. علي طالب عبيد السلطاني

م. م. ازهر عبد الكاظم اسماعيل

الملخص

لقد لعبت عوامل عديدة دورها بان يتخذ الإمام علي ﷺ من العراق وخصوصا الكوفة عاصمة لخلافته بعد معركة الجمل ولذلك فقد عاش ﷺ في مجتمع عرف الإسلام من خلال الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ومن يدور في فلكهم من الولاة، والمتصرفين في الأمور، وذلك لان البلاد قد افتتحت في عهد هؤلاء، وحكم أولئك الولاة سكانه، ونفذوا فيهم أوامر خلفائهم، وفرضوا عليهم سياساتهم، وأشاعوا فيهم مفاهيمهم وأما الإمام علي ﷺ، فلم يكن له أي دور في العراق طيلة تلك السنين، ولا يعرفه أهله، ولا عاشوا معه، ولا رأوه، وربما لم يسمعوا عنه شيئاً بل أن العراقيين كانوا متأثرين بسياسات أولئك الخلفاء، ولا سيما عمر بن الخطاب إلى حد أنهم كانوا، يتمردون على قرارات الإمام علي ﷺ، مع أنه كان هو الخليفة والحاكم فيهم، وقد ذكرت بعض المصادر: أنه ﷺ لم يستطع أن يمنع جنده من صلاة التراويح، وتنادوا: يا أهل الإسلام، غيِّرت سنة عمر، ولقد قال ﷺ: ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري، وفي نص آخر: أنهم صاحوا: واعمراه اضافة الى ميول كثير منهم الى الخليفة الثالث عثمان وخصوصا مجتمع البصرة ولقد بلغ الامر بالامام ﷺ ونتيجة لعدم طاعتهم والتزامهم به الى ان يوبخهم في كثير من خطبه حيث قال» وددت ان معاوية يصارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فياخذ مني عشرة منكم ويعطيني واحدا منهم» هذه التركيبة الاجتماعية المعقدة للعراقيين القت بنتائجها السلبية على خلافة الامام الحسن ﷺ وحربه مع معاوية ولقد بين ذلك في خطابه الذي القياه في يوم مبايعته بالخلافة بعد ما بين لهم احقيته واهل بيته ﷺ لهذا الامر من معاوية وغيره، وذكرهم بخيانتهم لابيه ﷺ ووبخهم عليها وبعد ذلك بين نواياهم وخذلانهم له حيث ورد عنه انه قال في خطبته: » ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمةَ في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي»، وفعلا كان الامام ﷺ مصيبا في رأيه بخصوص الامة ومواقفها المنحرفة حيث انه علم بنوايا القوم وخذلانهم له في حربه مع معاوية بل انهم ارادوا

قتله او تسليمه الى معاوية وجاء ذلك في احدى خطبه بانه قال: «والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنَّ عليَّ فيكون سُبَّةً على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية، فبادر عليه السلام الى الصلح مع معاوية على شروط اشترطها عليه ولكنه لم يفي بها بعد ذلك. . . والحمد لله رب العالمين

المقدمـة:

لقـد تـولى الامـام الحسـن ﷺ الخلافـة في وقـت كانـت فيـه الامـة الاسـلامية تعـاني الكثـير مـن المشـاكل والاضطرابـات بسـبب الحـروب الثلاثة(الجمـل وصفـين والنهـروان) التـي فرضـت عـلى امير المؤمنين ﷺ حيث خلفت هـذه المعـارك حالـة مـن التذمـر والملـل في صفـوف المقاتلـين اضافـة الى انهـا اوجـدت في نفـوس النـاس الضغائـن والاحقـاد بسـبب مـا خلفتـه مـن القتـلى بـين الطرفـين ومـن ثـم ظهـرت طبقـة مـن المنحرفـين والخـوارج والشـكاكين في خلافـة الامـام عـلي ﷺ والتـي كانـت فيـما بعـد سـبب في خـذلان الامـة وانحرافهـا عـن الامـام الحسـن ﷺ مضافـا الى ذلـك فـان وجـود معاويـة وشـيعته في الشـام ومـا كان يتمتـع بـه مـن اسـاليب المكـر والخديعـة كان يشـكل خطـرا اخـر يهـدد الامـة الاسـلامية في ظـل خلافـة الامـام الحسـن ﷺ ولاجـل ذلـك كلـه ارتأينـا ان نكتـب بحثنـا هـذا والـذي يحمـل عنـوان (انحـراف وخـذلان الامـة واثـره في خلافـة الامـام الحسـن ﷺ دراسـة تحليليـة)، ولقـد قسـمنا بحثنـا هـذا الى مقدمـة ومبحثـان ونتائـج تناولنـا في المبحـث الأول بـوادر انحـراف الامـة في خلافـة امـير المؤمنـين ﷺ امـا المبحـث الثـاني فقـد تناولنـا فيـه اولا اجـراءات الامـام الحسـن ﷺ في اسـتنهاض وتوعيـة الامـة ثـم تناولنـا فيـه ايضـا خـذلان الامـة للامـام الحسـن ﷺ ومـن ثـم ختمنـا بحثنـا بـما توصلنـا اليـه مـن نتائـج وكذلـك اشرنـا في نهايـة البحـث الى اهـم المصـادر التـي اعتمـدت في كتابـة بحثنـا هـذا ومـن الله التوفيـق.

الباحثان

المبحث الأول:

بوادر انحراف الأمة في زمن أمير المؤمنين عليه السلام:

لم يكن توجه عامة الناس في العراق شيعة لعلي عليه السلام بل كان اكثرهم شيعة لعثمان وبعضهم شكاكين وعلى حد تعبير الشيخ المفيد[1]: هم أخلاط من الناس بعضهم شيعة لعلي وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، ففي البصرة مثلا حيث إنها كانت قادرة في حياة امير المؤمنين عليه السلام أن تجند عشرات الألوف وقد تزيد على ستين ألف مقاتل، ولكن رغم ذلك لم ينفر منهم إلى علي عليه السلام في حرب صفين سوى ألف وخمسمائة، وبعد التهديد والوعيد ينضم إليهم مثلهم[2]، وذلك لان اهل البصرة كما يقول عمرو بن العاص: « أهل البصرة مخالفون لعلي، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم، وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل »[3] ووصفهم الأصمعي بقوله: « البصرة عثمانية من يوم الجمل »[4]

اما الكوفة كما يقول البراقي[5]: فلم يسجل التاريخ لرجالاتها مآثر جديرة بالتقدير وكأن من انتحى نحوها يوم مصّرت إنما تبوأها ليبث روح الشقاق، أو يزرع بأرجائها بذور النفاق، ويخبئ بين فجاجها جراثيم الفساد، لذلك لمّا أينعت وبسقت أغصانها لم يشهد فيها غير الإنثيال عن الحق وأهله، والميل إلى الجور، والإصاخة إلى داعية ضلال هذه نفسية القوم عرفوا بها منذ العهد العلوي، فيوم كان يستنصرهم علي عليه السلام في وقعة الجمل ويخذلهم عنه أبو موسى الأشعري، وما كان نفيرهم إليه إلاّ بعد هن وهن، وقدوم الأشتر واستنفارهم بقوة بأسه، ولا تنس يوم رفع المصاحف بصفين، يوم جاؤوا بالفاجعة الكبرى شوهاء شنعاء، التقت بها حلقتا البطان، ثم ندموا على ما فرطوا في جنب ولي الله، فأثاروا فتنة النهروان غير متأثمين، وألقوا المسؤولية فيها على عاتق علي عليه السلام بحجة داحضة، وبعد أن مسحهم السيف الإلهي وتطامنت النفوس على حرب معاوية، لم يبرح الإمام عليه السلام يستشيرهم الآونة بعد الآونة، وهو لا يجد إلاّ متترساً بالأعذار أو متستراً بالفشل أو مضمراً غدراً، أو متحيزاً إلى فئة، فجرّعوه الغصص حتى

مجهم وتمنى أن معاوية عوّضه واحداً من الشام بعشرة منهم صرف الدينار بالدرهم، وقال فيهم: « قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً ».

فالكوفة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وعلى حد تعبير الشيخ المفيد [٦] « أهلها أخلاط من الناس »، كما أن حي الناعطيين وهم من همدان وممن سكن الكوفة كان جلُّهم من العثمانية[٧]، ولما ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قتال أهل النهروان كانت قبيلتا غني وباهلة في الكوفة تدعوان الله أن يظفر به عدوه [٨].

كما أن اغلب أهل الكوفة وقرّاءها كانوا مخالفين لعلي عليه السلام، ومن كان يعتقد بإمامته من اهل الكوفة كانوا لا يبلغون خمسين رجلاً فعن المفضل بن قيس عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: كم شيعتنا بالكوفة قال قلت خمسون ألفا قال: فما زال يقول حتى قال: ترجو أن يكونوا عشرين ثم قال عليه السلام والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه ولا يقولون علينا إلا بالحق[٩].

فقد روي ان عبد الله بن وديعة الأنصاري لقي علياً عليه السلام على مشارف الكوفة فسايره، فقال له عليه السلام: «ما سمعت الناس يقولون ؟ قال: يقولون: إن علياً كان له جمع عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدمه فحتى متى يبنى ما هدم وحتى متى يجمع ما فرق فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم» [١٠].

ويقول ابن الاثير في الكامل[١١]: كان الناس بعد حرب صفين فيهم المعجب بنتائجها، وفيهم الكاره، والغاش والناصح، وإن محاربة العراقيين لمعاوية كانت عن خوف ووجل، ولقد قال عمرو بن العاص لمعاوية في صفين، حين مرت ليلة الهرير: « أرى أن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله فهو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على أمر آخر إن أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم»[١٢].

وكذلك فقد روى احد المؤرخين حيث قال: « فقد خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون، ورجعوا وهم أعداء متباغضون، يضطربون بأسياط»، وكذلك قول علي عليه السلام لابن

الحر: « إني آخذ بأنفاس هؤلاء، فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام» وقال صالح بن كيسان: «إن علياً لما كتب كتاب القضية نفروا من ذلك؛ فحكم من حكم منهم، ثم افترقوا ثلاث فرق، فرجعت فرقة منهم إلى أمصارهم ومنازلهم، فأقاموا بها، فكان ممن رجع: الأحنف وشبث بن ربعي، وأبو بلال مرداس بن أدية، وابن الكواء، بعد أن ناشدهم علي، وقال: « فاصبروا على هذه القضية فإن رأيتموني قابلا الدنية فعند ذلك ففارقوني»، فرجعوا إلى العراق إلى منازلهم وأقامت الفرقة الثانية وقالوا: لا نعجل حتى ننظر إلى ما يصير شأنه، ومضت الفرقة التي شهدت على علي وأصحابه بالشرك، وهم أهل النهروان الذين قاتلوه [١٣].

ثم تأتي حروب النهروان، حيث فرض فيها على العراقيين، الذين يفضلون رابطة الدم، على كل ما سواها، أن يحاربوا إخوانهم بالعصبية حيث كان في صفوف هؤلاء الخوارج: من هم إخوانهم، وأبناؤهم، وآباؤهم، وأبناء العشيرة، حتى إن عدي بن حاتم، وهو من القواد المعروفين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان ولده طرفة في جملة من قتل من الخوارج، فوجده فدفنه ثم قال الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك، ودفن رجال من الناس قتلاهم بإذن أمير المؤمنين عليه السلام. [١٤].

ويقول ابن الإسكافي في ذلك [١٥]: « فلم يؤت علي رضي الله عنه في أموره لسوء تدبير كان منه، أو لغلط في رأي، غير أنه كان يؤثر الصواب عند الله في مخالفة الرأي، ولا يؤثر الرأي في مخالفة رضا ربه وقد كانت له عليه السلام خاصة من أهل البصائر واليقين، من المهاجرين، والأنصار، مثل: ابن عباس، وعمار، والمقداد، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت، وأبي الهيثم بن التيهان، وقيس بن سعد، ومن أشبه هؤلاء من أهل البصيرة، واخترمهم الموت وحمل معه من العامة قوم لم يتمكن العلم من قلوبهم، تبعوه مع ضعف البصيرة واليقين، ليس لهم صبر المهاجرين، ولا يقين الأنصار، فطالت بهم تلك الحروب، واتصلت بعضها ببعض، وفني أهل البصيرة واليقين، وبقي من أهل الضعف في النية، وقصر المعرفة، من قد سئموا الحرب، وضجروا من القتل؛ فدخلهم الفشل، وطلبوا الراحة، وتعلقوا بالأعاليل فعندها قام فيهم خطيبا فقال: أيها

الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، وسألتموني التطويل دفاع ذي الدين المطول وقال: ليتني لم أعرفكم معرفة جرت ندما وأعقبت سدما ولقد ملأتم قلبي غيظا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب وقد كانت هذه الأحوال مع النبي ﷺوقد ظهرت أسباب العزة وقد جاءهم من الله اليقين من ارتياب قوم وشك آخرين، وضعف قوم، وتخلف قوم وانهزام قوم خلوا مراكزهم وولوا العدو أدبارهم، وفيهم يقول الله تبارك وتعالى: (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم)[١٦]، وفي المتخلفين يقول الله: (فاقعدوا مع الخالفين) [١٧]، وقال: (وإن منكم لمن ليبطأن فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا) [١٨] .

وجاء في رسالة لعبد الله بن وهب الراسبي أرسلها إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: « فلما حميت الحرب، وذهب الصالحون: عمار بن ياسر، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأشباههم، اشتمل عليك من لا فقه له في الدين، ولا رغبة له في الجهاد، مثل: الأشعث بن قيس وأصحابه واستنزلوك حتى ركنت إلى الدنيا حين رفعت لك المصاحف مكيدة فتسارع إليهم الذين استنزلوك وكانت منا في ذلك هفوة »[١٩]

ولذلك فقد كان امير المؤمنين عليه السلام: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم، وهم بصفين، أن لا يكونوا اليوم أحياءً، يسيغون الغصص، ويشربون الرنق ؟ فقد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم، من إخوانهم الذين تعاقدوا على النية، وأبردوا برؤوسهم إلى الفجرة، قالوا: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة؛ فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: أوّه على إخواني الذين قرؤوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد، فأجابوا، وثقوا بالقائد فاتبعوه»[٢٠].

ولذلك كان علي عليه السلام يستذكر وينعى في خطبه الواعون من أصحابه ويصفهم بانهم المتقون، والذين عرفوا الحق، ووثقوا بالقائد وأحكموا القرآن، وأقاموا الفرض، وأحيوا السنة، وضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم وعقيدتهم، وكانوا الحريصين على مستقبل الإسلام والإيمان والذين كان لهم دور كبير في ربط الناس بالإمام، وتعريفهم على صواب موقفه، وتحريضهم على طاعته ونصرته، وكانوا أول من لبى نداءه، ويوبخ المتخاذلون ويصفهم فيقول عليه السلام في حين بقي الأراذل، ضعفاء البصيرة واليقين من أمثال الأشعث وغيره ممن لم يتمكن العلم من قلوبهم، والذين ظهر فيهم مصداق قوله عليه السلام: « ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه، ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه». [٢١]

وكذلك وبعد انتصاره عليه السلام في النهروان وأمره الناس بالرحيل فقال لهم مخاطبا: إن الله قد أعزّكم وأذهب ما كنتم تخافون عنكم فامضوا من وجهكم هذا إلى الشام، فقال الأشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين نفدت سهامنا وكلَّت سيوفنا ونصلت رماحنا، فلو أتينا مصرنا حتى نريح ونستعدّ ثم نسير إلى عدونا فركن الناس إلى ذلك وسار علي حتى أتى المدائن وجعل أصحابه يدخلون الكوفة حتى بقي في أقل من ثلاثمأة، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وقد بطل عليه ما دبّر من اتيان الشام قاصدا إليها من النهروان، فخطب الناس فقال: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ففي جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى باللهَّ وكيلا وكفى باللهَّ نصيرا فتركهم أياما حتى إذا يئس منهم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلَّى الله عليه وسلم ثم قال: « يا عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا وبالذّلّ والهوان من العزّ والكرامة خلفا، أكلما دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم كأنكم من الموت في سكرة، وكأن قلوبكم قاسية فأنتم أسود الشرى عند الدعة، وحين تنادون للبأس ثعالب رواغة، تنتقص أطرافكم فلا تتحاشون ولا ينام عدوكم عنكم وأنتم في غفلة ساهون. إن لكم عليّ حقا، وإن لي عليكم حقا، فأما حقّكم فالنصيحة لكم ما نصحتم، وتوفير فيئكم عليكم، وأن أعلمكم كيلا تجهلوا، وأؤدبكم كيما تعلموا وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصح في المغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة

حين آمركم قالوا وخطبهم بعد ذلك خطبا كثيرة، وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته ولا التفتوا إلى شيء من قوله وكان يقول لهم كثيرا: إنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا[٢٢].

وقال لهم عليه السلام في خطبة اخرى: أيها القوم الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني واحداً منهم [٢٣].

وبعد ذلك بدا الضعف يدب الى جميع القوات العسكرية في جيش الامام عليه السلام، وشاعت الفرقة والاختلاف فيما بينها، خصوصا بعد واقعة النهروان، حتى ان معاوية ارسل احد رجاله وهو عمارة بن عقبة إلى الكوفة ليتجسس له عن حالة جيش الامام، فكتب له خرج على علي أصحابه، ونساكهم فسار إليهم فقتلهم، فقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة، وتفرقوا أشد الفرقة، فقال معاوية للوليد بن عقبة: أترضى أخوك بان يكون لنا عينا [٢٤]، ولذلك ورد عنه قوله: « لقد حاربت عليا بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو لا عتادا [٢٥].

ولقد كانت الأكثرية الساحقة في معسكر الامام لهم رغباتهم الخاصة التي تتنافى مع مصلحة الدولة، واهداف الامام في حين أن اهل الشام كانوا على العكس من ذلك حيث يقول الحجاج بن خزيمة لمعاوية: « انك تقوى بدون ما يقوى به علي لان معك قوما لا يقولون إذا سكت، ويسكنون إذا نطقت، ولا يسألون إذا أمرت ومع علي قوم يقولون إذا قال: ويسألون إذا سكت» [٢٦]، وكان أبو بردة وكان من جند امير المؤمنين عليه السلام في صفين وأنه كان عثمانيا وينافق أمير المؤمنين عليه السلام ويكاتب معاوية سرا، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة وكان عليه كريما [٢٧].

ومن مظاهر الفساد في معسكر علي عليه السلام كثرة تدخل الجنود في شؤون قائدهم فكانوا يلاحقون كل رسول يروح ويجيء ويظنون بأميرهم الظنون. بينما كانت رسل معاوية تروح وتجيء فلا يسأل أصحابه عن سبب ذهابهم، وأخبار عودتهم .[٢٨]

المبحث الثاني:

اجراءات الامام الحسن عليه السلام في توعية الامة واستنهاضها:

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام أفاقت الأمة على خسارتها التي لا تعوَّض، فبادرت إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام، وخطب عليه السلام بعد ذلك خطبة في الامة بيَّن فيها مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذَّر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكداً خط أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وجهوده لإعادة العهد النبوي حيث قال: « قد قبض في هذه الليلة رجل لم يَسبقه الأولون ولا يُدركه الآخرون بعمل. لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه. ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون، وما خلَّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله. ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه. ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت. فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة ! فبايعوه، ثم نزل من المنبر»[٢٩]، ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل عن المنبر. قال: ودس معاوية رجلا من بني حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالاخبار، فدل على الحميري عند لحام جرير ودل على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذا وقتلا[٣٠]

وقيل إن أول من بايعه قيس بن سعد قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين فقال له الحسن: على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايعه الناس[٣١].

وأرسل عليه السلام رسالة إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي يُثبت فيها حقه، ويؤكد عليه الحجة ويدعوه إلى البيعة والطاعة جاء فيها: من الحسن بن علي (أمير المؤمنين) إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ومنة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فبلغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك، وخص به قريشاً خاصة فقال له: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، فلما توفي تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم وسلمت إليهم. ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنتصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصَف منهم باعدونا واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ! فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكتابه والله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد، إن علياً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم مَنَّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً ولاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن

له قلب منيب. واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[٣٢].

فكتب إليه معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي، سلام عليك فاني احمد إليك الله الذي لا إله إلا هو اما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره فقد والله بلغ فأدى ونصح وهدى حتى انقذ الله به من التهلكة وأنار به من العمى وهدى به من الضلالة فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حيا. وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنازع المسلمين من بعده فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وأبي عبيدة الأمين وحواري الرسول صلى الله عليه وآله وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسئ ولا اللئيم وانا أحب لك القول السديد والذكر الجميل إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا قرابتكم من النبي ولا مكانتكم في الاسلام وأهله فرات الأمة ان تخرج من هذا الامر لقريش لمكانها من نبيها ورأي صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم ان يولوا هذا الامر من قريش أقدمها إسلاما واعلمها بالله وأحبها له وأقواها على امر الله واختاروا أبا بكر وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين والفضيلة والناظرين للأمة فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ولم يكونوا بمتهمين ولا فيما اتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناءه أو يقوم مقامه أو يذب عن حريم المسلمين ذبه ما عدلوا بذلك الامر إلى غيره رغبة عنه ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام وأهله فالله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله ولو علمت أنك أضبط مني للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال وأكيد

للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك اهلا ولكني قد علمت أني أطول منك ولاية وأقدم منك لهذه الأمة تجربة وأكثر منك سياسة وأكبر منك سنا، فأنت أحق ان تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي ولك الامر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت ولك خراج اي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيبها لك أمينك ويحملها إليك في كل سنة ولك الا يستولي عليك بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله عز وجل. أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام[٣٣].

فكتب معاوية إلى الحسن عليه السلام: أما بعد فان الله عز وجل يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس وآيس من أن تجد فينا غميزة وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها والسلام، فاجابه الحسن عليه السلام: أما بعد فقد وصل إلي كتابك فتركت جوابك خشية البغي عليك فاتبع الحق تعلم إني من أهله والسلام[٣٤] .

وبعد جواب معاوية هذا بَدأ الإمام الحسن عليه السلام بدعوة الأمة إلى القيام بواجبها في جهاد عدوها، وأخَذ يرتب عماله في المناطق التي تخضع لسلطته، واستنفر عليه السلام الناس للجهاد فتثاقلوا عنه ثم خفوا وذلك لان من كان معه هم أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين[٣٥] .

فلما بلغ الامام الحسن عليه السلام خبر معاوية ومسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك، بعث حجر بن عدي فأمر الناس بالتهيؤ للجهاد ومحاربة معاوية، ونادى المنادي: الصلاة جامعة، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: إصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، أخرجوا رحمكم الله إلى

معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروْا. قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه بحرف. فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء مضر أين المسلمون أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون مقت الله وعيبها وعارها، ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره. قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليواف، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه [٣٦].

وفعلا وبعد هذه الخطبة استجاب بعض اصحابه لدعوة الجهاد فكان عدي بن حاتم أول الناس عسكراً، وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التيمي، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم، فقال لهم الامام عليه السلام: صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً، ثم نزل وخرج الحسن إلى العسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر [٣٧].

خذلان الامة للامام الحسن عليه السلام:

قام الامام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه علي عليه السلام خطيبا واصفا حال الامة فقال: والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌّ ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم ! ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم. ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نَصَفَة، فإن أردتم الموت رددنا عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه [٣٨].

فقد كانت توجهات الامة ومواقفها متباينة عندما تولى الامام الحسن عليه السلام الخلافة حيث أن العثمانية في البصرة والكوفة كان لا يزال لهم وجودهم المؤثر إلى زمان خلافة الإمام الحسن عليه السلام، حيث ورد ان الامام علي عليه السلام قد أوصى إلى ولده الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه، فبايعت الشيعة كلها، وتوقف ناس ممن كان يرى رأي العثمانية، ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية فكتب إليه معاوية ودس إليه رسولا يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة[٣٩].

ولقد صرح الإمام الحسن عليه السلام برأيه في أهل الكوفة مراراً قبل الصلح وبعده، ووبخهم كما وبخهم أبوه عليهما السلام فقال: « والله ما سلمتُ الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدتُ أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمةَ في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا »، وقال عليه السلام: «أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأأمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنَّ عليَّ فيكون سُبَّةً على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية، لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحيِّ منا والميت». [٤٠]

وكذلك لما استشهد الامام عليٌّ عليه السلام وجاء الناس إلى الامام الحسن عليه السلام فقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك، فقال عليه السلام: كذبتم والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي، وكيف أطمئن إليكم وأثق بكم ؟ إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوني هناك دين فركب وركب معه من أراد الخروج، وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه وبما وعدوه، [٤١] وذلك لن من كان معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين. [٤٢]

اما دور الخوارج في معسكر الامام الحسن عليه السلام فقيل: لما أصبح أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فامر أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق وأئتمنه على الوحي ص أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا انصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له سوءا ولا غائلة ألا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ألا واني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا على رأيي غفر الله لي ولكن وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه فقالوا كفر والله الرجل وهذا يدل على أنهم كانوا خوارج ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه فبقي جالسا متقلدا السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال ادعوا لي ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعه خليط من الناس، فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان أخذ بلجام فرسه أو بغلته وبيده سيف، فقال الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك من قبل - وهذا يدل على أنه كان خارجيا وكان هذا رأي جميع الخوارج الذين كانوا يمثلون الأكثرية الساحقة في ذلك الجيش - ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقه حتى بلغ العظم وضرب فاعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعا إلى الأرض فوثب إليه رجل من شيعة الحسن يقال له عبد الله بن خطل الطائي فنزع المغول من يده وخضخض به جوفه واكب ظبيان بن عمارة على الجراح فقطع انفه ثم شدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل بها على سعيد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فاقره الحسن عليه السلام على ذلك واشتغل الحسن بنفسه يعالج جرحه[٤٣]، فهذه صورة عن انهيار الأمة مع إمامها الحسن عليه السلام فلا

هُمْ أهل حرب ولا أهل صلح، ولا أهل طاعة لإمامهم، ولا خارجون عليه صراحةً ومن كانت هذه حالتهم كيف يمكر الركون إليهم والانتصار بهم.

اما دور معاوية في تخاذل الامة وانهيارها، ففي بداية الامر كان يدس الجواسيس في معسكر الامام الحسن عليه السلام ويغريهم بالمال فروي أنه دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة، وأمرهما ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن عليه السلام فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج فأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة فاستخرج القيني من بني سليم وضربت عنقه[٤٤].

كذلك فقد قام بشراء ذمم الكثير من رؤساء العشائر في العراق واغراهم بالمال حيث قال: أما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتل خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم [٤٥].

وكذلك دس معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس والى حجر بن الحجر وشبث بن ربعي، دسيسا أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه انك ان قتلت الحسن ابن علي فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلام ولبس درعا وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك[٤٦]، الا ان الخيانة العظمى هو ما قام به بعض زعماء ذلك الجيش انهم راسلوا معاوية وضمنوا له تسليم الامام أسيرا أو اغتياله متى رغب وشاء، فقد روي ان الامام الحسن عليه السلام بعث إلى معاوية قائدا من كندة في أربعة آلاف فلما نزل الأنبار بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة فصار إليه في مائتين من خاصته ثم بعث رجلا من مراد ففعل كالأول بعد ما حلف بالايمان التي لا تقوم لها الجبال انه لا يفعل وأخبرهم الحسن عليه السلام انه سيفعل كصاحبه [٤٧].

وكذلك قيل: ان المختار الثقفي قال لعمه سعيد بن مسعود الثقفي والذي كان عامل علي عليه السلام على المدائن: تعالى حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه فهموا بقتل المختار فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار

ففعلوا، فقال الحسن عليه السلام: ويلكم والله ان معاوية لا يفي لاحد منكم بما ضمنه في قتلي واني أظن اني وان وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدي صلى الله عليه وآله واني أقدر ان أعبد الله وحدي ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون فبعدا وسحقا لما كسبته أيديكم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب يقلبون) فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه [٤٨]

كما ان معاوية بعث إلى عبيد الله ان الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إلي فان دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا والا دخلت وأنت تابع ولك أن جئتني الآن ان أعطيك ألف ألف درهم يعجل لك في هذا الوقت النصف وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر فانسل عبيد الله ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده بعد ما ذبح بسر بن أرطأة أولاده الصغار على درج صنعاء حين أرسله معاوية ليبيع شرفه بالمال ويرضي بالذل والعار[٤٩]

وورد على الحسن عليه السلام كتاب قيس بن سعد يخبره بما صنع عبيد الله بن العباس فازدادت بصيرته بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما اظهروا له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله ولم يبق معه من يامن غوائله الا خاصته من شيعته وشيعة أبيه وهم جماعة لا تقوم لاجناد الشام فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح وانفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به أو تسليمه إليه فاشترط على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطا كثيرة وعقد له عقودا كان في الوفاء بها مصالح شاملة فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير أنه لم يجد بدا من اجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وانفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة. فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به [٥٠].

النتائج:

١ - لقد تقلد الإمام الحسن عليه السلام الخلافة الاسلامية بعد أبيه، فتسلم قيادة حكومة شكلية عصفت بها الفتن، ومزقت جيشها الحروب والأحزاب (الجمل وصفين والنهروان) ولم تعد هناك اية قاعدة شعبية تستند إليها الدولة، فقد كان الاتجاه العام للامة والذي يمثله الوجوه والأشرف من القوم كانوا مع معاوية، وعلى اتصال وثيق به قبل مقتل الامام علي عليه السلام وبعده، كما كان لهم الدور الكبير في افساد جيش الامام عليه السلام حينما مني جيش معاوية بالهزيمة والفرار.

٢-كان الجوّ السياسي في العاصمة الجديدة الكوفة متلبدا مشوبا بغيوم الحقد والغدر والخيانة وذلك لما ورثته الكوفة من مخلّفات الحروب الطاحنة التي كانت على مقربة منها في البصرة والنهروان وصفين وفيها يومئذ أنصار كثيرون واولياء لشهداء هذه الحروب وضحاياها من الفريقين، ويتمنون لو تيسرتّ لهم الامور للاخذ بالثار لقتلاهم في تلك الحروب وخصوصا الخوارج

٣- أن الإمام الحسن عليه السلام ومنذ مبايعته بالخلافة القى الامام خطابا رائعا ومؤثرا، بين فيه مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذَّر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكداً خط أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وجهوده لإعادة العهد النبوي وكانت أهداف الإمام الحسن عليه السلام من خلافته كان يرى أن الأمة آخذة في الانهيار، وقد ظهرت بوادر استسلامها لموجة بني أمية فأراد أن يستغل مدة خلافته القصيرة، وبالأحرى ما تبقي لخلافة أبيه عليهما السلام، لتحقيق مشروع أبيه لإعادة العهد النبوي بكل ما يمكنه من قول وفعل وتقليل خسائر الانهيار، وضمان ما يمكن ضمانه من مصلحة الإسلام والأمة .

٤- كانت الامة في عهد الامام الحسن عليه السلام منقسمة مشتتة وعلى حد تعبير الشيخ المفيد أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه وبعضهم محكمة اي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكل حيله وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وأصحاب عصبية اتبعوا

رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين حيث كان فيهم الحزب الاموي وأكبر المتسبين وفي هذا الحزب كانوا عناصر قوية من ذوي الاتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما بعد من اثارة دعاوات ومؤامرات الشقاق، فقد كتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن اليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به، فقد دس معاوية الى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي دسيسةً، وآثر كل واحد منهم بعين من عيونه، انك إذا قتلت الحسن، فلك مائة الف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي فلما بلغ الحسن عليه السلام ذلك لبس لامة حربه ودرعا، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم الا كذلك فكان يعمل هؤلاء عامدين يتحينون الفرص لقتل الامام او تسليمه

٥ - واما لخوارج وهم أعداء علي عليه السلام منذ حادثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية ظاهرا، ورؤساء هؤلاء في الكوفة كل من: عبد اللهّ بن وهب الراسبي، وشبث بن ربعي، وعبد اللهّ بن الكوّاء، والأشعث بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن، وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب، منذ يوم البيعة، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالّين الضالّين - أهل الشام -، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها (على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم)، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له: « ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب الحالين الضالين أهل الشام «. فقال الحسين: « معاذ اللهّ أن أبايعكم ما دام الحسن حياً «، فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بداً من بيعته على شرطه « وكان هدف الخوارج في ثوراتهم ومؤامراتهم هو القضاء على الرؤوس العالية سواء في العراق أو في مصر أو في الشام وتنامت في صدورهم كوامن الغيلة والغدر، فمشوا مع الامام الحسن في طريق الجهاد من اجل الفتنة والفساد، وما الطعنة التي نالت الامام الحسن عليه السلام في مظلم ساباط انما هي جزء من جرائم هذه العصابة ومخططاتهم الجهنمية الخطرة على الاسلام واهله.

٦ - وكذلك الشكاكون وأن تسميتهم بالشكاكين ترجع إلى تأثرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكانوا طائفة من سكان الكوفة

ومن رعاعها المهزومين، الذين لا نية لهم في خير ولا قدرة لهم على شر، ولكن وجودهم لنفسه كان شراً مستطيراً وعوناً على الفساد وآلة « مسخرة « في أيدي المفسدين، وهناك ايضا الحمراء: وهم عشرون الفاً من مسلحة الكوفة وكانوا عند تقسيم الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بني عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عرباً، وانما هم المهجّنون من موالٍ وعبيد، ولعل أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيات اللائي أخذن في « عين التمر « و « جلولاء « والحمراء شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة، فهم على الأكثر أجناد المتغلبين وسيوف الجبابرة المنتصرين، وقويت شوكتهم في الكوفة، وبلغ من استفحال امرهم في الكوفة أن نسبوها إليهم فقالوا « كوفة الحمراء «، وكان ايضا في البصرة مثل ما في الكوفة من هؤلاء المهجَّنين الحمر، وخشي زياد وكان والي البصرة انذاك قوّتهم فحاول استئصالهم، ولكن الأحنف بن قيس منعه عما أراد.

٧ - وعندما راى الامام عليه السلام امارات الخذلان بادية على مواقف أهل العراق وذلك بسبب تثاقلهم في أول الأمر حين دعاهم وانهم لم يخرجوا إلا بعد التأنيب والتوبيخ، وان المخلصين منهم له كانوا أقل قليل وأكثرهم خوارج وأهل عصبية خرجوا تبعا لرؤسائهم وطمعا في النهب، وعندما ظهر له فساد نيات الخوارج بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله مع ما كان من فعل ابن عمه عبيد الله بن عباس والقائدين المرسلين بعده وما علمه من مكاتبة أصحابه معاوية وما ضمنوه له من الفتك به أو تسليمه إليه وعلم أنه لو لم يصالح لسلموه إلى معاوية ولكانت المفسدة أعظم أجاب إلى الصلح مكرها مرغما واختار أقل الضررين وأهون المفسدتين وان صلحه هذا لا يجعل لمعاوية عذرا ولا يرفع عنه وزرا بل يزيده ذما واثماً.

هوامش البحث

١) المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، (ت٤١٣هـ) الإرشاد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، دارالمفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م ٠ج٢، ص١١ .

٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٣هـ، ج١، ص٤١.

٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ج٣، ص٢٧٩ .

٤) ابن عبد ربة الاندلسي، احمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، ط٣، داراحياء التراث بيروت، ١٩٩٩م ٠ج٦، ص٢٤٨ .٥) البراقي، حسين بن احمد، (ت١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية، ط١، النجفالاشرف، ١٤٢٤هـ، ص٢١٩ .

٦) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١١ .٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٢٥ .

٨) الثقفي، ابراهيم بن محمد، (ت ٢٨٣هـ)، الغارات، تح: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، (د٠م)، ج١، ص١٧ .

٩) الصدوق، أبي محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١هـ)، صفات الشيعة، مطبعة عابدي، طهران، (د٠ت)، ص١٥.

١٠) الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الطبري، تح: محمد ابوالفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ج٤، ص٤٤ .١١) ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٣.

١٢) سليم بن قيس الهلالي، (ت ق١هـ)، كتاب سليم بن قيس، تح: محمد باقر الانصاري، قم، ١٤٢٢هـ، ص٣٣٦ ٠

١٣) البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ) انساب الاشراف، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م ٠، ج٢، ص٣٤٢.

١٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٤٤.

١٥) الاسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي، (ت٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) تح: الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة: الأولى، ١٩٨١ م، ص٩٨.

١٦) ال عمران: اية: ١٥٣

١٧) التوبة: آية: ٤٦.

١٨) النساء: آية: ٧٢ .

١٩) البلاذري، الانساب، ج٢، ص٣٧٠. ٢٠) الراوندي، سعيد هبة الدين، (ت٥٧٣هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ج٢، الخيام، قم، ١٤٠٦هـ، ج١ص١٧٩.

٢١) ابن ابي الحديد، شرح التهج، ج١٣، ص١٧٩.

٢٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٣٧٩.

٢٣) المفيد، الارشاد، ج١، ص٢٨٠.

٢٤) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج٢، ص١١٥.

٢٥) الذهبي، ابوعبدالله شمس الدين محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ) سيراعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص١٤٤ .
٢٦) الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال، ، تح: عبد المنعم ابراهيم، ط١، داراحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٥٥.
٢٧) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، (ت المتوفى ٤١٣هـ)، الامالي، تح: الحسين أستاد ولي – علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٢٩ .
٢٨)الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٣٥ .
٢٩) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص ٣٠.
٣٠) ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تح: احمد صقر، ط ١، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٤٢٣هـ، ص٣٣.
٣١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص ١٢١٠.
٣٢) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٦.
٣٣) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٦ ٠
٣٤) ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٨ .
٣٥) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٠ .
٣٦) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٩ .
٣٧) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٠.
٣٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦٩.
٣٩) ابي فرج الاصفهاني، (ت٣٥٦هـ)، الاغاني، دار احياء التراث العربي، (د٠ت)، ج١٢، ص٥٠٣.
٤٠) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت ٥٤٨هـ)، الإحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ١٢.
٤١) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٢.
٤٢) الراوندي، سعيد بن عبدالله، (ت٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تح: محمد باقر المحمودي، العلمية، ط١، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٥٧٤.
٤٣) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٢.
٤٤) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ج١٦، ص٣٨.
٤٥) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٣٨.
٤٦) الصدوق، محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦ م، ج١، ص٢٢٠.
٤٧) محسن الامين، (ت١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، تح: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د٠ت)، اعيان الشيعة، ج١، ص٥٦٩.

٤٨) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٢٣.
٤٩) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٢.
٥٠) المفيد، الارشاد، ج٢، ص١٤.

المصادروالمراجع:

القران الكريم
*ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م
*الإسكافي، أبي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي، (ت٢٢٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) تح: الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة: الأولى، ١٩٨١ م
*البلاذري، احمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ) انساب الاشراف، تح: محمد حميد الله، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
*البراقي، حسين بن احمد، (ت١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية، ط١، النجف الاشرف، ١٤٢٤هـ
*الثقفي، ابراهيم بن محمد، (ت ٢٨٣هـ)، الغارات، تح: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، (د. م)
*ابن ابي الحديد، عزالدين عبد الحميد، (ت٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، داراحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م
*الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت ٢٨٢هـ)، الاخبار الطوال، تح: عبد المنعم ابراهيم، ط١، داراحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.
*الذهبي، ابوعبدالله شمس الدين محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ) سيراعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م
*الراوندي، سعيد بن عبدالله، (ت٥٧٣هـ) الخرائج والجرائح، تح: محمد باقر المحمودي، العلمية، ط١، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ. الراوندي، سعيد هبة الدين، (ت٥٧٣هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ج٢، الخيام، قم، ١٤٠٦هـ.
*سليم بن قيس الهلالي، (ت ق١هـ)، كتاب سليم بن قيس، تح: محمد باقر الانصاري، قم، ١٤٢٢هـ
*الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١هـ)، صفات الشيعة، مطبعة عابدي، طهران، (د٠ت) ٠
*الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣٨١هـ) علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦م
*الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، (ت ٥٤٨هـ)، الإحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، ١٩٦٦م.
*الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ) تاريخ الطبري، تح: محمد ابوالفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م
*ابن عبد ربة الاندلسي، احمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، العقد الفريد، تح: عبد الحميد الترحيني، ط٣، داراحياء التراث بيروت، ١٩٩٩م.
*ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (٣٥٦هـ)، الاغاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د. ت)
*ابو فرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، تح: احمد صقر، ط ١، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٤٢٣هـ.
*ابي فرج الاصفهاني، (ت٣٥٦هـ)، الاغاني، دار احياء التراث العربي، (د٠ت).
*ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١٣هـ.
*محسن الامين، (ت١٣٧١هـ)، اعيان الشيعة، تح: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د. ت).
*المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري، (ت المتوفى ٤١٣هـ)، الامالي، تح: الحسين أستاد ولي - علي أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م
*المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، (ت٤١٣هـ) الإرشاد، مؤسسة آل البيت ﷺ، دارالمفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

التوظيف الديني والأدبي
في خطب الإمام الحسن عليه السلام

المدرس الدكتور حسن عبد الزهرة كَيطان الابراهيمي

الملخص

تعد الخطابة من الفنون الأدبية المهمة بوصفها وسيلة لبث الآراء والأفكار، وقد عرفت الخطابة بفن مشافهة الجمهور واقناعه وهي تلي الشعر في الأهمية عند العرب لأنها كلام بليغ فيه حماسة وخيال، يتوجه به الخطيب إلى عقول السامعين فيقنعها بالمنطق، والى عواطفهم فيثيرها بالحماسة ويحملها على قبول فكرته والتسليم بها، وكان للعرب قبل الإسلام خطباء عديدون، وكان للخطابة مكانة وشأن كبير، فكان لكل قبيلة عربية خطيبها مثل ما كان لها شاعرها الذي كان يدافع عنها ويخطب وينشد الأشعار في حقها، وبعد ظهور الإسلام زاد شأن الخطابة مكانة ورقياً فقد زادها الإسلام بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد وتقيد بأسلوب القرآن الكريم واقتباس من آياته الكريمة، وشجع الإسلام الخطابة وجعلها واجباً في مواسم وأيام معينة ومحددة كيوم الجمعة والعيدين، وقد بلغت الخطابة اوجها على يد الامام علي وابناؤه عليهم السلام ولا سيما الامام الحسن عليه السلام الذي اسهم في الوقائع التي حدثت في اواخر حياة ابيه وما بعدها، وهي حقبة عصفت فيها الفتن والافكار السياسية المختلفة

اذ استمد موضوعات خطبه ومعانيها من واقع حياته ومن الاحداث التي ارتبط بها واثرت في مصيره، فهو ربيب الوحي الذي عاش في حجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وزق العلم من رسول الله زقاً، وعاش طول حياته مع ابيه الامام علي عليه السلام رائد الفصاحة والبلاغة، وقد وظّف الامام الحسن الخطابة بوصفها اداة اعلامية في توعية الناس، فضلا عن بيان فضائل اهل البيت فضلا عن فكان لا ينفك عن مطالبة الناس بطاعة الله واحقيتهم في كل مناسبة تتيح له اللقاء باتباعه وخصومه.

اقتضت طبيعة البحث ان يتضمن مبحثين تناولنا في المبحث الأول التوظيف الديني في خطب الامام الحسن، متمثلا في اثر القران الكريم والحديث النبوي الشريف، اذ نجد في خطب الامام الحسن عليه السلام توظيفا دينيا متميزا فيعمد الى توظيف الآيات القرآنية في خطبه تارة، والاحاديث النبوية تارة لتقوية الحجة والبيان، وتناولنا في **المبحث الثاني** التوظيف الادبي في خطبه عليهما السلام، متمثلا في اثر الشعر والنثر، اذ ان النص الادبي لا ينشأ من لا شيء أو من فراغ، وانما تتم الصيرورة في العمل الفني من خلال التفاعل بين النص والمحيط الذي يعيش فيه، وهذا ما يتجلى لنا في نصوص خطبه عليه السلام اذ رفد نصوصه الخطابية بالموروث الادبي من شعر ونثر.

Summary

The rhetoric is one of the important literary arts as a means of disseminating ideas and ideas. The public discourse is characterized by an art that is similar to the public and convincing it. It follows the poetry of importance to the Arabs because it is an eloquent speech in which enthusiasm and imagination lead the speaker to the minds of the listeners and convince them with logic and emotions. And the Arabs had before Islam many preachers, and the rhetoric was a place and a great deal, each tribe had an Arab fiance like her poet had been defending it and preaching and seeking the poems in its right, and after the emergence of Islam increased the rhetoric of the status of paper, The speech was preached by Imam Ali and his sons (peace be upon them), especially Imam al-Hasan (peace be upon him), and the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him)) Who contributed to the facts that occurred in the late life of his father and beyond, an era of strife and political ideas He is the descendant of the Revelation who lived in the stone of the Noble Prophet (e), the flag of the Messenger of Allah Zaqa, and lived the length of his life with his father Imam Ali, a pioneer of eloquence and eloquence, and has employed Imam Al-Hassan Al-Khattabah as an information tool in raising awareness of people, as well as the statement of the virtues of the people of the House as well as the people's demand for obedience to God and their right in every occasion allows him to meet followers and opponents The nature of the research requires that we include two subjects in the first section of the religious recruitment in the speeches of Imam Hassan, represented in the impact of the Koran and the Prophet's Hadith, as we find in the speeches of Imam Hassan (peace be upon him) religious employment distinct deliberately baptized Koranic verses in his speeches sometimes, Sometimes the literary text does not originate from nothing or from a vacuum, but the process of being in the work of art is done through interaction between the text and the environment in which the text is written. Live in it, and that is what is manifested in our text R speeches (peace be upon him) as providing the texts rhetorical literary heritage of poetry and prose

التمهيد

تعد الخطابة من الفنون الأدبية المهمة بوصفها وسيلة لبث الآراء والأفكار، وقد عرفت الخطابة بفن مشافهة الجمهور واقناعه[١] وهي تلي الشعر في الأهمية عند العرب لأنها كلام بليغ فيه حماسة وخيال، يتوجه به الخطيب إلى عقول السامعين فيقنعها بالمنطق، والى عواطفهم فيثيرها بالحماسة ويحملها على قبول فكرته والتسليم بها[٢].

كان للعرب قبل الإسلام خطباء عديدون، وكان للخطابة مكانة وشأن كبير، فكان لكل قبيلة عربية خطيبها مثل ما كان لها شاعرها[٣] الذي كان يدافع عنها ويخطب وينشد الأشعار في حقها [٤]، و بعد ظهور الإسلام زاد شأن الخطابة مكانة ورقياً فقد زادها الإسلام بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد وتقيد بأسلوب القرآن الكريم واقتباس من آياته الكريمة[٥]، وشجع الإسلام الخطابة وجعلها واجباً في مواسم وأيام معينة ومحددة كيوم الجمعة والعيدين[٦]، وزادت الخطابة بعد الإسلام قوة ووقعاً في النفوس بنهضة العرب في الفتوحات وانتصاراتهم فيها فوصلت البلاغة عندهم قمة ما وصلت إليه في الخطبة بالجيوش ورفع والمعنويات وتحريك الثورات وإخمادها، فالعرب المسلمون هم أكثر الأمم خطباء لان خلفاءهم وأمراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء[٧].

وكان العرب المسلمون يدربون فتيانهم على الخطابة منذ حداثتهم يحفظونهم الخطب البليغة ليتأدبوا بها ويحذوا حذوها[٨] ومن بينها خطب الرسول محمدﷺوخطب الخلفاء الراشدون من بعده[٩]

وفي العصر الأموي توفر للخطابة من أسباب النشاط والازدهار، وقد عملت في هذا الازدهار وهيأت له أسباب مختلفة، فتعد الأحداث السياسية المحرك الأول لدفع عجلة التطور لهذا الفن الأدبي، فقد كثرت الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية، ولكلٌ من هذه الأحزاب المعارضة بحاجة إلى مُنظِّر ومروّج لعقيدتها وأفكارها، ولم تكن هنالك من وسيلة للدعاية أفضل من الخطابة، وهذه الأحزاب العلويون والزبيرون والخوارج الذين إنقسموا إلى فرق

عديدة [١٠]، ونظراً لإنقسامهم فقد اتسعت دائرة الخطابة لهذه الفرقة، لتغطي توجهات وأفكار كل فئة مما ترك أثاراً إيجابية في الخطابة العربية في ذلك العصر [١١]، ومن هنا انعكست الأحداث السياسية إيجابياً على الأدب وخاصة على الفن الخطابي، حيث نشطت الخطابة السياسية بشكل واسع حتى دارت على كل لسان مؤيد للدولة أو معارض لها[١٢]، ولم تكن الثورات الداخلية ولعل أهمها ثورة المختار الثقفي، وثورة زيد بن علي (رضي الله عنه) سنة (١٢٢هـ/ ٧٣٩م)، وابن الأشعث بمنأى عن الخطابة، فقد غرست هذه الأحداث في تربة الخطابة أغصاناً مورقة، وترك خطباءها سيلاً من الخطب، أسهمت في رقي الخطابة العربية [١٣]، ولعل ثورة ابن الأشعث من أوفر الثورات حظاً في عدد الخطب التي القيت في التحريض على خلع طاعة الأمويين ومقاتلة جيوش الحجاج بن يوسف [١٤].

ومثل الدين حافزاً كبيراً للخطابة منذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية فباتساع رقعة الدولة الأموية وتزايد عدد سكانها كثرت خطب القصص والوعظ، إذ كانت هناك طائفة تعرف بالقصاص تفسر القرآن الكريم وتمزج تفسيرها بقصص كثيرة تستمدها من موروثات أهل الكتب السماوية، وكانوا يستغلون ميل الناس إلى الأخبار العجيبة فيزيدون في قصصهم، ولم يكتفوا بنشاطهم في المساجد، وحلقات الدرس والمناظرة، بل رافقوا الجيوش الفاتحة، وهم يجمعون بين الوعظ والقصص، لحث الجند على الصبر ومقاتلة الأعداء [١٥] وأدّت الوفادات دوراً بارزاً في نشاط الخطابة الأموية، وقد عرف العرب الوفادات قديماً، واستمرت في صدر الإسلام، ثم أصبحت ذات شأن في العصر الأموي، لأن الخلفاء الأمويين وولاتهم فتحوا أبوابهم للعرب، كي يطمئنوا إلى حسن ولائهم لدولتهم [١٦]، فكثرت الوفود على أبواب الخلفاء والولاة حاملة معها فروض الولاء والطاعة، لتنفذ من خلال ذلك إلى بث هموم من يمثلونهم إلى ولاة الأمر أملاً في إجابة مطالبهم في معونة أو رفع ظلم أو حيف من أحد العمال، ويحصل اثناء هذه المراسيم سباق بين خطباء الوفود، لحرص كل خطيب على ظهار مواهبه البيانية ومقدرته الخطابية، أثناء إلقاء خطبه التي كان قد أعدّها مسبقاً [١٧] .

وقد ساهمت الفرق الكلامية المتمثلة في المعتزلة [١٨] المرجئة [١٩] والجبرية [٢٠] والقدرية[٢١] في صقل فن الخطابة في العصر الأموي [٢٢]، إذ اتخذها أصحاب هذه الفرق أداةً للظفر في آرائهم السياسية والانتصار في مجادلاتهم المذهبية وعولوا عليها في خطبهم ومواعظهم [٢٣].

تميزت الثروة اللغوية لائمة اهل البيت كونها كبيرة ومتنوعة لأنها محصلة ثقافتين، الأولى الثقافة الادبية، وكانت ينبوعا من الخطب والشعر، والثقافة الثانية متمثلة بالقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة والبلاغة النبوية التي نهلت من لبان الحكمة الإلهية، فكان من الطبيعي أن يحاول أئمة اهل البيت في خطبهم تقليد أسلوب القرآن الكريم في خطابهم الموجه إلى الناس كافة، لما فيه من تميز واضح عن اساليب الخطابة العربية المألوفة وقتئذ، وقد اقر فصحاء قريش بدهشتهم للقران الكريم الذي لم يكن شعرا ولا سحرا ولا كهانة [٢٤]، وقد عجزوا أن يأتوا بمثل سورة واحدة منه برغم مؤازرة بعضهم لبعض [٢٥]، ومن هنا كان ائمة اهل البيت هم مصدر البلاغة، ومعين الموعظة، وأرباب البيان، قد وظفوا الخطابة بوصفها اداة اعلامية في بيان فضائلهم فضلا عن توعية الناس فكانوا لا ينفكون عن مطالبة الناس بطاعة الله واحقيتهم في كل مناسبة تتيح لهم اللقاء باتباعهم وخصومهم، ومن يطلع على اقوالهم وخطبهم يرى الفصاحة في قمتها، والبلاغة الجارية في كل كلمة من كلماتها، فكان الامام الحسن عليه السلام من الاعلام الذين برزوا في الخطابة، فهو ربيب الوحي الذي عاش في حجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وزق العلم من رسول الله زقاً، وعاش طول حياته مع ابيه الامام علي رائد الفصاحة والبلاغة.

اقتضت طبيعة البحث ان يتضمن مبحثين تناولنا في المبحث الأول التوظيف الديني في خطب الامام الحسن، متمثلا في اثر القران الكريم والحديث النبوي الشريف، وتناولنا في المبحث الثاني التوظيف الادبي في خطبه، متمثلا في اثر الشعر والنثر.

المبحث الأول

التوظيف الديني

نشأ الامام الحسن في كنف جده المصطفى وتربى في احضان النبوة فسمع القران وعرف تفسيره من مورده الاصيل وتلقى الحديث من ينابيعه، لذا نجد في خطبه توظيفا دينيا متميزا فيعمد الى توظيف الآيات القرآنية في خطبه الفنية تارة، والاحاديث النبوية تارة اخرى لتقوية الحجة والبيان، وهذا ما سنوضحه من خلال دراسة توظيف القران الكريم اولا، والحديث النبوي الشريف ثانيا في تلك الخطب: -

اولا- القران الكريم: امتازت خطب الامام الحسن بن علي عليه السلام بغزارة الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وقد جاء الاستشهاد بصور متعددة منها الاقتباس النصي المباشر، وقد وظفه الامام في مواضع كثيرة من خطبه، منها خطبته بعد بيعة الناس اليه سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م فحمد الله واثنى عليه وقال: « نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الاقربون، واهل بيته الطيبون الطاهرون، واحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله في امته، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره، ولا نتنظى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فان طاعتنا مفروضة اذ كانت بطاعة الله (عز وجل) ورسوله مقرونة، قال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٢٦]، الى اخر الخطبة[٢٧].

يبدو من النص الخطابي ان الامام الحسن عليه السلام اراد ان يستخدم النص القرآني لمنح السياق الخطابي القوة في البرهنة ليمنح المعنى الذي يسعى الى تعميقه في ذهن المتلقي قوة وتأثيرا من خلال الاشارة الى الطاعة التي اوجبها الله (عز وجل) للرسول صلى الله عليه وآله والى اولي الأمر المتمثلين بأهل البيت عليهم السلام.

ومن امثلة الاقتباس النصي المباشر ما ورد في خطبته عليه السلام بعد محاولة معاوية بن ابي سفيان التقليل من شأنه التي ابداها بالحمد لله والثناء عليه، وبعد ارجاع نسبه عليه السلام الى النبي محمد صلى الله عليه وآله والى ابن عمه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، فقال « فالناس من جميع الأمم يستغفرون له بسبقه

إيّاهم إلى الإيمان بنبيّه، وذلك أنّه لم يسبقه إلى الايمان به أحد، وقد قال الله تعالى: ﴿ والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان ﴾[٢٨]، فهو سابق جميع السابقين فكما ان الله عز وجل فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين، فكذلك فضّل سابق السابقين، وقد قال الله عز وجل: ﴿ أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام، كمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله ﴾[٢٩]، فهو المجاهد في سبيل الله حقاً وفيه نزلت هذه الآية[٣٠].

استدعى الامام الحسن عليه السلام هذه النصوص القرآنية لأنه وجد فيها ما يؤكد ما ذهب اليه، ويدحض معاوية بن ابي سفيان في استفزازه، اذ ان النصوص القرآنية قد كشفت الصورة التي اراد الامام الحسن عليه السلام اظهارها في سياق النص من جهة، وعمق الدليل في ذهن المتلقي من جهة اخرى، فالتوظيف للآيات القرآنية داخل النص الخطابي جاء بصورة رسخت في ذهن المتلقي اسبقية الامام علي عليه السلام على غيره.

واستمر الامام الحسن عليه السلام يقدم الدليل تلو الاخر من القران الكريم ليضفي على نصه ابعادا دلالية وفنية من خلال ما يمنحه النص القرآني من صور وايقاعات منسجمة ومترابطة تجّذر في ذهن المتلقي صورة تلك الفضائل التي منحها الله سبحانه وتعالى الى اهل بيته عليهم السلام ليصل الى وصف مكانته من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، فقدم دليلا نصيا مباشرا من القران الكريم، وهو ما جاء في خطابه بعد محاولة معاوية استفزازه، قال: " فله الحمد فيما أدخل فيه نبيه، صلى الله عليه وآله واخرجنا و نزهنا مما أخرجه منه و نزهه عنه، كرامة أكرمنا الله عز و جل بها، و فضيلة فضلنا بها على سائر العباد، فقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله حين جحده كفرة أهل الكتاب و حاجوه: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٣١]، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس معه ابي، ومن البنين إياي واخي، و من النساء امي فاطمة من الناس جميعا "[٣٢].

فنص الآية يتحدث عن مباهلة النبي صلى الله عليه وآله لنصارى نجران الذين تحدوا النبي صلى الله عليه وآله وقدروا المباهلة، وبهذا التوظيف للآية المباركة قدم الامام الحسن عليه السلام، دليلا اخر وثّق فيه الصور

القائمة على اساس قرب منزلة الامام عليه السلام الى الرسول صلى الله عليه وآله، فجاء استحضار الآية منسجما مع الحدث ومعمقا للصورة.

ومن صور الاقتباس القرآني الواردة في خطب الامام الحسن عليه السلام صورة الاقتباس الاشاري، وتعني ترك المتلقي في حالة تأمل للكشف عن الآيات الواردة في النصوص الفنية التي يشير اليها صاحب النص من غير ان يلتزم بلفظها وتركيبها[٣٣]، من خلال تقديم تلك الالفاظ او تأخيرها على عكس الاقتباس النصي المباشر، فالتعامل مع النص القرآني في هذا النوع من الاقتباس يكون بمعزل عن التداخل البنائي مع النص فيصبح الاختلاط معنويا في بعض جوانبه، وقد يكون هذا النوع اكثر انسجاما مع تعريف الاقتباس لأنه يرد على وفق مقتضيات النص على نية ان ما ورد فيه من الفاظ وتراكيب من غير القران، وقد بث الامام الحسن عليه السلام المفردات والتراكيب الخطابية لتشع فيها الدلالات المتعددة، وهذا ما ورد في خطبته عليه السلام التي جمع فيها اصحابه بعد تحرك معاوية نحو العراق، قال: " اما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣٤]، فلستم نائلين ما تحبون إلا الصبر على ما تكرهون، وبلغني أن معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك، لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون[٣٥] ".

ففي قوله " اما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً " اشارة لقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٣٦].

وفي موضع اخر اشار الامام الحسن عليه السلام الى الفاظ النص القرآني منها ما ورد في خطبته الطويلة على مستنكري الصلح مع معاوية، فبعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر جده وابيه اشار الى قوله تعالى: ﴿ مَّا أَفَاء اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٣٧]، في قوله عليه السلام « فالله بيننا و بين من ظلمنا حقنا، و نزل على رقابنا، و حمل الناس، على اكتافنا و منعنا سهمنا في كتاب الله من الفيء. . . »[٣٨].

ومن صور الاقتباس القرآني عند الامام الحسن عليه السلام هو الاقتباس التحويري، وهو الاقتباس القائم على اخذ المعنى وصياغته بصورة تتناسب مع سياق النص فقد تتقدم الفاظ الآية المقتبسة او تتأخر من دون الاخلال بالمعنى، ومن اشكال تلك الاقتباسات ما ورد في خطبته عليه السلام في التوحيد لما أمره ابيه الامام علي عليه السلام ان يخطب في مسجد الكوفة، قائلا: " الحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية العزيز لم يزل قديما في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكر بتدبير أمورها، أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه، يدرك الابصار ولا يدركه الابصار، وهو اللطيف الخبير أما بعد فإن عليا باب من دخله كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم "[٣٩].

فالإمام الحسن عليه السلام قد جاء بنص خطابي منسجم مع فكرة التوحيد فكانت الصفات الالهية مرتبطة بعضها بالبعض الاخر فختم تلك الصفات باقتباس من القران وحوره تحويرا مع بنية النص، وهذا ما يتجلى في قوله عليه السلام: يدرك الابصار ولا تدركه الابصار، وهو اقتباس لقوله تعالى: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[٤٠]

فقدم الامام عليه السلام ادراك الله سبحانه على ادراك ابصار الناس وقد يكون علة ذلك انه يتحدث فيما سبق في النص الخطابي على الله، لذا وجب تقديم قدرة الله على قدرة المخلوق على خلاف ما ورد في القران الكريم لان الله سبحانه وتعالى هو الذي يتحدث الى الناس، ولاختلاف المقام قدم الامام وصوّر في تلك الآية من خلال التقديم لتتناسب مع سياق الخطاب.

ومن الاقتباس التحويري ما ورد في خطبته بعد وفاة ابيه (عليهما السلام)، وفيها يقول: « و أنا ابن الذي ارسل رحمة للعالمين، و انا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و انا من اهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل عليهم و منهم كان يعرج، و انا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم و ولايتهم، فقال فيما انزل على محمد»[٤١]، اذ وظّف قوله

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٤٢).

لقد وشح الامام الحسن عليه السلام خطبته بالنص القرآني لتأكيد حجته وبيان رأيه في مجمل الصفات التي امتدح بها اباه عليه السلام في مقدمة الخطبة.

ثانيا – الحديث النبوي الشريف

شارك الحديث النبوي الشريف في رفد الخطباء في مختلف العصور بالألفاظ والافكار المعاني لما يتمتع به النبي صلى الله عليه وآله من بلاغة، فهو المعلم الأول والانموذج الامثل لمن جاء بعده، لذا اثر كلام الرسول ودخل في نصوص الخطباء، ولعل قرب الامام الحسن عليه السلام من جده النبي محمد صلى الله عليه وآله كان سببا مهما في كثرة الاقتباس من الاحاديث النبوية وتوشيحها خطبه، وقد جاء الاقتباس على صور عدة وهي: الاقتباس النصي المباشر، وقد جاء هذا الاقتباس في خطبته عليه السلام بعد محاولة معاوية استفزازه، فصعد المنبر وقال: " فكان أبي عليه السلام أول من استجاب لله (تعالى)، و لرسوله صلى الله عليه وآله و أول من آمن و صدق الله و رسوله، و قد قال الله (تعالى) في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﴿ أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ ﴾(٤٣) فرسول الله الذي على بينة من ربه، و أبي الذي يتلوه، و هو شاهد منه، و قد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين أمره أن يسير إلى مكة و الموسم ببراءة سر بها يا علي، فإني أمرت أن لا يسير بها إلا أنا أو رجل مني. . . "(٤٤)

فقوله سر بها يا علي فاني امرت. . . توظيف حرفي للحديث النبوي الشريف من خلال افتخاره بأهله وفضائل اهل بيته.

ومضى الامام عليه السلام في استحضار نصوص نبوية عزز ما ذهب اليه في خطابه، منها فقوله: « قال له نبي الله صلى الله عليه وآله حين قضى بينه و بين أخيه جعفر بن أبي طالب عليهما السلام ومولاه زيد بن حارثة في ابنة حمزة أما أنت يا علي فمني و أنا منك، و أنت ولي كل مؤمن بعدي»(٤٥).

لقد وثق الامام عليه السلام خطابه بالحديث النبوي الشريف ليعزز تلك الصورة التفاخرية بإثباتات لا تقبل الشك.

ومن الاقتباسات الاخرى للإمام الحسن عليه السلام من الحديث الشريف الاقتباس الاشاري وفيه لا يلتزم باللفظ النصي للحديث وانما يكتفي بالإشارة او التلميح بلفظ او اكثر الى الحديث

النبوي، فقد صاغ الامام الحسن عليه السلام بعض عباراته الخطابية ممتزجة بالألفاظ النبوية وذائبة في بنية النص وهذا ما نجده في خطبة التوحيد الذي يصف فيها قدرة الخالق، قائلا: « اما بعد فان القبور محلتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا، ان عليا باب من دخله كان مؤمنا، ومن خرج منه كان كافرا "[٤٦].

نلمح في قوله: ان عليا باب من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا اشارة الى الحديث النبوي " انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت بابها "[٤٧].

ونجد هذا النوع من الاقتباس في خطبته بعد البيعة له، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: «نحن حزب الله الغالبون وعترة رسوله الأقربون، و أهل بيته الطيبون الطاهرون، و أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته، و الثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء"[٤٨]

فنسج الحديث النبوي الشريف مع نسيج نصه الخطابي من خلال الاشارة الى الحديث النبوي: " إني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"[٤٩].

ومن اقتباسات الحديث النبوي الشريف عند الامام الحسن عليه السلام الاقتباس التحويري، وهوالقائم على اساس اعادة صياغة النص الفني صياغة جديدة تنسجم مع سياق الخطاب فيزيد الخطيب من تلك الصياغة أو ينقص يقدم او يؤخر، وكل ذلك يتوقف على قدرته وبراعته في تحوير النص، ومن ذلك الاقتباس ما ورد في خطبته في الرد على مستنكري الصلح، فقال بعد ان حمد الله واثنى علية: « فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأسا، وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم، ولكني أشهد الله وإياكم أني لم ارد بما رأيتم الا حقن دمائكم، واصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله، وسلموا لامر الله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم «[٥٠].

فقوله عليه السلام اصلاح ذات بينكم تدل على استحضاره الحديث النبوي " الا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا بلى يا رسول الله، قال اصلاح ذات البين [٥١].

المبحث الثاني:

التوظيف الأدبي:

أولاً- الشعر: استحضر الامام الحسن عليه السلام الشعر العربي لما له من اهمية في حياة العرب ولما له من اهمية في تعزيز الصورة الذهنية في ذهن المتلقي، ففي خطبة له يستنفر فيها الناس لمعركة صفين ودعوتهم للجهاد، قال: فإن الخذلان يقطع نياط القلوب وان الاقدام على الاسنة نجدة وعصمة لأنه لم يمتنع قوم قط إلا دفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب بكفيك من أنفاسها جرع[٥٢]

فضمن الامام قول العباس بن مرداس السلمي (توفي نحو ١٨هـ/ ٦٣٩م)[٥٣] اذ يقول:

والسلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع[٥٤]

لقد اوجد الامام عليه السلام في سياق خطبته اشارة شعرية عمقت الصورة في ذهن المخاطبين لما منحه الشعر من قيمة ادبية اثرت في النفوس وتجلت تلك الصورة في طرفين متناقضين هما الصلح والحرب وما يترك كل واحد منهما من اثار في حياة المخاطبين.

ومن خطبة له عليه السلام في الرد على معاوية بن ابي سفيان والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة، يقول: « واما انت يا وليد فو الله ما ألومك على بغض علي وقد جلدك ثمانين في الخمر وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرا وأنت الذي سماه الله الفاسق وسمى عليا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت يا علي فأنا أشجع منك جنانا وأطول منك لسانا فقال لك علي اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[٥٥]، ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا: إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[٥٦]، ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنزل الله والكتـــــاب عزيز في علي وفي الوليد قرآنا

فتبوأ الـــــوليد إذ ذاك فسقا وعلي مبـــــوأ إيمانا

ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خوانـــا
سوف يدعـى الوليد بعد قليل وعلي إلى الحساب عيانـا
فعلـــي يجزى بـــذاك جنـــانا ووليد يجزى بذاك هوانا

و ما أنت وقريش إنما أنت علج من أهل صفورية وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه(٥٧).

استخدم الامام الحسن عليه السلام الابيات الشعرية التي تصور المعنى وتوثقه وتعمقه في ذهن المتلقي لما يمنحه النص الشعري من مصاديق تصور عموم دلالة التفاخر وان كانت الصورة لا تتمظهر بشكل بياني فجاءت الابيات الشعرية التي وظفها الامام الحسن عليه السلام في نصه الخطابي فحققت تلك المصاديق.

ومن خطبه الاخرى عليه السلام التي وظف فيها الشعر، قوله: «ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله والتحريف ورأيتم كيف يهوي من يهوي، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم» (٥٨).

لقد وظف الامام الحسن عليه السلام الشعر توظيفا غير مباشر، اذ وردت في خطبته تراكيب ومعان ذاع صيتها وعرفت بتراكيبها فصاغها مع المحافظة على دلالة معانيها، فان قوله " نور يستضاء بهم " هي من قصيدة كعب بن زهير (صاحب البردة) الذي يقول فيها مادحا الرسول صلى الله عليه وآله:

ان الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول (٥٩)

ثانياً- النثر

للنثر اثر كبير في الخطابة لقوة الحجة وسحر البيان وقد ادرك الامام الحسن عليه السلام هذا الاثر، وقد نسجه في سياق خطبه، وقد تأثر بخطب والده الامام علي عليه السلام ولا شك ان الاستشهاد ببعض خطب ابيه عليه السلام تمنح خطبه القوة والتأثير في نفوس السامعين، وهذا ما سنراه في خطبه عليه السلام، منها ما ورد في خطبته عليه السلام التي يصف فيها اهل بيته، قائلا: « لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سنة ومضى فيهم من الله حكم إن في ذلك لذكرى للذاكرين،

واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رواة الكتاب كثير ورعاته قليل والله المستعان» (٦٠)

ضمن الامام الحسن عليه السلام في خطبته هذه قول الامام علي عليه السلام في احدى خطبه التي يقول فيها: " اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل "(٦١).

ومن النصوص الاخرى التي وظفها الامام الحسن عليه السلام ما نجده في خطبته التي يقول فيها عن ابيه عليه السلام: « ثم والله ما دعا إلى نفسه ولقد تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون » (٦٢).

فقوله عليه السلام: « تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها «، تضمين لقول ابيه عليه السلام في خطبته التي يقول فيها « ورودهم ورود الهيم العطاش » (٦٣).

واستحضر الامام خطاب امه الزهراء عليها السلام في خطبته بعد البيعة له بالأمر ينصح الناس قائلا: " واحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنه لكم عدو مبين » (٦٤).

ونلمح في هذا القول اشارة الى قول الزهراء عليها السلام في خطبتها التي احتجت بها، فبعد ان حمدت الله واثنت عليه، قالت « ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، . . . وإهمال سنن النبي الصفي» (٦٥).

الخاتمة

١-كان الامام الحسن عليه السلام في خطبه قارئاً واعياً للمشهد الاجتماعي والسياسي للمجتمع، وعارفاً بنوازع نفوس اصحابه ومناوئيه وافراد المجتمع.

٢-تنوع طرائق توظيف الامام الحسن عليه السلام آيات القران الكريم وتعدد اساليبها، وكان الاقتباس النصي المباشر اكثر من صور الاقتباسات الاخرى ولعل ذلك يعود الى عمق الدلالات القرآنية ودقتها في تصوير المواقف المختلفة وقرب المتلقي من عهد آيات القران الكريم وفهم مدلولاتها.

٣-جاء توظيف الاحاديث النبوية في خطب الامام الحسن اقل من توظيف الآيات القرآنية، وكانت لا تختلف عن اسلوب ما جاء في الآيات القرآنية من حيث الاقتباس، وقد اضفت على خطبه عمقا منحها قيمة فنية اكثر

٤-كثرة التوظيف الشعري في خطب الامام الحسن مقارنة بتوظيف النثر، ولعل ذلك يعود الى طبيعة الموقف ومستوى المخاطبين، اذ ان انصياعهم للشعر يغلب على انصياعهم الى النثر لكون الشعر له وقع في النفوس عند العرب.

الهوامش

١) درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، (د. م، د. ت)، ج١، ص٢.

٢) الكروي، إبراهيم سلمان وشرف الدين، عبد التواب، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، (الكويت، مطبعة دار السلاسل، ١٩٨٧م)، ص٢٦٤.

٣) كرد علي، محمد، الإسلام والحضارة العربية، ط٢، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٩م)، ج ٢، ص٥٣.

٤)الكروي، المرجع في الحضارة، ص٢٦٤.

٥) زيدان، جرجي، تاريخ أدب اللغة العربية، (بيروت، مطبعة دار الحياة، ١٩٨٣م)، ج١، ص١٨٧.

٦) الرفاعي، أنور، الإسلام في حضارته ونظمه، (دمشق، مطبعة دار الفكر، ١٩٧٣م)، ص٥٧٨.

٧)الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، البيان والتبيان، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ)، ص ٤٠٤-٤٠٥.

٨) الكروي، المرجع في الحضارة، ص٢٦٤.

٩) الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص٥٧٨.

١٠) إنقسم الخوارج إلى فئات عديدة منها، الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة وغيرها، ينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفرائيني التميمي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، ط ٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)، ص ٤٩-٧٨.

١١) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٥، (القاهرة، دار المعارف، د. ت)، ص ٦٥.

١٢) ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط ١٣، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م)، ص ٤١٠.

١٣) ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٦٥.

١٤) ينظر في خطب ثورة ابن الأشعث: صفوت، احمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (بيروت، المكتبة العلمية، د. ت)، ج٢، ص ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣.

١٥) ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص٦٦.

١٦) ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ص ٤٢٨.

١٧) ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ص ٤٢٨.

١٨) فرقة كلامية ظهرت في أخريات(القرن الأول الهجري / السابع الميلادي)، ويرجع السبب في تكون هذه الفرقة إلى الجدل الذي كان يدور بين جمهور المسلمين حول مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن أم كافر، وتتلخص تعاليمهم في خمسة إصول هي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أشهر الداعين إلى الاعتزال هم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. ينظر: الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ج١، ص ٤٣-٤٦.

١٩) فرقة من فرق الإسلام يعتقدون إن الإيمان لا يضر معه ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وكانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد، أي تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا

من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ١٣٩.

٢٠) يرون أن الانسان عبارة عن آلة ليس له إرادة وإنما إرادة القدر هي التي تسيره، وهذا قول في منتهى الخطورة على عقيدة الإسلام، إذ يؤدي إلى تعطيل الشريعة وترك العمل والركون إلى القدر، وقد نهض بهذه الحركة جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ/ ٧٤٥م). ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ٤٣.

٢١) هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد، إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى وظهرت كرد فعل على مسألة الجبر، وإن من ابرز رؤوس القدرية عمرو بن مقصوص (ت٨٠هـ/ ٦٦٩م)، ومعبد الجهني(ت٨٠هـ/ ٦٩٩م) الذي قيل أنه اول من تكلم في القدر، وغيلان الدمشقي(ت بعد ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) الذي قال بالقدر أيام عمر بن عبد العزيز، وهناك رجال أتهموا بـ(القدر) كـ (الحسن البصري) ومكحول الدمشقي(ت١١٢هـ/ ٧٣٠م). ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٨؛ الشهرستاني، الملل وانحل، ج١، ص ١٥، ٣٠؛ عبد الحميد، عرفان، دراسات في العقائد والفرق، (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م)، ص ٢٦١.

٢٢) ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط٩، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م)، ص ١٥.

٢٣) ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٥.

٢٤) وهي كلمة الوليد بن المغيرة في قريش حين استمع للقران الكريم. ينظر ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبوية المعروفة (بسيرة ابن هشام)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ)، ج ٢، ص ١٠٥.

٢٥) قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. سورة يونس، الآية: ٣٨.

٢٦) سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢٧) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الامالي، (مؤسسة انتشارات، قم، ١٤١٣هـ)، ص ٣٤٩؛ ؛ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، الامالي، (انتشارات دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ)، ص ١٢١، ١٢٢.

٢٨) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

٢٩) سورة التوبة، الآية: ١٩.

٣٠) الطوسي، الامالي، ص ٥٦٣؛ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م)، بحار الانوار الجامع لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م)، ج١٠، ص ١٤٠، ج٦٩، ص ١٥٣.

٣١) سورة ال عمران، الآية: ٦١.

٣٢) الطوسي، الأمالي، ص ٥٦٤.

٣٣) ينظر: البدري، حكمت فرج الله، معجم آيات الاقتباس، (دار الحرية، ١٩٨٠م)، ص ١٩.

٣٤) سورة الانفال، الآية: ٤٦.

٣٥) المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ص ٥٠.
٣٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
٣٧) سورة الحشر، الآية: ٧.
٣٨) المجلسي، بحار الانوار، ج٦٩، ص ١٥٥، ج٤٤، ص ٦٣.
٣٩) المجلسي، بحار الانوار، ج٤٣، ص ٣٥١.
٤٠) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣
٤١) الطوسي، الأمالي، ص ٢٧٠.
٤٢) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.
٤٣) سورة هود، الآية: ١٧.
٤٤) الطوسي، الامالي، ج٢، ص ١٤٢.
٤٥) الطوسي، الامالي، ص ٥٦٢.
٤٦) الآبي، ابو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣١م)، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م)، ج١، ص ٢٢٤.
٤٧) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تهذيب الاثار وتفضيل الثابت عن رسول الله من الاخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، (مطبعة المدني، القاهرة، د. ت)، ج٣، ص ١٠٥؛ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م)، ج٣، ص ١٣٧.
٤٨) الشيخ المفيد، الأمالي، ص ٣٤٩؛ الطوسي، الأمالي، ص ١٢١.
٤٩) ابن حنبل، ابو عبد الله احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وعادل مرشد واخرون، (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)، ج١٧، ص ١٧٠.
٥٠) ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٩٩م)، الامامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج١، ص ١٣٤.
٥١) ابن حنبل، المسند، ج٤٥، ص ٥٠٠.
٥٢) ابن ابي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار احياء التراث العربي، ١٩٥٩م)، ج٣، ص ١٨٦؛ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج١، ص ٣٢٥.
٥٣) وهوابو الهيثم العباس بن مرداس بن ابي عامر السلمي، شاعر فارس، من سادات قومه، امه الشاعرة الخنساء، اسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم. ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م)، ج٤، ص ٢٠٥؛ ابن حجر، احمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)، ج٣، ص ٥١٢-٥١٣.

٥٤) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/ ١٨٨٢م)، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م)، ج٤، ص ١٨.

٥٥) سورة السجدة، الآية: ١٨.

٥٦) سورة الحجرات، الآية: ٦.

٥٧) ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص ٢٩٢-٢٩٣.

٥٨) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (من اعلام القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن ال الرسول، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٢، (مؤسسة النشر الاسلامي، قم، د. ت)، ص ٢٢٧.

٥٩) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص ١٥٤.

٦٠) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٢٧-٢٢٨.

٦١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص ٢٥٤.

٦٢) ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج١٤، ص ١٢؛ صفوت، جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٢٩٤.

٦٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص ٣٧٤.

٦٤) الشيخ المفيد، الامالي، ص ٣٤٩؛ الطوسي، الامالي، ص ١٢٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٣، ص ٣٦٠.

٦٥) الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، (مؤسسة النعمان، بيروت، د. ت)، ج١، ص ١٣٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* الآبي، ابو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت٤٢١هـ/ ١٠٣١م).نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م)،

* البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفرائيني التميمي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) الفرق بين الفرق، ط ٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)

* البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/ ١٨٨٢م) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م)

* الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). البيان والتبيان، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ) .

* الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) . المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م).

* ابن حجر، احمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ).

* ابن ابي الحديد المعتزلي، عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار احياء التراث العربي، ١٩٥٩م)

*ابن حنبل، ابو عبد الله احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)مسند احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وعادل مرشد واخرون، (مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

*ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م)

*ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (من اعلام القرن الرابع الهجري) تحف العقول عن ال الرسول، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٢، (مؤسسة النشر الاسلامي، قم، د. ت)

*الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

* السيرة النبوية المعروفة (بسيرة ابن هشام)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ)

* الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ / ١٠٢٢م)، الامالي، (مؤسسة انتشارات، قم، ١٤١٣هـ).

* الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخرسان، (مؤسسة النعمان، بيروت، د. ت)

* الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تهذيب الاثار وتفضيل الثابت عن رسول الله من الاخبار، تحقيق: محمود محمد شاكر، (مطبعة المدني، القاهرة، د. ت).

* الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، الامالي، (انتشارات دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ).

* ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٩٩م)، الامامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور،

(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)
* الشعر والشعراء، (دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ)،
* بحار الانوار الجامع لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م)، محمد باقر المجلسي(١١١١)
* البدري، حكمت فرج الله معجم آيات الاقتباس، (دار الحرية، ١٩٨٠م).
* درويش، محمد طاهر الخطابة في صدر الإسلام، (د. م، د. ت).
* الرفاعي، أنور الإسلام في حضارته ونظمه، (دمشق، مطبعة دار الفكر، ١٩٧٣م).
* زيدان، جرجي تاريخ أدب اللغة العربية، (بيروت، مطبعة دار الحياة، ١٩٨٣م)
* صفوت، احمد زكي جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (بيروت، المكتبة العلمية، د. ت).
* ضيف، شوقي البلاغة تطور وتاريخ، ط٩، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٥م).
* الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٥، (القاهرة، دار المعارف، د. ت) .
* تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ط ١٣، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م) .
* عبد الحميد، عرفان دراسات في العقائد والفرق، (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م).
* كرد علي، محمد الإسلام والحضارة العربية، ط٢، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٩م).
* الكروي، إبراهيم سلمان وشرف الدين، عبد التواب .
* المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، (الكويت، مطبعة دار السلاسل، ١٩٨٧م).

الاحتجاج في خطاب الإمام الحسن عليه السلام
خطبة الدلائل

السيد يوسف شفيق البيومي الرضوي

المقدمة:

استخدم الإمام الحسن عليه السلام في خطبته هذه عباراته بطريقة مميزة وجذابة، مفعمة بالعاطفة ومدعمة بالأدلة والبراهين من كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سيرته وأخيه الإمام الحسين عليه السلام. لكي يضع الأمور في موازينها الصحيحة وحتى يدفع بالمستمع لمراجعة تلك الأدلة والأحاديث والحوادث التي شهدها البعض و سمعها بشكل مباشر، وهم ما زالوا قريبين من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، و منهم من حفظ تلك الآيات والأحاديث وتناقلوها من جيل إلى آخر حتى وصلت إلى عصرنا هذا.

والهدف من الاستدلال بها هو أن يضع الجميع أمام مسؤوليتهم بعد اثبات حقه ومكانته من دين الله، وصلته برسول الله صلى الله عليه وآله مستخدماً قدراته الخطابية – وهو ابن خير من نطق بالضد – ومدعماً كلامه بالحجج الدامغة التي لا يستطيع أحد ردها أو أن الاعتراض عليها.

فبكلماته هذه أراد أن يعصم الناس عن الوقوع في الزلل والخطأ بإرجاعهم إلى جادة الحق والصواب، مستخدماً الطريقة السردية والتي سرد فيها هذه الأدلة والبراهين ليؤكد وجوب أتباعهم فهم «أولى الناس بالناس» كما عبر عن ذلك بنفسه عليه السلام.

وهذه البلاغة المعجزة لا يستطيع أحد من المخلوقات مضاهتهم بها، فقد جاء على لسان أمير الكلام علي بن أبي طالب عليه السلام: «أَلَا وإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُه الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، ولَا يُمْهِلُه النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُه، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه»[1].

هذا يدل على أن الأئمة عليهم السلام مؤيدون من الله بالدليل والحجة، وأشربوا العلم وتلقفوه كابر عن كابر، وتمرسوه في العديد من المناسبات، وهم أهل بيت قد زقوا العلم زقا. هذا باعتراف أعدائهم وشآنئيهم قبل محبيهم وشيعتهم. وليس لأحد من وسيلة يستطيع الرد عليهم، وهذا ما سنأتي على ذكره فيما سيأتي خلال البحث في أجزاء هذه الخطبة العصماء المباركة، والتي أتحفنا بها الإمام الحسن عليه السلام لا لتكون حجة على أهل زمانه فقط بل هي حجة على كل الآتين فيما بعد لما تضمنتها من دلائل وبراهين.

ويجب لفت نظر القارئ الكريم إلى أنني سأقوم بعرض أهم النقاط التي سردها الإمام الحسن عليه السلام حيث أن الخطبة الشريفة تعج بالإدلة الكثيرة ساقها الإمام عليه السلام. ولا يمكن لنا في هذا المقام ونحن نسعى للاختصار أن نضيء على كامل جوانبها لأن طبيعة البحث لا تسمح بذلك، فهو محصور في إظهار اللطائف العقائدية بشكل مجمل، ولكن دون الانتقاص من حق الأدلة. سنبحث هذه الأدلة على نحو الاجمال حيناً، ونفصل غيرها حيناً آخر، كما يقتضيه واقع الحال، لأن بعضها لا يمكن اختصاره والمرور عليه مرور الكرام، بل لا بد من تمحيصها لأهميتها وشمولها حيث أنني أهدف للإشارة إلى بعض المعاني العقائدية التي اشتملت عليها، فإلى طياتها المبدعة ننتقل سائلين المولى عز وجل التوفيق. . وهذا نص الخطبة التي تعتبر قمة في الدلالة والاحتجاج قبل أن نُقدم على تفصيلها على محورين:

خطبة عصماء:

قال عليه السلام بعد الحمد والثناء، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: «نحن أهل بيت أكرمنا الله واختارنا، واصطفانا، وأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيرا، ولم يفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدي محمد صلى الله عليه وآله فلما بعثه للنبوة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، فكان أبي أول من آمن، وصدق الله ورسوله، وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[٢].

وقد قال له جدي صلى الله عليه وآله حين أمره أن يسير إلى مكة في موسم الحج بسورة براءة: سر بها يا علي، فإني أمرت أن لا يسير بها إلا أنا أو رجل مني وأنت فأبي من جدي، وجدي من الله.

وقال له جدي صلى الله عليه وآله حين قضى بينه وبين أخيه جعفر، ومولاه زيد ابن حارثة في ابنة عمه حمزة: أما أنت يا علي فمني، وأنا منك، وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي.

فلم يزل أبي وقى جدي بنفسه، وفي كل موطن يقدمه جدي لكل شدة، يرسله ثقة منه وطمأنينة إليه، وقال الله جل شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

فكأن أبي سابق السابقين وأقرب المقربين إلى الله وإلى رسوله، وذلك

أنه لم يسبقه إلى الإيمان أحد غير خديجة فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتأخرين، فضل سابق السابقين، وقد قال الله

(عز وجل): ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٤).

نزلت هذه الآية في أبي، وكان حمزة وجعفر قتلا شهيدين في قتلاء كثيرة من الصحابة، فجعل الله حمزة سيد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء من بينهم، وذلك لقرابتهما من جدي ﷺ، وصلى جدي على عمه حمزة سبعين صلاة من بين الشهداء يوم أحد، وكذلك جعل الله تعالى لنساء نبيه المحسنة منهن أجرين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من جدي.

وجعل الله الصلاة في مسجد نبيه بألف صلاة من بين سائر المساجد إلا المسجد الحرام لمكان رسول الله ﷺ، فلما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٥).

قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟

فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

فحق على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة على جدي فريضة واجبة، وأحل الله خمس الغنيمة لرسوله وأوجبها في كتابه، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له، وحرم عليه الصدقة وحرمها علينا، نزهنا مما نزهه وطيب لنا ما طيب له، كرامة أكرمنا الله بها، وفضيلة فضلنا على سائر عباده.

وقال تعالى لجدي حين جحده كفرة أهل الكتاب وحاجوه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٦).

فأخرج جدي معه من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء أمي فاطمة، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٧].

فلما نزلت هذه جمعنا جدي: وأخي وأمي وأبي ونفسه في كساء خيبري في حجرة أم سلمة رضي الله عنها فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطيرا.

فقالت أم سلمة أنا أدخل معهم يا رسول الله؟

فقال: قفى مكانك، يرحمك الله أنت على خير، وأنها خاصة لي ولهم.

ولما نزلت: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٨].

يأتينا جدي كل يوم عند طلوع الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت يرحمكم الله، و﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٩].

وأمر بسد الأبواب في مسجده غير بابنا فكلموه في ذلك فقال: إني لم أسد أبوابكم ولم أفتح باب علي من تلقاء نفسي، ولكن أتبع ما أوحي إلي، إن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح باب علي، وقد سمعت هذه الأمة جدي يقول: «ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوه».

وسمعوه يقول لأبي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي (بغدير) خم، وقال لهم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

ثم قال عليه السلام: أيها الناس إنكم لو التمستم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً جده نبي، وأبوه وصيه لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتقوا الله ولا تضلوا.

أيها الناس لو أذكر الذي أعطانا الله تبارك وتعالى وخصنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسانه نبيه لم أحصه، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين، وأقسم بالله لو تمسكت الأمة بالثقلين لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم من غير اختلاف بينهم إلى يوم القيامة، قال

الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[١٠].

وقال الله (عز وجل): ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١١].

نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه ﷺ أيها الناس اسمعوا وعوا، واتقوا الله وارجعوا إليه، هيهات منكم الرجعة إلى الحق، وقد صارعكم النكوص وخامركم الطغيان والجحود، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[١٢].

والسلام على من اتبع الهدى»[١٣].

المبحث الأول: فضائل أهل بيت النبوة عليهم السلام:

نحن أهل بيت عليهم السلام:

ابتدأ الإمام الحسن عليه السلام بالتعريف عن فضل أهل البيت عليهم السلام من خلال ذكر أمور اختصهم الله تعالى بها دونهم من البشر، واستخدم عليه السلام طريقة البديع في اللف والنشر وهذه من الطرق البلاغية.

واللف والنشر، عند أهل البديع هو من المحسنات المعنوية «وهو أن يذكر شيئان أو أشياء إجمالاً أو تفصيلاً، وبأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد من المتقدم، ولا ينص على ذلك الرجوع إلى ما ذكره سابقاً بل يغوص إلى عقل السامع، ورد كل واحد إلى ما يليق به. وذكر الأشياء الأولى تفصيلاً أو إجمالاً ويسمى باللف، وذكر الأشياء الراجعة إلى الأولى يسمى بالنشر»[١٤].

فعرض الإمام الحسن عليه السلام تلك المختصات على سبيل الإجمال بطريقة اللف، ليعود وينشرها فيما بعد بإرجاع السامع إلى ما سبق ولكن بشكل تفصيلي.

ونشير للعبارة التالية التي في صدر الخطبة حيث قال عليه السلام: «**نحن أهل بيتٍ**» ونستدل منها على أمور عدة نختصرها بالآتي:

أولاً: إن من مختصات استخدام الضمير المتكلم «نحن»:

١ – حيث عبر عن نفسه وعن أهل البيت بشكل الأعم، وذلك من خلال الضمير المنفصل الذي يدل على الجمع، والذي يستخدم، وهذا لا يعتبر من الفخر والتباهي بل من باب إعلام المخاطب بواقع الحال.

٢ – إن استخدام الضمير المتكلم «نحن» يفيد معنى المشاركة والقرب، إذ يجعل المتكلم ناطقاً باسمه وبإسم غيره.

٣ – إن استخدام الضمير «نحن» يجعل من المخاطب وكأنه عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك فيه، وعلى اطلاع عنما يتم الحديث عنه، ويكون المتكلم في موضع التذكير ليس إلا. .

ثانياً: إن استعمال الإمام الحسن عليه السلام لصيغة التنكير لا التعريف حيث قال: «أهل بيتٍ» ولم يقل «أهل البيت» فلذلك دلالات خاصة أيضاً، ومنها:

١ – عبارة «أهل بيتٍ» تدل على حصر بعض المختصات بهم فقط لا تصح لأن تكون لغيرهم، والدليل على ذلك حين قال الإمام الحسن عليه السلام فيما قال: «أكرمنا الله، واختارنا، واصطفانا. . الخ».

٢ – ويراد من هذه العبارة بيان فضل جماعة خاصة من الناس قام القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله بإطلاق عنوان عليهم وهو: بيت أهل النبوة، أي من حيث هو نبي، ومن حيث أن هذا البيت هو: بيت النبوة.

٣ – وأراد منها صرف ذهن السامع أن ما لهم من خصوصية لا يختص بها كل من نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله من الأهل والأقارب والأنسباء والأزواج بل هم خصوص هؤلاء الثلة الذين تم اختيارهم ليكونوا هم أهل بيت النبوة وعترة الرسول الطاهرة.

أكرمنا الله واختارنا:

كما أسلفنا سابقاً فإن الإمام الحسن عليه السلام عرض مختصات أهل بيت النبوة بشكل أجمالي، حيث قال عليه السلام: «نحن أهل بيت أكرمنا الله واختارنا، واصطفانا، وأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيرا، ولم يفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدي محمد صلى الله عليه وآله. . ».

إن التكريم والاختيار، والاصطفاء ما هو إلا تصريح من الإمام أن الله عز وجل هو الأساس والأصل من وراء هذا التكريم والاختيار والاصطفاء، وهو في عطائته مستمر لهؤلاء الصفوة، وهم دائماً في حال استجلاب الرضا الإلهي، والقرينة على أن العطاءات الإلهية مستمرة لهم وفيهم حين أضاف الضمير «نا» الذي يدل على جماعة من المتكلمين، ولإظهار الكرامة والعزة والعظمة المختصة بها هذه الجماعة من البشر. حيث أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليهم بكل تلك الكرامات لأنهم أهل لكي يحملوها ويتشرفوا بها، ولأن هذه النعم والكرامات والمختصات هي من أعظم النعم وأغلى الكرامات، التي لا يستحقها سوى نوع خاص من العباد.

وحال أهل بيت النبوة هو حال خاص، فإنهم قضوا حياتهم وأعمارهم في سبيل الله واعلاء كلمته، وفي طاعته، وسخروا كل ما حباهم الله به من حول وقوة في رضا الله، ولذلك استحقوا كل هذه العطايا. .

إضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الجماعة المطهرة استحقت تلك الكرامات قبل هذه الحياة حيث شهد الله عز وجل لنفسه بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة والرسالة ولعلي وأهل بيته بالإمامة.

وقد شُهد لهم بذلك، وأخذ الله الميثاق من جميع الخلق وأشهد الملائكة عليهم بالقبول بهذا الميثاق. وصرحت الآية التالية بأن البعض سيعتذرون يوم القيامة بأنهم نسوا في الدنيا هذا الميثاق وعملوا بخلافه.

حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[١٥].

وقد تحدثت العديد من الروايات عن تفصيل هذا الميثاق:

أ - عَنْ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ، خَلَقَ مَاءً عَذْباً، ومَاءً مَالِحاً أُجَاجاً، فَامْتَزَجَ الْمَاءَانِ، فَأَخَذَ طِيناً مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، فَعَرَكَه عَرْكاً شَدِيداً.

فَقَالَ: لأَصْحَابِ الْيَمِينِ وهُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ: «إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ».

وقَالَ لأَصْحَابِ الشِّمَالِ: «إِلَى النَّارِ ولَا أُبَالِي».

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾[١٦].

ثُمَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ «وأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولِي وأَنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ».

قالوا: ﴿بَلَى﴾ فَثَبَتَتْ لَهُمُ النُّبُوَّةُ وأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُولِي الْعَزْمِ أَنَّنِي رَبُّكُمْ ومُحَمَّدٌ رَسُولِي وعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وأَوْصِيَاؤُه مِنْ بَعْدِه وُلَاةُ أَمْرِي وخُزَّانُ عِلْمِي وأَنَّ الْمَهْدِيَّ أَنْتَصِرُ بِه لِدِينِي وأُظْهِرُ بِه دَوْلَتِي وأَنْتَقِمُ بِه مِنْ أَعْدَائِي وأُعْبَدُ بِه طَوْعاً وكَرْهاً قَالُوا أَقْرَرْنَا يَا رَبِّ»[١٧].

ب - عن علي بن إبراهيم، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي الربيع القزاز، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قلت له: لما سمي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟

قال: الله سماه، وهكذا أنزل الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١٨]. وأن محمدا رسولي، وأن علياً أمير المؤمنين»[١٩].

ج - عن علي بن إبراهيم: قال: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن الحلبي، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أول من سبق من الرسل إلى: ﴿بَلَى﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل عليه السلام لما اسرى به إلى السماء: «تقدم يا محمد فقد وطئت موطئاً لم يطأه أحد قبلك لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل».

ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل، كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢٠] أي بل أدنى، فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام.

فقال الصادق عليه السلام: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير

المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمد نبيكم، وعلي إمامكم، والأئمة الهادية أئمتكم؟»

فقالوا: «بلى شهدنا».

فقال الله: «أن تقولوا يوم القيامة، أي لئلا ﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾[٢١].

فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾[٢٢]. فذكر جملة الأنبياء، ثم أبرز أفضلهم بالأسامي، فقال: ﴿ومِنْكَ﴾ يا محمد، فقدم رسول الله ﷺ لأنه أفضلهم، ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٢٣]. فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله أفضلهم.

ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله ﷺ على الأنبياء بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾[٢٤]. يعني: «رسول الله»، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني: «أمير المؤمنين» تخبروا أممكم بخبره وخبر وليه من الأئمة»[٢٥].

د - عن أحمد بن محمد، عن الحسن ابن موسى، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[٢٦].

قال: «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا وهم كالذر فعرفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه.

وقال: ألست بربكم؟

قالوا: بلى، وإن هذا محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني»[٢٧].

فإن الإمام الحسن عليه السلام وجه الناس إلى ما سمعوه وعرفوه من النبي ﷺ في حق أهل بيته عليهم السلام، وبما أوصى له الله عز وجل. وإن كان من باب الإشارة والتلميح بداية إلى أنه انتقل فيما بعد

للتصريح والدراية حيث فصل للجميع هذه المختصات والكرامات من خلال الأدلة التي لا بد أنهم عرفوا بها أو سمعوا عنها في حق أهل بيت النبوة.

آية المباهلة:

يكمل الإمام الحسن عليه السلام في عرض فضائل أهل البيت عليهم السلام إلى أن وصل إلى حادثة المباهلة، والتي فيها العديد من الاستدلالات، منها:

أ: لقد أقرت حادثة المباهلة أن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام هما نفس واحدة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله قد جعل نفس علياً موضوعاً ومحمولاً لقضية واحدة، ولكن ذات وجهين. وجعل نفسه الطاهرة صلى الله عليه وآله موضوعاً ومحمولاً أيضاً لنفس هذه القضية الواحدة، التي هي ذات وجهين، وكأنه من خلال أخراجه لعلي عليه السلام معه إلى المباهلة يقول: «نفسه نفسي، ونفسي نفسه».

ب: إن السيدة الزهراء عليها السلام هي من تمثل نساء أهل بيت النبوة وليس من أحد غيرها له تلك الصفة التمثيلية كالزوجات والعمات أو غيرهن. .

ج: إن ما جاء في آية المباهلة يثبت بنوة رسول الله صلى الله عليه وآله للحسنين عليهما السلام. إذ أن الآية عبرت عن ذلك بـ «ابناءنا» وهذا أقوى دليل يضحد به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله أعراف الجاهلية الأولى الذين ادعوا أن البنوة تكون فقط لأولاد الأبن دون أولاد الأبنة.

د: إن آية المباهلة تدل أن من أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله هم المتمحضين بالصدق مقابل من قالوا زوراً وبهتاناً على الله أن له أبناً والعياذ بالله، وهذا ما تؤيده الآية الكريمة حين قالت: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِّ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢٨]. فيكون أهل البيت عليهم السلام هم الذين يمثلون الصدق المطلق، وهم المؤيدون من الله تعالى وإلا لما جعلهم في مقابل الذين كذبوا على الله بالدعوى الباطلة التي لم ينزل بها من سلطان.

هـ: يروى أن في حادثة المباهلة قال كبير وفد نجران: « أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، فلا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة»[٢٩].

ويمكن أن نقول أن هذه الثلة التي خرجت مع النبي ﷺ للمباهلة كانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم من أجل قضية تمس روح العقيدة الإسلامية وهي التوحيد الذات الإلهية حيث أن لا ولد له ولا هو ثالث ثلاثة، وتعتبر هذه الثلة في قمة النضج الرسالي، بالإضافة إلى أنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ وأحبهم إلى قلبه. ومع ذلك اندفعوا معه وخرجوا من أجل المباهلة. .

إلا أن البعض حاول التشكيك بهذه الدلالات التي تكلمنا عنها، وقالوا: إن الآية قد جاءت بصيغة الجماعة، فكيف يكون المقصود هو المثنى والمفرد؟!

ونجيب:

إن الآية لم تكن تتكلم على سبيل المجاز بل الحقيقة حيث أن مرويات جميع المسلمين تثبت أن النبي ﷺ أخرج معه حصراً علي وفاطمة والحسنين وهذا ما لا يمكن انكاره، فيكون النبي ﷺ قد فسر آية المباهلة بالشكل العملي الذي لا يحتاج إلى الشك أو التشكيك.

وقد استدل الإمام الحسن عليه السلام نفسه بهذه في معرض خطبته التي نحن بصددها حين قال: «فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا. . » وهذا كله ليرسخ في أذهان الناس ومن الذين يسمعونه ومن سيأتي فيما بعد أنهم هم من يمثلون رسول الله ﷺ، ومن يحبهم فقد أحبه، ومن أبغضهم وحاربهم فقد أبغضه وحاربه. .

وقد جعل الإمام الحسن عليه السلام هذه العبارة رابطاً ومدخلاً لما سيأتي من بعدها وهو استدلاله بآية التطهير. .

آية التطهير:

وعاد الإمام الحسن عليه السلام لربط اللاحق بالسابق واحتج على القوم بآية التطهير، ولكنه لم يكتفي فقط بسرده الآية الكريمة ولكنه أتبعها بحادثة الكساء التي كانت سبباً بنزول هذه الآية المباركة، وحادثة الكساء تدل على الآتي:

أولاً: أن من تحت الكساء هم فقط أهل بيت النبي ﷺ دون غيرهم.

ثانياً: لا يمكن لأحد إلحاق الزوجات بأهل البيت عليهم السلام لأن رواية حديث الكساء تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقبل بدخول أم سلمى «رضي الله عنها» وقال لها: «يرحمك الله أنت على خير» أو «انك إلى خير» باختلاف الروايات.

ثالثاً: إن هذه الحادثة والروايات التي رواها الصحابة، ونقلها المحدثون في كتبهم، وتكلم عنها المفسرون في تفسيرهم لآية التطهير قد وصلت حد التواتر، وكل هؤلاء يذكرون أنه صلى الله عليه وآله قد أدخل علياً وفاطمة والحسنين حصراً معه تحت الكساء وجللهم به، ثم تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٠].

وبعض هذه المرويات تقول: أنه دعا لهم بهذه الآية دون غيرهم[٣١].

رابعاً: إن الذين هم تحت الكساء مطهرون من كل رجس، وهم معصومون لا يأتيهم أي نوع من أنواعه، ولا يلاقيهم، وهم محض طهارة لأن الآية عبرت بـ ﴿يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ويفهم من ذلك أنهم الطهارة المتمثلة بالبشر وهم أناس مختارون من قبل الله عز وجل..

خامساً: وحسب ما نقل لنا الإمام الحسن عليه السلام أنه حين نزول قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣٢].

كان النبي صلى الله عليه وآله وبأمر من الله عز وجل يؤكد المؤكد بما لا يشوبه أي شائبة وبفعل عملي على أن أهل بيته هم هؤلاء الذين يطرق بابهم ويناديهم: «يا أهل البيت»، ومن ثم يتلو عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٣].

وهذا الفعل يعتبر تفسير عملياً وتأكيداً وإصراراً منه صلى الله عليه وآله على هوية أهل البيت عليهم السلام، وأنها لهم دون غيرهم..

وذلك بدوره سوف يعمل على تثبيت وترسيخ هذه الصفة عند المسلمين ويزيل أي ريب أو شبهة فيما يتعلق بتوصيف من هم «أهل البيت». وتقول الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله بقي مدة ستة أشهر وهو يطرق باب الزهراء وعلي عليهما السلام ويناديهم للصلاة عند كل فجر على طول هذه المدة[٣٤].

سد الأبواب. . غير بابنا:

وإن من تبعية التطهير من كل رجس أن يأمر النبي ﷺ بسد كل الأبواب المؤدية إلى مسجده غير باب علي عليه السلام وذلك لأنه هو وأهل بيته هم أيضاً متمحضون بالطهر، وبكل شيء طاهر، وهم المطهرين لغيرهم من أتباعهم. .

وعلق العلامة الشيخ المظفر على هذه المسألة على الشكل التالي: «إن هذه القضية تكشف عن طهارة علي عليه السلام، وأنه في المحل الأعلى منها، فلا تنتقض هذه الطهارة بأي حدث حتى لو كان من موجبات الغسل، فيحل له البقاء في المسجد في جميع الأحوال، ولا يكره له النوم فيه، تماماً كما كان ذلك لرسول الله ﷺ. فإن عمدة الغرض من سد الأبواب هو تنزيه المسجد عن الأدناس، وإبعاده عن المكروهات»[٣٥].

فإن من أذهب الله عن الرجس وطهره تطهيراً لا تؤثر فيه الجنابة كدنس معنوي، ويكون بيت الله كبيته تماماً، وبحكم سكنه بالقرب منه، وهذا ما جعل دخول علي عليه السلام إلى المسجد النبوي حسنٌ ولو كان على جنابة.

وإن علي عليه السلام كرسول الله ﷺ بل هو نفسه بدليل آية المباهلة، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، ولذلك لحقته الأحكام المتعلقة بالنبي ﷺ.

وقد استدل أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه على أهل الشورى بتلك الحادثة قائلاً لهم: «أكان أحد مطهراً في كتاب الله غيري، حين سد النبي ﷺ أبواب المهاجرين، وفتح بابي»[٣٦].

حتى يرجعوا إلى ما تركوه:

لقد وضع النبي ﷺ قاعدة عامة للأمة، وقانون كلي حتى تسير عليه، ورسم خطاً واضحاً، فمن يعمل بخالفها فإن مصير الأمة سيكون سفالاً، وسوف تنحدر الأمور بالأمة إلى الفراق والشقاق والتنازع. والسبب في ذلك كله أنهم تركوا أفضل من فيها، وأتقى من عليها، وأحسنهم خُلقاً، وهو أعلم إنسان بعد رسول الله ﷺ، فهو باب مدينة العلم.

وهـذه القاعـدة تـسري عـلى كل مـن هـم بمكانـة وفضـل الإمـام عـلي عليه السلام وهـذا يشـمل أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام فهـم مـن يمثلـون هـذا الخـط الإلهـي، فمـن تبعهـم وتولاهـم وسـار عـلى هداهـم فـإن أمـور حياتـه العامـة والخاصـة سـوف تتطـور نحـو الأفضـل وتتسـامى بـه المراكـز ويرتفـع بذلـك شـأن هـذه الأمـة. .

ولكـن ليـت شـعري فـإن الأمـة ضيعـت حقوقهـم وتركـت علماءهـم الربانيـين وولـوا شـأنهم إلى جهالهـا وأصحـاب المصالـح والمـآرب الدنيويـة فمـن المؤكـد وحسـب القاعـدة التـي وضعهـا النبـي صلى الله عليه وآله سـيميل أمرهـا إلى الحضيـض. .

ولكـن هـذه القاعـدة التـي وضعهـا النبـي صلى الله عليه وآله لم تـترك الأمـر مغلقـاً بشـكل نهائـي بـل هنـاك مجـال للعـودة وخـط للرجـوع، بـأن تعـود الأمـة عـن غيهـا وضلالهـا وتـولي أمرهـا لمـن أمـر الله ورسـوله صلى الله عليه وآله أتباعهـم.

ويكـون ذلـك بالرجـوع إلى العـالم الربـاني الـذي تكتمـل فيـه عنـاصر القيـادة التـي تخولـه النهـوض بالأمـة مـن الحضيـض، وعندهـا فقـط فـإن شـأن الأمـة سـوف يتبـدل إلى الأفضـل ويتطـور إلى أحسـن حـال. لأن هـذه القاعـدة قـد وضعـت مـن قبـل النبـي صلى الله عليه وآله الـذي هـو السـبب المتصـل بـين الأرض والسـماء.

ولا يسـتطيع أحـد تكذيـب أو تدليـس أو انـكار هـذه الفضيلـة الثابتـة للإمـام عـلي عليه السلام ويدعـي أنـه عليه السلام لم يكـن مـن أول السـابقين إلى ديـن الله، والإيـمان برسـول الله صلى الله عليه وآله، حيـث نـذر حياتـه مـن أجـل أن تكـون كلمـة الله هـي العليـا وكلمـة المشركـين هـي السـفلى. .

كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله:

ويحدد الإمام الحسن عليه السلام سبب نزول هذه الآية المباركة، فيقول: «نزلت هذه الآية في أبي. . »

وقـد جـاء في الحديـث أن قولـه تعـالى: «﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ. . ﴾ إلى قولـه: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣٧]. نزلـت في عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام»[٣٨]. وفي روايـة أخـرى: أن النبـي صلى الله عليه وآله لمـا نزلـت هـذه الآيـة قـال لبعـض مـن أصحابـه عـن الإمـام عـلي عليه السلام: «إنـه آمـن بـالله قبلهـا بسـنوات، وإنـه صاحـب الجهـاد»[٣٩].

وبعد تذكير الإمام الحسن عليه السلام القوم بمناسبة نزول هذه الآية وارتباطها بأمير المؤمنين عليه السلام، يظهر لهم أنه كان عضد النبي صلى الله عليه وآله وساعده الأيمن بعد فقدانه صلى الله عليه وآله لعمه حمزة ولجعفر أخو أمير المؤمنين عليه السلام. ويظهر لهم مقامهما عند الله بما قدماه في سبيل الله وفي سبيل رسوله صلى الله عليه وآله. فأصبح حمزة عليه السلام سيد الشهداء وجعفر له جناحان.

ويعلل الإمام الحسن عليه السلام تفضيل هذان الشهيدان بسبب التضحيات التي بذلت واقترنت بقربهما من رسول الله صلى الله عليه وآله والدفاع عن دين الله، ويبين الإمام الحسن عليه السلام أن هذه المكانة وهذا الفضل هو الفضل الأكبر عند الله، وليس للذين يدعون الفضائل لأنفسهم لمجرد كونهم في خدمة الحجيج أو أنهم يعمرون المسجد الحرام، فإن ذلك ليس من الفضل بشيء. وإنما الفضل لمن سبق بالإيمان وضحى بالغالي والنفيس من أجل النبي صلى الله عليه وآله.

وشرح الإمام الحسن عليه السلام مسألة مهمة وأظهر أن من كان له صلة نسبية بالنبي صلى الله عليه وآله وكان ظهيراً له واتبعه بكل أموره وشؤونه فإن الله عز وجل يكرمه ضعفين لإحسانه، ويجازيه ويعاقبه ضعفين لخطئه.

ومثاله على ذلك حين قال الإمام الحسن عليه السلام: «وكذلك جعل الله تعالى لنساء نبيه المحسنة منهن أجرين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من جدي». وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن لا كرامة لعاصية منهن حتى ولو كانت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله، ويكون أجرها مضاعفاً عند الله وأجرها بأجرين لإحسانها.

واللافت أيضاً أن الإمام الحسن عليه السلام إنما صرح باسم جده، لكي يعرفه القاصي والداني بهذه الخصوصية، فلعل بعض الناس البعيدين عن مصادر المعرفة، ويعيشون في الصحارى والأدغال، يدعون أنهم يجهلون ذلك، بل إن بعض الناس قد حاولوا طيلة عقود من الزمن أن يزوروا الحقائق، وأن ينكروا بنوة الحسنين لرسول الله، إنطلاقاً من المفاهيم الجاهلية، التي عبر عنها الشاعر بقوله:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد[٤٠].

واعبد إلهاً ذا منن ولا توال ... ذا الإحن (به أباك يا حسن)[٤١].

ثم يبين الإمام الحسن عليه السلام مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال إظهار الثواب والأجر الذي جعله الله عز وجل للمصلين في المسجد النبوي كرامة له صلى الله عليه وآله ولوجود جسده الطاهر في هذه البقعة من الأرض التي توازي الصلاة فيه ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام.

كيف نصلي عليك:

بعدها ينتقل الإمام الحسن عليه السلام ليوضح كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وكيف أن الصلاة عليه لا تكون كاملة إلا إذا تممت بالصلاة على آله. وهذه فضيلة لهم دون غيرهم وليس لأحد أن يساويهم بها، فإن الصلاة على نبي وآله هي من واجبات الأمة في حق نبيها صلى الله عليه وآله.

لذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله يوصيهم بأن لا يصلوا عليه الصلاة البتراء[٤٢]. والتي لم يقبلها منهم وأكد عليهم بأن يقرنوا الصلاة عليه بالصلاة على الآل. .

وهذا ليس لأن الصلاة على النبي وآله هي فعل قولي وحسب، بل لما للصلاة عليه وآله من الارتباط بالدين من الناحية الاعتقادية وحتى أن لها آثار ملموسة في الواقع الخارجي لمن يصلي بها وهو معتقد أن أهل بيت النبوة عليهم السلام هم أفضل خلق الله وأن أفضل آل النبي صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام. وإن فضيلة الصلاة على محمد وآل محمد لها الكثير من الآثار الدنيوية والآخروية وقد تكلمنا عنها سابقاً في هذا الكتاب، ولكن هناك رواية فيها من الفائدة الكبيرة، والتي تُظهر أحد اللطائف والبركات للصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله، وأنقلها مختصرة بما يخص المطلب الذي نحن بصدده، حيث يروى أن النبي صلى الله عليه وآله في واقعة خروجه على المنافقين قال للزبير بن العوام، وسماك بن خرشة وكان قد أرسلهما في مهمة: «أتحبان أن يستركما الله عن عيونهم، ولا يجعل لكما ظلاً إذا سرتما، ويجعل لكما نوراً كنور القمر لا تتبينان منه؟!

قالا: بلى.

قال صلى الله عليه وآله: «عليكما بالصلاة على محمد وآله الطيبين، معتقدين أن أفضل آله علي بن أبي طالب، وتعتقد يا زبير أنت خاصة أن لا يكون علي عليه السلام في قوم إلا كان هو أحق بالولاية عليهم، ليس لأحد أن يتقدمه. . »[٤٣].

ويقول سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله» في كتابه الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام شارحاً هذه الحادثة تحت عنوان:

تأثير الصلاة على النبي وآله:

وقد تضمنت الرواية أيضاً: بيان أن اقتران بعض الأعمال بإيمان ذي مواصفات بعينها، يجعلها تؤثر في الواقع الخارجي، ومن هذه الأعمال الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وآله الطيبين، فإنها:

أولاً: تستر فاعلها عن عيون أعدائه.

ثانياً: لا تبقي له ظلاً.

ثالثاً: تغمره بالنور، وتستره عن عيون الناس.

ولكنها ذكرت: أن مجرد التفوه بالصلاة لا يجدي، بل لا بد أن يصاحب ذلك الإعتقاد بأن علياً عليه السلام هو أفضل آل النبي. .

فعالم الروح متصل بعالم المادة، والتفوه بالألفاظ يترك آثاراً لها نوع ارتباط بسنخ مضمون تلك الألفاظ. . كما أن الإعتقاد مؤثر في الواقع العملي الخارجي. .

ولكن هذه الآثار لا يمكن التكهن بها للبشر، ولا طريق لهم لاكتشاف الصلة بينها، بالعلم البشري، بل هي مما يختص الله بعلمه، فلا بد من أخذ العلم بها من الله تعالى، فإذا أخبر الله عنها أمكن تلمسها بالممارسة»[٤٤].

ونقول: إن آثار الصلاة على النبي وآله لهي كثيرة وعديدة وتكاد لا تعد ولا تحصى بما لها من الثواب والحسنات، إضافة إلى الآثار الخارجية في أرض الواقع شرط أن تقترن بعقيدة سليمة لها ارتباط وثيق بمن أمر الله عز وجل بولايتهم واتباع آثرهم وهذا ما عليه المئات من الدلائل والبراهين، ومنها تلك الرواية التي نقلنها. .

وإن الصلاة على النبي محمد وأهل بيته الأطهار هي فريضة على كل مسلم كما عبر عن ذلك الإمام الحسن عليه السلام في خطبته هذه حين قال: «فحق على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة على جدي فريضة واجبة». وكفى بقول الشافعي في شعره:

يـا آل بيـت رسـول الله حبكـمفـرض مـن الله فـي الـقرآن أنزلـه**

يكفيكم من عظيـم الفخـر أنكم من لم يصلِ عـليكم لا صـلاة له**[٤٥].

الخمس. . والصدقة:

لا بـد للقـارئ الكريـم أن يعلـم بـأن الإمـام الحسـن عليه السلام قـد تطـرأ إلى فريضـة الخمـس وحـق ذوي قربـى رسـول الله صلى الله عليه وآله لأن هنـاك البعـض مـن المبغضـين لهـم وخاصـة في المعسـكر الأمـوي حاولـوا بشـتى الوسـائل والطـرق حرمانهـم مـن حقوقهـم التـي فرضهـا الله عـز وجـل لهـم في كتابـه العزيـز، وذلـك مـن خـلال تبريـرات واهيـة واجتهـادات مسـتندة إلى الأهـواء والضغائـن. .

فقـد قـال تعـالى: ﴿وَاعْلَمُـوا أَنَّـمَا غَنِمْتُـمْ مِـنْ شَيْءٍ فَـأَنَّ للهِ خُمُسَـهُ وَلِلرَّسُـولِ وَلِـذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَامَـى وَالْمَسَـاكِينِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ﴾[٤٦].

وقد انقسمت الآراء حول تفسير هذه الآية الكريمة إلى قسمين:

الأول: أن الغنيمـة هـي المـال الـذي يأخـذ مـن الكفـار حـصراً ويجـب أن يغنـم خـلال الحـرب والقتـال.

الثاني: أن الغنيمة هي مطلق مالٍ مأخوذ بلا بدل.

وهذا ما اتفق عليه علماء اللغة وقد ذهب الشيعة للرأي الآخر تبعاً لأئمتهم.

وقـد جـاء في المعنـى اللغـوي لكلمـة الغنـم: وهـو الفـوز بالـشيء مـن دون مشـقة، وغنـم الـشيء: أي فـاز بـه، والاغتنـام: إنتهـاز الفرصـة. وغنـم الـشيء غنـماً: فـاز بـه بـلا مشـقة، ونالـه بـلا بـدل.

وقيل: أن الغنم إصابة الشيء والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به[٤٧].

إن الآيـة الكريمـة قـد أطلقـت بـأن الغنيمـة هـي مطلـق شيء مظفـور بـه إن كان بمشـقة مـن خـلال الحـرب والقتـال، أو كان بغيرهـا مـن الأشـكال، فـلا يصـح قولهـم أن الخمـس فقـط خـو نتيجـة للحـرب فهـذا خـلاف الظاهـر. ولا يمكـن أن يقـال أن الآيـة عامـة ثـم خصصـت فلقـد حاولـت البحـث عـن مـا يخصصهـا كـما ادعـى القـوم ولكـن دون جـدوى.

لذلك فإن الخمس هو حق قربى رسول الله ﷺ ولا يستطيع أحد أن ينفي حقاً مثبتاً في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ. وروي أن الإمام الحسن عليه السلام حين كان صغيراً أخذ تمرة من تمر الصدقات – وهي الزكاة ويعبر عنها بالصدقة الواجبة – فقال له النبي ﷺ: «كخ كخ» ليصرحها.

ثم قال ﷺ: «أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة»[٤٨].

ويجب ملاحظة مسألة وهي: أن قول النبي ﷺ لإمام الحسن عليه السلام: «أما شعرت أنّا لا نأكل الصدقة» يشير إلى أنه ﷺ يفترض بولده هذا الذي يراه الناس طفلاً: أن يكون عارفاً بهذا الحكم الشرعي، مع أنه لا يتوقع من الأطفال الذين هم بمثل سن الحسن والحسين عليهما السلام أن يكونوا عارفين بالأحكام إلى هذا الحد.

أضف إلى ذلك: إنه ﷺ لم يقل للإمام الحسن عليه السلام: أما علمت. بل قال له: «أما شعرت».

فاختيار هذا التعبير قد يكون سببه أنه ﷺ يفترض بالإمام الحسن عليه السلام أن يعرف هذا الحكم من دون حاجة إلى تعليم صريح، أو فقل: من دون إعلام وتصريح له به. .

والصدقة الواجبة، هي الزكاة التي حرمت على النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وبني عبد المطلب، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحل لآل محمد الصدقة»[٤٩].

وقال ﷺ أيضاً: «لا تحل لنا الصدقة»[٥٠].

وحين قال الإمام الحسن عليه السلام في خطبته: «نزهنا مما نزهه وطيب لنا ما طيب له، كرامة أكرمنا الله بها، وفضيلة فضلنا على سائر عباده». فيلزم من هذه العبارات بعض الدلالات المهمة، ومنها:

أولاً: أن ما كان للنبي ﷺ من خصائص فهي لأهل بيته عليهم السلام.

ثانياً: إن واجب الأمة تجاه أهل البيت عليهم السلام هو ذاته الذي كان تجاه رسول الله ﷺ.

ثالثاً: إن فرض الخمس على الأمة لذوي القربى عليهم السلام هو تنزيه وتكريم وفضيلة لهم دون الناس أجمعين لأن كرامتهم وحقهم وتفضيلهم هو من الله عز وجل ورسوله ﷺ فلا يشاركهم فيه أحد.

المبحث الثاني: خصائص أمير المؤمنين في كلام الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام:

حديث المنزلة:

حين شبه النبي صلى الله عليه وآله حال علي عليه السلام بحال هارون من أخيه موسى عليهما السلام فيلزم من ذلك أن يكون ما لنبي الله هارون لعلي بن أبي طالب عليهما السلام، ويمكن ملاحظة ما يلي:

أولاً: كان لهارون عليه السلام عدة منازل من موسى عليه السلام، وهي على الشكل التالي:

١ – هو أخوه وتلك منزلة الأخوة.

٢ – هو وزيره وإنها مجعولة له من الله.

٣ – هو من أهله وهذه منزلة القربى منه.

٤ – هو مصدق له.

٥ – وهو يردأ له.

٦ – هو من يشاركه في أمر الدين المنزل عليه من الله سبحانه وتعالى.

٧ – هو من يشد به أزره ويعاضده في أمره.

٨ – هو خليفته في قومه حال غيابه، وهذا ما فعله موسى عليه السلام حين ذهب لميقات ربه.

٩ – وواجب هارون أن يكون مصلحاً.

ثانياً: كل هذه المنازل التي أشرنا إليها أعلاه قد دلت عليها الآيات القرآنية التي تروي قصة نبي الله موسى وهارون عليهما السلام:

فقد قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾(٥١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾(٥٢).

وقال عز وجل: ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(٥٣).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾(٥٤).

وقال أيضاً: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٥٥).

ونتيجة لذلك تكون كل تلك المنازل التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز المجعولة لهارون من موسى عليهما السلام هي ذاتها مجعولة لأمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: قال صاحب تفسير الميزان العلامة الطباطبائي «قدس سره» عن نبي الله هارون عليه السلام في معرض تفسيره لسورة الصافات المباركة ما يلي: «أشركه الله تعالى مع موسى عليهما السلام: في المنّ، وإيتاء الكتاب، والهداية إلى الصراط المستقيم، وفي التسليم، وأنه من المحسنين، ومن عباده المؤمنين [الصافات: ١١٤ ـ ١٢٢] وعده مرسلاً [طه: ٤٧]، ونبياً [مريم: ٥٣]، وأنه ممن أنعم عليهم [مريم: ٥٨]، وأشركه مع من عدهم من الأنبياء في سورة الأنعام في صفاتهم الجميلة، من الإحسان، والصلاح، والفضل، والإجتباء، والهداية [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٨]»[٥٦].

وبعد هذا التبيان المختصر عن منازل الإمام علي عليه السلام لا بد أن نشير إلى مسألة مهمة، وهي أن حديث المنزلة تكرر ذكره على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواقف كثيرة، ويوم سد الأبواب واحدة منها[٥٧] والتي ذكرها الإمام الحسن عليه السلام في معرض خطبته، فمن المواقف التي كرر النبي صلى الله عليه وآله قوله هذا فيها:

١ – يوم المؤاخاة الأولى[٥٨].

٢ – يوم المؤاخاة الثانية[٥٩].

٣ – يوم تسمية الحسن والحسين عليهما السلام[٦٠].

٤ – في حجة الوداع[٦١].

٥ – في منى[٦٢].

٦ – يوم غدير خم[٦٣].

٧ – يوم المباهلة[٦٤].

٨– في غزوة تبوك خلف رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة وحينئذٍ قال لعلي عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى[٦٥].

٩ – عند الرجوع بغنائم خيبر[٦٦].

١٠– يوم كان يمشي مع النبي صلى الله عليه وآله[٦٧].

آية الإشهاد:

إن آية الإشهاد التي استدل بها الإمام المجتبى عليه السلام تنطوي على معاني عديدة يمكن الاستدلال بها على أمور عديدة، أهمها:

أولاً: يُعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو شاهدٌ على رسالة النبي صلى الله عليه وآله وعلى أنه رسول الله، وأن الكتاب الذي يتلوه النبي صلى الله عليه وآله هو كتاب الله المنزل عليه.

وأكدت المرويات على لسان أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى بأنه هو الذي أُعطي علم هذا الكتاب، وما أنزل فيه لأنه شاهد على كل آية نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وآله. وهو الأعلم به من بعده، ولأنه عليه السلام شريك معه في تلاوة هذا الكتاب، وما جاء به النبي صلى الله عليه وآله. فعن الأصبغ بن نباتة قال: «لو كسرت لي وسادة فقعدت عليها، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يصعد إلى الله يزهر. والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت ولا ممن مر على رأسه المواسى من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟!

قال له: أما سمعت الله يقول: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[٦٨].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله على بينة من ربه وأنا شاهد له فيه واتلوه معه»[٦٩].

ثانياً: تدل آية الإشهاد على أن من لديه هذه المرتبة عند رسول الله صلى الله عليه وآله سيكون أول مصدقاً لما بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وأول مؤمناً به، ومدافعاً عن ما جاء به. وهذا ما أشار إليه الإمام الحسن عليه السلام في خطبته هذه حين قال: «فلما بعثه للنبوة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، فكان أول من آمن، وصدق الله ورسوله. . ».

ثالثاً: إن مقام الإشهاد المعطى للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومعرفته ومنزلته من الله ورسوله هي أيضاً للأئمة من بعده، فعلمهم واحد، ويعود إلى نفس المنبع، فهم أهل العلم، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة. .

وأثبت الإمام الصادق عليه السلام ذلك، وحيث فسر آية الإشهاد في قوله عليه السلام: «الذي هو على بينة من ربه ها هنا رسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد الذي يتلوه منه علي صلوات الله عليه يتلوه إماماً من بعده وحجة على من خلفه من أمته»[٧٠].

ومن أراد الاستزادة من هذه الاستدلالات على هذه الآية الكريمة فعليه أن يعود إلى أمهات الكتب العقائدية والكلامية[٧١].

إلا أن هذا لم يمنع البعض بما يحمله من بغض وكراهية لأمير المؤمنين عليه السلام لأن ينكر فضائله ودلس الحقيقة وأعطى هذه الفضائل لغيره لما تحمله أنفسهم من حقد دفين، وكره شديد. .

وهم يعرفون هذه الفضائل أكثر من أي أحد آخر ولكن المصالح الدنيوية، والمآرب الشخصية واخفاء الحقائق ظناً منهم أنهم يستطيعون بذلك أن يغيروها بمحاولات لحجب نور الشمس. .

ومن ما روي عن هذه المحاولات لإنكار هذه الفضيلة، ما جاء عن قيس بن عبادة، حيث قال: «﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: علي.

قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام.

قال سعد: أنزل الله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأنزل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الآية الثانية، عليّ، لأنه نصّبه صلى الله عليه وآله يوم الغدير، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فسكت معاوية، ولم يستطع أن يردها»[٧٢].

وإعادة الإمام الحسن عليه السلام التذكر بهذه الآية للاستدلال بها على القوم والتذكير لهم والتأكيد عليهم، وارشاد الناس إلى أصحاب الحق وحتى يكذب ادعاءات الآخرين، وينفي بها شبهات الحاقدين.

سر بها يا علي:

لقد سلسل الإمام الحسن عليه السلام من خلال سرده الحوادث المشهورة التي ميز بها النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته وخاصة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنها حادثة تبليغ سورة البراءة التي تعتبر من الحوادث المشهورة التي ثبت الله عز وجل فيها فضل أمير المؤمنين عليه السلام حيث أن البراءة من المشركين حصر الله عز وجل إبلاغها لهم بواسطة النبي صلى الله عليه وآله أو رجل من أهله. ومن يكون هذا الرجل غير أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو صنوه وأخوه ونفسه ومنزلته منه كمنزلة هارون من موسى.

فإن جبريل عليه السلام أبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله عن رب العزة: « أن يا محمد، لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»(٧٣).

وهذه الرواية لها دلالات خاصة، ومنها:

أولاً: إن تأدية البلاغ عن النبي صلى الله عليه وآله في خصوص هذه المسألة يحتاج إلى صلابة وحزم، وإصرار وقدرة على التصرف في مثل هذه الظروف، ورجل يمتلك عزة ومهابة عند أعداء الله وروسوله، ومن يملك هذه الصفات غير الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: إن وظيفة التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله بما هو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى من الأمور تتعلق بدين الله والتي ترتبط بشرعه وبكتابه سبحانه تكون من شأن الإمام المعصوم بعد النبي صلى الله عليه وآله، لارتباط وثيق فيما بين مقام الإمامة ومقام النبوة.

فالإمامة بما هي مقام إلهي فإنها كمقام النبوة تماماً، فلا يبلغ عن النبي صلى الله عليه وآله في مثل تلك الشؤون إلا خليفته ومن هو بمنزلة هارون من موسى منه. فإرساله للإمام علي عليه السلام بهذه الرسالة إلى المشركين وهم الذين خبروه في كل المواقع، ابتداءاً من الأيام الأولى للدعوة، وفي زمان الحروب، فلا بد أن يكون لهذا الشخص وقع خاص في نفوسهم ووجوده سيقصم ظهورهم، ويميتهم في حساراتهم، ويبدد لهم آمالهم، وفي هذا تأكيد منه صلى الله عليه وآله على أن ييأس هؤلاء من الحصول على أي امتياز من النبي صلى الله عليه وآله أو من الإمام علي عليه السلام عند إبلاغهم هذه القرارات الحاسمة بواسطة الإنسان الذي لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد على إمامته فإن كل ما في بالهم من

أوهام على المساومة سوف تذهب مع أدراج الرياح، وستتبدد أمنياتهم ومن ثم تزول. .

وبعد شرح هذه دلالات المنبثقة عن تلك الحادثة من لا بد أن نبين للقارئ الكريم: أن البعض حاول ذر الرماد في العيون حيث أنهم أثاروا شبهتين حول هذه الحادثة:

الشبهة الأولى: قال البعض: «أن الشيعة هم فقط من يدعون هذا، ولا دليل عليه أنه لا يبلغ عن النبي ﷺ إلا هو نفسه أو رجل من أهل بيته»(٧٤).

الشبهة الثانية: وقام البعض الآخر بتضعيف رواية التي تتكلم عن تكليف النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام بأن يؤدي عنه، وقالوا أنه: «خبر شاذ»(٧٥).

ونجيب:

بالنسبة لهذين الإشكالين فإنه لا يخرج عن مجرد نفي أو تكذيب أي خبر يتعلق بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام. فيلجأ هؤلاء إما لنفي المنقبة أو تضعيف الخبر، ولا بد من لفت نظر هؤلاء إلى بعض الأمور فيما يتعلق بخبر تبليغ سورة البراءة، وهي:

أولاً: لو كان الخبر من ناحية السند ضعيفاً أو شاذاً كما ادعى البعض لما رأيت مصادر المسلمين زاخرة بذكر هذا الخبر ولما تم تناقله فيما بينهم. ولو أن الشيعة هم فقط من يدعون أن الإمام علي عليه السلام هو الذي يؤدي فقط عن النبي ﷺ لما كنا وجدنا مصادر المسلمين قاطبة قد ذكرت هذا الخبر وعلى أقل تقدير فإن العشرات من المصادر نقلت هذا الخبر وتداولته. .

ثانياً: إن رسول الله ﷺ لا يقوم بأي عمل عشوائياً – والعياذ بالله – فهو موحى له من السماء، ومرتبط مباشرة بالله عز وجل ولا يمكن لعمله أن يكون عبثياً، ومن ادعى أن الشيعة هم الذين تفردوا بهذا، فليراجع كتب عقائد المسلمين كافة والتي تشهد بأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى.

وقد اكتفينا في معرض الرد على هذا الكلام بهاتين النقطتين وإلا احتجنا لمطولات للرد على مثل هذا الكلام، والرد الذي قدمناه بما يسمح به المقام. .

أنت فمني، وأنا منك:

قبل الشروع في الحديث عن دلالات هذه المقولة يجب العروج على أسباب ربط النبي صلى الله عليه وآله وتصريحه بفضائل أهل البيت وخاصة الإمام علي عليه السلام وحادثة القضاء في قضية إبنة حمزة، وما هو الدافع من وراء تصريح النبي صلى الله عليه وآله بهذه الفضيلة للإمام علي بخصوص هذه القضية. .

وحيث أن النبي صلى الله عليه وآله لم يترك فرصة أو حادثة ما إلا واستغلها لكي يظهر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأن اختيار مثل تلك الحوادث له من الآثار والأوجه العديدة التي تثبت حقه وفضله في هذه الأمة، ومن تلك الأوجه:

أ: إن مثل تلك الحوادث بما لها وما فيها، فإنها تترسخ في ذهن الناس، فيصبح هناك ترابط فيما بين هذه الحادثة بما لها من وقع وتأثير، ومن الطبيعي كلما ذكرت هذه الحادثة أن تذكر الفضيلة معها، وتعود إلى الأذهان ويتباحث القوم فيها لارتباطها الوثيق فيما بينها وبين الحادثة.

ب: إن فعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله وتقريره هو مصدر من مصادر التشريع، ولا يمكن لأي أحد أن يعترض عليه، وذلك لأنه صلى الله عليه وآله هو على ارتباط بالوحي الإلهي.

ومن هنا، فإن كل من يمدحه أو يزكيه النبي صلى الله عليه وآله ويعطيه من الفضائل لكونه أمر من عند الله سبحانه وتعالى، وبوحي منه عز وجل لإظهار حقيقة ذاك الشخص المختص بتلك الفضائل.

ج: إن استخدم النبي صلى الله عليه وآله لهذه الطريقة وربط الأمور والوقائع والحوادث لكي يذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومنها فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ما يسمى بـ «محاكة العقل الجماعي للأمة».

فإن ذلك لا يتعلق فقط بحادثة معينة بزمان أو مكان ما حصلت فيهما فقط بل هي تمتد وتصلح كدليل يستدل به، وحجة يحتج بها.

وهذا ما قام به الإمام الحسن عليه السلام فعلياً من خلال استدلاله بهذه الحادثة التي لها علاقة بالقضاء فيما بين متخاصمين في مسألة هي محض مسألة فقهية شرعية لكي يظهر فضيلة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. ولولا أن هذه الحادثة لم تكن عالقة في ذهن هذا «العقل الجماعي للأمة»، والذي استطاع النبي صلى الله عليه وآله أن يرسخها في وجدان الأمة ما كان للإمام الحسن عليه السلام أن يستعملها كدليل ويحتج بها عليهم، بما لها من ارتباط وثيق بالعقل الجماعي الذي تحدثنا عنه. .

وبالعودة لحادثة قضاء النبي ﷺ فيما بين أمير المؤمنين عليه السلام وجعفر بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن حارثة فقد ذكرت في المصادر على هذا النحو: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِئِ بْنِ هَانِئٍ، وَهُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ اتَّبَعَتْنَا ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمِّ، يَا عَمِّ.

قَالَ: فَتَنَاوَلْتُهَا بِيَدِهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَى فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ اخْتَصَمْنَا فِيهَا أَنَا وَجَعْفَرٌ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا عِنْدِي - يَعْنِي أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ.

وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

وَقُلْتُ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ، فَأَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ، فَمِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ، فَأَخُونَا وَمَوْلَانَا، وَالْجَارِيَةُ عِنْدَ خَالَتِهَا، فَإِنَّ الْخَالَةَ وَالِدَةٌ»[٧٦].

وبعد مطالعة آراء الذين علقوا على تلك الرواية انقسم الرأي بينهم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قالوا أن هناك مشكلة في سندها ولا يمكن الاستدلال بها لضعف السند[٧٧].

القسم الثاني: اعتبر هؤلاء بأنه لا يصح الاستناد بها في شيء والسبب في ذلك أنه ليس من الممكن أن يكون النبي ﷺ قد قال ذلك للإمام علي عليه السلام، وقالوا أنه لا يمكن الاستدلال بها على أنها من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وحده[٧٨].

القسم الثالث: وذهب هؤلاء إلى أن هذه الرواية تصلح فقط لتبيان مسألة فقهية أو كيفية القضاء في مثل هذه الحالات، أو اظهار حكم من له الحق برعاية البنت بعد فقدان أبيها[٧٩].

ونجيب:

أولاً: بالنسبة للقسم الأول: الذي طعن في الرواية من جهة السند فإننا نحيلهم إلى المصادر التي وضعنها في الهامش والتي نقلنا هذه الرواية منها، لكي يتمعنوا بها وما قاله أصحاب تلك المصادر عن هذه الرواية وعن مدى صحتها. إلا أننا وزيادة في التأكيد ننقل للقارئ الكريم بعض ما قيل عن سند الرواية:

١ – قال الشيخ شرف الدين: «رواه الترمذي في المناقب مختصراً على الموافقة عن البخاري: حديث صحيح [إلى أن قال] فوقع لنا من الحديث والمتفق عليه موافقة عالية للترمذي عن شيخه البخاري كأني سمعته من أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكراجي»[٨٠].

٢ – وجاء في هامش مسند أحمد:

«إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هانئ بن هانئ وهبيرة بن يَريم فقد روى لهما أصحاب السنن، وحديثهما حسن لمتابعة أحدهما للآخر.

وأخرجه أبو يعلي (٥٢٦) و (٥٥٤) عن عبد الرحمن بن صالح، عن يحيى بن آدم، بهذا الإسناد. وهو عنده مختصر، بذكر فضيلة زيد بن حارثة فقط.

وأخرجه الحاكم ج٣ ص١٢٠ من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، بطوله. وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن سعد ج٤ ص٣٦، وابن أبي شيبة ج١٢ ص١٠٥، والبزار رقم الحديث (٧٤٤)، وابن حبان رقم الحديث(٧٠٤٦) من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، به. مختصراً، ذكر ابن سعد وابن أبي شيبة وابن حبان فضيلة جعفر وَحْدهُ، وذكر البزار فضائل الثلاثة، وروايته عن هانئ بن هانئ وحده.

وأخرجه أبو داود رقم الحديث (٢٢٨٠) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، به. دون ذكر فضائل الثلاثة.

وأخرجه أبو يعلي رقم الحديث (٤٠٥)، والبيهقي ج٦ ص٨ من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، به. أورده البيهقي بطوله، أما أبو يعلى فأورده مختصراً بلفظ: «الخالة بمنزلة الأم» ولم يذكر في سنده هبيرة بن يريم.

وأخرجه بنحوه الحاكم ج٣ ص٢١١ وصححه على شرط مسلم، وعنه البيهقي ج٦ ص٨ من طريق الفضل بن محمد الشعراني، عن إبراهيم بن حمزة، عن عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن نافع بن عجير، عن أبيه نافع، عن علي بن أبي طالب. . . فذكره.

قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي عن إبراهيم بن حمزة، وكذلك رواه عبد العزيز بن عبد الله عن عبد العزيز بن محمد (قلنا: وهو في «التاريخ الكبير» للبخاري ج١ ص٢٤٩-٢٥٠). قلنا: وهذا الإسناد رجاله ثقات، ومحمد بن نافع بن عجير وثقه ابن إسحاق - فيما ذكره البخاري - وأورده ابن حبان في «الثقات» ج٧ ص٤٣١.

ثم قال البيهقي: وهو في كتاب «سنن أبي داود» برقم (٢٢٧٨) عن العباس بن عبد العظيم، عن عبد الملك بن عمرو، عن عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن نافع بن عجير، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه. والله أعلم، والذي عندنا أن الأول أصح. وتابعه على رأيه هذا الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» ج٧ ص٤٣٢ - ٤٣٣.

وفي الباب عن البراء بن عازب عند ابن أبي شيبة ج١٢ ص١٠٥، والبخاري برقم (٢٦٩٩)، والترمذي برقم (٣٧٦٥)، وعن ابن عباس»[٨١].

وبعد أن عرضنا آراء علماء الحديث والرواية من المصادر التي نقلت الرواية، نقول:

أ – يكفينا لرد شبهة الذين قالوا بضعف سندها ما تم عرضه من أدلة وأقوال تتحدث عن صحة السند ومقبوليتها عند علماء الرواية والدارية..

ب – إن ما يحاوله هؤلاء من خلال تضعيف أو تكذيب مثل تلك الأحاديث التي تتحدث عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كمن يحاول بكفيه أن يحجب نور الشمس في رائعة النهار..

ج – يجد الباحث المنصف أن تضعيف هؤلاء لأي حديث أو رواية لمجرد أنها تذكر فضيلة لأهل البيت عليهم السلام ليس من منطلق علمي، أو استناداً لأي دليل بل هو مجرد عمل ينم عن أنهم يتبعون أهواءهم، ويريدون فقط فرض آراءهم وإن كان باطلة..

ثانياً: في هذا المحور سوف نجيب على أصحاب الرأي الثاني الذين انقسموا على أنفسهم في معرض ردهم على هذه الرواية. **فمنهم من قال**: أن النبي صلى الله عليه وآله لا يعني ما قاله عن علي عليه السلام بأنه هو منه، فأقصى ما قد يعنيه النبي صلى الله عليه وآله من قوله هذا: أن الإمام علي عليه السلام هو صهره ونسيبه وأب لأحفاده فقط لاغير.

ومنهم من قال: لا يمكن أن تكون هذه الرواية منحصرة بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله قال لجعفر بن أبي طالب عليهما السلام: «فَأَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي». وأنه صلى الله عليه وآله ليس بصدد اظهار أي من فضائل علي عليه السلام أو غيره، إنما قال هذا الكلام فقط لكي يرضي المتخاصمين في مسألة رعاية بنت حمزة عليها السلام.

ومن هنا، فإننا نجيب على الطرفين معاً بالتالي:

١ – كان يمكن أن يصح قول الذين قالوا أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقصد أن يسلط الضوء على قرابة الإمام عليه السلام منه من ناحية النسب بأنه ابن عمه وصهره وأبو أحفاده لو انحصر تصريح النبي صلى الله عليه وآله فقط في هذه الحادثة على المقولة التالية: «أما أنت يا علي فمني وأنا منك» ولكن النبي صلى الله عليه وآله أعاد هذه المقولة في عدة مناسبات ولم تكن منحصرة في هذه الحادثة فقط، ولكان من الممكن أن نقبل بصوابية رأيهم. .

وكذلك الحال بالنسبة للذين قالوا بأن هذه الرواية لا تصلح لتكون استدلالاً على فضل علي عليه السلام، فإن الجواب عليهم هو نفسه، فلو أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكرر هذه المقولة لأمير المؤمنين عليه السلام أكثر من مرة وفي العديد من الأماكن ولعدة مرات لكان مقبولاً هذا الادعاء.

فهل كانت مقولة النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام مجرد كلمة عابرة؟؟

أو كانت جائزة ترضية حتى يسكت الإمام علي عليه السلام ويرضيه؟!

ولكنه صلى الله عليه وآله لم يترك مناسبة تمكن له أن يذكر فيها منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام إلا واستغلها وعبر عنها إما تصريحاً أو تلميحاً، ومن هذه الأحاديث التي جاء فيها نفس العبارة المستخدمة في حادثة أبنة حمزة، ونذكر منها على سبيل المثال لا حصر:

أ: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لعلي عليه السلام: «لولا أن يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالةً لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا تراب نعليك، وفضل وضوئك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك»[٨٢].

ب: وروي عنه ﷺ في قوله لعلي عليه السلام: «أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني»(٨٣).

ونقول:

لا بد من سؤال هؤلاء وأولئك: هل أن النبي ﷺ هنا أيضاً حين استخدم التعبير ذاته كان قاصداً اظهار نسبيته وقرابته من الإمام علي عليه السلام، أو أن كلامه ﷺ هنا أيضاً للمواساة فقط؟!

أم كان قاصداً ومتعمداً إظهار وتبيان فضائل ومناقب الإمام علي عليه السلام، ونقول لهم عليكم وبالتدبر ومراعاة الدليل. .

وكما هو ظاهر من لسان حال الروايات التي قدمنها أن مقولة النبي ﷺ لا يمكن حصرها فقط في إظهار النسبية والقرابة، وهي من المؤكد وبما لا يحتمل النقاش أنها من الفضائل والمناقب، بل أنها تتعدى إلى مشاركة الإمام علي عليه السلام للنبي ﷺ في المعرفة والعلم. وكما أن النبي ﷺ نشر الدعوة وأظهر دين الله الذي هو من صميم رسالته، فإن الإمام علي عليه السلام قد ساهم في إبقاء الإسلام، ودافع عن الحق في كل المواقف وزلل كل الصعوبات في جميع الميادين. .

وبعد الذي تم تقديمه أصبح واضحاً للجميع بما لا يحتمل الشك أو الظن أو التخمين أن أصحاب الرأي الثاني بفرعيهم والذين نفي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ولكن منهم على طريقته قد فشلوا في ذلك لأن المتدبر للأمور ولن تمر عليه مثل تلك الخدع والأقوال الباطلة.

ثالثاً: أما القسم الثالث والذين ادعوا أن هذه الرواية لا تصلح إلا لتبيان مسألة فقهية أو قضائية أو حكم شرعي أو كيفية التقاضي، فإننا **نقول**:

١ – لا يمنع من أن النبي ﷺ كان قد قضى بين جعفر وزيد والإمام علي عليه السلام وأتى بحكم شرعي، وأظهر مسألة فقهية. أو أنه ﷺ قد أوضح كيف يجب أن يكون القاضي عند تحاكم المتخاصمين عنده، وذلك حين أجاب الثلاثة بطريقة دمثة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أخلاقيات النبوة الذي قال ﷺ عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٨٤).

ومع هذا فلا مانع أن يستغل النبي صلى الله عليه وآله مثل هذه الحادثة لكي يظهر فضائل الإمام علي عليه السلام، بل يكون هذا عامل مساعد في ترسيخ هذه الفضيلة في أذهان الأمة، كما أسلفنا سابقاً في بداية هذا المبحث حين تحدثنا عن استدلال الإمام الحسن عليه السلام بهذه الرواية في خطبته وهو في معرض استدلاله على فضائل أبيه.

٢ – ويظهر لنا وللمرة الثالثة كيف أن أصحاب الأهواء والنفوس المريضة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأقلامهم، والله متمم نوره. فإن أقصى ما يريده هؤلاء أيضاً هو التعمية على فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ولكن بطرق مختلفة، ومع هذا فإن الدليل القوي واستدلال المستند إلى العقل والبصيرة السليمة لا بد وأن يفضح زيف أصحاب هذه الأقاويل الضعيفة والسرائر المريضة.

السابقون السابقون:

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه أيضاً في قوله: ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ﴾[٨٥]. قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعليّ بن أبي طالب سبق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[٨٦].

وقد جاء في كتب السير والأحاديث أن أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من النساء خديجة، ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعمره يومئذ عشر سنين»[٨٧].

ولكن هذا لا يمنع الحقيقة التالية وهي: كون الإمام علي عليه السلام قد ولد مؤمناً، وقد شهد الشهادتين من حين ولادته المباركة، كما صرحت بذلك العديد من الروايات. هذا بالإضافة إلى دلائل وشواهد أخرى دلت على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مؤمناً برسالة النبي صلى الله عليه وآله منذ نعومة أظافره، وهذا ما يدل عليه ما جاء عنه عليه السلام بأنه «صلى قبل الناس بسبع سنين، وأنه عبد الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة»[٨٨].

واستدلال الإمام الحسن عليه السلام الهدف منه هو توجيه الأنظار نحو مسائل مهمة من حين تحدث عن مسألة السبق إلى الإيمان، ومن هذه النقاط التالي:

١- إن السبق إلى الإيمان والتصديق بالرسالة، ودعم مهمة النبي ﷺ ليس كمن آمن به لاحقاً.

٢- لا يمكن لأي فعل أو عمل حتى ولو كان عمارة المسجد الحرام، ورعايته وسقاية الحجيج بأن يكون ثوابه عند الله مثل ثواب الإيمان بالله ورسوله والسبق إلى التصديق بهذه الرسالة الإلهية، ولن ينفع فعل السقاية وعمارة المسجد الذين لا يعتقدون باليوم الآخر، أو أن يشبهوا أنفسهم بالذي جاهد في سبيل اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ولذلك فإن الإمام الحسن عليه السلام استشهد بهذه الآية في كلامه على مسألة السبق إلى الإيمان، حيث قال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٨٩].

حادثة وحديث الغدير:

إن حادثة وحديث الغدير وما حصل فيها لهو من الأمور الثابتة عند جميع المسلمين وقد وصل حد التواتر حيث أنه لا يمكن إنكار حدوثها أو نفي ما تم فيها للإمام علي عليه السلام.

وقد جمع العلماء ما روي عن هذه الحادثة في طائفة كبيرة من المصادر ومنهم العلامة الأميني في كتابه «الغدير» وقد نقل العلامة الأميني: «رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ج٢ ص٣٠ عن الأمير محمد اليمني (أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر): إن له مائة وخمسين طريقاً»[٩٠].

وقد أنهاها أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً[٩١].

إلا أن خطبة الغدير طويلة جداً وأشار الإمام الحسن عليه السلام على ثلاثة أمور منها:

الأول: حين قال عليه السلام: «حين أخذ بيد أبي (بغدير) خم».

الثاني: حين قال عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

الثالث: وهو قوله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله: «أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب».

ونقول:

أولاً: بالنسبة للمسألة الأولى، فإن أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد الإمام علي عليه السلام يدل على الأمور التالية:

١ – إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد مازج بين حركة الواقع، وبين رمزية الفعل الدال عليه، وهذا ما يجعل الناس تعيش شعور التمثيلي المرتبط بين الواقع وما بين الرمز بصورة واقعية، تم ملاحظتها بالعين المجردة.

٢ – من أجل ذلك نلاحظ: أن النبي صلى الله عليه وآله قام برفع يد الإمام علي عليه السلام، وهذا ما يجعل له مقام الرياسة والسيادة بإعلان إمامته من بعد رفعه ليده عليه السلام، وذلك لتتوافق الحركة العملية الواقعية مع المضمون الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو القاضي بتنصيبه عليه السلام من قبل الله عز وجل..

ما يدل على أنه صلى الله عليه وآله كأنما يريد للناس أن يربطوا هم بأنفسهم بين هذه الحركة الرمزية – وهي رفع يد الإمام علي عليه السلام – وبين جعل الحاكمية له، لتصبح هذه الحركة وكأنها إنشاء عملي منه صلى الله عليه وآله، ورفع اليد يعني التنصيب وجعله المفضل على الآخرين أو الرابح دون غيره بهذا المقام.

٣ – ثم يتجاوز النبي صلى الله عليه وآله من الفعل التعبيري وهو رفع يد الإمام علي عليه السلام إلى التصريح القولي، بأن يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..» ولكي نتحدث عن الدلالات المتعلقة بهذا القول ننتقل لبحثه في المحور التالي.

ثانياً: الأمر الثاني الذي استند إليه الإمام الحسن عليه السلام في اظهار الحجج الدامغة حين تمثل قول النبي صلى الله عليه وآله معلناً ولاية أبيه من بعده بقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..».

ولا بد لنا أن نبين معنى الولاية في حديث الغدير:

حيث قال السيد مرتضى «قدس سره»: «أولى بمعنى مولى، كما قاله أئمة اللغة في تفسير الآية»(٩٢).

وقوله هذا «رحمه الله» في مقابل من أدعى أن كلمة «مولى» بمعنى المحب والناصر، أو السيد، أو المتولي للأمر، أو أنها بمعنى المالك أو المعتق وأنها ليست بمعنى الولاية. ومع ملاحظة هذه المعاني التي ذكرت، نقول:

أ: إن كان المراد به: هو وجوب حب علي عليه السلام من قبل المؤمنين، أو أنه صلى الله عليه وآله ينشأ وجوب حبه عليهم، فإن ذلك محصل وحاصل بالفعل، وذلك أن على جميع المؤمنين أن يحبوا بعضهم بعضاً، وما معنى أن يجمع النبي صلى الله عليه وآله لتلك الأعداد الهائلة التي قدرت بالألوف في غدير خم؟!

ليقول لهم: يجب أن تحبوا أخاكم علياً.

ولماذا جعله الله عز وجل بالتوازي مع تبليغ الرسالة حيث قال عز وجل: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٩٣).

ولماذا جعل من وراء هذا التبليغ اكمال الدين واتمام النعمة به؟!

ومن ثم يهنئه كل من حضر على هذا الأمر، وعلى رأسهم أبي بكر وعمر، ويصرحان بقولهما: «بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»(٩٤). وكأنه لم يكن كذلك قبل هذا الوقت بالنسبة لهما؟!

ألم يكن الله سبحانه قد جعل حب المؤمنين بعضهم لبعض واجباً؟!

وجعلهم بمثابة الأخوة؟! وقد صرح النبي صلى الله عليه وآله في كثير من الأحاديث التي تفيد هذا المعنى!!

ب: ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم: أن النصرة والمحبة تشمل جميع المؤمنين وليس هذا الأمر خاص بالإمام علي عليه السلام لوحده. .

وإن كان القصد هو إيجاد نصرة أخص وأقوى من النصرة التي تشمل عموم المؤمنين لكي يخصص بها الإمام علي عليه السلام فهذا هو عين المطلوب منهم، لأن هذا المعنى هو من مختصات الإمامة. وإن خصوصية هذه النصرة لمولوية رسول الله صلى الله عليه وآله على المؤمنين قد نقلها إلى الإمام علي عليه السلام حين قرن مولويته صلى الله عليه وآله بمولوية الإمام علي عليه السلام.

ج: وإن عكسنا الأمور، وقلنا بأنه من الواجب على الإمام علي عليه السلام أن يحب المؤمنين وينصرهم، فإن هذا لا يحتاج إلى كل تلك الجموع الغفيرة والألوف من الناس التي جمعها النبي صلى الله عليه وآله في يوم الغدير، ولا حتى لتتنزل هذه الآيات، وما رافق هذا الحدث من أمور، ويكون من الكافي فقط أن يبلغ الإمام علي عليه السلام أنه من الواجب عليه حب المؤمنين. على أن هذه الفرضية هي خلاف المنطق، ويجعلنا نسأل عن سبب تخصيص الإمام علي عليه السلام دون غيره لكي يحب المؤمنين؟!

د: إذا تأملنا بقول النبي صلى الله عليه وآله: «ألست أولى بكم من أنفسكم». فذاك يفيد أن هذه الولاية الواجبة من نصرة ومحبة للنبي صلى الله عليه وآله مصدرها هذه الأولوية منهم له. . ثم أنه صلى الله عليه وآله جعل نصرة ومحبة علي عليه السلام كوجوب محبته ونصرته. فلذلك أتبع هذه العبارة بقوله: «فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه. . ».

هـ: وأما قولهم بأن المراد من كلمة «المولى» هو المالك والمعتق، فإن ظاهر الحال ينفي هذا الادعاء إذ لم يكن هناك من ملكية حقيقية، ولا عتق ولا انعتاق. .

و: أما عن قولهم بأن كلمة «المولى» تعني «السيد»، فهو قريب جداً من المعنى الأول وذلك: «لأن السيد هو المتقدم على غيره. وهذا التقدم ليس بالقهر والظلم، لأن النبي صلى الله عليه وآله قرن سيادة علي عليه السلام بسيادة نفسه، فلا بد أن يكون التقدم بالإستحقاق، من خلال ما يملك من مزايا ترجحه عليهم، وبديهي: أن أية مزية شخصية لا توجب تقدماً، ولا تجعل له حقاً عليهم، يجعله أولى بهم من أنفسهم، إلا إذا كانت هذه المزية قد أوجبت أن يجعل من بيده منح الحق ومنعه لصاحب هذه المزية مقام الأولوية بهذا المستوى الذي هو من شؤون النبوة والإمامة. وليس لأحد الحق في منح هذا المقام إلا لله تبارك وتعالى»[٩٥].

ز: وبالنسبة لقولهم أن «المولى» تعني «المتصرف» أو «المتولي للأمر»، فهناك ارتباطاً وثيقاً فيما شرحناه سابقاً أعلاه وبين هذه المقولة، وهو أنه يثبت له بجعل من الذي له الحق في الجعل بالتصرف بالأمور والتولي لها، وهو الله عز وجل بطبيعة الحال.

ثالثاً: حين ركز الإمام الحسن عليه السلام في خطبته هذه على أمر النبي صلى الله عليه وآله حين قال: «أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب»، فيلزم منه أمور عدة:

١ - حين يأمر النبي صلى الله عليه وآله من حضر بأن يعلم الشاهد منهم الغائب بما سمعوا ورأوا منه، فذلك يشير إلى أن هذا الأمر سيواجه من بعض المشككين بالإنكار، وستثار الشكوك والشبهات حوله، حتى إنه سيحتاج هؤلاء الشهود من الناس الذين حضروا لكي يقولوا ما حصل من جديد يوم غدير خم.

٢ - لأنه ليس أمراً عادياً، بل للناس مسؤولية كبرى تجاهه.

٣ - لأنه أمر اعتقادي، تدبيري، يرتبط بمصير الأمة بأسرها، فمن الواجب الاهتمام، والالتزام به فكراً، واعتقاداً، وعملاً، وأن يمنعوا الآخرين من تزويره وتدليسه والعبث به، أو أن يتخطوه إلى غيره.

وخلاصة القول، لا يمكن للمشككين أن يخفوا ما أوضحه الله ورسوله، وبينه الأئمة الأطهار لوضوح الحق دون أي شائبة، وقد احتج الإمام المجتبى عليه السلام بهذه الحادثة المتواترة التي لم تخفَ على أحد، حيث أن الإمام الحسن عليه السلام قال في خطبته هذه: «وقد رأوه وسمعوه حين. . » وهذا يدل على أنهم شاهدوا وسمعوا وقد طرق كلام النبي صلى الله عليه وآله أبواب مسامعهم، وهز أستار نفوسهم، ومع هذا كله ضيعوا حق أهل البيت عليهم السلام. .

لم تجدوا غيري وغير أخي:

ثم انتقل الإمام الحسن عليه السلام ليقول: «أيها الناس إنكم لو التمستم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً جده نبي، وأبوه وصيه لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتقوا الله ولا تضلوا».

ونقول:

أولاً: إن الإمام الحسن عليه السلام يوضح ويبين للناس مكانته وأخاه الإمام الحسين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هذا الدين الذي ارتضاه الله عز وجل بعد اتمام النعمة وكمال الدين بالوصاية والولاية للإمام علي عليه السلام وولايتهم من بعده. ويمكن أن نلاحظ مسألة حين قال عليه السلام: «جده نبي، وأبوه وصي»، ولم يذكر أبوه الإمام علي عليه السلام بأنه مثلاً زوج ابنة النبي صلى الله عليه وآله، أو ابن عم النبي. بل قال عليه السلام وبشكل واضح عبارة «وأبوه وصيه» مركزاً على مقام الوصاية والولاية كي لا يلتبس على الناس مقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانياً: وإسباغاً للحجة تحدى السامعين له في هذه الخطبة قائلاً لهم: «لو التمستم ما بين جابلقا وجابرسا رجلاً. . ».

وهذا يحثهم على الأمور التالية:

أ – البحث والتدقيق في نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ب – عدم وجود من هو مثله ومثل أخيه في هذه المكانة.

ج – استخدم الإمام الحسن عليه السلام أسماء مناطق وهي «جابلقا وجابرسا» وقد جاء في التعريف عن هاتين المنطقتين ما يلي:

نقل السرخسي: «وعن أبي يوسف «رحمه الله تعالى» فيه روايتان في إحدى الروايتين قال: من جابلقا إلى جابلتا، وهما قريتان أحداهما بالمشرق والآخرى بالمغرب. . »[٩٦].

وعن المسعودي نقل عن الحديث التالي: «إن الله عز وجل خلق مدينتين واحدة في المشرق واسمها جابلقا، وأخرى في المغرب واسمها جابرضا. . »[٩٧].

ونفهم أن استخدام الإمام الحسن عليه السلام لأسماء هاتين المدينتين قاصداً لو أنهم سعوا في الأرض من مشرقها إلى مغربها فلن يجدوا رجلاً بهذه المواصفات التي يحملها واختصه بها الله عز وجل غيره وأخاه الإمام الحسين عليهما السلام.

ثالثاً: أما عن قوله عليه السلام: «لم تجدوا غيري وغير أخي». وهذا على نحو الجزم والقطع أنهم لم ولن يجدوا غيرهما، وبذلك أيضاً يكون الإمام الحسن عليه السلام يعمل على إيضاح مسألة مهمة، وهي أن ما له هو من خصائص فإنها لأخيه الحسين عليه السلام، وأن الناس لن يلتمسوا من هم بنفس قدرهما ومكانتهما من دين الله ونبيه صلى الله عليه وآله. .

وقد استخدم الإمام الحسين عليه السلام نفس هذه العبارة حين ظهر له حقد مروان بن الحكم حيث نقلوا عن محمد بن السايب أنه قال: «قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليهما السلام:

لولا فخركم بفاطمة، بم كنتم تفتخرون علينا؟!

فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان عليه السلام شديد القبضة ـ فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه، ثم تركه.

وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال:

أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت: أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن أخي؟! أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟!

قالوا: اللهم لا.

قال: وإني لا أعلم أن في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه، طريدي رسول الله.

والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بباب المشرق، والآخر بباب المغرب رجلان ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله، ولأهل بيته منك، ومن أبيك إذ كان.

وعلامة قولي فيك أنك: إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك.

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب، فانتفض، وسقط رداؤه عن عاتقه»[٩٨].

وكرر الإمام الحسين استخدام نفس المعنى في معرض محاججته جيش ابن سعد، كما استدل الإمام الحسن عليه السلام في خطبته هنا على القوم، فقام الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء باستخدام نفس هذه الطريقة، فقال لهم: «فَإِن كُنتُم في شَكٍّ مِن هذَا القَولِ أَفَتَشُكّونَ أَنِّي ابنُ بِنتِ نَبِيِّكُم!

فَوَالله، ما بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ ابنُ بِنتِ نَبِيٍّ غَيري مِنكُم ولا مِن غَيرِكُم، أَنَا ابنُ بِنتِ نَبِيِّكُم خاصَّةً»(٩٩).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأمة ضيعت حقوق أهل بيت نبيها، وجارت عليهم ظلماً وتقتيلاً، إما بالسيف أو بالسم، ولذلك قال لهم الإمام الحسن عليه السلام: «فاتقوا الله ولا تضلوا». لأن من يضل عن هدي الله سبحانه وتعالى، فإن سعيه سيخيب وجهده سيكون هباء منثوراً.

لو تمسكت الأمة بالثقلين:

بعد عرض الإمام الحسن عليه السلام لكل تلك الفضائل والخصائص والمناقب التي هي لأهل البيت عليهم السلام والتي هي لا تعد ولا تحصى، وكما عبر عليه السلام حين قال: «لم أحصه. . ».

وأكمل قائلاً لهم: «وأنا ابن البشير النذير، وانا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين. . »، وهذا إصرار منه عليه السلام على تركيز قضية بنوته للنبي صلى الله عليه وآله، وأنه أبنه وسبطه في ضمير الأمة ووجدانها، بشكل لا يبقى معه أي مجال للشبهة، أو الشك والترديد.

إلى أن أقسم بالله لو أن الأمة تمسكت بالثقلين وهما الكتاب والعترة لظهرت عليهم آثار هذا التمسك، وقد بين عليه السلام بعض هذه الآثار التي كانت ستظهر لهم بالمشاهدة والمعاينة لو أن الأمة فعلت ما أمرها به رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإضافة إلى الأمور الأساسية التي تنبثق عن هذا التمسك بالقرآن والعترة لحفظ الأمة من الضلال، ولا بد أن يكون الاقتران فيما بين العترة والقرآن متناسب مع شموليته، ومع ما يتضمنه من حقائق، وبعد هذا كله فإنك تجدهم قد انحرفوا عن التمسك بالثقلين.

وحين تأخذ الأمة بحديث الثقلين فإنها ستجد التناسب فيما بين العترة والقرآن في مجال العلم، والعمل، والتربية. ويترتب على هذه الأمة أن تلزم الطاعة والنصر لهما. وإن حديث الثقلين يختزن في طياته معنى الإمامة بكل أبعادها وشؤونها. .

أما عن الآثار الملموسة الصادرة عن التمسك بكتاب الله وعترة رسول الله ﷺ كما عددها الإمام المجتبى عليه السلام، فهي:

١ – تعطي السماء قطرها أي أنها تنزل مطرها.

٢ – تعطي الأرض خيرها أي تخرج منها ما فيها من بركات متمثلة بالنبات، والثمار، والكنوز. . الخ

٣ – ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم أي أن النعم التي ستأتيهم من الأرض ستأتيهم خضراء دون تعب أو مشقة في الحصول عليها، كما كان يخرج المن والسلوى لبني اسرائيل إلى أن استبدلوا ما هو أدنى بالذي هو خير.

٤ – لو أن هذا التمسك قد بدأ بعد النبي ﷺ بالتمسك بعترته من بعده لاستمرت الخيرات بين الناس إلى يوم القيامة. .

ولذلك استشهد الإمام الحسن عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٠٠].

والتي تتكلم عن أهل الكتاب وكيف أنهم لم يقيموا الكتاب حق قيامه وخالفوا وصايا أنبياءهم ورسل الله.

وإن الأمة الإسلامية قامت بالتخلف عن وصية نبيها بأهل بيته ولم يقيموا الكتاب بحق، لذلك عبر النبي ﷺ عن هذا بقوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه»[١٠١].

فهذه السنن الإلهية ستبقى سارية المفعول، وما ذلك إلا لأن هناك أموراً ثابتة لا تتغير في حياة البشر، وفي أحوالهم وطباعهم، وفي حقائق الأشياء من حولهم. ومهما طال الزمن وتقلبت الأحوال، فكما أن الأمم السابقة لم تتمسك بما أمروا به وتبعتهم الأمة الإسلامية على ذلك فستجري عليهم نفس تلك السنن لأنهم خالفوا ما عاهدوا الله عليه، فإن الخيرات ستحجم عنهم، والبركات ستمنع أيضاً. .

النكوص والطغيان والجحود:

في ختام خطبته عليه السلام يحاول قدر الإمكان وعظ الناس وارشادهم بأن لا يكونوا كالأمم السابقة، وأن يعودوا إلى رشدهم، ويرجعوا عن غيهم. فهو ذكرهم بأنه من أهل بيت قد أولاهم الله ولاية شؤون الناس وقضاياهم، ولكنه يعلم كما قال عليه السلام لهم: «هيهات منكم الرجعة إلى الحق».

وسبب هذا الحكم الصادر عن الإمام الحسن عليه السلام لأنه أحس منهم ثلاثة أمور، وهي:

١ – صارعهم النكوص وهو التراجع والارتداد ويعني أن أنفسهم قد صُرعت و غُلبت بالارتداد عن الحق واتباعه.

٢ – خامرهم الطغيان أي أن عقولهم راودتهم بتجاوز حدود الله وعدم الاستماع لأوامره.

٣ – والجحود هو نبذ المعروف، وما أكبر جحود هذه الأمة حين اختارت عدم الانصياع لما أوصاهم به النبي صلى الله عليه وآله في عترته من بعده.

وأنتم لها كارهون:

وأنهى الإمام الحسن عليه السلام خطبته بقوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[١٠٢].

وهذا يعني أن الناس كارهون للبينة التي حكى عنها القرآن مع قوم هود الذين لم يقبلوا منه بينته واتهموه بالجنون، وقد كرهوا الحق والبينة الآتية من الله فأبدوا كرههم لها ولم يلتزموا بها ولم يستطع نبي الله هود أن يلزم قومه بها. وحين تمثل الإمام الحسن عليه السلام بهذه الآية فإنه قصد أن الناس قد تركوا البينات والدلائل والفضائل ومنها تلك التي عرضها لهم في خطبته، مع أن واجبهم أن يتمسكوا بها وأن لا ينكروها، بل وصلت بهم الجرأة لأن يكرهوها كما عبرت الآية الكريمة، ولذلك أنهى الإمام الحسن عليه السلام خطبته بكلمة ختامية حين قال: «السلام على من اتبع الهدى» أي أنه يسلم على كل من أخذ بكلامه، واتبع هداه المنبثق من الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وآله..

الخاتمة:

إن هذه الخطبة تعتبر من الخطب البلاغية من حيث الشكل، وخطبة احتجاجية من حيث المضمون لكثرة ما جاء فيها من أدلة وبراهين، فقد ثبتت التالي:

أولاً: من حيث الشكل:

١- قام الإمام الحسن عليه السلام بعرض المحور الأساسي الذي سوف يعالجه في خطبته، وما يسمى بصدر الخطبة، فقد قدم مقدمة ستتمحور حولها الخطبة، ألا وهم أهل البيت.

٢ – قام بإجمال تلك الفضائل في تلك المقدمة لكي يفصلها في صلب الخطبة، وهذا ما يسمى من الناحية البلاغية باللف والنشر.

٣ – استخدم الإمام الحسن عليه السلام الطريقة السردية في خطبته حيث أنه قام بسرد الحجج بطريقة متسلسلة ومترابطة مع بعضها البعض، ما يسمى بالحبكة المتواصلة، بحيث أنه ربط بين الدليل والآخر، بحيث أسس على الدليل الأول ليجعله مقدمة لدليل التالي، ومن ثم للدليل الذي بعده، وهكذا. .

٤ – اختتم الخطبة بنتيجة أوصل السامع والقارئ إلى خلاصة مفيدة، بعدما أن فند أصل المشكلة واحتج عليهم، وأظهر لهم العقدة التي حاول أن يعالجها من خلال خطبته ليصل في النهاية لحلول التي عرضها.

ثانياً: من حيث المضمون:

١ – استند الإمام الحسن عليه السلام إلى أدلة معروفة ومشهورة ومعلومة بل لا نبالغ إذا قلنا أنها محفورة في أذهان الناس.

٢ – كان يقدم الدليل القرآني ويتبعه بالأحاديث المتواترة، ولم يستخدم الإمام الحسن عليه السلام أي من الأدلة التي قد يعترض عليها البعض أو أن يشكل عليه فهمها. بل استخدم الأدلة القوية والتي لها وقع كبير في ضمير الأمة.

٣ – قام الإمام الحسن عليه السلام خلال عرضه للأدلة بمخاطبة عقل السامع، وفي ذات وقت حاول استثارة الجانب العاطفي عند الناس. وذلك لأن هذه الطريقة لها تأثير أقوى لو أن

الخطاب كان عقلياً محضاً، وهو في معرض اثبات حق وتبيان مظلومية. لذلك فإنك تجد في مفاصل الخطبة بعض الإشارات التي تخاطب عاطفة المستمع والقارئ على حد سواء. ومن الأمثلة على ذلك:

أ: حين تكلم عن فقدان النبي صلى الله عليه وآله لعمه حمزة وابن عمه جعفر عليهما السلام.

ب: حين نسب نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ج: حين خاطب القوم سائلاً هل يوجد من جده نبي وأبوه وصي غيره والإمام الحسين عليهما السلام.

د: حين أبدى تأسفه على ما أصبحت إليه حالة الأمة.

وعند كل هذه الأمثلة فإن عاطفة السامع سوف تتحرك، وتثار لأنه يخاطب ضمير هذه الأمة.

٤ – في معرض سرده للأدلة فأنه اختار أحداث مفصلية ومهمة يستنبط منها دلالات معينة، وعرضها بطريقة مشهدية حيث تجعل السامع أو القارئ يستخدم مخيلته لكي يتصور في ذهنه كيف حصلت تلك الحادثة التي أخبر عنها. ونعطي على سبيل المثال لا الحصر:

أ – حين تكلم عن إخراج النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام في يوم المباهلة.

ب – حين أدخل النبي صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام معه تحت الكساء ومنع السيدة أم سلمى.

ج – حين أمر النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام بأن يسير بسورة البراءة.

د – حين رفع النبي صلى الله عليه وآله يد علي عليه السلام في يوم الغدير.

ففي كل تلك المفاصل، فلا بد لخيال السامع الذي سيحاول تخيل المشهد ليرسمه ويتصور كيفية حصوله.

وأخيراً، فإن الإمام الحسن عليه السلام ومن موقعه الإرشادي والحاكمي على هذه الأمة حاول أن يعظهم قدر المستطاع مستخدماً كل الوسائل الممكنة كي يحرك عقولاً جافة، ويقيم نفوس متقلبة، ويردع أهواء متشوقة لدنيا. محاولاً أخذهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، إلى أن بذل مهجته عليه السلام واستشهد مظلوماً في أمة ضيعت حقه، وقتله الظالمون، وهو الإمام المظلوم المسموم، وسيد شباب أهل الجنة، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً. .

الهوامش: -

١) نهج البلاغة خطب الإمام علي ﷺ: (تحقيق صالح) ص٣٥٤، وشرح نهج البلاغة: لابن ميثم ج٤ ص١١٢، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٢٢٤ وج٦٨ ص٢٩٢، ومستدرك سفينة البحار: للشاهرودي ج٩ ص٢٤٩، وميزان الحكمة: للريشهري ج٤ ص٢٧٧٦، وأعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين ج٤ ص٧٨، وأعلام الدين: للديلمي ص٣٢١، واختيار مصباح السالكين: لابن ميثم البحراني ص٤٢٤.

٢) الآية: ١٧ من سورة هود.

٣) الآية: ١١ و١٢ من سورة الواقعة.

٤) الآية: ١٩ من سورة التوبة.

٥) الآية: ٥٦ من سورة الأحزاب.

٦) الآية: ٦١ من سورة آل عمران.

٧) الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٨) الآية: ١٣٢ من سورة طه.

٩) الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

١٠) الآية: ٦٦ من سورة المائدة.

١١) الآية: ٩٦ من سورة الأعراف.

١٢) الآية: ٢٨ من سورة هود.

١٣) الأمالي الطوسي: ص٥٦٧، وحلية الأبرار: للشيخ البحراني ج٢ ص٧٨، وتفسير البرهان: للسيد البحراني ج٢ ص٨٣٢ وج٤ ص٤٥٨، وينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي الحنفي ج٣ ص٣٧٠، والروائع المختارة من خطب الإمام الحسن ﷺ: للسيد الموسوي ص٥٨.

١٤) كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي التهانوي ص٤٥٢.

١٥) الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

١٦) الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

١٧) الوافي: للفيض الكاشاني ج٤ ص٤١، وبصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص٩٠ وص١٢٦، والكافي: للشيخ الكليني ج٢ ص٨، مختصر بصائر الدرجات: لحسين بن سليمان الحلي ص١٥٥.

١٨) الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

١٩) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ج٣٧ ص٢٩٣ وص٢٩٥ وص٣٢٢، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج١ ص٥٨ وج١ ص٦١.

٢٠) الآية: ٩ من سورة النجم.

٢١) الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

٢٢) الآية: ٧ من سورة الأحزاب.

٢٣) الآية: السابقة.

٢٤) الآية: ٨١ من سورة آل عمران.

٢٥) بحار الأنوار: للمجلسي ج٥ ص٢٣٦ وج٢٦ ص٢٦٨، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج١ ص٦٠، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للهاشمي الخوئي ج٢ ص١٦٦، ومستدرك سفينة البحار: للشاهرودي ج١٠ ص٢٤١، والبرهان في تفسير القرآن: للسيد البحراني ج٤ ص٤١٨، وتفسير نور الثقلين: للحويزي ج١ ص٣٥٨.

٢٦) الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

٢٧) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٥٠، وبصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص٩١، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج١ ص٦١، ومستدرك سفينة البحار: للشاهرودي ج١٠ ص٢٤٢، والأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: للشيخ الكربلائي ج٤ ص٤٠٠، وغاية المرام وحجة الخصام: للسيد البحراني هامش ص٩٥، وتوحيد الإمامية: للشيخ الملكي ص١٤٢.

٢٨) الآية: ٦١ من سورة آل عمران.

٢٩) التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة ج٨ ص١٠٨، عن التاج الجامع للأصول: ج٣ ص٣٩٦ عن مسلم والترمذي، والكشاف: للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٧٠، والإرشاد: للمفيد (ط دار المفيد) ص١٦٦.

٣٠) الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٣١) جامع البيان: ج٢٢ ص٥ و٧، والدر المنثور: ج٥ ص١٩٨ و١٩٩، عنه وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصححاه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير: ج٤ ص٢٧٩ و٢٨٠، وجوامع الجامع: ص٣٧٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج٣ ص١٣٧، وتأويل الآيات الظاهرة: ج٢ ص٤٥٧ ـو٤٥٩، والطرائف: ص١٢٢ و١٣٠.

٣٢) الآية: ١٣٢ من سورة طه.

٣٣) الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٣٤) جامع البيان: ج٢٢ ص٥، وكنز العمال: ج١٦ ص٢٥٧، ومنتخب كنز العمال: (بهامش مسند أحمد) ج٥ ص٩٦ عن ابن أبي شيبة، ولباب التأويل: ج٣ ص٤٦٦، والتفسير الحديث: ج٨ ص٢٦٢، والدر المنثور: ج٥ ص١٩٩.

٣٥) دلائل الصدق: ج١ ص٢١ و ٢٢.

٣٦) تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٤٣٣ و٤٣٥، وكنز العمال: ج٥ ص٧٢٤، والطرائف: لابن طاووس ص٤١١، والصراط المستقيم: ج٢ ص٦٤.

٣٧) الآيات: ١٩ – ٢٢ من سورة التوبة.

٣٨) تفسير فرات: ص١٦٨ و ١٦٩، وبحار الأنوار: ج٣٦ ص٣٧. وقصة الإفتخار هذه مروية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وعبيد الله بن عبدة، وعروة وجابر، وعن الكلبي والحارث الأعور.

٣٩) الطرائف: لابن طاووس ص٥٠، والعمدة: لابن البطريق ص١٩٣ و ١٩٤، وبحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٧ وج٣٦ ص٣٨، وينابيع المودة: ج١ ص٢٧٧.

٤٠) تفسير ابن كثير: ج٢ ص١٥٥، والغدير: ج٧ ص١٢١.
٤١) البداية والنهاية: (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨، وتاريخ الأمم والملوك: ج٥ ص٣٤١ و(ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج٥ ص٣٢٤، ومقتل الحسين: لأبي مخنف (ط المطبعة العلمية ـ قم) ص٧.
٤٢) الصواعق المحرقة: ص١٤٧، وينابيع المودة: ج٢ ص٤٣٤ و(ط دار الأسوة) ج١ ص٣٧ وج٢ ص٤٣٤.
٤٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص١٦٩ و١٩٩ و(ط مدرسة الإمام المهدي عليه السلام سنة ١٤٠٩هـ) ص٤٨٠ ـ و٤٨٨، وبحار الأنوار: ج٢١ ص٢٥٧ ـ و٢٦٣، وتفسير الصافي: ج٢ ص٣٧٦.
٤٤) الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج٦ ص٩٦.
٤٥) ديوان الشافعي: ص٧٢ (دار احياء التراث العربي - بيروت).
٤٦) الآية: ٤١ من سورة الأنفال.
٤٧) لسان العرب، وأقرب الموارد، ومفردات الراغب، والقاموس، ونهاية ابن الأثير، ومعجم مقاييس اللغة، وتفسير الرازي، وغير ذلك من كتب اللغة.
٤٨) صحيح البخاري: ج٢ ص١٥٧، وسنن الترمذي: ج١ ص٣٨٧، وسنن البيهقي: ح٧ ص٢٩، ومسند أحمد: ج٢ ص٤٠٩.
٤٩) مسند أحمد: ج٢ ص٤٠٦ و ٤٦٧، وتاريخ بغداد: ج١ ص٤٣٥، وكشف الغمة: ج٢ ص١٥٠، والمجموع: للنووي ج٦ ص٢٢٧، وبحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٠٥.
٥٠) مسند أحمد: ج١ ص٢٠١ و ٢٠٠، وعمدة القاري: ج٩ ص٨٠، والمعجم الكبير: ج٣ ص٨٦، والذرية الطاهرة: للدولابي ص١١٣ و ١١٤.
٥١) الآية: ٣٤ من سورة القصص.
٥٢) الآية: ٣٥ من سورة الفرقان.
٥٣) الآيات: ٢٩ - ٣٢ من سورة طه.
٥٤) الآية: ٣٥ من سورة القصص.
٥٥) الآية: ١٤٢ من سورة الأعراف.
٥٦) تفسير الميزان: للعلامة الطباطبائي «قدس سره» ج١٦ ص٤٤.
٥٧) ينابيع المودة: ص٨٨، ومناقب الإمام علي بن أبي طالب: لابن المغازلي ص٢٥٥، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب: لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٢٦٦، والإحتجاج: للطبرسي ج٢ ص١٤٥، وعلل الشرائع: ج١ ص٢٠١، ووسائل الشيعة: (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص٢٠٨ و(ط دار الإسلامية) ج١ ص٤٨٧، وشرح الأخبار: ج٢ ص٢٠٤، ومناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٤٠، والعمدة: لابن البطريق ص١٧٧، والصراط المستقيم: ج١ ص٢٣١.
٥٨) بحار الأنوار: ج٣٨ ص٣٣٤ وج٨ ص٣٣٠، وإثبات الهداة: ج٣ باب ١٠ ح ٦١٩ و ٧٦١، وعن كنز العمال: ج١٥ ص٩٢ وج٦ ص٣٩٠، وتذكرة الخواص: ص٢٣، وفرائد السمطين: ج١ ص١١٥ و ١٢١، وترجمة

الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر: (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٠٧، وينابيع المودة: ص٦٥ و ٥٧.

٥٩) المناقب: للخوارزمي ص٧، وتذكرة الخواص: ص٢٠، والفصول المهمة: لابن الصباغ ص٢١، ومنتخب كنز العمال: (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٣١.

٦٠) علل الشرائع: ص١٣٧ و ١٣٨، وينابيع المودة: ص٢٢٠، وفرائد السمطين: ج٢ ص١٠٣ ـ و١٠٥، والأمالي: للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص١٥٦، والأمالي: للطوسي ص٣٦٧، وعيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٨.

٦١) بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٥٦، ودعائم الإسلام: ج١ ص١٦، والأمالي: للطوسي ص٥٢١، والغدير: ج١ ص٢٦٨، ووفيات الأعيان: لابن خلكان ج٥ ص٢٣١، وكنز الفوائد: ص٢٨٢.

٦٢) بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٦٠، ومستدرك سفينة البحار: ج١٠ ص٢٩، والدر النظيم: ص٢٨٤.

٦٣) بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٠٦، وتفسير العياشي: ج١ ص٣٣٢، والإحتجاج: للطبرسي ج١ ص٧٣، واليقين: لابن طاووس ص٣٤٨، وتفسير الصافي: ج٢ ص٤٥، ودعائم الإسلام: ج١ ص١٦.

٦٤) بحار الأنوار: ج٢١ ص٣٤٣، ومناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٤٢، والمناقب: للخوارزمي ص١٠٨، وعن الطرائف: ج١ ص١٤٨ ـ و١٤٩ ح٢٢٤، المناقب: لابن المغازلي، والعمدة: لابن البطريق ص٤٦.

٦٥) مختصر تاريخ دمشق: ج١٧ ص٣٣٢، والإعتقاد على مذهب السلف: لأحمد بن الحسين البيهقي ص٢٠٥، ومسند أبي يعلى: ج١ ص٢٨٦، ومعارج القبول: ج٢ ص٤٧١، ومسند فاطمة: للسيوطي ص٦٢، والمعجم: لابن المثنى التميمي ص٢٣٠، وتحفة الأحوذي: ج١٠ ص٢٢٩.

٦٦) الأمالي: للصدوق ص٨٥ و(ط مؤسسة البعثة) ص١٥٦، وإثبات الهداة: ج٣ باب١٠ ح٢٤٣، والمناقب: للخوارزمي ص٧٦ و ٩٦، ومقتل الحسين: للخوارزمي ج١ ص٤٥، وكفاية الطالب: ص٢٦٤.

٦٧) إثبات الهداة: ج٣ باب١٠ ح١٠٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٢.

٦٨) الآية: ١٧ من سورة هود.

٦٩) بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص١٥٣، وبحار الأنوار: ج٣٥ ص٣٨٧، وج١٠٩ ص٧، وكتاب الأربعين: للماحوزي ص٤٥٥، ومنهاج البراعة: للهاشمي الخوئي ج٢ ص٢٢٣، وميزان الحكمة: للريشهري ج٤ ص٣١٩٤، وشواهد التنزيل: للحسكاني ج١ ص٣٦٧، وينابيع المودة: للقندوزي الحنفي ج١ ص٢٢٥، وغاية المرام: للسيد البحراني ص٦٢، وشرح إحقاق الحق: للمرعشي ج١٤ ص٣١٢ وج١٧ ص٤٦١.

٧٠) دعائم الإسلام: للقاضي النعمان المغربي ج١ ص١٩، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: للريشهري ج٨ ص١٥.

٧١) الاعتقادات في دين الإمامية: للصدوق ص٧٤، وكمال الدين واتمام النعمة: للصدوق ص١٣، ومعاني الأخبار: للصدوق ص٢٨ في ترجمة المؤلف، وشرح أصول الكافي: للمازندراني ج٥ ص١٦٤، والحاشية على أصول الكافي: للنائيني ص٥٧٣، ومستدرك نهج البلاغة: للميرجهاني ج٢ ص٢٥٧، وكتاب سليم بن قيس: ص٣١٤ وص٤٢٢، والهداية الكبرى: لحسين بن حمدان الخصيبي ص٩٢، وشرح الأخبار: للقاضي المغربي ج١ ص٤٢٠.

٧٢) ينابيع المودة لذوي القربى: للقندوزي الحنفي ج١ ص٣٠٨، وشرح احقاق الحق: للمرعشي ج٥ ص٧٢، والصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج٤ ص١١٣.

٧٣) المستدرك: للحاكم ج٣ ص٥١، وتخريج الأحاديث والآثار: ج٢ ص٥٠، وشواهد التنزيل: ج١ ص٣١٨، وذخائر العقبى: ص٦٩، ومسند أحمد: ج١ ص١٥١، ومجمع الزوائد: ج٧ ص٢٩.

٧٤) دراسة نقدية «لا يؤدي عني إلا علي»: لتقي الدين السني (فلسطين) ص١ بحث منشور في شبكة الدفاع عن أهل السنة بتاريخ ٢٥/ ٢/ ٢٠١١.

٧٥) تخريج أحاديث الكشاف: لجمال الدين الزيعلي تفسير سورة التوبة ج٢ ص٥٠، ومختصر تلخيص الذهبي: لابن الملقن الشافعي ج٢ ص١١٢٧، والشاذ والمنكر وزيادة الثقة: للدكتور عبد القادر المحمدي ص٩٣.

٧٦) شرح إحقاق الحق: للسيد المرعشي ج١٦ ص١٦٠ وج٢٦ ص١٦٢ وج٣١ ص٨٧، والمجموع للنووي: ج١٨ ص ٣٢٨، وسبل السلام: للصنعاني ج٣ ص٢٢٩.

٧٧) أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية: ج٢ ص٦٨٧، وثم أبصرت الحقيقة: لمحمد الخضر ص٣٤٥، وإكفار الملحدين في ضروريات الدين: لشاه الكشميري ص١٥٧.

٧٨) ابن تيمية لم يكن ناصبياً: لسليمان بن صالح الخراشي ص١٧٩، والوجيز في أسباب ونتائج قتل عثمان: لمصطفى يونس الفاخري ص٤٠ ـ و٤٥، والتعليق على تفسير القرطبي: ج١ ص١٤١ و١٤٢.

٧٩) أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية: ج٢ ص٦٨٨، وثم أبصرت الحقيقة: لمحمد الخضر ص٣٤٦، وإكفار الملحدين في ضروريات الدين: لشاه الكشميري ص١٥٩.

٨٠) أحاديث العوالي: للدمياطي ص٦، والموافيقات التساعيات: للدمياطي ج١ ص٧.

٨١) مسند أحمد: (ط الرسالة) ج٢ هامش ص١٦١ و١٦٢.

٨٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٨٤، ومناقب آل أبي طالب: ج١ ص٢٢٧، ونهج الإيمان: ص٤٧٩ و ٤٨٧.

٨٣) بحار الأنوار: ج٣١ ص٤٠٧ و٤٢٧ و ٤٢٨ ـو٤٣٢، وكتاب سليم بن قيس: ج٢ ص٦٣٦ و٦٦٠.

٨٤) مقدمة كتاب مكار م الأخلاق: للطبرسي (ط سنة ١٣٩٢هـ) ص٨، وسفينة البحار: ج١ ص٤١٠ و٤١١، والسنن الكبرى: ج١٠ ص١٩٢، ومجمع الزوائد: ج٩ ص١٥، وتحفة الأحوذي: ج٥ ص٤٧٠، ومسند الشهاب: لابن سلامة ج٢ ص١٩٢ و ١٩٣، وكنز العمال: ج٣ ص١٦، وكشف الخفاء: ج١ ص٢١١، والبداية والنهاية: ج٦ ص٤٠.

٨٥) الآية: ١٠ من سورة الواقعة.

٨٦) موسوعة الغدير: للأميني (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج٢ ص٤٣١، وكشف الغمة: للأربلي ج١ ص٨٨ و ٨٩.

٨٧) بحار الأنوار: ج١٨ ص٢٢٩ وج٣٥ ص٤٤ وج٣٨ ص٢٣٧ و ٢٧٣ وج١٠٨ ص٢٥٧، والغدير: ج٣ ص٢٣٥، ومستدرك سفينة البحار: ج٥ ص١١٤، وتهذيب الكمال: للمزي ج٢٠ ص٤٨١.

٨٨) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١١٢، والخصال: للشيخ الصدوق ص٤٠٢، والعمدة: لابن البطريق ص٦٤ و ٢٢٠، والطرائف: للسيد ابن طاووس ص٢٠ و ٧٠، وذخائر العقبى: ص٦٠، والصراط المستقيم: ج١ ص٢٣٥، وبحار الأنوار: ج٣٨ ص٢٠٩ و ٢٣٩ و ٢٥٣ و ٢٦٩.

٨٩) الآية: ١٩ من سورة التوبة.

٩٠) الغدير: ج١ هامش ص١٤، وذكر تفاصيل ذلك ص١٥٢ – ١٥٨.

٩١) الغدير: ج١ هامش ص٣٠٢ و ١٥٨، عن القول الفصل: ج١ ص٤٤٥ للعلوي الهدار الحداد، ونهج الإيمان: لابن جبر ص١٣٣، وشرح إحقاق الحق (الملحقات): ج٩ ص٦٧٨.

٩٢) رسائل المرتضى: ج٣ ص٢٥٣ وج٤ ص١٣١، والشافي في الإمامة: للشريف المرتضى ج٢ ص٢٦١، العمدة: لابن البطريق ص١١٦، وبحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٣٨ وج٣٧ ص٢٤٠، وتفسير مجمع البيان: ج٨ ص١٢٥، ونهج الإيمان: لابن جبر ص١٢٤، والصراط المستقيم: ج١ ص٣٠٨، والرسائل العشر: للشيخ الطوسي ص١٣٥، وكنز الفوائد: ص٢٢٩، وقد ذكر العلامة الأميني طائفة كبيرة من أقوال العرب وأهل اللغة، فراجع كتاب الغدير: ج١ ص٣٤٥ و٣٤٨.

٩٣) الآية: ٦٧ من سورة المائدة.

٩٤) ما نزل من القرآن في علي عليه السلام: لأبي نعيم ص٨٦، وثمار القلوب: للثعالبي ص٦٣٦، تاريخ بغداد: ج٨ ص٢٩٠ و(ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٨٤، وتاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٢٣٣ و ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء: ج١٩ ص٣٢٨، والبداية والنهاية: ج٧ ص٣٨٦، والمناقب: للخوارزمي ص١٥٦، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: للكوفي ج٢ ص٤٣٠ و ٥١٦، وينابيع المودة: ج٢ ص٢٤٩.

٩٥) الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج٧ ص٧١.

٩٦) كتاب المبسوط: للسرخسي ج٤ ص٢٢٢.

٩٧) كتاب أخبار الزمان: للمسعودي ص٤٠.

٩٨) الدر النظيم: ص٥٢٩، والإحتجاج: للطبرسي ج٢ ص٢٣، ومناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٥١ و(ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٠٩، ومدينة المعاجز: ج٣ ص٤٩٧ و ٤٩٨، وبحار الأنوار: ج٤٤ ص٢٠٦، والعوالم: ج١٧ ص٨٦.

٩٩) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج٤ ص١٠٨ و١١٠، وتاريخ الأمم والملوك: ج٥ ص٤٢٤ و(ط الأعلمي) ج٤ ص٣٢١، والكامل في التاريخ: ج٤ ص٦٢، والبداية والنهاية: ج٨ ص١٧٨.

١٠٠) الآية: ٩٦ من سورة الأعراف.

١٠١) مسند أحمد: (ط دار صادر) ج٢ ص٣٢٥ و ٥١١ وج٣ ص٨٤ و ٨٩، وسنن ابن ماجة: ج٢ ص١٣٢٢، وصحيح البخاري: (ط دار الفكر) ج٤ ص١٤٤، و(ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص١٧٠ وج١٥ ص٢٣٥، وصحيح مسلم: (ط دار الفكر) ج٨ ص٥٧.

١٠٢) الآية: ٢٨ من سورة هود.

مُقيّداتُ البناءِ النحويّ في أقوالِ الإمامِ الحسَنِ المجتبى عليه السلام الحكَمية والوعظية

أ. د سعدون أحمد علي الرَّبَعيّ

الملخص:

تمثل مقولات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الحكمية والوعظية منهجًا تهذيبيًّا وتربويًّا مستَمَدًّا من شرعة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله لتهذيب النفوس من الزلل والخطل والخطايا، فقد استحسنها المؤمنون جيلا بعد جيل، فتناولوها بالرواية وتعاملوا معها كمصدر إشعاع نبويّ وتراث إسلاميّ أصيل يربط المسلم بالعقيدة الحقة والمنهج القويم. وقد انماز البناء النحوي لأقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ومواعظه بتعدد أنماطه وتنوع مقيِّداته، وهذا البحث يرصد تلك المقيدات ويبحث في أسبابها وعواملها وما يترتب عليها من دلالة مقصودة، فكان استحضار الإمام لمعاني النحو وتقييد أقواله ومواعظه بعوامل النسخ والنصب والجزم والتقديم والتأخير والحذف سمة بارزة فيما انتظمته السياقات التي وردت فيها تلك الأقوال والمواعظ.

Abstract

Imam al-Hassan al-Mujtaba's speech (peace be upon him) represent a rational and educational approach derived from the Grandfather's law of Mustafa (peace and blessings of Allah be upon him) to purify the souls of slowness, sin and sin. The believers have long accepted it and treated it as a source of prophetical radiance and Islamic heritage that Muslim is connected to the true faith and the correct approach. In this context, the study of the reasons and factors and the consequent intentional significance of the imam, the imitating the imam of the meanings of the grammar and restricting his words and preaching the factors of copying, monument, actuate،presenting, delaying and deleting is a prominent feature in Organized by the contexts in which these words and sermons were mentioned.

مقدمة:

تمثل مقولات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الحجاجية وأقواله الوعظية منهجًا تهذيبيًّا وتربويًّا مستَمَدًّا من شرعة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله لتهذيب النفوس من الزلل والخطل والخطايا من غير تشويه أو تزييف كما هو شأن المفسدين والمغرضين ممن حكموا باسم الدين وأثاروا الفتن والمحن، فكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام صمام الأمان لأمة جدّه المصطفى قولا وعملا، مؤكدا أصالة العترة المطهرة آل البيت عليهم السلام في قيادة الأمة المحمدية وحماية الشريعة، وباعثا قيمها الأخلاقية العالية عبر أقواله وحكمه ووصاياه التي استحسنها المؤمنون جيلا بعد جيل، فتناولوها بالرواية وتعاملوا معها كمصدر إشعاع نبويّ وتراث إسلاميّ أصيل يربط المسلم بالعقيدة الحقة والمنهج القويم. وبعد وقوفي على ما وثقته المصادر والمراجع من تراث كريم آل البيت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام دار في خلَدي دراسة(مُقيِّدات البناءِ النحويِّ في أقوالِ الإمامِ الحسن المجتبى عليه السلام ومواعظه).

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في تمهيد ومطلبين وخاتمة، أما التمهيد فتحدثت فيه عن التقييد في اللغة والاصطلاح، وانتظم المطلب الأول التقييد بنواسخ الابتداء، وتضمن المطلب الثاني التقييد بعوامل النصب والجزم، أما الخاتمة فأودعتها قطفا من ثمار هذه الرحلة الماتعة والتطواف الجميل في أقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وحكمه ومواعظه.

التمهيد: التقييد في اللغة والاصطلاح:

التقييدُ يقابله الإطلاق وهما من المصطلحات التي وضعها علماء أصول الفقه لرصد دلالة الألفاظ بسياقاتها المختلفة لاستنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية في مسائل علم أصول الفقه. وقد استعار النحويون مصطلحي المقيد والمطلق أو التقييد والإطلاق ووظفوهما في دراسة المباحث النحوية بما يعطي عملية التحليل النحوي قيمة مضافة و بُعدًا مهما في تحديد الماهيّات وتوجيه الآراء وتقويمها.

١ – التقييد في اللغة:

قال الخليل: ((قيَّدتُه بالقيد تقييدًا. وقيدُ السيف: الممدود في أصول الحمائل تمسكه البكرات. وقيد الرَّحل: قِدٌّ مضفورٌ بين حنويه من فوق، وربما جُعِلَ للسرج قيدٌ، وكذلك كلّ شيءٍ أُسِرَ بعضه إلى بعض، . . . و المُقيَّد من الساقين: موضع القيد، والخلخال من المرأة))[١].

وعند ابن فارس: ((القاف والياء والدال كلمة واحدة، وهي القيد وهو معروف ثُمَّ يستعار في كلِّ شيءٍ يَحْبِسُ))[٢]، و((تُقيِّدُ: كمضارع قيّدتْ: أرض حميضة سُميت؛ لأنها تقيّد ما كان بها من الإبل ترعاها لكثرة حمضها وخلتها، ومن المجاز تقييد الكتاب: شَكْلُه، وتقييد العلم بالكتاب: ضبطُه، وكتاب مُقيَّد: مشكول))[٣].

مما تقدَّم يتبين لنا أن القيد هو أثر ماديّ يحدُّ من إطلاق المُقيَّد وإرساله، أي: يقيّد الشيءَ من الحركة، وإلزامه بما هو مقيّدٌ به، وهو زيادة في المعنى وتقويةٌ له وتخصيصٌ بتوجيه الدلالة المركزية للكلام المنظور من مثل عصمة المرأة المدخول بها، فهي مقيّدة بعصمة زوجها، ولا يمكنها مفارقته بحال[٤].

٢ ـ التقييد في الاصطلاح:

القيد مصطلح قديم في مختلف العلوم واللغات، وقد نقل من معناه في المحسوسات إلى ما يقاربها، ومنه تقييد الكتابة[٥]. أما في المعنويات فهو مستعمل في كلِّ تفسيرٍ أو شرح أو تعريف، وأول من وقف عند حد المصطلح هو الرماني(ت٣٨٤هـ)؛ إذ عرَّفه بقوله: ((المقيد هو الموصول بما يعين المعنى، والمطلق هو المجرد مما يعين المعنى))[٦]. فالقيد هو الأمر المخصص للأمر العام أي المطلق، وبذلك يكون مصطلحًا يدخل في كلّ الميادين؛ لأنه يدلُّ على كل جزيئة فيها بقيد.[٧]

وقد أشار النحويون ــ قدماء ومحدثون ــ إلى التقييد في أثناء حديثهم عن الكلام والإسناد فيه، قال سيبويه: ((وإذا قال: سيذهب، فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان))[٨]، فـ(السين) هنا قيد حرفيّ أفاد نوعًا من الحصر، والتحديد، إذ صرف دلالة الفعل إلى الاستقبال بعد أن كان محتملاً الزمنين. في حين نظر أبو البركات الانباري إلى هذه المسألة من

زاوية أخرى، مجسدًا فيها مسألة الأصالة والفرعية، إذ رأى أن المقيّد فرع والمطلق أصل[٩]، أي: أنّ الأشياء في أصل وضعها دلّتْ على الإطلاق، ثم قُيّدت في ما بعد كالنكرة التي هي أصل، والمعرفة التي هي فرع منها، وعلى هذا الأساس بنى الرضي رأيه في جعل المقيّد خلاف المطلق ذاكرًا العلة في تسمية المفعول المطلق بكونه ليس مقيدًا[١٠]، إلا أنه جعل لفظة المطلق قبالة التخصيص تارة والمقيّد تارة أخرى، إذ رأى أنّ (كان) في نحو: كان زيد قائمًا، فيه فائدتان، إحداهما: في إيراد مطلق الحصول أولاً ثم تخصيصه. والأخرى: دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيّد، فـ(كان) يدل على حصول حدثٍ مطلق تقييده في خبره، وخبره يدل على حدث معين واقع في زمن مطلق تقييده في (كان)[١١].

ويزيدُ ابن مالك المسألة وضوحًا بتقديمه النصب المطلق بـ(لن)، و(كي) من غير قيد على النصب بـ(أن) و(إذن)؛ لأنه يراه مفتقرًا إلى تقييد، فيقول: ((وينصب بـ(لن)، و(كي)، و بـ(أن) غير المخففة، والتفسيرية، والزائدة، و(إذن) إنْ بدئ بها، ووليها، أو فصلها قسم))[١٢].

مما تقدم نلحظُ أن علماءنا المتقدمين أشاروا إلى مسألة التقييد تلميحًا لا تصريحًا، إلى أن جاء المتأخرون فأفردوا فصولاً خاصة بمصطلح التقييد وما ينطوي عليه من أحكام تتعلق بالبناء النحوي للجمل، منهم الإمام أبو بكر السيوطي(ت٩١١ه) الذي أفرد فصلاً خاصًا في مطلق القرآن ومُقيَّده، قال فيه: ((المطلق الدال على الماهية بلا قيد، وهو مع القيَّد كالعام مع الخاص، قال العلماء: متى وجد دليل على وجود المطلق صيّر إليه وإلاّ فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيَّد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب))[١٣]. والشيخ محمد بن علي الصبان(ت١٢٠٦ه) يصرِّح بمصطلح التقييد، فيقول: ((ومنها(لم)، و(لمّا) أختها، يعني من الجوازم، فقيّد (لمّا) بقوله (أختها)؛ احترازًا من (لمّا) بمعنى (إلّا)، ومن (لمّا) التي هي حرف وجود لوجود)) [١٤].

وأما المحدثون فقد كانت لهم تآليف ووقفات طويلة مع هذا المصطلح الذي حدّه الدكتور إميل بديع يعقوب بقوله: ((هو مصطلح نحوي يقصد به كلّ ما في الجملة عدا المسند والمسند إليه فهما عمدة))[١٥]. وللأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف رأي

وتصنيف في (بناء الجملة الإسمية) بين الإطلاق والتقييد[١٦]. وخصَّص الدكتور سيروان عبد الزهرة كتابه بدراسة ظاهرة (الإطلاق والتقييد في النص القرآني)، وجعل الدكتور أحمد الهاشمي الباب الخامس من كتابه (جواهر البلاغة) في (الإطلاق والتقييد)، وألَّف حمد بن حمدي الصاعدي (كتاب المطلق والمقيد)، وللدكتور خير الدين فتاح عيسى القاسمي بحث وسمه بـ(الإطلاق والتقييد في النحو العربي)، فضلا عن أبحاث أخرى هنا وهناك.

المطلب الأول: التقييد بنواسخ الابتداء

حدَّ النحويون النواسخ بأنها أفعال وحروف تدخل على الجملة الإسمية (المبتدأ والخبر) فتنسخ حكم الابتداء شكلا لا معنى، وبدخولها تحدث تغييرًا في الجملة الإسمية من حيث معناها ووظيفتها الإعرابية، ولست في معرض تبيين اختلاف النحويين في عامل الرفع والنصب في معموليها، وشروط عملها، فقد تكفلت في تبيين هذه الأمور مصادر النحو ومراجعه[١٧]. إنما سأقف على أثر النواسخ (المقيدات) في إسباغ الدلالات المتنوعة للبناء النحوي في مجموعة من أقوالِ الإمامِ الحسن المجتبى عليه السلام الحكمية والوعظية.

أولا- التقييد بـ(كان) وأخواتها:

١- التقييد بـ(كان):

أ. قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((مَن قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة: إما مُعجّلة وإما مُؤجّلة)) [١٨]

من التركيب المذكور آنفًا يتضح لنا أن الجملة الإسمية ذات التركيب الشكلي(**كانت له دعوة مجابة**)، قد تقدَّم فيها خبر (كان) شبه الجملة (الجار والمجرور) (له) على المبتدأ النكرة المخصصة بالوصف (دعوةٌ مجابةٌ)، الواقع اسما لـ(كان) التي قيَّدت مدخولها بعامل لفظيّ ناقص الدلالة الشكلية في بنيتها السطحية، واقعٍ في محل جزم بعامل لفظيٍّ آخر هو اسم الشرط(مَنْ)، وبذلك يكون مقيَّدًا ومقيِّدًا في آن واحد؛ فأفاد معنى اختصاص قارئ القرآن بقبول دعوته والاستجابة لها من الله جل وعلا، فضلا عمّا في هذا التقديم من معنى المبالغة في مدح قارئ القرآن وفعل القراءة. ولو لم يكن قول الإمام عليه السلام بهذا الرصف - بتقديم الخبر

(لـه) الـذي يقتضي إسناد الـكلام بعـده إلى صاحبـه دون غـيره- لفَـاتَ علينـا ذلـك المعنـى المُراد الـذي يقتضيـه السياق وتستدعيه الدلالـة. وبالاستناد إلى المعنى يظهـر جليًّا أنَّ التقييـد بـالفعل الناسـخ (كان) أدى إلى تقييـد عملـه في ركنـي الإسـناد وعـدم اقتصـار أثـره اللفظـي في الخـبر المنصـوب فقـط؛ لأنّ العامـل إن عمـل في أحـد جـزأي الجملـة الإسـمية وجـب أن يعمـل في جزئهـا الآخـر لكونهـما كالكلمـة الواحـدة، غـير أنَّ عملـه يختلـف عـن عمـل الفعـل التـام، لكـون الفعـل التـام يفتقـر إلى فاعـل ومفعـول حقيقيـين، في حـين أنّ الفعـل الناقـص يأخـذ فاعـلا ومفعـولا ليسـا حقيقيـينِ، بـل همـا مشـبهان بالحقيقيـين، وقـد جـوز النحويـون تقديـم خـبر (كان) عليهـا وعـلى اسـمها لأنـه مشـبَّه بالمفعـول بـه، وهـذا الأخـير ممـا يجـوز تقديمـه عـلى الفاعـل أو عـلى الفعـل والفاعـل إنْ أُمِـنَ اللبسُ، فكـذا قيـاس المحمـول عليـه استنادًا إلى المعنـى[١٩]. وقـد ورد مثـل هـذا القيـد في أقـوال الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام الحكميـة والوعظيـة في غـير موضـع منهـا.[٢٠]

ب- قـال الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام: ((مـا بقـي في الدنيـا بقيـة غـير هـذا القـرآن، فاتّخـذوه إمامًـا يدلّكـم عـلى هداكـم. وإنّ أحـقّ النـاس مَـن عمِـل بـه وإنْ لم يحفظْـهُ، وأبعدَهـم مَـن لم يعمـلْ بـه وإنْ كان يقـرأْه))[٢١]

في التركيـب النحـوي(**وإنْ كانَ يقـرأْه**)، جـاء الفعـل المـاضي الناقـص(كان) الواقـع في محـل جـزم كونـه فعـل الـشرط لـ(إنْ) مقيِّـدًا مضمـون الجملـة الإسـمية عـلى وفـق دلالتـه الزمنيـة المؤلفـة شـكلا مـن المبتـدأ وهـو الضمـير المسـتتر جـوازا في الفعـل الناقـص، المقـدر بضمـير الغائب(هـو)، والجملـة الفعليـة(يقـرأْه) المكونـة مـن فعـل الجـواب المجـزوم (يقـرأْ) وفاعلـه الضمـير المسـتتر (هـو) ومفعولـه الضمـير الهـاء الواقعـة في محـل نصـب خـبرا لـ(كان). وللتدليـل عـلى أثـر القيـد في إيضـاح المعنـى الـذي قصـده الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام والزيـادة التـي رفـد بهـا معنـى النـص التـي لم يكـن النـص يحققهـا لـولا هـذا القيـد نقـول: إنَّ الإمـام عليه السلام قـد بـيَّن قداسـة القـرآن، وأهميـة التمسـك بـه، والتفكـر في آياتـه ومعانيـه وفهمهـا، لأنـه كتـابُ صـلاحٍ وهدايـةٍ، وحـثَّ المسـلمين عـلى أن يقرنـوا ذلـك كلـه بالعمـل بـه وتطبيـق تعاليمـه، وإن لم يحفظـوه؛ فليـس العـبرة في حفظـه وتلاوتـه مـا لم يكـن ذلـك مقرونًـا بالفهـم والتدبـر والعمـل بـه. فالقيـد بالفعـل الناسـخ أضفـى بُعْـدًا عمليًّـا عـلى علاقـة المسـلمين مـع القـرآن الكريـم محـوره تقـصِّي معـاني القـرآن ومقاصـده وأحكامـه. ولهـذا

الأسلوب من التقييد نظائر في أقوال الإمام عليه السلام الحكمية والوعظية في غير موضع منها[٢٢].

ت- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((كُنْ في الدنيا ببدنِك، وفي الآخرة بقلبِك)). [٢٣]

يبتدئ هذا التراكيب (**كُنْ في الدنيا ببدنِك**) بفعل الأمر الناقص(كن) الذي استتر فيه اسمُهُ ضمير المخاطب(أنت) وجوبًا، وشبه الجملة ذات التركيب الشكلي المؤلف من حرف الجر ومدخوله متعلق بمحذوف هو خبر (كن). وقد جاء الفعل الناقص دالا على الحدث المطلق(الكون) ومقيِّدًا الجملة الإسمية بتخصيص دلالتها على الحدث في الحال والاستقبال، والمعنى: ليكن سعي الانسان في عمله الدنيويّ لتحصيل معاشه بما يحفظ فيه كرامته مقرونًا بشغل قلبه بالآخرة فلا ينبغي له أن يغفل عن ذكر الله وأمره فيما أراد منه في هذه الدنيا التي هي محل العمل للآخرة، فالذي سيبقى هو ما قدمه لآخرته فقط، قال تعالى: ((**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**))[٢٤].

إنَّ من ينعم النظر في حقيقة الفعل الناقص (كن) يلاحظ أنه لم يكتف بمرفوعه المستتر فيه وجوبا، إنما بقي مفتقرًا إلى الخبر المنصوب لتمام الكلام. وهنا يبرز أثره التقييدي في تخصيص الحدث؛ لأن الأفعال الناقصة ذات دلالة زمنية اكتفائية تقييدية لما تدخل عليه، فتحدُّ من إطلاقه، وفي هذا المعنى يقول الرضيّ الاستراباديّ: ((وما قال بعضهم من أنها سميت ناقصة؛ لأنها تدل على الزمان دون المصدر ليس بشيء؛ لأنّ (كان) في نحو: (كان زيدٌ قائمًا) يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله))[٢٥]. والدليل على انتظامها الحدث أنها مستوية في الدلالة على الزمان، وبينها فرق في المعنى، فلابدَّ من معنى زائد على الزمان، وذلك المعنى هو الحدث، فهي تدلُّ على الحدث بمنزلة لا ترقى إلى مستوى دلالة الأفعال التامة، ولولا دلالتها على الحدث لجاءت (كان) وأخواتها شيئا واحدًا في المعنى[٢٦]. وقد كُرر مثل هذا التقييد بفعل الأمر الناقص (كن) موضع آخر من أقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام[٢٧] الحكمية والوعظية.

٢- التقييد بـ(صار):

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: **((الناس في دار سهوٍ وغفلة، يعملون ولا يعلمون، فإذا صاروا إلى دار يقينٍ، يعلمون ولا يعملون))**[٢٨].

تضمَّن التركيب(**فإذا صاروا إلى دار يقينٍ، يعلمون ولا يعملون**) الفعل الماضي الناقص المسند إلى اسمه الضمير: (صاروا) الذي يفيد معنى التحويل، جاء مقيِّدًا لخبره، ليفيد معنى: أنَّ الناس في الدنيا غافلون عن الآخرة وكأنهم نيام؛ فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين، انتبهوا وتيقظوا وعاد إليهم الوعي الحقيقي أن الآخرة هي دار القرار والخلود، ليس فيها عمل، وسيجازى كل انسان بما كسبت يداه وجوارحه. ومرتبة اليقين التي يصيرون إليها بعد الموت أشار إليها سيدنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بقوله: ((**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**))[٢٩]، أي: تيقنوا من تحققِ كلّ شيء وعدهم الله به تحققا صادقا، فتكون هذه لحظة الانتباه إلى الله ومنهجه وحقيقة ربوبيته، وهو المعنى الذي ينتظمه قول ربنا جلّ في علاه: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**))[٣٠]. أي: اعملوا في الدنيا وتزودوا لها ولا تغفلوا عن التزود لدار المقام والبقاء لأجل ما ينتظركم في الآخرة. وبهذا يكون الفعل الناقص(صار) في البناء النحوي لجملة القول مقيِّدًا دلالة الخبر بتحويل معناه من يعملون ولا يعلمون، إلى يعلمون ولا يعملون.

٣- التقييد بـ(أصبح):

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((**إنّه كان بين أيديكم أقوامٌ يجمعون كثيرًا ويبنون مشيدًا، ويأملون بعيدًا، أصبح جمعُهم بوارًا وعملُهم غرورًا، ومساكنُهم قبورًا.** (([٣١]

في هذا التركيب ناسخان مقيدان هما (كان)، و(أصبح) الذي جاء مقيِّدًا مضمون الجملة الإسمية (**أصبح جمعُهم بوارًا**) على وفق دلالته الزمنية فضلا عن إفادته معنى التصيير والتحويل[٣٢]، ومنه في إفادة معنى التصيير والتحويل قوله تعالى((**فأَصْبَحْتُم بنعمَتهِ إخوانًا**))[٣٣]. وبإنعام النظر في حقيقة هذا الفعل الماضي الناقص(أصبح) في قول الإمام المذكور آنفا نجد أنه غير مكتفٍ بمدخوله المرفوع(جمعُهم)، إذ بقيت به حاجة ماسة إلى

الاسم منصوب، وهو قول الإمام عليه السلام: بوارًا، ليتمّ المعنى المراد. فقد حقق وجود الفعل الناقص في البناء النحوي دلالة تخصيص الدلالة السطحية بتقييد ما آلَ إليه جمعُ هؤلاء الأقوام من الأموال إلى كسادٍ وبوارٍ استوجب سخط الله ومقته لهم.

ثانيا- التقييد بـ(إنّ) وأخواتها:

إنَّ وأخواتها حروف ناسخة مشبهة بالفعل تدخل على الجملة الإسمية المؤلفة من المبتدأ والخبر فينتصب بها ما كان يرتفع بالابتداء، ويرتفع بها ما كان يرتفع بخبر الابتداء، ونصب المبتدأ اسما لها استعمال قديم عُدَّ من خصائص العربية، إذ يرجع في أصوله إلى اللغات الجزرية، ولعل احتفاظ العربية به لهو دليل على كونها أقدم اللغات الجزرية[٣٤]. وهذه الحروف الناسخة بدخولها على الجمل الإسمية تضفي دلالات تقييدية على علاقات الخبر بالمبتدأ تتغير بحسب معنى الحرف الناسخ، وفي ما يأتي تبيين لأثرها في تقييد دلالة الخبر في مجموعة من أقوالِ الإمام الحسن عليه السلام:

١- التقييد بـ(إنَّ):

أ- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إنّ التفكّرَ أبو كلِّ خيرٍ وأُمُّهُ))[٣٥].

جاء التركيبُ الحكميّ (**إنّ التفكّر أبو كلِّ خيرٍ وأمّه**) منتظما الحرف الناسخ(إنَّ) الذي قيَّد مضمون الجملة الإسمية ذات التركيب الشكلي المؤلف من اسم معرفة بـ(أل) وقع اسما منصوبًا لـ(إنَّ) بعد التقييد، وهو قوله (التفكّرَ)، وخبر معرفة من الأسماء الستة مضاف إلى عموم، وهو قوله (أبو كلِّ خيرٍ) جاء مرفوعًا خبرا لـ(إنَّ) بعد التقييد؛ وإنما رُفِع تشبيها له بالفاعل، وفرقًا بينه وبين اسمها المنصوب على التشبيه بالمفعول به في الوقت نفسه. إنَّ الدلالة المستفادة من دخول (إنّ) على الجملة الإسمية في كلام الإمام عليه السلام وهي تقييد نسبة الخبر إلى المبتدأ وتوكيدها، فضلا عن أنَّ البنية التركيبية للجملة تدلُّ على إعمال ذلك المقيِّد؛ لأنه عمل على تجزئة الجملة إلى ركنين، بعد أن كانا متلازمين كالكلمة الواحدة. لقد أفاد مجيء التركيب على هذه الهيأة من البناء النحوي ولاسيما الحرف المقيِّد(إنّ) دلالة التوكيد، فالإمام الحسن عليه السلام قصد باستعماله ذلك الحرف توكيد تسيّد التفكر على كل أبواب الخير،

ودفع الاحتمال والشك في أن يحلَّ أمر ما محلَّه. ولأهمية التفكر خصَّه رسول الله ﷺ بهذا الحديث)): **أعطوا أعينكم حظها من العبادة، قالوا: وما حظها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النظر في المصحف، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه))**[٣٦]. ولهذا الأسلوب من التقييد بـ(إنّ) نظائر في غير موضع من أقوال الإمام عليه السلام الحكمية والوعظية.[٣٧]

ب- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إنَّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدًا وسائقًا يقود قومًا إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه و آمنوا بمتشابهه، ويسوق قومًا إلى النار ضيعوا حدوده و أحكامه واستحلوا محارمه))[٣٨].

وهذا نمط آخر من أنماط الجمل الإسمية المقيَّدة بـ(إنَّ) التي أفادت بدخولها معنى تأكيد إمامة القرآن وقيادته للإنسان المؤمن بما جاء فيه من شرع الله تعالى في ما يتعلق بالتزام أوامره سبحانه والانتهاء بنواهيه والإيمان بمتشابهه، وقيادته وإمامته التي توضحها كلمات الإمام تدفع الإنسان إلى التفكير والتأمل في تكوين الأشياء والظواهر والأحداث لإدراك التحولات الحاصلة فيها وتأمل المصائر التي تنتهي إليها. ومن تركيب قول الإمام المذكور آنفا نجد أنَّ الحرف المشبه بالفعل(إنَّ) جاء مقيِّدًا مضمون الجملة الإسمية ذات التركيب الشكلي المؤلف من اسم معرفة(هذا) وتابعه (القرآن) الذي يقع مبتدأ في الأصل، واسمًا للحرف الناسخ بعد التقييد، وخبر هو الجملة الفعلية(يجيءُ يومَ القيامةِ قائدًا)، والذي يؤكد قصدية الإمام باستعماله هذا الحرف المقيِّد(إنَّ) لإفادة معنى تأكيد إمامة القرآن للإنسان هو دخوله على الجملة الإسمية التي تفيد معنى الثبوت واللزوم، وهذا المعنى لاشك في أنَّ السياق يقتضيه والدلالة تستدعيه. ولهذا الاستعمال نظائر في غير موضع من أقوال الإمام عليه السلام ومواعظه.[٣٩]

ت- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إنّ القبورَ محلتُنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا))[٤٠].

جاء الحرف الناسخ (إنَّ) مقيِّدًا مضمون الجملة الإسمية(القبور محلتنا) ومؤكدًا نسبة الخبر إلى المبتدأ، فضلا عن أنَّ البنيَة التركيبية للجملة تدلُّ على إعمال ذلك الحرف المُقَيِّد إعمالا لفظيًّا؛ لأنه عمل على التفريق بين ركني الإسناد، فبعد أن كانا منسجمين من حيث الإعراب بالرفع في إخبارهما الأولي بما يشبه الركن الواحد، صارا بدخوله معمولين له، أي

صارا ركنين مفترقين من حيث الإعراب، إذ إنَّ ما عمل في أحدهما لابد له من أن يعمل في الآخر، وهذا ما يعضُد رأي البصريين في عمل الأحرف المشبهة بالفعل في المسند والمسند إليه معًا[٤١]. إنَّ دخول الحرف الناسخ(المُقَيِّد) على الجملة الإسمية المثبتة أفاد معنى التقرير وأكَّد مراد الإمام عليه السلام من أنَّ القبور هي مآل أجساد الناس إلى القبور البرزخ إلى أن يشاء الله تعالى عرضهم عليه للحساب في يوم القيامة، في هذا القول الوعظيّ ما فيه من حث الناس على العمل الصالح وتدارك ما هم فيه من أسباب الضياع والتفريط بما يؤمن لهم السلامة ((**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**))[٤٢]. وهذا المعنى يقتضيه السياق، وتستدعيه الدلالة؛ لأن الجملة وردت في معرض كلام مؤكد يناسبه الثبات الذي تدلُّ عليه الجملة الإسمية، على أنَّ لهذا الاستعمال نظائر في غير موضع من أقواله عليه السلام[٤٣].

٢- التقييد بـ(أنَّ):

أ- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: (اعلموا أنَّ اللهَ قد كفاكم مؤونة الدنيا، وفرَّغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر). [٤٤]

جاء الحرف المشبه بالفعل (أنَّ) في قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: (**اعلموا أنَّ اللهَ قد كفاكم مؤونة الدنيا**)، مقيِّدًا مضمون معمولَيه -الجملة الإسمية- وناسخًا حكمها في إبطال حركتها الإعرابية، مستبدلا بها حركات أخرى تنسجم ودلالة التوكيد المحض المتحصَّل من معنى الحرف الناسخ، أي توكيد النسبة بين طرفي الإسناد في التركيب الإسمي، ونفي الشك ودحض الإنكار له، فـ(أنَّ) المفتوحة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مؤول متعلق بأحد طرفي الإسناد[٤٥]، وقد أكد بها الإمام الحسن عليه السلام طمأنة المترددين من أنَّ الله جل وعلا قد تكفَّلَ بأرزاق الناس في حياتهم الدنيا بما ادَّخره لهم من أقواتهم لأجل تفرغهم لعبادته وشكره والثناء عليه، إذ الجملة المقترنة بـ(أنَّ) تؤكد الخبر لمن هو متردد فيه[٤٦]. وهذا المعنى لم يكن ليتحقق لولا استعمال الإمام هذا الحرف الناسخ الذي قيَّد مضمون مدخوليه متظافرا مع قيد آخر هو حرف التحقيق (قد) الذي تصدرت به جملة الخبر الفعلية. ولهذا القيد نظائر في غير موضع من أقوال الإمام عليه السلام الحكمية والوعظية. [٤٧]

٣- التقييد بـ(كأنَّ):

قال الامام الحسن المجتبى عليه السلام: ((اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنك تموت غدًا))[٤٨].

يفيد الحرف الناسخ(كأنَّ) معنى التشبيه، وهو وجود علاقة مشابهة بين طرفين يشتركان في صفة معينة بينهما[٤٩]. وقد جاء(كأنَّ) في قول الإمام مقيِّدًا مضمون الجملة الإسمية المؤلفة من اسمٍ معرفة هو الضمير(كاف المخاطب) المتصل به الواقع في محل نصب اسما له، وخبرٍ هو الجملة الفعلية الواقعة في محل رفع(تعيش أبدًا)، إنَّ هذا القول الوعظي للإمام الحسن المجتبى عليه السلام ينتظم حقيقة تعامل الناس بالنسبة إلى الدنيا، فمنهم من رضي بمتاعها الزائل وراح يلهث وراء نعيمها الفاني كأنه مخلَّد فيها، وأولاء هم الخاسرون، ومنهم من جعل الدنيا مزرعة الآخرة، فاشتغل في الدنيا لأجل الفوز بنعيم الآخرة، وهؤلاء هم المفلحون. وقد حقق الحرف الناسخ المقيِّد (كأنَّ) دلالة التشبيه بين النسب الجزئية لركني الجملة الوعظية، أي بين المشبه والمشبه به في الصفة الحسية المادية؛ فالمؤمن يستثمر كل ما لديه من إمكانيات، لتثبيت دعائم الحياة الدنيوية، بأن يجمع مالا كثيرا يؤمن له ولأسرته حياة كريمة، فضلا عن إيقافه جزءا من هذا المال ليكون له عونا على آخرته كأن ينشئ ملجأ للأيتام أو يبني مسجدًا أو مدرسة أو مستشفى أو دار علم مما يكون له صدقة جارية. **قال نبيُّنا الأكرم** صلى الله عليه وآله: ((**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**) **رواه مسلم** (١٦٣١). مما تقدم يتبين لنا أنَّ الحرف الناسخ(كأنَّ) جاء مقيِّدًا مضمون معموليه(المسند والمسند إليه) بسبب إعماله اللفظي فيهما حملا له على ما شُبِّه به من فعل متعدٍّ معدول به عن أصله في الترتيب البنائي النحويّ.

ثالثًا- التقييد بـ(لا) النافية للجنس:

١- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((**لا حياةَ لمن لا دينَ له، ولا مروءةَ لمن لا همّةَ له، ولا أدبَ لمن لا عقلَ له**))[٥٠].

(لا) النافية للجنس حرف نفي مقيِّد يُقصد به نفي الأجناس النكرات على سبيل

الاستغراق، ورفع احتمال الخصوص منها، تشبيهًا لها بنقيضتها(إنَّ) المشددة وحملا لها عليها. يعمل هذا الحرف الناسخ عمل (إنَّ) المشددة، ويفيد معنى التنصيص على نفي الجنس، أي التبرئة من الخبر إطلاقا، لذا سمَّاها الكوفيون بـ(لا التبرئة)، إذ التبرئة تعني النفي وحقها أن تصدق على النافية مطلقا؛ لأنَّها تفيد استغراق النفي في جنس مدخولها[٥١]. وبناء على ما تقدم كان حق اسمها أن يكون منصوبا لكنه بُنِي لزومًا؛ لأنَّ (لا) ومدخولها جُعِلا بمنزلة اسم واحد، نحو خمسة عشر، وهي ومعمولها في موضع رفع بالابتداء. أما خبرها فيكثر حذفه في لغة الحجازيين، وهو واجب الحذف في لغة التميميين[٥٢]. وقد كُرِّرت لا النافية للجنس داخلة على اسمها النكرة المبنية في قول الإمام عليه السلام ستّ مرات: (لا حياةَ، لا دينَ) و(لا مروءةَ، لا همَّةَ) و(لا أدبَ، لا عقلَ)، وخبرها محذوف تقديره (موجودة، موجود). ومن تركيب القول المذكور آنفا نجد أنَّ الحرف الناسخ (لا) جاء مقيِّدًا مضمون الجملة الإسمية التي دخل عليها، ونافيًا اقتران جنس اسمها المبني على ما يُنصَبُ به بخبرها، ومسوغا ابتداءها بالنكرة لتركبه مع (لا) تركب (خمسة عشر)[٥٣]، وهو قوله(لا حياةَ، لا دينَ) و(لا مروءةَ، لا همَّةَ) و(لا أدبَ، لا عقلَ)، فجاء اسمها مبنيًّا لا عمل له بسبب بنائه الذي أبعده عن مشابهة المضاف في تعلقه بما بعده بعمل، ثم جيء بشبه جملة(جار ومجرور) متعلقة بمحذوف مشتق يقع خبرًا مرفوعا للحرف الناسخ المقيِّد (لا) تقديره (موجود، موجودة) بحسب السياق تذكيرًا أو تأنيثًا. وقد أفاد مجيء جملة القول على تلك الهيأة من البناء النحوي، ولاسيما تكرار الحرف الناسخ(لا) دلالة التوكيد في نفي اقتران المسندين؛ فالإمام عليه السلام قصَدَ نفْيَ الحياةِ عمَّن نقص دينُه فلم يعد ملْتَزِما بِقَواعِدِ الدِّينِ وأَحْكامِه، وقلَّ حياؤه فلم يعُدْ يحمل من محاسنِ الأخلاقِ شيئًا. وقصَدَ نفْيَ المروءةِ عمَّن لا صبرَ له ولا مجاهدةَ لأنّ المروءةَ لذَّةُ الحياةِ فهي تحتاج إلى همَّةٍ ودقةِ ملاحظةٍ وسلامةِ ذوقٍ. وقصَدَ نفْيَ الأدبِ عمَّن ذهَبَ عقلُه فلم يعُدْ قادرًا على إدراك الأشياء وتمييز حقائقها، كالتمييز بين الخير والشر، وبين الحقّ والباطل، وبين الحُسْنِ والقُبْحِ أو نحو ذلك، فمن كان ذا عقل سليم فليكن ذا دين وحياء ومروءة. ولأسلوب النفي بـ(لا) النافية للجنس نظائر في غير موضع من أقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الحكمية والوعظية[٥٤].

المطلب الثاني: التقييد بعوامل النصب وعوامل الجزم

أولا: التقييد بعوامل النصب:

تعدُّ عوامل النصب من الحروف المقيدة للأفعال المضارعة، تعمل فيها النصب إما لفظا، وإما تقديرا، وإما محلا، وهي مقيدات زمنية فضلا عن كونها لفظية ومعنوية تخلص الفعل المضارع للاستقبال، وهذا ما أجمع عليه النحويون – قديما و حديثا–، ذكر الرضي الاسترابادي أن الفعل المضارع ينصرف إلى الاستقبال بكل ناصب[٥٥]. وقد وردت في أقوال الإمام الحسن عليه السلام الحكمية والوعظية مجموعة من أحرف النصب(المقيدات) اختصت بالدخول على الجملة الفعلية المضارعية فقيدت بناءها ومحضّت دلالتها الزمنية إلى المستقبل فضلا عن عملها النصب فيه. وفي ما يأتي تبيين ذلك في أمثلة منها:

١ – (أنْ) المصدرية الناصبة:

أ– قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((استجيبوا لله وآمنوا به، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أنْ يتعاظمَ، فإنّ رفعة الذين يعلمون عظمة الله أنْ يتواضعوا و [عزّ] الذين يعرفون ما جلال الله أنْ يتذللوا [له]، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أنْ يستسلموا له، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة، ولا يضلوا بعد الهدى)) [٥٦].

كُرِّرَ الحرف المصدري(أنْ) في أربعة مواضع من قول الإمام عليه السلام، هي **(أنْ يتعاظمَ)**، و**(أنْ يتواضعوا)**، و**(أنْ يتذللوا)**، و**(أنْ يستسلموا)**، وقد جاء في المواضع الأربعة مقيِّدًا البناءين التركيبي والدلالي لمدخوله الجملة الفعلية المضارعية، إذ عمل الحرف المصدري المُقيِّد على تخليص زمن الفعل من دلالته على الحال والاستقبال إلى الدلالة على الاستقبال فقط. وبذلك انتفى احتياج الفعل الواقع معمولا للحرف المصدري المقيد إلى اسم زمان دال على الاستقبال؛ لأن الحروف الناصبة دوالٌّ على تحقق أزمنتها المستقبلية، وهو ما عبَّر عنه المبرِّد بقوله: ((ولا تقع مع الفعل حالا لأنَّها لما لا يقع في الحال، ولكن لما يستقبل))[٥٧]. فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام يعظ المؤمنين لأن يستجيبوا لأوامر الله تعالى وينتهوا بنواهيه وألَّا يتجبَّروا ويتكبروا ويتعالوا على الناس بعدما وقر الإيمان في قلوبهم وعرفوا عظمة الخالق جل وعلا

وعظيم خَلْقِه، فالخطاب للمؤمنين لأجل أن يتواضعوا ويذِلُّوا وينقادوا لخالقهم لينالوا عفوه ورضاه، وتلك منزلة رفيعة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، جاء في اللسان: ((إذا وُصِفَ العبدُ بالعَظمة فهو ذَمٌّ لأن العظمة في الحقيقة لله عزّ وجل، وأما عَظَمَةُ العبدِ فكِبْرُه المذمومُ وتَجَبُّره)) [٥٨]. وقد ورد لهذا القيد نظائر في غير موضع من أقوال الإمام ومواعظه [٥٩].

٢- (لن) الناصبة:

أ- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إنّ الله لم يخلقكم عبثًا، وليس بتارككم سدًى، كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم ليعرف كلُّ ذي منزلة منزلته، وإنّ ما قدّر له أصابه، وما صُرِف عنه فلن يُصيبَهُ، قد كفاكم مؤونة الدنيا، وفرّغكم لعبادته، وحثّكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهى رضاه)) [٦٠].

(لن) حرف نصب مختص بالدخول على الأفعال المضارعة لنفي المستقبل، قال سيبويه((ولن وهي نفي لقوله: سيُفعل)) [٦١]. وعند ابن هشام لا تفيد شيئًا من التأكيد أو التأبيد إلا بقرينة لفظية أو معنوية [٦٢]. والراجح أن تأبيد نفيها وتأكيده يستلزم قرينة كقرينة البدّ في نحو قوله تعالى((**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**)) [٦٣]. نلحظ في قول الإمام عليه السلام أنّ حرف النصب (لن) جاء مُقيِّدًا مدخوله الجملة الفعلية (يصيبَهُ) بتخليص معناها إلى الاستقبال؛ لأنَّ قضاء الله وقدره محتوم، يصيب به من يشاء من عباده، متى يشاء، وكيف يشاء، فما قدَّر وقوعه يقع لا محالة، وما قدَّرَ صرْفَه عنهم لا يقعُ ولن يقعَ، وهذا معنى تخليص دلالة مدخول (لن) للمستقبل المحض.

٣- (حتى) الناصبة:

أ- قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((المُسْؤولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ، وَ مُسْتَرَقٌّ بِالْوَعْدِ حَتَّى يُنْجِزَ)) [٦٤].

(حتى) حرف ينصب الفعل المضارع بنفسه عند الكوفيين، وبـ(أن) مضمرة بعده عند البصريين، وتفيد معنى الغاية أو التعليل [٦٥]. وفي كلام الإمام عليه السلام جاء الحرف (حتى) مقيِّدا دلالة مدخوليه الفعلين(يعِدَ، يُنجِزَ) في جملتيهما المضارعتين بالمستقبل المحض، استنادًا

إلى معنى انتهاء الغاية الذي انتظمه الحرف المقيِّد (حتى)، أي: إنَّ المسؤولَ حرٌّ في سلوكه وتصرفه بالرعيَّة إلى أن يقطع على نفسه وعدًا، فهو أسيرُ ذلك الوعد إلى أن يفيَ به، وقد عبَّر عن ثقل أمانة الوعد بالمرض في الجود لا يكون دواؤه إلا الإيفاء به، فقال في موضع آخر من مواعظه: ((**الْوَعْدُ مَرَضٌ فِي الْجُودِ، وَ الْإِنْجَازُ دَوَاؤُهُ**)). [٦٦]

ثانيا- التقييد بعوامل الجزم:

عوامل الجزم ضربان: أحدهما: يطلب فعلا واحدًا، وهذه الأدوات هي: لم، ولما، و لا الناهية، و لام الأمر، وكلّ هذه الأدوات حروف تُسمَّى حروف جزمٍ.

والآخر: يطلب فعلين اثنين: فعل الشرط وجواب الشرط، وتربط بين جملتين بحيث تكون الأولى شرطا لحدوث الثانية، تُسمّى الجملة الأولى جملة الشرط، وتُسمّى الجملة الثانية جواب الشرط، وهذه الأدوات، هي: إنْ، وإذما، وما، ومهما، وأيّان، وأينما، وأنّى، ومَنْ، وأين، وحيثما، ومتى، وأيّ، وكيفما، وهذه الأدوات جميعها أسماء؛ باستثناء «إنْ» و «إذما» فهما حرفان، وكلها مبنية ما عدا «أيّ» فهي مُعرَبَة.

١ - التقييد بما يجزم فعلًا واحدًا:

أ- التقييد بـ(لم) النافية الجازمة:

*** قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إنَّ الله لم يخلقْكم عبثًا، وليس بتارككم سدًى))** [٦٧].

(لم) أداة جزم تختص بالدخول على الفعل المضارع فتنقل زمنه إلى الماضي وتقلب معناه إليه [٦٨]، وبذلك يكون جزم الفعل المضارع واجبًا إذا تعيَّن فيه معنى المضيّ بدخول (لم) عليه؛ إذ تقلب معناه وزمنه إلى معنى الفعل الماضي وزمنه نحو: (لم يحضرْ زيدٌ)، قال المبرد: ((إنَّ الحروف إذا دخلت معها معانٍ تزيل الأفعال عن مواضعها، ألا ترى أنك تقول: زيد يضرب غدًا، فإذا أدخلت (لم) قلت: لم يضربْ أمسِ، فبدخول (لم) صارت (يضرب) في معنى الماضي)) [٦٩]. على أنَّ استعمال الفعل المضارع بمعنى الماضي لم يقتصر على لغتنا العربية فحسب؛ إنما هو أسلوب معهود في أغلب اللغات الجزرية ولا سيما اللغة العبرية كما ذهب إلى ذلك المستشرق برجشتراسر [٧٠]. وفي قول الإمام الحسن عليه السلام ورد الحرف(لم) نافيا وجازما

ومغيِّرا لدلالة الفعل (يخلقْكم) عن الحال التي هو فيها إلى المضيّ، وقد قيَّد بناء مدخوله الجملة الفعلية، وعمل على نقل دلالتها من بنيتها العميقة إلى بنيتها السطحية كونه عنصر تحويل في زيادته على التركيب الوضعي لبناء الجملة الوعظية. وقد أفاد تقييد التركيب بهذا الحرف الجازم فضلا عن النفي والجزم والقلب دلالة التوبيخ والإنكار ومحاججة منكري البعث؛ إذ أنكر عليهم الإمام عليه السلام ظنّهم أنهم خلقوا للّعب والتمتع بملذات الدنيا، وأنهم يُتركون سُدًى لا يُبعثون ولا يُجزون بأعمالهم في الآخرة، وقد اتكأ الإمام في محاججته على دليلين قرآنيّين، هما قوله تعالى: ((**أَفَحَسِبْتُمْ أنما خلقناكم عبثًا**))[٧١]، وقوله تعالى: ((**أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدًى**))[٧٢]. والمعنى: أنَّ الله خلقَ الخلق لحكمة هي أن يتعبَّدهم ويُكلِّفهم المشاق من الطاعات وأداءِ الواجبات واجتِناب المحرماتِ ليُثيب المحسنين، ويجعَلَ جزاءَ العَاصِين المخَالِفِينَ للأمر والنّهْي العذابَ الأليم في الآخِرة[٧٣]. ولهذا القيد في استعمال الإمام عليه السلام نظائر في غير موضع من أقواله وحكمه ومواعظه[٧٤].

ب- التقييد بـ(لا) الطلبية الجازمة:

*** قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((لا تعاجل الذّنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقًا))**[٧٥].

(لا) الطلبية: أداة تختص بالدخول على الفعل المضارع فتجزمه وتخلصه للاستقبال، وهي تفيد معنى النهي والكفّ عن فعل معين مذكور معها، وعادةً تدخل على فعل المخاطب، مثل: لا تكذبْ، وترد أحيانًا للدعاء[٧٦]، كقوله تعالى((**ربَّنا لا تؤاخذْنا إنْ نسينا أو أخطأْنا**))[٧٧]. ورد الفعل المضارع مُقَيَّدًا بـ(لا الطلبية) في قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في منح المُذنب فرصة الاعتذار: (**لا تعاجلِ الذنبَ بالعقوبة**)؛ إذ يتضح من البناء النحوي للقول أنّ (لا) الطلبية الجازمة أفادت معنى الكف عن معاجلة الذنب بالعقوبة، فجاءت مقيِّدةً مدخولها الجملة الفعلية المبدوءة بفعل مضارع هو(تُعاجِل) بأن جزمته وخلَّصت معناه إلى المستقبل المحض. إذ رأى الإمام عليه السلام أن من الحكمة إعطاء المذنب فرصة لتصحيح خطئه بأن يعتذر عمَّا بدر منه من غلط أو تقصير ففي ذلك إصلاح لأحوال المجتمع الإسلاميّ، وهذا

ما سعى له الوعاظ والمصلحون وفي مقدمتهم آل البيت عليهم السلام. ولمثل هذا الاستعمال نظائر في غير موضع من أقوال الإمام عليه السلام وحكمه ومواعظه[٧٨].

٢- التقييد بما يجزم فعلين اثنين:

أ- (مَنْ) الشرطية الجازمة:

***قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((اتقوا اللهَ عبادَ الله، واعلموا أَنَّهُ مَنْ يتَقِّ اللهَ يجعلْ له مخرجًا مِنَ الفتنِ، ويُسَدِّدْهُ في أمْرِهِ، ويُهيِّئْ له رشْدَهُ))**[٧٩].

(من) اسم شرط جازم له الصدارة في التركيب تضمّن معنى(إنْ) الشرطية الجازمة أو ناب عنها لضرب من الاختصار والتقريب، وهو يفيد معنى العموم والإبهام في من يعقل، والدلالة على الزمن المطلق، وهو يقتضي فعلين يعمل فيهما الجزم لفظا أو محلا[٨٠]. وفي خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الوعظيّ الذي ضمَّنه لفظ القرآن الكريم **(مَنْ يتَقِّ اللهَ يجعلْ له مخرجًا)** جاء اسم الشرط(مَنْ) مُقيِّدًا معموليه الجملتين الفعليتين المضارعتين، جملة الشرط(يتَّقِ الله)، وجملة الجواب(يجعلْ له)، وقد حقق اسم الشرط الجازم(مَنْ) نقل دلالة معموليه من زمن الحال إلى المستقبل المحض. وأفاد مجيء قول الإمام عليه السلام على ذلك البناء النحوي ولاسيما التقييد بـ(مَنْ) شدَّة دلالة التقرير، فالإمام قصد تقرير حقيقة التقوى في نفوس مخاطَبيه لما لها من خير عميم في إخراجهم من الفتن وتسديد أمورهم وتحقيق رغباتهم فضلا عمّا ينتظرهم من الفوز بمصاحبة مَن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وقد تكرر مثل هذا الأسلوب في غير موضع من أقوال الإمام عليه السلام وحكمه ومواعظه[٨١].

ب- (إذا) الشرطية غير الجازمة:

***قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((إذا أضرَّتِ النوافلُ بالفريضة فارفضوها))**[٨٢].

(إذا) الشرطية غير الجازمة هي ظرف لما يستقبل من الزمان، وللماضي بقرينة، يتضمن معنى أداة الشرط ويختص بالدخول على الجملة الفعلية، ولا يجزم، ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ومضارعا دون ذلك[٨٣]. وعلماء المعاني يرون أنها تختص بالمتيقن والمظنون

والكثير الوقوع[٨٤]. وفي قول الإمام عليه السلام المذكور آنفا جاءت أداة الشرط(إذا) مقيدة مدخولها(جملة الشرط وجوابه)، إذ إنّ الظرف المتضمن معنى أداة الشرط والمحمول في تركيب جملته عليه، وهو قوله(إذا) قيَّد جملتي الشرط(**إذا أضرَّتِ النوافلُ بالفريضة**) والجواب(**فارفضوها**)، وعمَّق شدَّتها الدلالية بتخصيصها بعلاقة السببيّة؛ إذ أنزلَ جملة الشرط منزلة السبب، وأنزلَ جملة الجواب منزلة المسبب، فيتحقق الثاني(رفض النوافل) إذا تحقق الأول (الإضرار بالعبادات)؛ لأن وجود الثاني متعلق بوجود الأول. وقد أفاد مجيء الجملة الوعظية على تلك الهيأة من البناء النحوي دلالة الدوام والاستمرارية في تنكّب أداء النوافل إذا ما أدى القيام بها إلى الإضرار بالواجبات والفرائض. ومثل هذا الاستعمال له نظائر في غير موضع من أقوال الإمام وحكمه ومواعظه[٨٥].

الخاتمة

١- انماز البناء النحوي لأقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وحكمه ومواعظه بتعدد أنماطه وتنوع مقيِّداته تبعا للدلالة المقصودة التي يرتئيها الإمام، فكان استحضاره لمعاني النحو وتقييد أقواله ومواعظه بعوامل النسخ والنصب والجزم والتقديم والتأخير والحذف سمة بارزة فيما انتظمته السياقات التي وردت فيها تلك الأقوال الحكمية والوعظية.

٢- لعلّ من أبرز مزايا أقوال الإمام الحسن المجتبى ومواعظه هو خطابه الإقناعي المستند إلى الحجج والبراهين والأدلة العقلية والنقلية عن القرآن الكريم والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكلام والده أمير المؤمنين عليه السلام التي أفاد منها في تكثيف الدلالة المقصودة باقتباسها بالحرف أحيانا ونقلها بالمعنى أحيانا أخرى، فضلا عن الإيجاز والشدة الدلالية في تلكم الأقوال والمواعظ.

٣- تبيَّن لي أنَّ التقييد بالنواسخ شكَّل ظاهرة لافتة للنظر في أقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وحِكَمِه ومواعظِه؛ إذ حقق التقييد بالنواسخ من الأفعال والحروف والأدوات دلالات مختلفة بحسب السياقات التي وردت فيها تلك النواسخ، من مثل التخصيص والتقرير والتوكيد والقصر.

٤- وردت في أقوال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الحجاجية والوعظية مجموعة من عوامل النصب وعوامل الجزم(المقيدات) اختصت بالدخول على الجملة الفعلية المضارعية فقيَّدت بناءها ومحضّت دلالتها الزمنية إلى المستقبل؛ لأن تلك العوامل دوالٌّ على تحقق أزمنتها المستقبلية، فضلا عن تحقيقها دلالات مختلفة من مثل التقرير التوبيخ والإنكار، ومحاججة منكري البعث، والدوام والاستمرارية، والتخصيص بعلاقة السببية، والنهي والنفي والجزم والقلب، ونقل دلالة الجملة من بنيتها العميقة إلى بنيتها السطحية.

الهوامش:

(القرآن الكريم)

١. العين: ٥ / ١٩٦، مادة (قيد).

٢. معجم مقاييس اللغة: ٥ / ٤٤، مادة (قيد).

٣. تاج العروس: ٩ / ٨٦، مادة: (قيد).

٤. ينظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: ٧٨.

٥. ينظر: كتاب المطلق والمقيد، حمد بن حمدي الصاعدي: ١١٣.

٦. شرح الحدود في النحو: ٣.

٧. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي: ١٣٥٥.

٨. كتاب سيبويه: ١ / ٣٥.

٩. ينظر: أسرار العربية: ١٧١.

٠١. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٩٦.

١١. ينظر: المصدر نفسه: ٤ / ١٨١ ـ ١٨٢.

٢١. شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ: ٣٣٠.

٣١. الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٧٧.

٤١. حاشية الصبان: ٤ / ١٠.

٥١. موسوعة النحو والصرف والإعراب: ٥٣٤.

٦١. ينظر: بناء الجملة العربية: ١٥٤-١٨٠.

٧١. ينظر: كتاب سيبويه: ١/ ٤٥ -٤٨، والأصول، لابن السراج: ١/ ٨٣، ٩٢، وأسرار العربية: ٨٥-٨٩، وشرح التصريح، لخالد الأزهري: ١/ ١٨٣، وهمع الهوامع: ١/ ٦٣، ١١١، ٢/ ٧١، والنحو الوافي: ١/ ٤٠٨.

٨١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، ١٤٠٤هـ، : ٩٠/ ٣١٣.

٩١. ينظر: كتاب سيبويه: ١/ ٤٥، وأسرار العربية: ٨٨، والمغني في النحو، لابن فلاح اليمني: ١/ ٦٩.

٠٢. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام: ((يا أيها الناس، من كان له على الله أجر فليقم)) وقوله عليه السلام ((إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا، ويأملون بعيدا، أصبح جمعهم بوارا وعملهم غرورا، ومساكنهم قبورا)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٣.

١٢. إرشاد القلوب: أبو محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي ـ قم: ٧٩.

٢٢. ينظر على سبيل التمثيل: قوله عليه السلام: ((النعمة محنة، فإنْ شُكِرت كانت كنزًا، وإنْ كُفرت كانت نِقمَةً))، وقوله عليه السلام ((من كان يباهي بجدٍّ فانّ جدي الرسول)) وقوله عليه السلام:)(فطوبى لمن كان بحقهما عارفًا)). ينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ١٠٦، ٥/ ٤٠، ٣٦/ ٩.

٣٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٨/ ٨٩.

٤٢. سورة البقرة: ١١٠.

٥٢. شرح الرضي على الكافية: ٤/ ١٨١-١٨٢.

٦٢. ينظر: المصدر نفسه.

٧٢. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام: ((ونعم العون الصمت في مواطن كثيرة وإن كنت فصيحًا)) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٤٠١، وقوله عليه السلام: ((يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم الله سبحانه تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٣.

٨٢. بحار الأنوار: ٢/ ١٠.

٩٢. المحجة البيضاء، ج ٧ / ٤٢.

٠٣. سورة الحشر: ١٨.

١٣. بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٣.

٢٣. ينظر: ارتشاف الضرَب، لأبي حيان، تح: د. رجب عثمان محمد: ٣/ ١١٥٥.

٣٣. سورة آل عمران: ١٠٣.

٤٣. ينظر: المقتضب، للمبرد: ٤/ ١٠٩، والخصائص: ١/ ٣١٤، والمقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني: ١/ ٤٤٣، والإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ١/ ١٧٦، مسألة(٢٢)، والتطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر: ٩١.

٥٣. حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام: ١ / ٣٤٣، ٣٤٦.

٦٣. المحجة البيضاء: ٨ / ١٩٥.

٧٣. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام: ((إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه، فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته)) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٥١١، وقوله عليه السلام: ((إنَّ الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربّي و هو يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد) [الأعراف: ٣١] فأحب أن ألبس أجمل ثيابي)) مجمع البيان، الطبرسي: ٤/ ٦٣٧، و وسائل الشيعة: الحر العاملي، إيران ـ طهران ١٤٠٣هـ ٢ / ٣٣١، وقوله: ((إن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب)) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٨.

٨٣. إرشاد القلوب: ٧٩.

٩٣. ينظر على سبيل التمثيل قول الإمام عليه السلام: ((إنَّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)) بحار الأنوار: ٧٨/ ١١٢، ٩٢/ ٣٢، وقوله عليه السلام: ((يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود، والكافر يتمتع)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٦.

٤٠. بحار الأنوار: ٧٥ / ١١٣.

٤١. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري: ١/ ١٧٦، مسألة(٢٢).

٤٢. سورة الشعراء/ ٨٨-٨٩.

٤٣. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام:))إن الحلم زينة، والوفاء مروة، والعجلة سفه.)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٢٢، وقوله عليه السلام: ((إن أبصر الابصار ما نفذ في الخير مذهبه)) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٠٩، وقوله عليه السلام

((إن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا منزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك)) بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨.

٤٤. بحار الأنوار: ٧٥ / ١١١.

٤٥. ينظر: المقتضب: ٤/ ١٠٧.

٤٦. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٣.

٤٧. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام: ((اعلم أن مروة القناعة والرضا أكثر من مروة الإعطاء ((ميزان الحكمة لمحمد الريشهري: ٣/ ٢٦٣٦، وقوله عليه السلام: ((اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثا، وليس بتارككم سدى)) بحار الأنوار: ٧٥ / ١١٠، وتحف العقول: ٢٣٢، وقوله عليه السلام: ((اعلموا أن الله كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم)) بحار الأنوار : ٧٥ / ١١٠.

٤٨. بحار الأنوار: ٤٤ / ١٣٨.

٤٩. ينظر: الجنى الداني: ٥٧٠، ومغني اللبيب: ١/ ٢١٠.

٠٥. مطالب السؤول: ٣٥٨.

١٥. ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٢٠، ومغني اللبيب: ١/ ٢٥٣-٢٥٤.

٢٥. ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ٢٧٤ - ٢٧٥، وارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٩٥- ١٣٠٢.

٣٥. ينظر: معاني القرآن، للأخفش: ١/ ٢٤ – ٢٥.

٤٥. ينظر على سبيل التمثيل: قوله عليه السلام: ((فلا شيءَ أقرب من يد إلى جسد، وإنَّ اليد تفلّ فتقطع وتحسم)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٠٦.

٥٥. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٢٩.

٦٥. بحار الأنوار : ٧٥ / ١٠٤.

٥٧. المقتضب: ٢/ ٢٩.

٥٨. لسان العرب: ٤/ ٣٧١ (ع ظ م).

٩٥. ينظر على سبيل التمثيل قوله عليه السلام: ((اللؤم أن لا تشكرَ النعمة((بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٥، وقوله عليه السلام: ((السياسة أن ترعى حقوق الله، وحقوق الإحياء، وحقوق الأموات)) بحار الانوار: ٧٣ / ٥٧، وسئل عن البخل؟ فقال عليه السلام: ((هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفا، وما أمسكه شرفا((بحار الأنوار: ٧٥ / ١١٣.

٦٠. بحار الأنوار : ٧٥ / ١١٠.

٦١. كتاب سيبويه: ٤/ ٢٢٠.

٦٢. ينظر: أوضح المسالك، لابن هشام، تح: عبد المتعال الصعيدي: ٢٤٠.

٦٣. سورة البقرة: ٩٥.

٦٤. بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٣، ونزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٧٢، لحسين بن محمد بن حسن بن نصر الحلواني، (ت ق٥)، ط١، ١٤٠٨ هجرية، مدرسة الامام المهدي قم/ إيران.

٥٦. هذه واحدة من مسائل الخلاف بين المدرستين، لتعرف المزيد، ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٥٩٧-٦٠١ مسألة(٨٣)، والجنى الداني، للمرادي: ٥٤٢-٥٥٨، ورصف المباني في شرح حروف المعاني،

للمالقي: ٢٥٧-٢٦١، ومغني اللبيب: ١/ ١٤٣-١٥١.

٦٦. نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٧١.

٦٧. بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٠.

٦٨. ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٨، والمقتضب: ١/ ٤٦، ومعاني الحروف، للرماني: ١٠٠، والمرتجل: ٢١١، واللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري: ٢/ ٤٧، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٤/ ٢٦٣، وشرح قطر الندى: ٩٥.

٦٩. المقتضب: ٤/ ١٢٤.

٠٧. ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٨٨-٨٩.

١٧. سورة المؤمنون: ١١٥.

٢٧. سورة القيامة: ٣٦.

٣٧. ينظر: الكشاف: ٣/ ٢٠٩، وروح المعاني: ٢٩ / ٢١٢.

٤٧. ينظر على سبيل التمثيل قوله ﷺ:)): تعلموا العلم: فإنْ لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم))، وقوله ﷺ): (يابن آدم، لم تزلْ في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك ((بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٠-١١١.

٧٥. نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٧٢.

٧٦. ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٨، والجنى الداني: ٣٠٠، ورصف المباني: ٣٣٩.

٧٧. سورة البقرة: ٢٨٦.

٧٨. ينظر على سبيل التمثيل قوله ﷺ: ((لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة، والاجمال في الطلب من العفة)). بحار الأنوار: ٧٤/ ١٩٨، وقوله ﷺ: ((لا تأت رجلا إلا أن ترجو نواله، وتخاف يده، أو يستفيد من علمه، أو ترجو بركة دعائه، أو تصل رحما بينك وبينه)) كشف الغمة: ٢/ ١٩٦.

٧٩. بحار الأنوار: ٩١ / ٣٣١، وتحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٢٣٢.

٨٠. ينظر: كتاب سيبويه: ٣/ ٧٠، والأصول في النحو: ٢/ ١٥٩، وشرح الرضي على الكافية: ٤/ ٩٠.

٨١. ينظر على سبيل التمثيل قوله ﷺ: ((إنكم صغار قوم و يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن يستطعْ منكم أن يحفظَه فليكتبْه و ليضعه في بيته))، وقوله ﷺ: ((من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره)) وقوله ﷺ: ((من بدأ بالكلام قبل السلام، فلا تجيبوه((بحار الأنوار٣/ ١٥٣، ٤٤/ ٩٠-٩١، ٧٥/ ٢٤٣.

٨٢. تحف العقول ابن شعبة الحراني: ١٦٩.

٨٣. ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١١٣-١١٤.

٨٤. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٨٨، والإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٢٥.

٨٥. ينظر على سبيل التمثيل قوله ﷺ: ((إذا لقي أحدكم أخاه، فليقبّل موضع النور من جبهته)) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٠٥، وقوله ﷺ: ((إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها)) تحف العقول: ٣٨٩.

المصادر والمرجع

*الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١ه)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة النور، إيران ١٣٨٠ه.

*ارتشاف الضرَب، لأبي حيان، تح: د. رجب عثمان محمد، ط١ ١٩٩٨م، مكتبة الخانجي، القاهرة

*إرشاد القلوب: أبو محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي ـ قم، إيران.

*أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري(ت٥٧٧ه)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

*الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج(ت٣١٦ه)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٣م.

* الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

*أوضح المسالك، لابن هشام، تح: عبد المتعال الصعيدي، دار العلوم الحديثة، بيروت ١٩٨٢م.

* الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م.

*بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١٠ه)، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، ١٤٠٤ هـ.

*تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة محققين، طبعة الكويت د. ت.

*تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، للحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني(ق٤) عني بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري ط٢، ١٤٠٤ه مؤسسة النشر الاسلامي، قم، إيران.

*التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م.

*الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٣ه- ١٩٩٢م.

*حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦ه)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

*الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري(ت ٩٢٦هـ) تح: د. مازن المبارك، : دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١ه.

*شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (٨٩٩ - ٩٧٢ هـ(تح: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

*حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام- دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، دار البلاغة للنشر د. ت.

*الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠ م.

*رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد عبد النور المالقي، تح: أحمد مجمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث

العربي، بيروت ـ لبنان.
* شرح التصريح على التوضيح، الأزهري(خالد بن عبد الله)(ت ٩٠٥ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط٢ بيروت ٢٠٠٦ م.
*شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، ابن مالك، تح: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني ـ بغداد، ١٩٧٧م.
*شرح الكافية، للرضي (رضي الدين الاستراباذي) (ت ٦٨٦ هـ)، طبعة جديدة، تصحيح يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
*شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش(ت٦٤٣ه)، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
*شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ.
* العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٢م.
* في بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار القلم الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
*كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن عنبر الملقب ب(سيبويه ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م.
*كتاب المطلق والمقيد، حمد بن حمدي الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م
*كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) مراجعة: د. رفيق العجم، تح: د. علي دحروج، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت ط١، ١٩٩٦م.
*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ضبط وتصحيح: مصطفى أحمد حسين، دار الكتاب العربي– القاهرة ١٩٤٧م.
*كشف الغمة في معرفة الأئمة، لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي(ت ٦٩٢ هـ)، تحقيق: علي آل كوثر، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، دار التعارف، ط١ ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م بيروت، لبنان.
*اللباب في علل البناء والإعراب، عبد الله بن الحسين للعكبري(ت٦١٦هـ)، د. غازي مختار طليمات، ود. عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت١٤١٦هـ.
* لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، تحقيق الأساتذة عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت.
*مجمع البيان في تفسير القرآن، للفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
*المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، لمؤلفه الملا محسن الفيض الكاشاني، (ت١٠٩١هـ)، المصحح والمعلق: علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة المحبين، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
*المرتجل، لعبد الله بن أحمد بن الخشاب(ت٥٦٧هـ)، تح: علي حيدر، دار الحكمة، دمشق ١٩٧٢م.
*: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: محمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)، تح: ماجد ابن أحمد العطية، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.
*معاني الأخبار، الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر

الغفاري، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٧٩هـ.
*معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني(٣٨٤هـ)، تح: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدَّة، ط٣، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
*معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط(٢١٥هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
*معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٦هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
* معجم مقاييس اللغة، ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
* المغني في النحو، منصور بن فلاح اليمني(ت٦٨٠هـ)، تح: د. عبد الرزاق السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١ ١٩٩٩م.
* مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران – إيران، ١٣٨٦هـ.
*المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.
*المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامية، القاهرة، ط ٣، ١٤١٥هـ.
*من لا يحضره الفقيه، رئيس المحدثين الشيخ أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق(ت٣٨١هـ)، صححه وعلَّق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١ ١٩٨٦ بيروت، لبنان.
*موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
* ميزان الحكمة لمحمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع – قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.
* النحو الوافي، أ. عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٣، د. ت.
*نزهة الناظر و تنبيه الخاطر، لحسين بن محمد بن حسن بن نصر الحلواني، المتوفى في القرن الخامس الهجري، الطبعة الأولى سنة: ١٤٠٨ هجرية، مدرسة الامام المهدي قم/ إيران.
* همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، و د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ.
* وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ)، تح: عبد الرحيم الرباني، المطبعة الإسلامية، طهران ١٤٠٣هـ.

خطابات الإمام الحسن عليه السلام

أ . م . د . أحمد يحيى السلطاني
م . م . حسن هادي حسن السلطاني

الملخص

ركزت الدراسة في منهجها على دراسة جزء مهم من حياة الإمام الحسن عليه السلام، والموجهة بشكل أساس لخدمة المجتمع الاسلامي وهي آراءه وخطابات الإمام الحسن، مستهدفاً في ذلك دراسة أهم خطب الامام الحسن عليه السلام.

تضمن هذا البحث خطب الإمام الحسن، إذ مرت على الإمام الحسن مجموعة من الإحداث المهمة في حياته من خلال خطاباته في حياة أبيه وبعد إستشهاده.

لقد انتظم البحث من أجل تحقيق عدة أهداف أبرزها أن الإمام الحسن قد مرت عليه مجموعة من الأحداث المهمة في حياته السياسية والاجتماعية وكان لأخلاقه وتواضعه وآراءه المختلفة في الفقة والشريعة دور رئيس في هداية الناس، وكذلك تطرقنا في البحث إلى أهم خطابات الإمام الحسن عليه السلام الدينية والاجتماعية والسياسية في حياة والده الإمام علي وبعد استشهاد والده وفي زمن خلافته لما لها من دور فعال في توجيه المجتمع في ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر.

المقدمة:

الحمد لله الأول قبل الانشاء والاحياء والآخر بعد فناء الاشياء، والصلاة والسلام على خير الانام وسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الاخيار المنتجبين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إن الدراسة الجامعة والشاملة لحياة أئمة أهل البيت عليهم السلام « أمر ضروري، لما لها من دور في الفهم الصحيح لأقوالهم وسلوكهم ومواقفهم في الظروف المختلفة، وأما دراسة جانب دون آخر فلا تسلم من سوء الفهم، ولا تتحقق هذه النظرة الشاملة إلا من خلال تدوين كل ما كتب عن أهل البيت، ونحن في بحثنا هذا نسلط الضوء فيما يخص الإمام الحسن عليه السلام، وأبعاد حياته المشرقة، فإذا ما اقترنت هذه المرحلة من حياته مع المراحل الأخرى، فسوف نحصل على معرفة واسعة وبشكل أكمل، لأن بعض المؤرخين والرواة المغرضين، قد طمسوا معالم كثيرة عن هذه الشخصية العظيمة، فوضعوا عليه الروايات واختلقوا الأكاذيب والتضليل وذلك للتقليل من شأنه لحساب آخرين، ومن اجل فصله عن المجتمع الإسلامي وفصل المجتمع الإسلامي عنه لتحصل القطيعة بينهم، فلا يعرف فضلهم ولا تحفظ مراتبه التي رتبها الله لهم، وكانت الحكومات الإسلامية آنذاك قد أنكرت فضلهم وحقهم، ومارست اتجاههم شتى أنواع الضغوط والممارسات التي وصلت الى حد إعلان الحرب عليهم وتصفيتهم بشتى الوسائل، تارة بالسيف وتارة بالسم، وتشويه الأخبار الواردة عنهم.

لا يخفى على أحد من المسلمين عظمة و منزلة الإمام الحسن عليه السلام عند الله ورسوله، وعندما نزل الوحي يوماً بهذه الآية الكريمة: ((**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**))[1]، دعا صلوات الله عليه و آله وسلم فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام ودثرهم بردائه وضمهم بحنانه وهو يقول: (هؤلاء أهل بيتي)[2]، أنهم أهل بيت النبي وأهل التقوى وأهل التضحية وأهل الفداء، كان الحسن عليه السلام ينفق أمواله على الذين فقدوا ثرواتهم في سبيل الله، وكان يكثر بره على أولي الأرحام والفقراء والمساكين، وكذلك مكانتا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال بحق الحسن والحسين صلى الله عليه وآله: ((هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أُحبهما فأحببهما وحب من يحبهما)). [3]

انفرد الإمام الحسن عليه السلام بأنه الرجل الذي قاسم الله ماله ثلاث مرات، وخرج عنه كله مرتين[٤]. آثر الإمام الحسن عليه السلام لا عن ضعف ولا عجز إذ قال: » لقد كانت جماجم العرب بيدي في العراق تسالم من سالمت وتحارب من حاربت، ثم تركتها ابتغاء وجه الله «[٥]. لقد ترك للآخرين دنياهم وعكف هو على الطاعة والعبادة والخير، وعندما ازداد انحراف معاوية، وأسند ولاية العهد لابنه يزيد بعد نقضه لشروط الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، لذا ما كان للحسين عليه السلام ليدع دين الله ودنيا الناس ألعوبة بيد يزيد فتصدى لقوى الشر رغم تحذير المقربين إليه بالعدول عن قرار مواجهتها، إلا أنه أبى إلا أن يصلح دين جده، فكان يوم كربلاء الذي ظهرت فيها عظمة الثبات وروعة البطولة وقوة الإيمان والتضحية في مهرجان للحق قل نظيره.

ولأجل الكشف عن هذه الحقائق المغيبة ارتأينا الكتابة عن بعض خطابات الإمام الحسن،

تضمن البحث مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة، جاء المبحث الأول تحت عنوان (مولد الإمام الحسن وألقابه وماقيل فيه وادعيته)، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان (أخلاق الامام الحسن وآراءه في السياسة والصديق والصاحب) وفيما يخص المبحث الثالث فقد تناول (خطب الإمام الحسن عليه السلام)

المبحث الأول

مولد الإمام الحسن وألقابه وماقيل فيه وادعيته

أولاً: مولد الإمام الحسن وألقابه

ولد الإمام الثاني والسبط الأول سيد شباب اهل الجنة الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام في المدينة في النصف من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث من الهجرة[٦]، وأمه سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وحجة الله البالغة والسر المستودع بنت الرسول وزوج فحل الفحول المحدثة الطاهرة الزكية الحانية (فاطمة الزهراء) عليها السلام.

ومن أشهر ألقابه عليه السلام (التقي، الزكي، الطيب، السيد، السبط والولي)[٧]. وأما صفته عليه السلام: فإنه روي عن أنس بن مالك قال: بأن الامام الحسن عليه السلام هو أشبه أهل بيته برسول الله صلى الله عليه وآله[٨]. وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كان الحسن عليه السلام برسول الله ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه فيما كان أسفل ذلك[٩]

ثانياً: ما قيل عن الإمام الحسن

حكي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس حوله فيتكلم بما يشفي غليل السائلين ويقطع مجبح المجادلين، من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسيره الوسيط: أن رجلاً دخل إلى مسجد المدينة، فوجد شخصاً يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله والناس من حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل وقال: أخبرني عن (شاهد ومشهود) البروج (٣)، فقال عليه السلام: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة، فتجاوزه إلى أخر غيره يحدث في المسجد فسأله عن (شاهد ومشهود) قال: أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر، قال فتجاوزهما إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار وهو يُحدث عن رسول الله في المسجد فسأله عن (الشاهد ومشهود) فقال: نعم أما الشاهد فرسول الله صلى الله عليه وآله وأما المشهود فيوم القيامة أما سمعته عز وجل يقول ((يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)) الأحزاب: ٤٥١ وقال تعالى: ((ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)) هود: ١٠٣ فسأل عن الأول فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام[١٠].

وحكي عنه أنه اغتسل وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حله فاخرة ووقرة طاهرة ومحاسن سافرة بنفحات طيبات عاطرة ووجهه يُشرق حُسناً وشكله قد كمل صورةً ومعنى والسعد يلوح من أعطافه، ونظرة النعيم تعرف في أطرافه، وقد ركب بغلة فارهة غير عسوف، وسار وقد اكتنفه من حاشيته صفوف، فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود مسحٌ من جلود وقد أنهكته العلة والذلة وشمس الظهيرة قد شوت شواه، وهو حامل جرة ماء على قفاه، فاستوقف الحسن فقال: يا ابن رسول الله هل لي بسؤال فقال له: ماهو ؟ قال جدك يقول (الدنيا سجن المؤمن وجنةُ الكافر) وانت المؤمن وأنا الكافر فما أرى الدنيا ألا جنةً لك تنعم فيها وأنت مؤمن وتستلذ بها وما أراها إلا سجناً قد أهلكني حرها وأجهدني فقرها !! فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد واستخرج الجواب من خزانة وأوضح لليهودي خطأ ظنه وخطل زعمه وقال (ياشيخ لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في دار الآخرة مما لاعين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر لعلمت أني قبل أنتقالي إليه في هذه الحالة في سجن ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار جهنم ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت قبل مصيرك إليه في جنه واسعة ونعمة جامعة)[١١]، ومن أن رجلًا جاء إليه وسأله وشكا إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان ذلك الرجل من المثريين فقال له: يا هذا حق سؤالك يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكثر عليَ ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الأحتفال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت، فقال الرجل: يأبن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال: هات الفاضل فأحضر خمسين الف درهم قال: فما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك ؟ فقال: هي عندي، فقال: عليه السلام فأحضرها فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير أليه واعتذر منه[١٢].

وفي يعض مواعظه قال: (يابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وأرض بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب وأن

يصاحبوك بمثله تكن عادلاً إنه كان بين ايديكم قوم يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً)[١٣].

ثالثاً: أدعية الامام الحسن

((اللهم إنك الخلق من جميع خلقك، وليس في خلقك خلق مثلك إلهي من أحسن فبرحمتك ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن ردفك ومعونتك، ولا الذي اساء استبدل بك وخرج من قدرتك، الهي بك عرفتك، وبك اهتديت الى امرك، ولولا انت لم ادرِ ما انت، فيا من هو هكذا ولاهكذا غيره صلى الله عليه وآله، وارزقني الاخلاص في عملي والسعة في رزقي، اللهم اجعل خير عملي اخره، وخير عملي خواتمه، وخير ايامي يوم القاك، إلهي أطعتك ولك المنة علي في احب الاشياء اليك: الايمان بك والتصديق برسولك، ولم اعصك في ابغض الاشياء اليك: الشرك بك والتكذيب برسولك فاغفر لي ما بينهما يا ارحم الراحمين))[١٤]

ومن كلام له في العلم قوله:

(تعلموا العلم، فإنكم صغار في قوم وكبار غداً ومن لم يحفظ منكم فليكتب)[١٥]، وقوله عليه السلام (علم الناس وتعلم علم غيرك فتكون قد اتقنت علمك وعلمت مالم تعلم)[١٦]

المبحث الثاني

أخلاق الامام الحسن وآراءه في السياسة والصديق والصاحب

في رحاب الاخلاق والتربية

نقل عن الامام الحسن عليه السلام انه كان يرى والدته فاطمة عليها السلام تدعو للجار بشكل خاص، وللمسلمين بشكل عام. فقال لها بان تدعو له ايضاً، فتجيبه أن الجار مقدم علينا ((الجار ثم الدار))[١٧].

وقال الامام الحسن عليه السلام: (مكارم الاخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الارحام، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقري الضيف، ورأسهن الحياء)، وقال عليه السلام في المروءة (اصلاح الرجل امر دينه، وحسن قيامه على ماله، وإفشاء السلام والتحبب إلى الناس)، وقال عليه السلام في أشر الناس (أشر الناس من لا يعيش في عيشة أحد) وقال لرجل من الاثرياء يخاف الموت (ذاك لانك أخسرت مالك، ولو قدمته لسَرك أن تلحق به)[١٨]

روى المبرد وابن عائشة: أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك، فقال: (أيها الشيخ أظنك غريباً ؟ ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً أويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريقاً ومالاً كثيراً) فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في ارضه والله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي، والآن أنت أحب خلق الله إلي، وقيل له لأي شيء لانراك ترد سائلاً ؟ فأجاب: (إني لله سائل وفيه راغب وأنا استحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإن الله عودني عادةً ان يفيض نعمه علي، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت أن يمنعني العادة[١٩].

رأي الإمام الحسن في السياسة: -

قال عليه السلام هي أن ترعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات، فأما حقوق الله فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهى، وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو اخوانك، ولا تتأخر في خدمة امتك، وإن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته، وأن ترفع عقيدتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوي، وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم، وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم رباً يحاسبهم.

وقوله عليه السلام أتدري ما يجب على الملك في ملكه، وما لا يضره إذا أدى الذي عليه منه، إذا خاف الله في السر والعلانية، وعدل في الغضب والرضا وقصد في الفقر والغنى، ولم يأخذ الاموال غصباً ولم يأكلها إسرافاً وتبذيراً ولم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان من خلته.

رأي الامام الحسن في الصديق والصاحب

قال عليه السلام ألا اخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يحل ولا يكنز إذا وجد وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلا على ثقة لمنفعة وكان لا يشتكي ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً[٢٠].

كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاد الجد فهو الليث عادياً، وكان إذا جامع العلماء على أن يستمع أحرص منه على أن يقول، وكان اذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول، وكان اذا عرض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى ربه نظر أقربهما من هواه فخالفة، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله، وكان لا يقول حتى يرى قاضياً عادلاً وشهوداً عدولاً[٢١].

قوله عليه السلام في تقوى الله تعالى

قال عليه السلام: (اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتارككم سدى، كتب أجالكم وقسم بينكم معائشكم ليعرف كل ذي لب منزلته، وأن ما قدر له اصابه وما صرف عنه فلن يصيبه قد كفاكم مؤونه الدنيا وفرغكم لعبادته وحثكم الشكر وافترض عليكم الذكر وأوصاكم

بالتقوى وجعل التقوى منتهى رضاه والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل بالتقوى فاز من فاز من المتقين قال الله تعالى ((إن للمتقين مفازاً))، وقال (وينجي الله الذين اتقوا بمفازاتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فاتقوا عباد الله واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ويسدده رغبته ويهيئ له رشده ويبلغه بحجته ويبيض وجهه ويعطه رغبته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[٢٢]).

في وصفه لرسول الله ﷺ وحفظه لحديثه

قال عليه السلام (علمني رسول الله ﷺ كلمات اقولهن في الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت او عافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فانك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لايذل من واليت، تباركت وتعاليت)

وسئل عما سمعه من رسول الله ﷺ فقال (سمعته يقول لرجل: دع ما يريك إلى ما لايريك، فإن الشر ريبه، والخير طمأنينة).

وقوله عليه السلام (كان رسول الله ﷺ إذا سأله احد حاجة لم يرده إلى بها أو بميسورٍ من القول) وقال عليه السلام (سمعت رسول الله ﷺ يقول: ادعوا لي سيد العرب يعني علياً عليه السلام فقالت له عائشة: ألست سيد العرب ؟ فقال لها: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب فدعي له الإمام فلما مثل بين يديه أرسل خلف الأنصار، فلما حضروا التفت اليهم قائلاً: يا معشر الأنصار، ألا ادلكم على شيء ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابداً. قالوا: بلى يارسول الله فقال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبرائيل أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل)[٢٣].

المبحث الثالث

خطب الإمام الحسن عليه السلام

خطب الإمام الحسن في حياة الإمام علي عليه السلام

ونقل الحافظ أبو نعيم في حلقيه بسنده أن أمير المؤمنين علي عليه السلام سأل ابنه الحسن عليه السلام فقال له: يابني ما السداد ؟ فقال: يا أبتِ السداد دفع المنكر بالمعروف، قال: فما الشرف ؟ قال: اصطناع العشيرة وحملة الجريرة، قال: فما السماح ؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال فما اللؤم ؟ قال: احراز المرء ماله وبذله عرضه، قال: فما الجبن ؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول على العدو، قال: فما الغنى ؟ قال: رضى النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل، قال: فما الحلم ؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس، قال: فما المنعة ؟ قال: شدة البأس ومنازعة أشد الناس، قال: فما الذل ؟ قال: الفزع عند الصدمة، قال: فما الكلفة ؟ قال: كلامك فيما لايفييك، قال: فما المجد ؟ قال: أن تعطي في الغُرم وتعفو عن الجرم، قال: فما السؤدد ؟ قال: إتباع الجميل وترك القبيح، قال فما السُفه ؟ قال: إتباع الدُناة وصحبة الغواة[٢٤]

ومن كلام له عليه السلام مع صالح اليهودي الذي خطف الحسين عليه السلام وعمره ثلاث سنوات إذ قال لهُ عليه السلام: (ياصالح أخرج إلي الحسين عليه السلام من دارك وسلمه إلي وإلا قلت لأمي تدعو عليك في أوقات السحر وتسأل ربها حتى لا يبقى على وجه الارض يهودي، ثم أقول لأبي يضرب بحسامه جمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدي يسأل الله سبحانه ان لا يدع يهودياً إلا وقد فارق روحه. فتحير اليهودي من كلام الحسن وقال لهُ ياصبي من أمك ؟ فقال: أمي الزهراء بنت المصطفى، قلادة الصفوة ودرة صدق العصمة وغرة جمال العلم والحكمة وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر ولمعة من أنوار المحامد والمآثر خُمرت طينة وجودها من تفاحة من تفاح الجنة وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأمة وهي أم السادة النجباء وسيدة النساء البتول العذراء فاطمة الزهراء عليها السلام. فقال اليهودي: أما أمك فعرفتها فمن أبوك ؟ فقال الحسن عليه السلام: أسد الله الغالب علي بن أبي طالب الضارب بالسيفين والطاعن بالرمحين والمصلي مع النبي في القبلتين والمفدي نفسه لسيد الثقلين وأبو الحسن

والحسين. فقال: صدقت ياصبي قد عرفت أباك فمن جدك ؟ قال عليه السلام: جدي درة من صف الجليل وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل، والكوكب الدري، والنور المضيء من مصباح التبجيل المعلقة في عرش الجليل، سيد الكونين ورسول الثقلين وفخر العالمين ومقتدى الحرمين وإمام المشرقين والمغربين وجد السبطين أنا الحسن وأخي الحسين[٢٥].

خطب الإمام الحسن في صبيحة الليلة التي قُبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: : (لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه وكان رسول الله يوجهه برايتيه فيكشفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي (استشهد) في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم وفيها قُبض يوشع بن نون عليه السلام، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه واراد أن يبتاع بها خادماً لأهله)، ثم قال: (أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أنا من أهل بيت أفترض الله تعالى مودتهم في كتابه فقال عز من قائل: ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترض حسنة نزد له فيها حسناً)) الشورى ٢٣، فالحسنة مودتنا أهل البيت[٢٦].

ومن خطبه عليه السلام أنه قال: بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله (أيها الناس أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور، ولو أنكم طلبتم ما بين جابرفا وجابرصا من جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي محمد وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة وإن معاديه نازعني حقاً هو لي دونه فنظرت لصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني فرأيت أن أُسالم لمعاوية وأضع الحرب بيني وبينه ورأيت أن حقن دماء المسلمين خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم قال تعالى ((وإن أدري لعلهُ فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين)) الأنبياء ١١١ [٢٧].

ومن كلام له عليه السلام قال: (يابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فخذ بما في يدك لما بين يديك وأن المؤمن يتزود والكافر يتمتع)، وكان عليه السلام يتلو بعد هذه الموعظة قوله تعالى ((وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)) البقرة ١٩٧[٢٨].

خطب الامام الحسن عليه السلام بعد استشهاد الامام علي عليه السلام

بعد استشهاد الامام علي عليه السلام دعا الامام الحسن معاوية للبيعة والطاعة كتاباً أرسله مع جندب بن عبد الله الأزدي جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان... إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين... فلما توفي صلى الله عليه وآله تنازعت سلطانة العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته واوليائه ولايحل لكم ان تنازعوا سلطان محمد في الناس وحقه... فأنعمت لهم العرب وسلمت ذلك، ثم حاججنا قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها... واستولوا بالأجماع على ظلمنا ومراغمتنا... فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين... فاليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثرٍ في الاسلام محمود، وانت ابن حزب من الأحزاب... إن علياً – رضوان الله عليه – لما مضى لسبيله – رحمة الله عليه –... ولأني ولي أمر المسلمين بعده... فدع التمادي في الباطل وأدخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الامر منك عند الله، وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب، وأتق الله ودع البغي وأحقن دماء المسلمين... فادخل في السلم والطاعة ولا تنازع في الأمر أهله ومن هو أحق به منك ليطفئ الله النائرة بذلك وتجمع الكلمة وتصلح ذات البين، وإن انت أبيت إلا التمادي في غيك بهرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[٢٩].

ومن خطبة له يحث المهاجرين والانصار لجهاد معاوية:

قال الامام الحسن عليه السلام: الحمد لله لا اله غيره وحده لاشريك له وأثنى عليه بما هو اهله، إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه مالايحصى ذكره ولا يؤدى شكره، ولا يبلغه صفة ولاقول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه مَن علينا بما هو أهله أن نشكر فيه

الآءه وبلاءه ونعماءه قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا قولاً يزيد ولايبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمرٍ واحد إلا أشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا اني قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلب، وأن الاقدام على الأسنة نجدة وعصمة لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم معالم الملة، ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع[٣٠]

ومن خطاب الإمام الحسن عليه السلام في وداع أبي ذر

عندما ودع الإمام الحسن أبي ذر قال له: (يا عماه لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، وأصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ)[٣١]

ومن خطاب له بعد حديثه مع ابو موسى الاشعري

(أيها الناس: قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورؤوس العرب وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم، وتعلمون أن النساء وضعف رأيهن إلى التلاشي، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء، وأيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فانصروا الله ينصركم)) وبقى ابو موسى مصراً على موقفه يثبط العزائم ويدعو الناس إلى القعود وعدم نصرة الإمام الحسن عليه السلام فعنفه الإمام قائلاً: (اعتزل عملنا أيها الرجل، وتنح عن منبرنا لا أم لك).

وقام الإمام خطيباً بالناس فقال لهم: (أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى اخوانكم، فإنه سيوجد إلى هذا الامر من ينفر إليه، والله لئن يليه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وان

امير المؤمنين يقول: (قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، واني اذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني، وان كنت ظالماً أخذ، والله ان طلحة والزبير لأول من بايعني، وأول من غدرا، فهل إستاثرت بمال أو بدلت حكماً ؟ فانفروا وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر) فأجابه الناس بالسمع والطاعة.

وبعد ان استتب الامر للإمام الحسن عليه السلام أقبل يتحدث إلى الناس بالخروج للجهاد قائلاً: (أيها الناس إني غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر (على الدواب) ومن شاء فليخرج في الماء واستجابت الجماهير لدعوة الإمام فلما رأى ذلك قيس بن سعد غمرته الأفراح وأنشأ يقول

جزى الله أهل الكوفة اليوم نصرةً أجابوا ولم يأبوا بخذلان من خذل[٣٢]

الإمام الحسن يتم الحجة على جيشه

وعندما اراد الإمام الحسن عليه السلام ان يتم الحجة على اصحابه قال فيهم: (ويلكم والله إن معاوية لا يفي لاحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظن إن وضعت يدي في يده فاسلمه لم يتركني أدين بدين جدي، واني أقدر أن أعبد الله عز وجل وحدي، ولكن كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب ابنائهم يستسقونهم ويطعمونهم بما جعل الله لهم فلا يسقون ولايطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون). ومن خلال خطابه عليه السلام يتضمن استطلاعاً لآراء اصحابه، واستخباراً لنياتهم فقد قال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أما والله ماثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة، ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فثيب السلام بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تصدون قتلين: قتيلاً بصفين تبكون عليهم وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأما الباكي فخاذل، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر)

اسباب الصلح كما تصورها النصوص

١ – روى الشيخ الصدوق في (علل الشرائع) بسنده عن ابي سعيد سأل الإمام الحسن عليه السلام عن السبب الذي دفعه إلى الصلح مع معاوية فقلت يابن رسول الله لم واهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وإن معاوية ضال باغ ؟ فقال: (يا ابا سعيد ألستُ حجة الله على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام؟ قلت بلى، قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟ قلت بلى، قال: فانا إذن إمام لو قمت وانا إمام اذاً لو قعدت، يا ابا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبني خمرة وبني اشجع ولأهل مكة حيث أنصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت اماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسبقه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وأن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام على فعله لاشقياه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي هكذا انا، سخطتم علي بجهلكم وبوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل[٣٣].

٢- ذكر زيد بن وهب الجهني أنه بعد ان جُرح الإمام الحسن في المدائن سألته عن موقفه الذي سيتخذه في هذه الظروف، فأجاب عليه السلام(أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وانهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني اليه سلماً، فو الله لإن أسالمه وأنا عزيز خيرُ من أن يقتلني وأنا أسير أو يُمن علي فتكون سُية على بني هاشم إلى أخر الدهر، ومعاوية لايزال يُمن بها وعقبه على الحي منا والميت).

٣ – وذكر سليم بن قيس الهلالي أنه عندما جاء معاوية إلى الكوفة: صعد الإمام الحسن عليه السلام المنير بحضوره، وبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه، قال: (أيها الناس إن معاوية زعم آني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي أهلاً، وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله

وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو اعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل[٣٤].

ومن كلام له عليه السلام في بيان حقيقة القرآن ورسالته وأهدافه وفضلة وكيفية الارتواء من معينهُ الثر:

(إن هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليُجل جالٍ بضوئه وليُلجم الصفة قليه، فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)

(مابقى من هذه الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم عنه من لم يعمل به وان كان يقرئُه).

(واعلموا علماً يقيناً أنكم تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم كيف يهوي من يهوي، ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون والتمسوا ذلك عند أهله فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم عيش العلم وموت الجهل).

(كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول عليه من كل شيء لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإطاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة).

الهوامش

١) سورة الأحزاب، أية: ٣٣.

٢) ابن حنبل،أحمد بن محمد بن أحمد الشيباني،(ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،ط١، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)،ج١١، ص٢٧- ٢٨.

٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت: ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)،سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢،دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٣)، ج٥، ص٣٢٢، ح٣٨٥٨.

٤) ابن سعد،محمد بن منيع الزهري، (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات،تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج٦، ص٣٧٤.

٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨٠.

٦) الفصول المهمة في معرفة الأمة لابن الصباغ ص٢١٩، تاريخ دمشق لأبن عساكر ص١١، ١٠ وص١٧.

٧) الفصول المهمة في معرفة الأمة لعلي بن محمد بن أحمد المالكي (ابن الصباغ) ص٢٢١.

٨) الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ٥ / ٦٥٩ / حديث ٣٧٧٩.

٩) المصدر نفسه، ٥ / ٦٦٠ / حديث ٣٧٧٩.

١٠) الفصول المهمة في معرفة الأئمة لأبن الصباغ ص٢٢٦، كشف الغمة للأربلي و٢/ ١٦٩ ط بيروت.

١١) كشف الغمة للاربلي ٢ / ١٤١، ط بيروت، دار المرتضى.

١٢) كشف الغمة للأربلي ٢ / ١٨٤، ط بيروت: الفصول المهمة المصدر السابق، ص٢٣٠.

١٣) الفصول المهمة، لابن الصباغ، المصدر السابق، ص٢٢٩

١٤) اعلام الهداية، ص٣٤-٣٥؛ مهج الدعوات، ص١٤٤.

١٥) الفصول المهمة، ص١٤٢.

١٦) الائمة الاثني عشر، ص٣٧.

١٧) الاخلاق البيتية، ص٢٣.

١٨) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٢ - ص٢٠٦.

١٩) اعلام الهداية، ص٣٦ - ٣٧.

٢٠) موسوعة سيرة اهل البيت، ص١٢٦-١٢٧.

٢١) موسوعة أهل البيت، المصدر نفسه، ص١٢٨.

٢٢) موسوعة أهل البيت، المصدر نفسه، ص١٣١

٢٣) موسوعة سيرة أهل البيت، ج١٠، ص٥٨-٥٩.

٢٤) الفصول المهمة، ص٢٣٣.

٢٥) منتخب الطريحي، ص١٦٩؛ معاجز أهل البيت، ص١٠٧-١٠٨.

٢٦) الفصول المهمة... ، لإبن الصباغ، ص٢٣٦ - ٢٣٧.

٢٧) الفصول المهمة... ، المصدر نفسه، ص٢٤٠ - ٢٤١.

٢٨) كشف الغمة ١/ ٥٥٦، ط ايران: ٢/ ١٨٢ - ١٨٣، ط بيروت؛ الفصول المهمة، ص٢٢٩.

٢٩) تاريخ الاسلام ج٢، ص٣٤-٣٥.
٣٠) اعلام الهداية، الامام الحسن المجتبى، ص٩٢- ٩٣.
٣١) اعلام الهداية، ص٨٧-٨٨.
٣٢) اعلام الهداية، ص٨٨.
٣٣) علل الشرائع، ص٢٠٧.
٣٤) اعلام الهداية، ص١٤٩.

المصادر والمراجع

* ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج٦، ص٣٧٤.
* ابن حنبل، أحمد بن محمد بن أحمد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند أحمد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).
* أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الاضواء، بيروت.
* أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ.
* الأستاذ مظاهري، الأخلاق البيتية، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.
* باقر شريف القرشي، موسوعة سيرة أهل البيت الامام الحسن بن علي، الجزء العاشر، النجف، ٢٠١٢م.
* الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت: ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، (بيروت، ١٩٨٣)، ج٥، ص٣٢٢، ح٣٨٥٨.
* الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣م.
* لجنة التاريخ المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الاسلامية، تاريخ الاسلام، الاميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ٢٠١١م.
* المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، أعلام الهداية الإمام الحسن المجتبى، قم المقدسة، ٢٠١٥م.
* محمد بن الحسن الحر العاملي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ج٣، قم المقدسة، ١٤٢٢ه.
* هاشم معروف الحسني، الأئمة الإثني عشر، المجلد الأول، منشورات الامام الرضا، بيروت – لبنان، ١٣٨٢ هـ.

جماليات الفكر الحسني وفق معطيات السلوك الإنساني للإمام الحسن عليه السلام
- بحث في ضوء نظريات الحجاج -

أ . د . عبد الحسين العمري

ملخص

يتمايز السلوك البشري للأفراد على وفق معطيات ذلك السلوك، من جهة، ومن جهة أخرى، على وفق الأفكار النظرية التي يتبلور على أساسها ذلك السلوك، وفي الوقت ذاته، فإن تلك الأفكار النظرية تتأطر بأطر روحية جمالية تسبغها روح الفرد، ومن هنا يتبين لنا، ذلك التمايز والتفاوت في السلوك الفردي داخل المجتمع، بالإضافة إلى ما يشيعه ذلك السلوك من جمال في الدائرة الضيقة للفرد؛ فضلاً عن الدائرة الاجتماعية الكبرى التي ينتمي إليها يعيش فيها الفرد نفسه.

وعلى ذلك جاء البحث بوصفه محاولة جادة لقراءة ذلك الجمال الروحي الذي اتسم به السلوك الاجتماعي للإمام **الحسن بن علي بن أبي طالب** ، كونه فرداً بشرياً أطّرت أفكاره النظرية سلوكه اليومي، وأسبغ هو من روحه الطاهرة على تلك الأفكار، ما جعلها تشعر المدقق الحصيف بتلك الحلاوة وذلك الجمال الذي قلّ نظيره في السلوك البشري بعامة؛ إذ إن ذلك كان معطىً من معطيات التعملق الروحي والنفسي الذي كان يعيشه **الإمام الحسن** عليه السلام في حياته الخاصة والعامة، بالإضافة إلى ما مثّله له انتماؤه النَسَبي من مدماك لا تهزه الأعاصير، كان رافداً ومنطلقاً في صوغ تلك الروح الشفافة والنفس التي عبقت بكل عطر أخاذ، متخذين من نظريات الحجاج سبيلاً لإدراك أبعاد سلوك تلك الشخصية الفذة، وما فيه من جمال رباني.

الكلمات المفتاحية للبحث:

جماليات، الفكر، السلوك، الحسن، الحجاج.

فرضية البحث وأهدافه:

تقوم فرضية البحث على أساس التعالق بين الجمال والفكر بغية التأثير بشكل تام على انتاجية السلوك بمستوياته العالية، ناظراً إلى ما يمكن أن يؤديه في حجاجية مبادرة في تقويم مسيرة المجتمع.

عينة البحث:

(إن مما عظّم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءَه وبلاءَه ونعماءَه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفةُ الصدق يصدّقُ اللهُ فيه قولنا، ونستوجبُ فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)[1]

اجرائية البحث:

تفكيك النص / الخطاب الحسني وفحصه بناء على الرؤية الجمالية التي تقترن بالحجاج الذي يلبس رداء السلوك اليومي المباشر سعياً وراء ممارسة التهذيب الذي يتخذ من القواعد الاخلاقية والدينية منطلقاً له محققاً نسبة عالية من القبول لدى المتلقي.

مهاد نظري

لم يكن الجمال يوماً بعيداً عن السلوك الانساني، بل هو ملاصق له ومتجانسٌ معه حد التماهي، والجمال ليس ببعده المادي المتجسد في الأشكال والصور، وإن كان هذا يندرج تحت مفهوم الجمال أيضاً، لكن البعد الروحي في الجمال هو ذلك الذي ينتجه الفكر السامي في عملية تجلٍّ يمارسها على الذات كي تكون منسجمة معه، ولعلّ ذلك يمكن ربطه بالفكر المنتج للسلوك؛ لأن السلوك يعتمد بالدرجة الأساس على ما يحويه الفكر وما ينتجه من فلسفة ووعي يتجلى في المفردات السلوكية الفردية والجمعية، إلا أن العلاقة الرابطة بين الجمال وبين

القيم الاجتماعية التي تسمو بالمجتمع إلى مستويات عليا من السلوك، هي علاقة المعيار أو المقياس الذي يحدد مدى تطور تلك العلاقات في ضوء القيم السائدة.

ولعلنا نلمح هذا المعيار في التمايز الجمالي بين القيم في القرآن الكريم في كثير من آياته، ففي قوله تعالى:

﴿مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ... ﴾(٢).

فالجمال المعنوي طافح من بين ثنايا الكلمات المقدسة؛ إذ إن مفهوم الجمال هنا ينحصر بين مفهومي (**الخبيث والطيب**) ولعل المقياس أو المعيار الذي وضعته الآية الكريمة، هو في استعمالها للفعل (**يميز**)، كذلك نجد المعيار الجمالي هو الذي تقدمه الآية الكريمة الأخرى في قوله تعالى:

﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

والمعيار الجمالي هنا هو نفي الاستواء بين (**الخبيث والطيب**)، وعلى هذا، يبدو لنا أن المقايسة بين الخبيث والطيب بوصفهما مفهومين للجمال متضادين، لا يمكن المواءمة بينهما بوصفهما ينتميان إلى اتجاهين متضادين في السلوك، ومتضادين في النشأة أيضاً، بالإضافة إلى ما يمكن فهمه من هذا التضاد فكرياً في الأصل، إنما يعطي المعيار الجمالي ماهيته التي تتسوّر الكلمات وتذهب بالفهم بعيداً نحو البدايات العليا للفكر، كقوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٤).

إن التطرق بشكل صريح إلى الحكمة والموعظة وتشخيصها بالحسنة دون غيرها، وعدم تركهما هكذا دون تشخيص، إنما يدل على مدى عناية القرآن الكريم بالفكر أولاً قبل السلوك، بوصفه

المسند الأصلي الذي يقوم عليه السلوك، بالإضافة إلى أن ذلك يعني ارتباط المفهوم الجمالي للفكر بمجموعة عناصر تتسم بالدقة والعمق، وتدل على ترابط جزئيات الموضوع ذهنياً، فمنها ما يعود إلى تأثير الكلمة في النفس ومناغمتها لها، ومنها ما يعود إلى لطافة المعنى وغزارته، ومنها ما يعود إلى تعارض المعاني وتضادّها، وعلى هذا الأساس، يعد الجمال الفكري الحسني هو نفحة من نفحات القرآن الكريم، بل يقع في صلبه وناتجاً عنه ودليلاً عليه وسبيلاً لبلوغه.

وبناء على ذلك، فإن المعيار الجمالي للفكر القرآني هو ذاته الذي يندرج تحته الفكر الحسني؛ بوصفه نتاجاً قرآنياً يستمد قوته وديمومته من المدرسة القرآنية العظيمة فضلاً عن المدرسة المحمدية العظيمة وصنوها المدرسة العلوية، مما يجعله مكتنزاً في وعيه، متجذراً في معرفيته.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن نفهم أن الرؤية الغربية للمعرفة الجمالية غير صحيحة من جهة التشكيل في صناعتها؛ بوصفها معرفة ناتجة عن الحس[٥] وناقصة؛ لأنها لم تبنَ على أساس الإدراك العقلي بل على أساس الإدراك الحسي[٦]، على العكس من الرؤية القرآنية التي ترى أن المعرفة الجمالية ناتجة عن العقل، بوصفه الذي ينتج المعرفة اليقينية التي تسعى في مبتغاها لتشكيل منظومة حياتية مبسطة تعتمد فهم العالَم وحركته الكونية بوصفه تشكيلاً جمالياً ناتجاً عن عقل كليّ واعٍ، لا عن أدوات حسية لا تعي حركة الكون الكلية، وأنها تتعامل معه على أنه ظواهر جمالية ذات بعد شكلاني، دون التعمق في فهم تلك الحركة الجمالية الكلية في أعماقها وأسبابها ونتائجها، وعن ماذا تبحث ؟ وماذا تريد ؟ وإلى ماذا تشير ؟ وكيف نشأت ؟.

ولعل نشأة الرؤية الجمالية هي التي وقع فيها أحد مفكري علم الجمال الغربيين حينما قال عنها (المغالطة المنشئية)[٧]، وهو يشير إلى مسألة كيف نشأ هذا الجمال ؟ وبذلك وقع في فخ المغالطة نفسه التي تساءل عنها؛ إذ إن كل عمل وكل مصنوع لا بد له من صانع، فما بالك بهذا الكون البديع وبكل تنسيقه الابداعي، لا بد أن يكون هناك مبدع خلاّق قد تجاوز حدود الابداع البشري، أو قل هو الذي أفاض على العقل البشري هذا الفيض من الابداع الذي أنتجه وينتجه العقل البشري من تصورات فنية وأشكال ذات جمال يبهر العقول، وهذا هو

الذي يجعل البشر متفاوتين في عقولهم الابداعية، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم قد أمر الناس بالتفكر في هذا الخلق العجيب والجميل في آن معاً.

ولعل القدرة الإبداعية للفرد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقوة الادراكية للجمال ولماهيته التي تعطيه خصائصه الجمالية ومعانيه المستوحاة جمالياً منه، بما يجعله يقف عند مرحلة تأمل طويلة مستنهضاً الادراك العقلي للجمال، ثم بعد ذلك يتولى ترجمته إلى مدرَكٍ حسي يراه جمالاً ماثلاً أمام عينيه.

ومن هذه المدركات الحسية جمالياً، هو السلوك البشري الفردي الذي يفيض على الوجود الجمعي بمعطياته الذاتية؛ كونه ينبض بمفهوم الجمال الأخطر بوصفه ينتمي إلى قدرة العقل الجمالي أو الإبداعي على قراءة الأشياء المحيطة؛ ليعيد انتاجها بشكل عقلي بعيداً عن التأثر الحسي الصرف، وهنا يكمن الفرق بين القراءة الحسية المبتورة غير المنتجة، وبين القراءة العقلية الواعية التي تنتج قراءة حسية –إن صح التعبير –، باعتبار أن الواقع هو الرابط بين النسق المفتوح المرئي جمالياً ومحيطه الضمني المنكفئ على باطنيته والفاصل في آن معاً؛ إذ إن هذا الرابط ذو أهمية قصوى على المستوى المعرفي والمنهجي والنظري، والتجريبي أيضاً.

وعليه يمكن فهم الجمالية التي يصطبغ بها السلوك البشري السوي الذي يمثله الإمام الحسن عليه السلام من مستويات ثلاث هي: ـ

١-المستوى المعرفي.

٢-المستوى المنهجي.

٣-المستوى السلوكي.

١-المستوى المعرفي:

يقوم المستوى المعرفي للجمال في النظرية الاسلامية على التفكر والتفكير، وليس على ملاحظة الجمال حسياً فقط؛ لأن (جمال المخلوقات يرتبط بحسن صنعة الخالق لها، وفي ذلك تمجيد وتسبيح بعظمة الله وجلاله)[٨]، وإلى ذلك أرشد القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٩].

لقد ربط في الآية الكريمة بالمحصلة النهائية للمتعة الجمالية بين النظر العقلي والنظر البصري، بما يحيل إلى عملية فهم ذاتية تتخذ من التفكر والتفكير منهجاً لفهم هذا الجمال وكيف حصل؛ إذ جاء بأداة التشبيه (**الكاف**) في (**كماءٍ**) ثم أكمل وصف تلك الحركية الجمالية التي تجعل الأرض جميلة بنظر الإنسان، التي يصل به الظن (العقل البشري يتصرف هنا تصرف الواثق من تَملّكها)، ولذلك عبّر عنه بطريق الظن وليس بطريق اليقين، فاليقين هنا لا مجال له؛ لأن مآل الأمور إلى خالقها تبارك وتعالى، والإنسان واقع تحت هذه الحاكمية المطلقة؛ لذلك وصف القرآن الكريم حالته بالظنّية إشارة إلى أن ذلك غير ممكن للإنسان إلا بالقدر المسموح به من التصرف الذي يمارسه الإنسان كونه الخليفة في هذه الأرض، وهو ما ألمحت إليه الآية الكريمة، فخصّت الأرض دون باقي أجزاء الكون، وإلا فالكون يلفّه الجمال بشكل مبهر في كل مكان وزمان.

ومن خلال ذلك لا يمكن حصر الجمال في جانب معين أو محدد من الكون، أو حتى ما ينتجه الأفراد، بوصفهم جزءً من المخلوقات في هذا الكون، وليس صحيحاً ما ذهب إليه أحد فلاسفة الغرب في أن الجمال محصور في الفنون ليس إلا؛ إذ إنها مغالطة كبيرة حينما يتم حصر الجمال في ميدان الفن، فالفن ميدان من ميادين الجمال، وليس الجمال كله، فالإبداع ميادينه متعددة قدر تعدد تجليات الوجود الكوني بشكل غير متناهٍ؛ إذ إن العمليات الابداعية تبدأ وتنتهي من خلال العمليات العقلية بدءاً بالإحساس الذي يقوم على ركنين حدسي وحسي وعندها يتحول إلى إحساس جمالي حينما يستعين بالاستبصار الذي هو إدراك استبطاني لما يجري مشاهدته بالذهن يعقب ذلك إحساس تخيلي وذهني وتصور عقلي يؤدي إلى الإدراك الذهني، للتعرض للمعرفة الكلية بعد الالمام بالجزئيات حينما يتم الربط بين الظواهر من خلال الوجدان الذاتي والإدراك الواعي، ليدخل منطقة الإدراك التأملي الذي يصل به إلى الإدراك الجمالي[١٠]، وفي

هذا الأمر يمكن القول إن الحب ليس أعمى - كما يقال - بل إنه يجعل الإنسان يسعى لرؤية الله في قدراته الحقيقية، وفيها تكمن معاناة الحب والشوق العقلي لله تعالى فهو أساس الحب الحقيقي، والتشوق العقلي الموجه للحق تعالى؛ لأنه يشير دائماً إلى مصداق الخير كله ومصداق الجمال في هذا الوجود، ذلك هو الله تبارك وتعالى.

ويتجلى المستوى المعرفي عند الامام الحسن عليه السلام في كلماته التي قالها لأصحابه أحياناً جواباً عن مسألة، سواءً أكان على سبيل الارشاد والتوجيه، أو على سبيل الحض على اتباع الهدى والحق، ومن ذلك قوله من خطبة له في معركة الجمل:

(إن مما عظّم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءَه وبلاءَه ونعماءَه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفةُ الصدق يصدّقُ اللهُ فيه قولنا، ونستوجبُ فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

لما كانت اللغة هي الوسيلة المثلى في التواصل الاجتماعي، وهي وسيلة الخطاب التحريضي في أي مسألة يروم صاحبها اقناع الجمهور بصوابية رأيه فيها، والنموذج الذي نعرضه من خطاب الامام الحسن عليه السلام في التحشيد لمعركة الجمل[11] التي حصلت بين الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وبين الجبهة الأخرى الممثلة بالسيدة عائشة زوجة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وطلحة والزبير والصحابة الذين معهم.

من خلال قراءة دقيقة للنص، يمكن رصد ما يمور تحته من أفكار تتخذ من تقنيات الحجاج أساساً لتسويق نفسها للمتلقي، ولنبدأ من أول النص، نستطيع القول إن كل خطاب هو يتضمن في بنياته الحجاج، أو يتخذه سنداً له لممارسة الاقناع على الآخر، إذ إن (الحجاج هنا ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب. . . نجده باختصار في كل ظواهر اللغة بشكل أو بآخر)[١٢]، وهكذا نجد أن الإمام الحسن عليه السلام في قوله المذكور آنفاً يعرض مجموعة من القضايا المهمة التي يراها ذات قيمة أساسية في الإسهام في توطيد الدولة والحكومة لأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، مستعملاً المضامين الحجاجية في اللغة ومستفيداً منها، وهذه القضايا هي:

١-التذكير بنعم الله على المسلمين.

٢-ربط تلك النعم بالخلافة.

٣-وجوب الشكر على تلك النعم.

٤-الاشارة إلى حكمة الاتحاد وفائدته.

٥-ربط ما تقدم بضرورة قتال معاوية.

٦-نهاهم عن الخذلان والفرقة.

٧-الخلوص إلى حكمة الاقدام ونصرة الخلافة ممثلة بشخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٨-اختتام النص بالتعليل والتسبيب والحجاج.

ينسجم النص مع ذاته تماماً، وهو على مستوى من النضج الفكري والمعرفي والأخلاقي والحجاجي ما لا يخفى على كل ذي لب، فهو بالإضافة إلى ذلك، فإن النص توزّع بين الأفعال القولية والإنجازية بوصف ذلك ينسجم مع روح الحجاج التي تلبّست النص؛ لأن النص أصلاً جاء لمحاججة الجمهور وتفريغ عقليته من روح التكاسل والتباطؤ ودفعه إلى الإمام من خلال بث روح المبادرة والنهوض إلى أداء الواجب الموكل إليه.

من هنا تبدو عملية الفهم للروح الجمالية التي تظلل النص وتجعله في مقامه الرفيع، هو ذلك الارتقاء بالفكر الذي يتجذّر في الذات الانسانية بوصفها بناءً تصاعدياً يرتقي بالفعل الجمعي الذي فيه (يفترض الفعل الحجاجي أن الشخص الذي يخضع له يدرك أنه مندمج في موقف تواصلي)[١٣]؛ لأن اللغة البشرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمفاهيم الحجاجية التي تعد واحدة من الطاقات الكامنة تحت عباءة اللغة، التي تتخذ من جمالية الألفاظ وسيلة للإفادة من طاقتها الاقناعية، وهذا ما نلحظه في مقولة الإمام الحسن عليه السلام المذكورة آنفاً؛ إذ إنه قال (. . . **إن مما عظّم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءَه وبلاءَه ونعماءَه**. . .)، فالنص يبدأ بالتذكير بالنعم الإلهية على الإنسان، وفي ذلك شيء ملحوظ من انعاش الجمالية الروحية لدى المسلمين لإشعارهم بتلك الفيوضات الجمالية الربانية، حتى يعطف على ذلك بقوله (. . . **ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءَه وبلاءَه ونعماءَه**. . .)، وهذا ملحظ جمالي آخر، فالغضب لله وللجماعة المؤمنة أمر جميل ومحمود، وحتى التسبيب الذي جاء به النص فهو يستبطن الروح الجمالية؛ إذ إنه تكلم عن المنن الالهية التي على الانسان مقابلتها بالشكر، وهذا تمظهر جمالي بامتياز؛ لأنه يشي بالبنية المتكاملة للنص الحسني بوصفه كنزاً معرفياً اجتمعت فيه كل معاني المعرفة والجمال التي أخرجته من ذهنيته البعيدة إلى ملفوظيته القريبة التي تتجسد في كلماته ومعانيها التي تضمنتها، ثم يهتدي النص إلى الإفصاح عن مقتضيات الاجتماع وطبيعة القضايا التي لابد من انجازها؛ ليستكمل اطره المعرفية مبيناً الطريقة والسلوك والمنهج في ذلك.

٢-المستوى المنهجي:

يرتبط فهم المنهج الذي تسير عليه الأفكار بالوعي الذي يسير في ظله المنهج؛ إذ إن المنهجية لا يمكن أن تستقر في الفهم وتتضح في الرؤيا ما لم تكن قد اتخذت من الوعي والمعرفة ركيزة لها في بيان خطوطها العريضة وتفرعاتها الدقيقة، وحينما قدّمنا بالمستوى المعرفي كان ذلك رغبة

منا في فهم طبيعة التوأمة مع المستوى المعرفي ليكون منطلقاً لمعرفة طبيعة التناسق الذي يقوم عليه المستوى المنهجي –كما سميناه– وكيفية تنظيم خطواته لكي يكون منتجاً بشكل إيجابي.

وللمستوى المنهجي أثر في الرؤية الضابطة للمفاهيم التي ترد في النص الأدبي، وتسويق تلك المفاهيم جمالياً للمتلقي لتكون ذات تأثير واضح عليه، ولكي ينعكس ذلك في سلوكه ليتحول إلى سلوك جمالي؛ لأن الجمالية هنا ممارسة تعبيرية تبرز قوتها في انتقاء مفردات اللغة بوصفها مظهراً من مظاهر الابداع الأدبي تتجلى فيه خصوصية المبدع حينما يقوم بتوظيفها في سياقاتها المناسبة في الوقت الذي يبرز فيه تنظيم المفردات في نظام تركيبي يتجلى فيه الواقع الدلالي والتعبيري في النص[١٤]، على أن هذه التجليات التي أشرنا إليها هي تلك التحولات التي يمسك بخناقها المنهج بما يتناسب مع المفاهيم التي تتحدد مهامها بناء على التوأمة التي نوهنا عنها آنفاً مع المستوى المعرفي.

وقد ورد في مقالة الامام الحسن عليه السلام آنفة الذكر، ما يجعلها تتناغم في تبويبها منهجياً مع مكونات المنهج التي يمكن حصرها في نقطتين هما:

أ–التنسيق

ب–الترتيب

أ–التنسيق

ونعني به انتظام الشيء الواحد بجميع أجزائه ومكوناته في تنسيق هذا الشيء سواء أكان هذا التنسيق في الشكل أم المضمون، وهذا يمكن تعميمه على الاشياء جميعاً، ومنها الخطاب؛ فالخطاب يجب أن يكون متضمناً الموضوعات التي يريد الخطيب أو المتكلم أن يوصلها إلى المتلقي، بالإضافة إلى التنسيق الشكلي بين الفاظ الخطاب في بنيتها وتراكيبها ومعانيها.

وفي الخطاب الحسني، من التنسيق على الصعد كافة، ما يجعلنا نقف لنؤشر الى محطات التنسيق داخل النص، وأولى هذه المحطات هي تنسيق الجمل؛ إذ إنه يوازن قدر المستطاع بين جمل النص، ففي قوله (. . . **عظّم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه**. . .) مساواة كاملة:

فعل ماضٍ + فاعل +حرف جر + (كم) + حرف جر +اسم مجرور.

وردت هذه المساواة شاملة الجملتين لا يوجد زيادة إلا الواو التي هي هنا عاطفة عملت على اشتراك الجملتين بالحكم النحوي ذاته، لكنها عززت المعنى وأضافت إليه نوعاً ثانياً من الأفكار التي تجعله يأخذ أبعاداً حسية بالإضافة إلى أبعاده المعنوية التي جاءت بها الجملة الأولى، بينما الجملة الثانية أشارت بشكل جلي إلى المعنى الحسي، وهنا تأخذ بعداً جمالياً ظاهرياً يغري العيون بالتأمل، والخيال بالانطلاق في فهم ذلك الجمال الالهي الذي تصطبغ به الحياة الفردية والجماعية، سواءً أكان ذلك ظاهرياً أم باطنياً.

وفي جملة اخرى نجد هذه المساواة التي أشرنا إليها آنفاً، وهو قوله ﷺ:

(. . . **ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدّى شكره**. . .) وهاتان الجملتان متساويتان تماماً في تكوينهما اللفظي بله المعنوي، مما يجعلنا أمام هذه الظاهرة الجمالية التي يتشح بها الخطاب الحسني في تنسيق جميل جعلت الخطاب يرتقي في جماليته؛ ليدفع المتلقي إلى التلذذ باللغة كونها أصبحت ذات مذاق خاص في مجالها التعبيري والرمزي، بالإضافة إلى ما تحمله اللغة من جماليات من جهةٍ تبنيها للتجارب الأخرى ولبوسها بلباس الحس التجريبي الانساني الذي يتعالق مع الخطاب في بعده الموسيقي متناغماً مع ترتيب موضوعات الخطاب وتنقلاته التي يصاحبها هذا التنقل الصوتي المهيمن على الخطاب، وكأنما يمارس الخطاب بلغةٍ نوعيةٍ خاصة تقترن بالروح الاقناعية التي تستبطن الخطاب في سعي من الامام الحسن ﷺ لعزل المتلقين عن التأثير الخارجي واستمالتهم إلى صفه، وهذا ما يمكن ملاحظته في قوله (**وإن الاقدام على الأسنة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة**)؛ إذ إن الجمل بنيت على أساس تراتبية فكرية مقرونة بفهم عميق لحركة المجتمع في حالة الدفاع عن نفسه ومعتقده، حتى أن الإمام الحسن ﷺ قرن ذلك الدفاع عن النفس والمعتقدات بالرضا الإلهي عن هؤلاء المدافعين، وبذلك فهو جعل من النص قطعة حجاجية لإقناع الجمهور بصوابية خطابه، وعدالة قضيته التي وقف خطيباً لأجلها، فضلاً عن أن التمدّح بصفة الاقدام لا يمكن استجلابه من دون الايمان بالقضية ومواجهة الموت دفاعاً عنها.

وقد نجح في ذلك حينما تذكر الرواية[١٥] كيف أنه استطاع تجييش الجماهير في الكوفة ودفعها إلى الحرب ضد الخارجين في البصرة على خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

مما يعني أن المتلقي هنا هو المرتكز الأساس الذي تقوم عليه عملية تنسيق الخطاب؛ لأجل تحقيق الانسجام الذي يعد هو الخاصية الدلالية في الخطاب التي تعتمد على الجمل المكونة للخطاب من خلال علاقاتها التي تقوم بينها، وهذه تنتهي إلى تحقيق الاندماج المعنوي بين الجمل حتى وإن تعددت موضوعات الخطاب، إلا أن هناك سداءً تحتانياً يمثل الرابط الخفي الذي ينتمي إليه الخطاب.

والخطاب بهذا الانسجام الذي يتحقق بين جمله، إنما يحقق جماليته التي تتجلى من خلال هذا الانسجام وكما يرى هايدغر (أن الجمال ليس إلا مظهراً من مظاهر تجلي الحقيقة وهذا لا يكون متحققاً إلا في العمل (الابداعي))[١٦]، والعمل الأدبي جزء من الابداع الذي تمارسه الذات البشرية بشكل أفضل حينما ترتقي بعلاقتها مع الحقيقة الوجودية بحثاً وتعلقاً بذلك الجمال الذي يشفّ من خلف حجب الأشياء متخذاً من اللغة مظهراً من مظاهر التجلي والتغيير والصيرورة؛ لكي يمنح الفرد الوعي والمعرفة لخلق منهج تتواءم فيه أداة التغيير مع المعرفة الخلاّقة.

ب-الترتيب:

يتلاقى الترتيب مع التنسيق في الخطاب أو النص بوصفه سمة جمالية تشمل الوظيفة التي أنشئ لأجلها الخطاب، في الوقت الذي يمارس فيه الخطاب اقناعيته للمتلقي بعد أن ينيط به دوراً تفاعلياً غايته فهم المطلوب منه وتطبيقه؛ إذ يمكن أن يتطابق الخطاب مع جملة، كما يمكن أن يتطابق مع كتاب بأكمله، وإن كان يعرف الخطاب باستقلاليته وانغلاقه[١٧]، وهذا التطابق بين الخطاب من جهة وبين الجملة أو الكتاب من جهة أخرى، إنما يخلق نوعاً من التنافذ الفكري القائم على بعض التمظهرات العلائقية التي تلتقي عبر مناسبات يرد ذكرها أو الإشارة إليها في الخطاب، ولعل ورود بعض الاشارات في الخطاب الحسني موضوعة البحث أدى إلى ما سميناه

بالتنافذ الفكري؛ إذ نرى ذلك في قوله (. . . **فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد**. . .)، فهو بهذا الربط وهذا التنافذ الفكري الناتج عن العلائقية التي تربط جمل الخطاب، إنما يمنح الخطاب مجاله الحيوي فضلاً الإثارة الجمالية التي تسري في ذهن المتلقي مهيمنةً عليه وباعثة فيه روح الاقناع مستفيدة من حجاجية الجمل في تراتبيتها المحكمة ومعانيها الثاقبة؛ إذ إنه ذكر المنن الإلهية ثم ذكر الواجب الملقى على عاتق البشر، وهو شكر المنعم عليهم، وهذا ترتيب منطقي لا يسمح للمتلقي بالمراوغة، بل حدد المسار الذي يمكن سلوكه دون غيره في بلوغ رضوان الله تبارك وتعالى، بعدها ينتقل إلى تحديد الهدف بدقة متدرجاً في حجاجه الاقناعي من العام إلى الخاص، مستفيداً من امكانية اللغة المتاحة له.

تقتضي مسألة الترتيب في الخطاب أن يكون هناك مناسبة بين استهلال الخطاب ومتنه وخاتمته؛ لكي يبلغ الخطيب غايته ويسيطر على سامعيه، ولعل المناسبة التي استغلها الامام الحسن عليه السلام في ترتيب مخاطبته الناس كانت على مستوى من الاهمية للخلافة وللأمة، ولذلك كانت الاستجابة بمستوى الحدث، في الوقت الذي كان الخطاب بمستوى الحدث أيضاً؛ لأن فيه تحديد مصير هذه الأمة ومصير دينها الجديد الذي كان حينها ما يزال في طور النمو والثبات.

وهذا يعود أصلاً إلى الانسجام القضوي بين موضوعات الخطاب، مما جعل حجاجية الخطاب ترسخ نفسها بموجب حجج الخطاب المنطقية التي ساقها الإمام الحسن عليه السلام لإقناع جمهوره، وهذا ما سمّاه بيرلمان بالحجج القائمة على الوصل[١٨]، التي تعني ربط مقدمات الخطاب بنتائجه، وهو ما يواصل – عبر تقنيات خطابه – نقل مقدمات القبول من بدء الخطاب إلى نهايته، واصلاً بين مقدمات الخطاب ونتائجه، وهذا هو الذي جعل الخطاب الحسني ناجحاً في استمالة الجمهور الذي كان يعاني من تململ وضجر وسآمة هيمنت عليه؛ لأن الجمهور لم يكن مقتنعاً بجدوى الحرب متأثراً بالسعايات والدعايات التي كان يوهمه من خلالها الأمراء الذين كانوا يديرون البلاد الإسلامية من أيام الخليفة السابق عثمان بن عفان، وهذا ما أوردته كتب التاريخ.

٣-المستوى السلوكي:

يقوم المستوى السلوكي على أساس الوعي المعرفي الذي ينطوي عليه الفرد، وبذلك تكتمل الدائرة البشرية وجودياً، من جهة التعاطي مع ما موجود مجتمعياً شرط عدم التناقض بين القضايا أو المسائل التي يتم التعاطي معها؛ لأن التناقض يعني عدم اتفاق بين قضيتين أو بين فكرتين أو مسألتين وبين نتائجه العمليتين، فذلك يعني صحة قضية وعدم صحة الأخرى، وبالنتيجة تقضي الحاجة باستبعاد احداهما بوصفها خاطئة، وفي التعارض يكون الحجاج.

ولأن السلوك يقتضي نوعاً من الدافعية والشجاعة للوصول إلى الأهداف بعد تخطي المشكلات التي تعترض التركيز على الحلول، كذلك فإن المعتقدات العامة التي يؤمن الفرد، تكون السبب الرئيس في تحديد المنهج الذي يتبعه، فكيف اذا كان هذا الفرد هو الامام الحسن عليه السلام الذي قام خطيباً فيهم ليبث أفكاره معتمداً بذلك على وعيه العميق وبصيرته النافذة ومطاوعة اللغة له، بالإضافة إلى معرفته الثاقبة وسلوكه الهادئ وروحه الشفافة وقلبه المترع بحب الله تعالى، لا سيما إذا عرفنا أن (الأفكار والوجدان والسلوك والجوانب الفسيولوجية هي كلها مكونات لنظام موحد)[١٩]، علمًا أن هذا النظام الموحد هو الذي اعتمده الإمام الحسن عليه السلام في خطابه الموجه وبشكل تنظيمي مختصر، ناشراً من خلاله فكره الذي اعتمد فيه رؤية وجودية عقلانية ناعمة منفتحة على الآخر بما هو يريد أن يكون عليه، لا بما تصنعه الدعاية الاعلامية، وانطلقت رؤيته التنظيمية تلك من سلوكه الشخصي المنتظم الذي لم يفارق ولم يبارح الرؤية القرآنية، متخذاً من الزخم الذي توفره شخصيته المندفعة بشكل عقلاني صرف أداة لتوفير أجواء القبول للخطاب بما هو عليه من رصف للأفكار، واختصار للألفاظ، وحشد للمعاني، مقروناً برباطة الجأش وشجاعة متناهية معتمداً في ذلك نظراً استراتيجياً لا يخيب، وقراءة للمستقبل تمتح من رحيق الوحي، وترشّ أريجها البهي على المتلقين.

إن أهم النقاط الارتكازية في الخطاب الحسني، التي بان فيها سلوكه الشخصي ونفسه الكريمة هي الآتي:

أ-استعمال الخطاب المباشر:

يمثل الخطاب المباشر مع جمهور مختلف في درجات الوعي والانتماء من أصعب الخطابات على رجل السياسة، ما لم يكن رجل السياسة على أعلى درجات الوعي والفهم واستشراف المستقبل، بالإضافة إلى ما يتمتع به من رؤية فاحصة للجمهور الذي يخاطبه

قام بذلك مع الجمهور حينما قال لهم(. . . **إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره ولا يؤدي شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول**. . .)، وهي مفاتحة شخصية مباشرة للجمهور، وتذكير يعتمد المنطق الديني الهادئ من خلال الإشارة إلى عظم النعم وطبيعة العجز البشري عن اداء شكر تلك النعم، وهنا مارس عملية الايحاء بضرورة أداء جزء من ذلك الشكر للبارئ عز وجل، من خلال التكاتف ومساندة الحكومة العلوية بوصفها هي حامية الدين والناطقة باسمه، ومن ثم الخروج لقتال العدو المشترك، كل ذلك يقترن بالسلوك الهادئ من قبل الامام الحسن ﷺ مع الجمهور، ولم يكن غائباً عن ذهن الامام الحسن ﷺ تلك الجمالية التي تنشأ عن تناسب العلاقات الاجتماعية مع مفهومها التي تأخذ من المنظومة الدينية جزءاً كبيراً من مكوناتها الخلقية، حتى تتحول كثير من الطقوس الدينية إلى مفردات من تقاليد اجتماعية ضاغطة لا يستطيع المجتمع الفكاك منها.

ب-الالتفات بالخطاب الى الذات:

حدث ذلك حينما تطرق إليه في قوله (**ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه**. . .)، وهذه المساواة بالخطاب بين المتكلم والجمهور إنما تنم عن ادراك عميق من قبل الامام الحسن ﷺ لمفهوم التماهي السلوكي والعقدي مع الآخر المشوش في فكره ومعتقده؛ ليجلبه إلى صفه، بعد ممارسة عملية التنوير تجاهه والتنويه بضرورة فهم العلاقة بين العبد وربه؛ بوصفها علاقة منتجة من طرفين.

ومن خلال اشراك جمهور المتلقين مع الخطيب فيما يرجوه ويريده من الله تعالى، إنما هو

استشعار لقيمة المتلقين من جهة، ومن جهة أخرى فهو ناتج عن وعي ومعرفة بالسلوك الجماعي وتأثير ذلك في نفسية المتلقين، لاسيما وأن الامام الحسن عليه السلام يمثل علامة فارقة في التاريخ الاسلامي والبشري وفي الجزيرة العربية، كونه ابن بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله ما يجعله في الصفوة من الرجال الذين لا يتخطاهم أحد، بالإضافة إلى كونه ابن الخليفة آنذاك على وفق المعايير السياسية البسيطة التي هي خارج نطاق المعتقد الديني في أقل تقدير.

ج-العرض الموضوعي وضرب المثل حجاجياً:

تعد عملية توليد الأفكار من الصعوبة بمكان، فضلاً عن كون ذلك في ساحة خطاب مع جمهور غير متجانس، يكاد يوكن ذلك من أشد الأشياء على الخطيب، كما أن مسألة دمج الأفكار بعضها ببعض في بوتقة واحدة، تكاد تكون ضرباً من المستحيل، ما لم تكن قد أخذت وقتها اللازم في طبخها وصهرها في ذهن المتكلم، بالإضافة إلى ما يتمتع به ذلك الخطاب من مسحة جمالية في حسن تنسيقه وترتيبه وتناسل أفكاره، ما أفضى بالنتيجة إلى وجود خطاب متناسق في استهلاليته ومتنه وخاتمته.

وقد أراد من وراء ذلك الامام الحسن عليه السلام أداء وظيفتين للخطاب، اشارية وتقريرية، وسنبين الآن أهمية كل وظيفة في الخطاب.

الوظيفة الإشارية:

من خلال التحليل الإشاري للخطاب الحسني يبدو أن مسعاه كان ينحو باتجاه جعل الدين ببعده الانساني والأخلاقي هو القوة الاجتماعية المهيمنة على المجتمع عن طريق اجراء الترابط الشعوري واللاشعوري بين البنيات الاجتماعية الثقافية والأعراف والتقاليد وبين الدين بعد اخضاعها له على الأقل سلوكياً على المدى المنظور، وهو بالنتيجة يؤسس لمبدأ التراكم السلوكي الذي يسلكه المجتمع بعد تواتر سلوكه تراكمياً بين أفراد المجتمع؛ لذلك كان استعمال اللغة أمراً حتمياً في الفهم والتبليغ، معتمداً على ما تفرزه اللغة من نظام إشاري في

تراكيبها الحادة غير المذيلة بلباس الفضفضة الزائدة، بل كانت المعاني على مقاسات الألفاظ، وهو هنا إنما يعطي تراكيب اللغة إمكانية الفوران الإشاري لكي تنهض بالمفاهيم القارة فيها، نجد ذلك في قوله المتماسك بنظمه المحشّد بمعانيه القليل بألفاظه:

(. . . **إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يحصى ذكره ولا يؤدّى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه**. . .).

إذ نجد أن الخطاب هو الذي يمنح اللغة موضوعيتها ونكهتها الجمالية، فضلاً عن أنّ روح الحجاج تبرز من خلال تلك البنية أو التركيب الذي تظهر فيه اللغة؛ لأن كل كلمة في اللغة تدخل في بنية الخطاب تمثل عقدة كشف عن ماهية ذلك الخطاب؛ بوصفها داخلة في تكوينه الشكلي والمضموني، وحينما تنتمي للخطاب فإنها تعد هنا مفتاحاً من مفاتيحه في المعنى والتأويل، فضلاً عن أنها لبنة من لبنات بنائه المعماري وهندسة ذلك المعنى والمعمار، بالإضافة إلى أن الخطاب عرض قضية تكاد تختفي بفعل التراكم اللفظي في بنية الخطاب، وهذه القضية هي (. . . **ونحن إنما غضبنا لله ولكم**. . .) فماهية الغضب هنا مسألة مبهمة؛ إذ إنه لم يفصح عن طبيعة ذلك الغضب، كما إنه لم يوضح أين ومتى ؟ أي أن الزمان والمكان مجهولان في الخطاب، مما يعني أن الإحالة الإشارية المضمرة في الخطاب ستكون جاذبة بإبهاميتها للمتلقي.

الوظيفة التقريرية

تتحدد الوظيفة التقريرية للخطاب عن طريق عرض مكونات الخطاب، حينما تكون طافية على سطحه؛ لأن حياة الكلمة في الخطاب مرتبطة بموقعها فيه، فكلما كانت قريبة من التناول اللفظي المبسط، كان ذلك مدعاة إلى تداولها فيه، وبالنتيجة وجودها في المعنى سيكون مؤكداً، وإعادتها على الأذهان سيكون مرتهناً بذلك، إلا أن ذلك لن يكون مسوّغاً للتغاضي عن أخواتها، فالبنيان الخطابي يعلو بالجميع دون استثناء، لكن الركائز لن يغيب اثرها ووجودها قطعاً في هذا البناء.

وتظهر الوظيفة التقريرية للخطاب الحسني موضوعة البحث، حينما نرى أن هذا الخطاب يتدرج من العام إلى الخاص، كما هو واضح بقوله:

(. . **فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:**

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

فقد بدأ بفكرة عامة تشير إلى أهمية الوحدة والاجتماع على أمر واحد بما سيكون سبباً في اشتداد وضعهم واستحكام عقدتهم، وهو السبيل إلى النصر المؤزر، ومن ثم تحول مباشرة دون إخلال في موضوع الخطاب، حتى وإن كان الخطاب يأخذ شكلاً تقريرياً الذي هو بمثابة التجلي الحقيقي للواقع دون رتوش، حتى وإن كانت الظواهر التي يذكرها الخطاب متعارضة في ذاتها، مثل قول الإمام الحسن عليه السلام (. . . **فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة**. . .) فهو يذكر العدو بشكل مباشر، في الوقت الذي ينهاهم عن التخاذل؛ لأنه يقطع نياط القلوب – حسب تعبيره – بمعنى يؤدي إلى هزيمة منكرة، وهو هنا يمارس الحجاج بطريقة ذكية يمكن لحاظ ذلك من بين تراكيب الخطاب، ودون أن يقول ذلك بمقدمة أو إشارة برهانية إلا اللهم تلك الإشارات التي تنبض من بين مكونات الخطاب ويمكن تفحصها بدقة، ما يجعل الواجب في تمييز ما يحويه الخطاب بدقة بمثابة الواجب المقدس الذي يعنى به القارئ والمتلقي.

بعدها يتحول الخطاب الحسني إلى عرض القاعدة التي تنتهي إليها كل الأفكار التي ترتبط بالسلوك الاجتماعي والمفهوم الديني للعلاقة بين الخالق تعالى وبين المخلوقين، تلك العلاقة التي يجب أن تكون بشرطها وشروطها حينها تتحقق اشتراطاتها التي هي بمثابة أطر تنظيمية تقبع خلفها تلك العلاقة، وقد أجملها الخطاب الحسني في قوله، بعد ما أعطاه الصفة التبريرية التي تقترن برؤية حجاجية قائمة على أسس صادقة، فقد قال:

(. . . لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ)

من هنا لا يمكن الفصل بين الرؤية الجمالية والسلوك الانساني المقترن بالحجاج في الخطاب الحسني، مما يعني أن هذا الخطاب قد انطلق من كينونة تنتمي بروحها إلى الوجود الأسمى، وقد أشبعت بروح التسامح والإنسانية والعدل، حتى جاء استشهاده ببيت الشعر ليستكمل نطاقه الحجاجي المضروب على المتلقي، الذي بدا وكأنه الختام المنتظر لخطبة أراد لها أن تكون محفزة فوق العادة، حتى أصبح البيت الشعري بمثابة المثل الذي لم يكن مجرد تزيين وتجميل أسلوبي للخطاب، بل تجاوز ذلك إلى مهمة حجاجية قام بها، واختصر فيها كل موضوعات الخطاب الحسني، بما فيه من الكثافة والإيجاز؛ لوجود تلك العلاقة بين موضوع الخطاب وبيت الشعر، التي جعلت منه حجة اقناعية فرضت وجودها داخل الخطاب وعلى المتلقي في آن.

هوامش البحث

١) حياة الإمام الحسن عليه السلام دراسة وتحليل، الشيخ باقر القرشي، تقديم الإمام المصلح كاشف الغطاء، دار البلاغة، النجف الأشرف - العراق، ط٢ - د. ت. ج ١ / ٤٣٢.

٢) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

٣) سورة المائدة الآية (١٠٠).

٤) سورة النحل الآية (١٢٥).

٥) يراجع في ذلك: علم الجمال وفلسفة الفن - فريدريك هيجل، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد، القاهرة -مصر، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع ط١ - ٢٠١٠، النقد الفني -دراسة جمالية وفلسفية -جيروم ستولنتيز، ترجمة فؤاد زكريا، الاسكندرية -مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١- ٢٠٠٧ م... وغيرهما ممن كتبوا عن الجمال وفلسفته؛ إذ الكل يتكلم عن الاحساس وعلاقته بالجمال، وأن الجمال استشعار محسوس، ولم يتكلموا عن أن منشأ الجمال هو عقلي لا حسي، فإدراك الجمال لا يكون بالحس بل بالعقل، أي باختصار شديد جداً، لو لا العقل ما كان للحس أن يفهم طبيعة الجمال وماهيته. . . الخ، ولنا إن شاء الله وقفة طويلة عند هذا الموضوع لبيان أن ماهية علم الجمال الاسلامي تختلف عن علم الجمال الغربي كثيراً.

٦) ينظر في ذلك ما تقدم أعلاه، بالإضافة إلى ما عرضه فلاسفة الغرب من آراء حول الجمال الحسي وما إلى ذلك، كتاب الجمال لروجر سكروتون، ترجمة وتقديم بدر الدين مصطفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط١- ٢٠١٤ م، وكتاب د. محمد علي أبو ريان فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة في طبعته الثامنة ١٩٩٣ الصادر عن دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية بمصر.

٧) النقد الفني -دراسة جمالية وفلسفية- ١٢٩.

٨) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ٢١، د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، ط ٨ - ١٩٩٣ م.

٩) سورة يونس الآية (٢٤).

١٠) ينظر: فلسفة الجمال ودور العقل في الابداع الفني، د. مصطفى عبده، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط ٢- ١٩٩٩ م، ١٣٤ - ١٣٥.

١١) يراجع في ذلك كتب التاريخ مثل مروج الذهب للمسعودي وتاريخ الطبري والإمامة والسياسة للدينوري وغيرها.

١٢) الحجاج اللغوي -قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي - ٣٩، تنسيق الدكتور حسن مسكين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع -الاردن -عمان، ط١-٢٠١٧ م.

١٣) الحجاج في التواصل ٣٣، فيليب بروطون، ترجمة محمد مشبال -عبدالواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط١-٢٠١٣ م.

١٤) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط١- ١٤٣٥هـ - ٢٠١٨ م، ٥٨ - ٥٩.

١٥) حياة الامام الحسن ١/ ٤٣٣.
١٦) جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي د. رمضان الصباغ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية- مصر، ط١-٢٠٠٣ م، ٢١.
١٧) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط١- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م. ٢٠١.
١٨) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، تأليف د. الحسين بنوهاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١- ٢٠١٤ م.
١٩) العلاج المعرفي السلوكي المختصر، تأليف بيرني كوروين - بيتر رودل- ستيفن بالمر، ترجمة د. محمود عيد مصطفى، مراجعة وتقديم أ. د. محمد نجيب أحمد الصبوة، دار ايتراك للنشر والتوزيع، هليوبوليس غرب- مصر الجديدة، ط١- ٢٠٠٨ م. ٢٩.

مصادر البحث ومراجعه

*الجمال لروجر سكروتون، ترجمة وتقديم بدر الدين مصطفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط١-٢٠١٤ م.

*جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي د. رمضان الصباغ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية-مصر، ط١-٢٠٠٣ م.

*جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط١- ١٤٣٥ه - ٢٠١٨ م.

*الحجاج اللغوي -قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق الدكتور حسن مسكين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع -الاردن -عمان، ط١-٢٠١٧ م.

*الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة محمد مشبال -عبدالواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط١-٢٠١٣ م.

*حياة الإمام الحسن عليه السلام دراسة وتحليل، الشيخ باقر القرشي، تقديم الإمام المصلح كاشف الغطاء، دار البلاغة، النجف الأشرف - العراق، ط٢ - د. ت.

*العلاج المعرفي السلوكي المختصر، تأليف بيرني كوروين - بيتر رودل- ستيفن بالمر، ترجمة د. محمود عيد مصطفى، مراجعة وتقديم أ. د. محمد نجيب أحمد الصبوة، دار ايتراك للنشر والتوزيع، هليوبوليس غرب- مصر الجديدة، ط١- ٢٠٠٨ م.

*علم الجمال وفلسفة الفن - فريدريك هيجل، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد، القاهرة -مصر، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع ط١ - ٢٠١٠،

*فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، ط ٨ - ١٩٩٣ م.

*فلسفة الجمال ودور العقل في الابداع الفني، د. مصطفى عبده، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط ٢- ١٩٩٩ م.

*فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة د. محمد علي أبو ريان، ط٨- ١٩٩٣ دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية بمصر .

*نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، تأليف د. الحسين بنوهاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١- ٢٠١٤ م.

*نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط١- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

*النقد الفني -دراسة جمالية وفلسفية -جيروم ستولنتيز، ترجمة فؤاد زكريا، الاسكندرية -مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١- ٢٠٠٧ م.

المحور الثاني

بلاغة الخطاب عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

في ضوء التداولية

الخطاب الحَسَنيّ في البُعدَيْن الحِجاجيّ والتَّداوليّ

د. زهراء علي دخيل

المُلخّص:

إنّ تراث الإمام الحسن عليه السلام يُمثّل منظومةً إنسانيّةً مُتكاملةً، فخطبه، ورسائله، ووصاياه، وحِكَمه كلّها ذات طابعٍ إنسانيٍّ محض، والمُتأمّل والمُدقّق في تراثه يجد هذه الحقيقة واضحة؛ فتراثه السَّامي الخالد زاخر بالمعاني، والدّلالات الإنسانيّة العميقة، والمُتنوّعة، فهو نتاج عقل فذّ، قد أفاد من القرآن الكريم، والأحاديث الشّريفة، وتراث بيانيّ من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد أُوتي الإمام الحسن عليه السلام بلاغةً وفصاحةً عاليةً، ودرجةً رفيعةً من الموهبة البلاغيّة واللُّغويّة، فضلًا عن تأثّره ببلاغة القرآن الكريم؛ ومن جوانب هذه البلاغة اهتمامه عليه السلام بجانب الحجاج والإقناع، فـ"الحجاج ركيزة أساس في كلّ خطاب غائيّ مُوجّه، يعتمد مبدأ استمالة الآخر، وترويض مشاعره وأفكاره للتّأثير فيه، لا من حيث أفكاره فحسب؛ بل من حيث مواقفه، وما يترتّب عليها من سلوكٍ واقعيّ ملموس"[1]، وهو ما يتلاءم مع مَهمّة البلاغ والإبلاغ.

لقد اهتمّت البلاغة في الدَّرس الحديث بتقنيّات الإقناع والتَّأثير، وأبرزت البُعْد الحجاجيّ في البلاغة. ومن هنا، ظهرت مؤخّرًا بعض الدّراسات العلميّة الّتي اهتمّت ببيان منهج الحجاج وآليّاته ومستوياته في القرآن الكريم؛ بيد أنّ الخطاب الحَسَنيّ لم ينل حظّه بعد من الدّراسات المماثلة، وهو ما يجلي أهمّيّة هذا الموضوع، والحاجة إلى مثل هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

ـ الرَّغبة في الوقوف على أساليب الحجاج وآلياته في الخطاب الحَسَنيّ، وبيان ما فيه من خصوصيّة وتفرّد، كونه صادرًا عن إمام عظيم، لا يُحاجج لينتصر ويُفحِم، ولكن يُحاجج ليقنع ويُفهِم ويرحم.

ـ لم يحظَ البُعد الحجاجيّ في بلاغة الخطاب الحَسَنيّ بالاهتمام الكافي في إطار المفهوم التَّداوليّ للبلاغة.

ـ إنّ الحجاج أضحى مطلبًا رئيسًا في كلّ عمليّة اتّصاليّة تستدعي الإفهام والإقناع والتأثير؛ ما جعله يمتدّ إلى مختلف مناحي الحياة: الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة، إلخ. .

أهداف البحث:

ـ إبراز أهمّيّة الحجاج في الخطاب الحَسَنيّ، والكشف عن دوره في هذا البيان كَوْن أنّ من وظائف البلاغة البصر بالحجّة، وإقناع السَّامع.

ـ إبراز الخطاب الحَسَنيّ كونه أنموذجًا حجاجيًّا راقيًا يحتذيه الدُّعاة والمهتمّون بعلوم الاتّصال والإعلام، والسّاسة، والقادة في مختلف المجالات.

ـ التّعرُّف إلى المعاني والموضوعات الَّتي استخدم الإمام الحسن عليه السلام فيها الحجاج، وأهمّيّة كلّ ذلك في حياة المسلم الفرديّة والجماعيّة.

ـ الكشف عن تقنيّات الحِجاج، وأبعاده المختلفة في الخطاب الحَسَنيّ، على مستوى الكلمة المفردة، والتَّركيب، والصُّورة، استكمالًا لمكوّنات البلاغ اللُّغويّ الحجاجيّ جدولًا وتوزيعًا.

ـ إنّ في دراسة الحجاج في الخطاب الحَسَنيّ إبرازًا للمنهج الحَسَنيّ في تمكين المفاهيم والعقائد، وبذر القيم والأخلاق، وتعديل الفكر والسّلوك؛ ما ينبغي تمثّله لمواطن الدَّعوة إلى الله تعالى.

إنّ بيان الآليّات والأدوات، ودراستها الّتي مثّلتها خطب الإمام الحسن عليه السلام، ورسائله، ومواقفه، ووصاياه، وحكمه؛ تفتح لنا الباب على مصراعيه؛ لنقف طويلًا عند هذه المعاني الحضاريّة.

إنّ الإحاطة بتلك الآليّات وتحديدها يكشف لنا جوانب جديدة في فكر الحسن عليه السلام الإنسانيّ، وثقافته، ويكشف لنا تكامل هذه الشخصيّة، وتفرّدها بأدب الحوار، والارتفاع بمسؤوليّة المناقشة والجدال المحمود، والإقناع السّلميّ، وعمق الهدف الّذي أعطاه عليه السلام من حياته، وفكره، وجهاده، وإنسانيّته المثاليّة[1].

الإقناع في الخطاب الحَسَنيّ:

إنّ مفهوم (الإقناع في الخطاب) من المفاهيم المُهمّة لِما له من تأثير لدى السّامعين؛ فهو يُمثّل حلقة اشتراك بين (المتكلّم) المخاطِب، وبين السَّامع (المخاطَب)؛ أي عمليّة تواصُل واستقبال بينهما.

إنّ هـذا المفهـوم يفهـم مـن خـلال ركائـز ثـلاث: المخاطِـب (المبـدع)، والخطـاب (النـصّ)، والمخاطَـب (المتلقّـي)[٢]. لـذا؛ فـإنّ الوقـوف عـلى مـادّة (ق ن ع) في كتـب اللّغـة، ومفـردات ألفـاظ القـرآن يفيدنـا في تصـوّر هـذه الركائـز.

الإقنـاع مصـدر عـلى وزن (إفْعَـال) مـن الفعـل الثلاثـي المزيـد بحـرف واحـد (أَقْنَـعَ) عـلى وزن (أَفْعَـلَ)، وفعلـه الثلاثـي المجـرّد (قَنَعَ-يَقْنَعُ).

لقـد شـكّل الخطـاب الحَسَـنيّ فـذًّا ورائـدًا، والحـقّ أنّـه لا يمكـن فصـل سـلوك الإنسـان عـن كلامـه فهـما مقترنـان، فقـد كـوّن عليه السلام مدرسـة فكريّـة مُتميّـزة، قـال سـبط ابـن الجـوزي: "كان الله عزّ وجلّ قـد رزقـه الفطـرة الثَّاقبـة في إيضـاح مراشـد مـا يعانيـه، ومنحـه الفطـرة الصَّائبـة لإصـلاح قواعـد الدِّيـن، ومبانيـه، وخصّـه بالجِبْلـة الّتـي درّت لهـا أخـلاف مودّتها بصـور العلـم، ومعانيه"[٣].

لقـد وظّـف الإمـام الحسـن عليه السلام مكانتـه، ومنزلتـه مـن جهـة كونـه خليفـةً وإمامًـا، وقائـدًا، وحكيـمًا، وناصحًـا في الخطـاب توظيفًـا إنسـانيًّا مثاليًّـا، فهـو يمتلـك شـخصيّة الأديـب المجـرّب الّـذي يختـزن الأحـداث والذكريـات، ويغـوص في أعـماق النّفسـيّات، ويُـدرك بذكائـه الفـروق بـين الشّـخصيّات، وعنـده مـن قـوّة الخُلُـق مـا يسـتطيع أن يكـون أنموذجًـا بشريًّـا يفكـر عـلى مثـال الأنمـوذج الذّهنـيّ الّـذي تكـوّن عنـده، وينطـق بالأفـكار والكلـمات الّتـي تؤكّـد هـذه الشـخصيّة ويحـاور حـوار الحـاذق البـارع ليصـل إلى الـرأي والفكـرة، ويُعـبّر عـن اللّمحـة، والعاطفـة"[٤].

لقـد كان الحسـن عليه السلام قائـدًا للمرحلـة، ورجـلًا سياسـيًّا وإنسـانيًّا، وتربويًّـا؛ لأنّـه امتلـك أعمـق الصّفـات، وحـاز عليهـا، فامتلاكـه لتلـك الذّهنيّـة، والملـكات النّفسـيّة، والتّاريـخ الشَّـخصيّ، جعلتـه قـادرًا عـلى قيـادة الأُمّـة، وبـثّ روح الإنسـانيّة الأصيلـة فيهـا[٥].

إنّ مـا خلّفـه عليه السلام مـن تُـراثٍ فكـريٍّ، وإنسـانيٍّ، وعلمـيٍّ، مـن خـلال النُّصـوص الَّتـي تركهـا لنـا عـلى شـكل خطـب، ورسـائل، ووصايـا، واحتجاجـات، وأحاديـث، وحكـم في فـروع المعرفـة المختلفـة، تكشـف عـن تنـوّع اهتـمام الحسـن عليه السلام، وسَـعَة علمـه، وإحاطتـه بمتطلّبـات المرحلـة الَّتـي كانـت تعيشـها الُأمَّـة المسـلمة في عـصره المحفـوف بالفتـن، والمخاطـر، والدَّواهـي[٦].

يُعدّ الخطاب الحَسَنيّ خطابًا إنسانيًّا إصلاحيًّا واسعًا؛ إذ يدعو إلى الوحدة، والتَّآلف، والحوار، والحفاظ على دماء المسلمين، جعلت الطَّرف الآخر المعارض يخشى من الوحدة، والجماعة، والحوار، والصَّلاح، حيث يرغب في الفرقة، والتَّشتُّت، والانحلال.

لقد اشتملت شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام على خصائص كثيرة؛ منها: المقامات العالية السَّامية الرفيعة؛ لكونه خليفةً، وإمامًا، وقائدًا، وحكيمًا، وناصحًا، ومُوجّهًا ما أهّلته لإنتاج خطابٍ عالٍ جمع فيه بين الإفهام، والإمتاع.

لقد أُعطِيَ الإمام الحسن عليه السلام مَلَكة الخطاب؛ والقول الفصل؛ إذ تتراءى هذه المَلَكة في تراثه الَّذي خلّفه سواء كان خطبة، أم رسالة، أم وصيّة، أم حكمة، وغيرها. فقد عمد إلى توظيف اللّغة توظيفًا بيّنًا دقيقًا؛ فكانت أداة، وآلة طيّعة تستجيب له أنّى شاء، ومتى أراد في مختلف المستويات؛ لغرض استمالة المُتلقّي، وجذبه، والتأثير فيه، وإقناعه.

إنّ الصّفات الإنسانيّة المثاليّة التي اتّصف بها الإمام الحسن عليه السلام، وقربه من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، وأبيه عليه السلام؛ فالمنبت النَّبويّ الَّذي نشأ فيه الحسن، والمَلَكة الخطابيّة الَّتي وعاها من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام جعلته يمتلك مَلَكَة الخطاب، والأخذ بزمام القول وجوانبه، وقد أشار أخوه الحسين عليه السلام إلى هذه الملَكَة الخطابيّة، وجذورها، حينما أبّن الحسن عليه السلام، مُعدّدًا مناقبه، وسجاياه، وحكمته، جاء فيها: "رَحِمَكَ اللهُ أبا محمَّد، إن كنتَ لتباصُرَ الحقّ مظانَّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التَّقيّة بحسن الرَّويّة، وتستشفّ جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقدة، وتقبض عليها يدًا ظاهرة الأطراف نقيّة الأسِرَّة، . . . ولا غرو وأنت ابن سلالة النّبوّة، ورضيع لِبان الحكمة، فإلى روحٍ، وريحان، وجنّة نعيم، أعظم الله لنا، ولكم الأجر، ووهب لنا، ولكم السّلوة، وحسن الأسى عنه"[٧].

لقد اعترف ألدّ خصومه بالمَلَكة الخطابيّة الَّتي يمتلكها، وهذا ما نراه واضحًا في تقريظ معاوية له في خواتيم المشاجرات الَّتي كان يثيرها عليه في مجالسه، وإلى إطرائه إيّاه في مناسباتٍ أُخَر لا تتّصل بتلك المشاجرات، قال اليعقوبي: "وقال معاوية: ما تكلّم عندي أحدٌ كان أحبَّ إليّ إذا تكلّم أن لا يسكت من الحسن بن عليّ"[٨].

كان الحسن ممّا لا تُطاق عارضته، وكان معاوية يخاطب مروان بن الحكم قد كنتُ نهيتُك عن هذا الرجل، وأنت تأبى إلّا انهماكًا في ما لا يعنيك، وقال له: "لا تجار البحار فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك، واسترح من الاعتذار"[٩] وقال خير الدين الزّركليّ: "كان عاقلًا حليمًا مُحبًّا للخير، فصيحًا من أحسن النَّاس منطقًا، وبديهة. . . كان معاوية يُوصي أصحابه باجتناب محاورة رجلين هما: الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس لقوّة بداهتهما"[١٠].

لقد أشار أكثر من باحث إلى المَلَكة الخطابيّة المُميّزة في تراث الحسن عليه السلام، فقد ألمح سبط ابن الجوزي إلى أثر هذه الآلية المُهمّة في تجلّي معالم الإنسانيّة المثاليّة عنده بالأخص في إصلاح الدين، والمجتمع، فقال: "كان الله عزّ وجلّ قد رزقه الفطرة الثّاقبة في إيضاح مراشد ما يعانيه، ومنحه الفطرة الصّائبة لإصلاح قواعد الدين ومباينه، وخصّه بالجِبْلة الّتي درّت لها أخلاف مودّتها بصور العلم ومعانيه"[١١].

لقد نوّهَ الأديب المصريّ طه حسين بالمَلَكة الخطابيّة للحسن عليه السلام؛ فقد أوتِيَ الفصاحة، واللّسن، وفصل الخطاب، وإنّه "قد خطب النّاس غير مرّة في حياة أبيه، وبعد وفاته، فلم يعرف منه عيًّا، أو حصرًا، وهو بعد ذلك، أو قبل ذلك من أهل بيت لم يعرفوا قطّ بعيّ أو حصر؛ وإنّما كانوا معدن الفصاحة، واللّسن، وفصل الخطاب، وقد خطب الحسن فقال: خير ما كان يمكن أن يُقال، وأصدق ما كان يمكن أن يُقال أيضًا: قال: "أيّها النَّاس، إنّ أكْيَس الكَيْس التَّقيّ، وأحْمق الحُمق الفجور، إنّ هذا الأمر الّذي سلّمته لمعاوية إمّا أن يكون حقّ رجل كان أحقّ به منّي فأخذ حقّه، وإمّا أن يكون حقّي، فتركتُه لصلاح أُمّة مُحمد، وحقن دمائها، فالحمدُ لله الّذي أكرم بنا أوّلكم، وحقن دماء آخركم"[١٢].

على الرّغم من امتلاك الحسن عليه السلام المَلَكة الخطابيّة، وفصل الخطاب، إلّا أنّ الأمويّين أرادوا أن يلصقوا به تهمة جديدة، وهي (الحَصْر والعِيّ)، وهما من عيوب المُتكلّم، ونعني بهما: التلجلج في الكلام، والارتجاج في الخطاب، وعدم القدرة على الكلام، وضبطه إنْ تمكّن منه، وجعلهما الزمخشريّ بمعنى واحد، قال: "حَصِر في كلامه، وفي خطبته: عَيّ"[١٣].

لقد نفى الإمام الحسن عليه السلام هذه التّهمة من قبل، رادًّا إيّاها، فبعد أن قبل السّلم والهدنة مع معاوية بالشروط الَّتي أملاها الإمام عليه السلام على معاوية، عاتبه عبد الله بن الزبير عتابًا شديدًا قائلًا له عليه السلام: فما أدري ما الَّذي حملك على ذلك؟ أضعفٌ في الرأي، أم وهن نَحِيزة (طبيعة)، فأجاب الحسن عليه السلام: " أما والله لولا أنّ بني أُميَّة تَنْسِبني إلى العَجْزِ عن المقال، لَكَفَفْتُ عنك تهاوُنًا، ولكن سأبيّن لك ذلك لتعلم أنّي لسْتُ بالعَيِيّ، ولا الكليل اللِّسان، إيّاي تُعيّر، وعليّ تفتخر، فزوجته صفيّة بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها، وشرف مكانها، فكيف تُفاخِر مَن هو في القلادة واسطتها، ومن الأشراف سادتها، نحنُ أكرم أهل الأرض زنْدًا، لنا الشَّرفُ الثّاقبُ، والكرم الغالب"[١٤].

الاهتمام بالمُتلقِّي:

إنّ الاهتمام بالمُتلقِّي ضرورة في عمليّة تشكيل الخطاب؛ لأنّ مفهوم الخطاب مؤسّس على عمليّة الفهم، والإفهام؛ فإقناع المتلقي(المخاطَب)، واستمالته من خلال الاهتمام به، والدَّأب على إيصال الفكرة له هي سمة واضحة في الخطاب الحَسَنيّ، فقد أبْرَزَ الحسن عليه السلام اهتمامًا بالغًا بالمُتلقِّي، وعمل على إقناعه، وحجاجه، والتأثير به في مختلف مستويات الحال؛ فهو خطاب يهدف إلى هداية المُتلقّي، ونجاته من المهلكة، والفوز بجنّة الآخرة، علاوةً على إصلاحه وإصلاح المجتمع، والدَّعوة إلى التواصُل والتَّحابُب، والتَّعايُش، ونبذ التناحُر، والتّباغُض، . . .

فكان الإمام الحسن عليه السلام يجعل المُتلقّي في دائرة النصّ التَّأثيريّة، لا يغيب عنه طرفة عين، فهو أمامه دائمًا، وهذا ما يُوضّح القيمة البلاغيّة في عمليّة التواصل، والإبلاغ. فالأسلوب قوّة ضاغطة يُسلّطها المتكلم على المخاطب؛ إذ يسلبه حريّة التصرّف إزاء هذه القوة؛ فيغدو الأسلوب قائد لفظيّ للمتلقّي، "هذه القوة الضَّاغطة تتمثّل فيها عمليّة الإقناع بوسائلها العقليّة، الّتي من خلالها يُسْلم المُتلقِّي قياده للفكرة الموجّهة إليه، كما تتمثّل فيها عمليّة الإمتاع التي تلوّن الكلام بكثير من المواصفات العاطفيّة، والوجدانيّة؛ بحيث تكون هناك مزاوجة بين الجانب الإقناعيّ، والجانب الإمتاعي، كما تتمثّل فيها ثالثًا عمليّة الإثارة، الّتي بها يوقِف المبدع المشاعر الَّتي كانت مختزنة عن المُتلقّي، أو يُجمّدها تمهيدًا لإحلال انفعالات جديدة، مُسبّبة عن الطاقة الفكريّة والعاطفيّة الموجّهة إليه"[١٥].

نلحظ في الخطاب الحَسَنيّ الاهتمام بالمتلقّي، وجذبه، واستمالته، ومراعاته حاضرًا حضورًا واضحًا، فلا نعدم وجود هذا الأمر في أغلب تراثه، بدءًا من إيفاده في زمن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى نصرة إمامهم وخليفتهم في البصرة، وكان أبو موسى الأشعري واليًا على الكوفة، فأخذ الحسن عليه السلام يجدّ في تحفيز النّاس، وإثارتهم للجهاد، وحضّهم على الخروج إلى البصرة لنصرة أبيه عليه السلام منها ما قال لهم: "أيّها النّاس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنّه سيوجَدُ لهذا الأمر مَن يَنفُرُ إليه، والله لَئِن يَلِيَه أولو النّهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دَعْوَتَنَا، وأعينونا على ما ابْتَلَيْنا به، وابْتَلَيْتُم"[16]، وقال أيضًا عليه السلام: "هو يسألكم النّصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه؛ لتؤازروه وتنصروه على قومٍ نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصَّلاح من أصحابه، ومثّلوا بعماله، وانتهبوا ماله، فأشخصوا إليه رحمكم الله، فأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصّالحون". [17]

إنّ الضَّغط الَّذي يُسلّط على المُتلقِّي، ويؤثّر في إدراكه، ويُحرّك فكره، وشعوره يكون من خلال الطّاقات التّعبيريّة، والأسلوبيّة الضّاغطة الّتي تؤثّر تأثيرًا واضحًا، وقويًّا على المُتلقّي، وكلّما تعدّدت المفاجآت في الأسلوب زادت القوّة الضَاغطة، وتكاثرت ردود الفعل[18]. فتكثيف تلك الطَّاقات التَّعبيريّة في الخطاب الحَسَنيّ كان لغاياتٍ إفهاميّة، ودواعٍ دلاليّة، منها: استمالة المُتلقّي، وإثارته، والتّأثير فيه، فنلحظ حرص الإمام عليه السلام على إيصال أفكاره، ومنهجه، إلى المُتلقّين؛ بهدف شدّ انتباههم، وإثارتهم، واستشعار قلوبهم ونفوسهم.

في خطبة الإمام الحسن عليه السلام حين قُتِلَ أبوه علي عليه السلام، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال: "أيّها النّاس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَنْ لمْ يعرفني، فأنا الحسنُ بن عليّ، وأنا ابنُ النَّبيّ، وأنا ابنُ الوصيّ، وأنا ابنُ البشير، وأنا ابنُ النّذير، وأنا ابنُ الدّاعي إلى الله، والسِّراج المنير، وأنا من أهل البيت الّذي كان جبريل يتنزَّل فينا، ويصعد من عندنا"[19]. فالإمام الحسن عليه السلام يتيح لنا فرصة في هذا السِّياق للتَّعرّف إلى غاياتٍ جديدة للتّكرار ودوره في الهندسة الصَّوتيّة؛ حيث يقوم التّكرار هنا بوظيفةٍ أسلوبيّة بالغة الأهمّيّة، وهي أنّ الاحتفاء بتكرار الضمير "أنا" في صدر الجملة، يُعدُّ مدخلًا رئيسًا لتحديد خواصّ المعنى الّذي ترمي إليه الجُمَل، فهو تأكيد الامام الحسن عليه السلام على الفكرة، أو القضيّة، فتوكيد الحسن كونه من بيت النبوّة، توكيد نسبه

الطاهر، كما يتجلّى توكيده في أماكن أخرى أحقّيّته بالخلافة، وموقف توكيد دعوته إلى السّلم والدخول في الجماعة، وموقف توكيد الإصلاح، وحقن الدّماء، وهي مواقف إنسانيّة مثاليّة هدفها التّأثير في المتلقّي، وشدّه نحو الفكرة، أو القضيّة الّتي يريد إيصالها.

فالمعنى ليس كمًّا مُتراكمًا من الألفاظ، إنّه يتمحور حول دلالة المبتدأ الضمير "أنا" في صدر الجملة، ويتبع كل مبتدأ إخبار عن نسبه الشّريف، وفي بعض الجمل إخبار عن الإنجازات الثّقافيّة الّتي حقّقتها جماعة الإمام على المستوين: الثّقافيّ، والأيديولوجيّ العام، والمعنى بين المبتدأ والخبر صيرورة لا تتوقّف؛ لأنّه يستند في جوهره إلى طبيعة العلاقة بين اللّغة والفكر، ويستند في شكله إلى طبيعة العلاقة بين الصوت والموضوع/ الفخر؛ لأنّ تحديد مفهوم التّكرار في الجمل السّابقة يمكن إدراكه من خلال فهم الضمير "أنا" بوصفها علامةً صوتيّةً تؤكّد حسّ الفخر، ووصفها علامةً لُغويّةً مكتوبةً تؤكّد أهمّيّة العلاقة بين اللُّغة والفكر. "إنّ بناء الخطاب هو في الأصل اقتطاع لجزئيّة من مُتدٍّ ثقافيّ وإيداعه بِنْية مُستقلّة محدودة من حيث ممكنات التّأليف والإحالات، أو هو بناءُ عالَم استنادًا إلى عدد محدودٍ من الملفوظات، فمحدوديّة الملفوظات هي الضّامنة، نظريًّا على الأقل، لوحدته وانسجامه واستقلاله، ومع ذلك، فالانسجام هنا حالة مفترضة فقط وليست حقيقة موضوعيّة، فإذا كان بالإمكان التّحكّم في سياقات الجملة وضبطها وتحديد عددها، فإنّ ضبط حدود النّصّ، يقتضي تصوّر ممكنات محدودة مرتبطة بقصديّة صريحة هي جزء منه، لا حالة مسقطة من خارجه"[٢٠]. وهكذا يتنامى الثّراء الدّلاليّ للتّكرار في ضوء العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"؛ حيث يسعى الخطاب الحجاجي دائمًا إلى خلق نوعٍ من الصّراع المُتنامي؛ ذلك الصّراع الّذي تتطوّر فيه "الأنا" على أفق الآخر عبر نسق لُغويٍّ يكشف في تأويله عن دور "الآخر" في إعادة صياغة "الأنا" لنفسها بما هي فاعل أساس في تشكيل هويّتها. كما يؤكّد التّكرار هنا أهمّيّة "الأنا" الجماعيّة في مقابل ضآلة الـ (أنتم) الخاصّة بالآخر، فتكرار البِنْية الصّوتيّة في هذا السياق يؤدّي وظيفة دلاليّة مزدوجة؛ ففي الوقت الّذي تؤكّد فيه صفة ما لـ (الأنا) تنفي الصِّفة نفسها عن الآخر، ويؤكّد هذا تنوّع وظائف "الأنا" بتبيان، أو بتعداد نسبه الشريف إلى أن يصل أنّ جبريل كان ينزل إليهم، ويصعد من عندهم؛ وتلك الميزات تُظهِر "الأنا" في

أعلى مراتبها، تاركةً الصِّفات النقيضة لـ "الآخر" ينعم بها، وهذا النّوع من التكرار يُسهم بدورٍ كبير في تأسيس بِنْيةٍ صوتيّة تُساعد الخطيب في التَّغلّب على خصمه خُصوصًا إذا ما وضعنا في الحسبان البُعد الشّفاهيّ، ودوره في عمليّة التَّبادل السِّجاليّ بين الطرفين.

أمّا النّداء، فكثير في خطابه ﷺ، ويُرادُ بالنّداء: هو "لفت نظر المنادى، وتنبيهه على الأمر الّذي يلي النّداء؛ بمعنى أنّ النّداء فتح لمجالات الخطاب؛ أي أنّه سعيٌ قَبْلي، أو محاولة لتهيئة المخاطَب إلى المباشرة الخطابيّة بين طرفي الخطاب، سواء ينتقل المخاطب إلى ساحتك، أم بالتَّحرّك نحو ساحة المخاطَب"، ونرى أنّ الإمام الحسن استخدم حرف النّداء (يا) وهو لنداء البعيد لتوصيل كلامه، وتنبيه المتلقّي على ما يراد منه، وقد تعدّد المنادون في خطاب الإمام الحسن لا سيّما نداؤه إلى النّاس من خلال تركيب (يا أيّها النّاس)، وكذلك نداؤه إلى مَن يريد تنبيهه، وإثارته، من نحو: (يا أبا موسى)، و(يا مُعاوية)، و(يا حِجْرُ)، و(يا عَدِيُّ)، و(يا أبا سعيدُ)، و(يا جُنادة)، و(يا مُحمّدُ)، و(يا حُسينُ)، و(يا ابن آدم)، وغيرها، وقد جاءت هذه النداءات في خطابه ﷺ، وسأذكر النّصوص الَّتي وردت فيها.

"أيّها النَّاسُ، إنّ أكْيَسَ الكيس التَّقيّ، وأحْمَقَ الحُمْقِ الفجور، . . . "[٢١].

وقال في وصيّته للصَّحابيّ الجليل جُنادة بن أبي أميّة، حينما عاده، طالبًا منه أن يعظه: "يا جُنادة، اسْتعِد لسفرك، . . . "[٢٢].

ونقل الأربليّ كلامًا له ﷺ دالًّا على عبادته ونزاهته، فقال ﷺ: "يا ابن آدم، عِفْ عن محارمِ الله تَكُن عابدًا، . . . "[٢٣]

من الطَّاقات التَّعبيريّة (الأمر) وهو "صيغة تستدعي الفعل، أو قولٌ يُنبِئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"[٢٤]، ودلالة الأمر الرَّئيسة هي الطلب، ونلمح هذه الطاقة من رسالة الحسن ﷺ البليغة الطَّويلة إلى معاوية، وقد دعاه فيها إلى قيمٍ إنسانيّة كإصلاح المجتمع، وحفظه من خلال مبايعته، والدخول في الجماعة، وعدم التَّمادي في البغي والجور، فنلحظ أفعال الأمر واحتشادها، سأكتفي بمقطعٍ منها لبيان هذا الملمح الأسلوبيّ، قال ﷺ: " فدعِ التَّمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه النَّاس من بيعتي، فإنّك تعلمُ أنّي

أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كلّ أوّابٍ حفيظ، ومَن لهُ قلبٌ مُنيبٌ، واتّقِ اللهَ، ودعِ البغي، واحقِن دماء المسلمين، فو الله ما لكَ خيرٌ في أنْ تلقى اللهَ من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به، وادخل في السّلم والطَّاعة ولا تنازع الأمرَ أهلَه، ومَن هو أحقّ به منك ليُطفئ اللهُ النّائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلحَ ذات البَيْن، وإنْ أنت أبيت إلّا التَّماديَ في غيّك سِرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتَّى يحكم اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين"[٢٥]؛ فنلحظ الأفعال الأمريّة: [دَعْ (تكرّر مرتين)، ادخُلْ(تكرّر مرتين)، اتّقِ، احقِنْ] تُعدّ طاقاتٍ تعبيريّة تؤثر في المتلقي، وتجعله عنصرًا بارزًا، أو شريكًا رئيسًا في الخطاب، "فلا عجب إذا جاء كتاب الحسن هذا صريحًا في تهديده، شديدًا في وعظه، قويًّا في لغته الآمرة النّاهية"[٢٦].

الخاتمة:

إنّ الحِجَاج في الخطاب الحَسَنيّ من حيث وظيفته حجاج يهدف إلى الإقناع، وإلى بيان الحقيقة، وتعديل السُّلوك، وترسيخ القيم والمعتقدات، واستبدال الأفكار والمفاهيم، وإثبات القضايا، والتّدليل عليها، وسوق الحجج اللُّغويّة والعقليّة المناسبة لمقام الحِجاج، وتقويم المواقف والنّماذج مع الأخذ في الحِسبان جوانبها السَّلبيّة والإيجابيّة؛ أي هو يهدف بالأقوال إلى تحقيق أعمالٍ لا قوليّة يتّضح أثرها على نحوٍ مباشرٍ في سلوك المرء اتّباعًا وانتهاءً.

-إنّ الحِجاج في الخطاب الحَسَنيّ كان يتعامل مع المُتلقّين كونهم طرفًا فاعلًا مشاركًا في إنتاج الخطاب. وبذلك، استطاع الاستحواذ على انتباههم، وتجاوبهم، وتمكّن من انتهاضهم إلى العمل، أو التّرك.

-إنّه حجاجٌ تداوليّ يُعنى بملاءمة الملفوظ لمقاصد المتكلّم عليه السلام من جهة، ولحال المخاطب من جهة أخرى، وللظُّروف المقاليّة والمقاميّة المُصاحبة لإنجاز الخطاب.

-أظْهَر البحث أنّ الإمام الحسن عليه السلام قد أكْثَرَ من الطَّاقات التّعبيريّة في خطابه فكان لغاياتٍ إفهاميّة، ودواعٍ دلاليّة، منها: استمالة المُتلقّي، وإثارته، والتّأثير فيه، فنلحظ حرص الإمام عليه السلام على إيصال أفكاره، ومنهجه، إلى المُتلقّين؛ بهدف شدّ انتباههم، وإثارتهم، واستشعار قلوبهم ونفوسهم.

-أبْرَزَ البحث الطَّاقات التَّعبيريّة، والأساليب التَّركيبيّة، فكانت مثل: (الأمر، والنّداء، والتكرار) الَّتي كان لها دورٌ بارزٌ في الخطاب الحَسَنيّ من أجل شدّ انتباه المُتلقّي، وإثارته، واستمالته، والتَّواصُل معه.

-إنّه حجاجٌ جمع بين: المنطق، والوجدان، والأخلاق.

-أظْهَرَ البحث أنّ الخطاب الحَسَنيّ قد تميّز بلغةٍ راقيةٍ ورفيعة المستوى، على الرّغم ممَّا كان يجابه من خصومه ومناوئيه بكلامٍ وخطابٍ قاسٍ، ونابٍ، وبذيءٍ.

-قد أظهَر الخطاب الحَسَنيّ الكلام، أو الخطاب الإرشاديّ والتَّوجيهيّ؛ إذ يدعو فيه الجماهير إلى الالتزام بقواعد العلاقات وصونها، فضلًا عن الدَّعوة إلى كفّ الأذى، ونبذ الفرقة، والبغضاء، والشحناء، والدَّعوة إلى التَّعايُش السّلميّ عبر الإلفة والمحبّة بعضهم بعضًا.

يُعدّ الخطاب الحَسَنيّ خطابًا إنسانيًّا إصلاحيًّا واسعًا؛ إذ يدعو إلى الوحدة، والتَّآلف، والحوار، والحفاظ على دماء المسلمين، جعلت الطّرف الآخر المعارض يخشى من الوحدة، والجماعة، والحوار، والصلاح، حيث يرغب في الفرقة، والتشتّت، والانحلال.

أهم التوصيات:

-إبراز الخطاب الحَسَنيّ في الدّراسات المعاصرة كونه خطابًا متفرّدًا يجمع بين بلاغة الإقناع في توجُّهٍ إلى العقل، وسحر البيان في استمالةٍ للقلب.

-قراءة المظاهر الحجاجيّة والتَّداوليّة في التُّراث العربيّ سُنّة وفقْهًا قراءَةً معاصرةً على ضوء آخر ما توصّلت إليه النَّظريّات اللِّسانيّة الحديثة.

-العناية بترجمة مُصنّفات الحجاج والتّداوليّة ترجمةً دقيقة تحرّر المصطلحات بدقّة بعيدًا عن الخلط والتَّداخُل، وفوضى المصطلحات.

-الدَّعوة إلى دراسة تراث الحسن عليه السلام دراسةً لُغويّة، وفنّيّة، وأسلوبيّة؛ أي دراسة تراثه ضمن المناهج والنَّظريّات اللِّسانيّة الحديثة.

-تشجيع مختلف المؤسّسات العلميّة، مثل: الجامعات، والمدارس الدّينيّة إلى ضرورة جمع تراث الإمام الحسن عليه السلام بشكلٍ كامل، من خلال جمع النّصوص الَّتي وردت في كتب المسلمين الموثّقة والدَّقيقة.

الهوامش: -

١) رسائل الإمام الحسن ﷺ: زينب حسن عبد القادر، مطبوعات الشعب، مصر، ١٤١١هـ-١٩٩٩م: ٩.

٢) فهم المخاطب القرآني بين الإماميّة والأشاعرة (دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبيّة: صباح عيدان العبادي، دار الفيحاء، البصرة-العراق، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ٢٧.

٣) تذكرة الخواص: ١٨٦.

٤) دفاع عن فن القول: عبد الكريم غلّاب، مطابع دار القلم، تونس، ١٩٨٤م: ١٦٤. والخطاب في نهج البلاغة: ١٦.

٥) من حياة أهل البيت: ٣١.

٦) أعلام الهداية: ١٩٣-١٩٤.

٧) عيون الأخبار: ابن قتيبة: شرح وضبط وتقديم يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م: ٢/ ٢٣٨-٢٣٩. (مَداحِض: مَزَالِق)، الأسِرَّة: جمع سِرار، وتعني خطوط الكفّ، والجبهة، وجمع الجمع أسارير. مختار الصحاح: (سَرر) ٢٩٥.

٨) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٨، وصلح الحسن عليه السلام: ٢٠١-٢٠٢.

٩) صلح الحسن عليه السلام: ٢٠٤.

١٠) الأعلام (قاموس تراجم): خير الدين الزركلّي، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م: ٢/ ١٩٩.

١١) تذكرة الخواص: ١٨٦.

١٢) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٥. وكشف الغمّة: ٢/ ١٩٣-١٩٤.

١٣) أساس البلاغة: (عَيّ) / ١٧٧. والفروق اللغويّة: أبو الهلال العسكري، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٣١.

١٤) المحاسن والمساوئ: ١/ ٥٨-٥٩.

١٥) البلاغة والأسلوبيّة: محمد عبد المطلب، الشركة المصريّة العالميّة (لونجمان)، مصر، ١٩٩٤م: ٢٣٥-٢٣٦.

١٦) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٤٩٩.

١٧) أعيان الشيعة: ٢/ ٣٦٩.

١٨) البلاغة والأسلوبيّة: ٢٤٠-٢٤١.

١٩) الذريّة الطاهرة، ص١٠٨.

٢٠) «سياق الجملة وسياقات النّص: الفهم والتأويل»، سعيد بنكراد، مجلة علامات (المغرب) العدد (٣٣)، (٢٠١٠م)، ص٩.

٢١) الفتنة الكبرى: ٢/ ١٨٥. وكشف الغمة: ٢/ ١٩٣-١٩٤.

٢٢) أعيان الشيعة: ٤/ ٨٥.

٢٣) كشف الغمة: ١/ ٥٢١.

٢٤) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، ط١/ دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٥٣٠.

٢٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٦/ ٣٤.

٢٦) صلح الحسن عليه السلام: ٨٣.

ثبت المصادر والمراجع:

*أساس البلاغة: جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري، تقديم الدكتور: محمود فهمي حجازي، سلسلة الذخائر، المؤسّسة العامَّة لقصور الثّقافة، مصر، ٢٠٠٣م.

*أعلام الهداية (الإمام الحسن عليه السلام المجتبى)، المجمع العلميّ لأهل البيت عليهم السلام، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٥م.

*الأعلام (قاموس تراجم): خير الدين الزّركليّ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م: ٢/ ١٩٩.

*أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، حقّقه السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

*البلاغة والأسلوبيّة: محمد عبد المطلب، الشركة المصريّة العالميّة (لونجمان)، مصر، ١٩٩٤م.

*- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي، علّق عليه ووضّح حواشيه: خليل منصور، دار الزهراء، إيران، ١٤٢٩هـ. تذكرة الخواص من الأمّة بذكر حقائق الأئمة عليهم السلام يوسف بن علي البغدادي سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حسين تقي زادة، مطبعة ليلى، إيران، ١٤٢٦هـ.

*الحجاج في الشعر العربيّ القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدربدي، عالم الكتب الحديث، دار الكتاب العالمي، الأردن، ٢٠٠٨م.

*دفاع عن فنّ القول: عبد الكريم غلّاب، مطابع دار القلم، تونس، ١٩٨٤م.

*الذّريّة الطاهرة: أبو البشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي، تحقيق: السيد محمد جواد الجين الجلالي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

*رسائل الإمام الحسن رضي الله عنه: زينب حسن عبد القادر، مطبوعات الشعب، مصر، ١٤١١هـ-١٩٩٩م.

*"سياق الجملة وسياقات النّص: الفهم والتأويل"، سعيد بنكراد، مجلة علامات (المغرب) العدد (٣٣) (٢٠١٠م).

*صلح الحسن عليه السلام: الشيخ راضي آل ياسين، منشورات ناصر خسرو، بيروت-لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

*الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

*عيون الأخبار: ابن قتيبة: شرح وضبط وتقديم يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م: ٢/ ٢٣٨-٢٣٩.

*الفتنة الكبرى: الدكتور طه حسين، دار المنار، مصر، ٢٠٠٣م.

*الفروق اللُّغويّة: أبو الهلال العسكري، علّق عليه ووضّع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٣١.

*فهم المخاطب القرآني بين الإماميّة والأشاعرة -دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبيّة: صباح عيدان العبادي، دار الفيحاء، البصرة-العراق، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

*كشف الغمة في معرفة الأئمّة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربليّ، قدّم له السيد أحمد الحسيني، مطبعة شريعة قم-إيران، ١٤٢٧هـ.

*من حياة أهل البيت عليهم السلام: محمد علي التسخيري، دار التّعارف، بيروت، دون تاريخ.

دقة الاختيار القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

م . م . عبد الحي عبد النبي زبيك العبادي

فحوى البحث

هـذه الدراسـة أخـذت عـلى عاتقهـا تحليـل النصـوص القرآنيّـة التـي جـاءت في ثنايـا كلام الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام، في ضـوء تحليـل الخطـاب، وتضمنـت سـبعة محـاور رئيسـة تتبعنـا النصـوص الحسـنيّة التي وردت فيهـا الآيـات القرآنيـة والتـي عـدّت شـواهدا للبحـث في أمهـات الكتـب متفحصـين ومدققـين ومحللـين، فكانـت الدراسـة غنيـة بالقيـم القرآنيـة التـي زخـرت بهـا أحاديـث السـبط عليه السلام.

The content of the research

This study took upon itself an analysis of the Qur'anic texts that came in the folds of the words of Imam Al-Hassan Al-Mujtaba (peace be upon him), in the light of the analysis of the speech. It included seven main axes followed by the Hassanic texts in which the Qur'anic verses were mentioned. The study is rich in Quranic values that are rich in the hadiths of the tribe (peace be upon him).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف الخلق والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين من الآن إلى قيام يوم الدين وبعد:

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من الشخصيات الإسلامية التي لعبت دورا كبيرا في إرساء قواعد الدين الحنيف الذي جاء به النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ورفع رايته أمير المؤمنين عليه السلام بطلا مدافعا لا يخاف في الله لومة لائم، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أيضا ساهم في رسم خارطة الدولة الإسلامية بعد أن أدرك ببصيرته النافذة المخططات التي يسعى لها بنو أميَّة لهدم الصرح الإسلامي والدين المحمدي، فقد شكلت حياته إضاءة للأجيال عبر مواقفه التي اتسمت بالصبر والثبات وبث روح اليقظة والمسؤولية في جسد الأمة الذي بدت عليه آثار الوهن والضعف نتيجة للحروب المتعاقبة إبان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك في الصراع الذي احتدم مع جبهة الشام واستمر شرره حتى بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن من الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلّا مواصلة أهداف رسالة الإسلام الحنيف عبر التمسك بالثوابت الإسلامية والتأكيد على النهج القرآني الأصيل، وهذا ما سنلاحظه في دراستنا التي اخترنا فيها نصوصا من القرآن الكريم أوردها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في كلامه، وآلية توظيفها بما يعزز الجانب الشمولي في ثقافته عليه السلام ومدى حجية الخطاب وأثره عند متلقيه، فعُدّت هذه النصوص القرآنية علامات ذات إيحاءات دلالية شكلت رسائل يمكن بوساطتها الاتساع في تحليل النص المقدس على وفق المنظومة المعرفية والدينية التي تنطلق من القرآن الكريم.

أخذت هذه الدراسة على عاتقها تسليط الضوء على الجانب القرآني في كلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وكيفية توظيفه في خطبه ومواعظه ودقة هذه الاختيارات، فجاءت هذه الدراسة بسبعة محاور تضمنت الاستغفار وفضله، وبيعة معاوية التي عدَّت من الفتن التي أصابت الأمة نتيجة للتقاعس عن نصرة الحق واتباع أهله، وفي اجبار الأمة على أمر تكرهه في مقام التوبيخ، وملحظ من وعظه وإرشاده عليه السلام، والحث على التجمل بلبس أفضل الثياب، والحث على الجهاد والصبر عليه بالبشارة للصابرين، وبيان فضل أهل البيت عليهم السلام واصطفاؤهم على

الناس، وبيان مقام الساقي على الحوض ومبغضيه، كل هذه المحاور جاءت بالتوافق مع شواهد قرآنية أوردها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وضمنها في كلامه، درسنا هذه الشواهد القرآنية دراسة وصفية تحليلية متتبعين النصوص الحسنية في مظان الكتب التي عدت من المصادر المعتبرة عند المسلمين، ومن أبرز هذه المحاور ما يلي:

الاستغفار

الاستغفار له دور إيجابي في حياة الفرد المسلم وله آثار على النفس في الجانب العبادي وهو الرجوع إلى الله بطلب المغفرة عن تقصير صدر من العبد، ليس هذا فحسب وإنما بالاستغفار يستنزل الرزق وأنواع الألطاف الإلهية ولذا نجد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبوساطة الاستغفار يرشد الناس إلى طرق النجاة واستجابة الدعاء عبر الاستغفار فقد روي أنَّ رجلا أتى الحسن عليه السلام فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر فقال له: ادعُ الله أن يرزقني ابنا، فقال له: استغفر الله، فقلنا له: أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟! فقال: ما قلت ذلك من ذات نفسي، إنما اعتبرت فيه قول الله: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)[1].

هذه الآية المباركة(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)[نوح: ١٠] وردت في سياق توجيهي لكل من أراد الرجوع إلى الله بعد الابتعاد عنه بارتكاب المعاصي واقتراف الموبقات التي توجب نزول البلاء في سياق ذكر قوم نوح عليه السلام، فالآية تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالمغفرة(إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) والتعبير بصيغة الماضي توحي بسعة الرحمة وتحققها على أنها بمنزلة الواقعة في من يستغفر الله على خلاف ما لو جاء التعبير في غير القرآن على سبيل التمثيل((سيكون غفارا))، فالتعبير أشار إلى أنه كان غفارا لكل من طلب منه المغفرة ليس هذا فحسب وإنما سيرتب آثارا على هذا الرجوع وهذه التوبة بنزول الخير والنماء بعد الجدب والانقطاع، إذ قال: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) ليس هذا فحسب وإنما: (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)، فهذا العطف هو جزاء ونتيجة للاستغفار إن فعلتموه؛ لأنهم قحطوا وأجدبوا وهلكت أولادهم ومواشيهم فكان الترغيب عبر الاستغفار للرجوع إلى الله[2].

يمكن القول بأن الاستغفار يمتلك قوة معنوية يمكن أن يتسلح بها الفرد في مقابل حالة الانكفاء على النفس والشعور بالذنب كحالة مستدامة في السلوك التي تبرِّز العقد النفسيّة وتنمي الجانب السلبي في الأفعال، لذا يكون الاستغفار حالة من التجدد السلوكي في التعامل بين الأفراد والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى هو الذي وعد بالمغفرة (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)، ولعل في صيغة الأمر ما يبعث في النفس الشعور بالجانب الإرشادي في سلوك طريق الاستغفار، إضافة إلى التعبير القرآني الدال على الماضي المؤكد في(إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) لهو خير دليل على اللطف في بيان تحقق الوقوع وإنزاله بمنزلة الواقع لا محالة على نحو المكاثرة.

يمكن القول من أن طريقة توظيف النص القرآني جاءت في مختتم كلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لتفتح أفقا حجاجيا يتناسب مع المقام التفسيري في استعلام حالة بدت خافية على المتلقي عند الإجابة على حالات مختلفة جُمِعت تحت مصداقٍ قرآني واحد وهنا تكمن دقة الاختيار في جواب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، في حين النصوص القرآنيّة الواردة في الاستغفار كثيرة فجاء الإختيار لهذه الآية المباركة بما يناسب المقام.

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وإشارته في طريقة توظيف الآية المباركة قد تفتح أفقا أرحب في بيان فضل وفضيلة الاستغفار، فلا ينبغي لمؤمن أن يغفل عنه وقد وردت آيات عدّة تحث على الاستغفار في القرآن الكريم ومنها:

١.قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) [النساء: ٦٤].

٢.قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء: ١٠٦].

٣.قال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا)[النساء: ١١٠].

٤.قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣].

٥.قال تعالى: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ)[هود: ٣].

٦.قال تعالى حاكيا عن هود عليه السلام: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) [هود: ٥٢].

٧.قال تعالى حاكيا عن صالح عليه السلام: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)[هود: ٦١].

٨.قال تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود: ٩٠].

٩.قال تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ(٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[يوسف: ٩٧-٩٨].

١٠.قال تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا)[الكهف: ٥٥].

١١.قال تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [النمل: ٤٦].

١٢.قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [غافر: ٥٥].

١٣.قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)[محمد: ١٩].

١٤.قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[المزمل: ٢٠].

١٥.قال تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)[النصر: ٣].

بيعة معاوية فتنة

أشار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في خطبة ذكرت في أكثر من مصدر إلى أن الإجبار على القبول بحكم معاوية هو فتنة واختبار للأمة، وقد ختم الخطبة بشاهد قرآني يدل على فتنة الابتلاء في اختبار الأمة بما قد يكون سببا في هلاكها، ويصف حالة المحنة التي أجبرته على القبول مكرها بحكم معاوية ولنا أن نذكر الخطبة التي تفصِّل ما أفاض فيه الإمام من وصف حال الأمة في ذلك الوقت ومن أجل فهم النص الذي يكتنف الآية المباركة محل الشاهد ولا تقتطع من محيطها داخل النص الذي وظف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الآية المباركة نذكر الخطبة لتمام الفائدة.

لما وادع الحسن بن علي عليهما السلام معاوية وعُدَّ ذلك صلحاً، صعد معاوية المنبر، وجمع الناس فخطبهم، وقال: ((إن الحسن بن علي رآني للخلافة أهلا ولم ير نفسه لها أهلا، وكان الحسن عليه السلام أسفل منه بمرقاة، فلما فرغ من كلامه، قام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى بما هو أهله، ثم ذكر المباهلة فقال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس بأبي، ومن الأبناء بي وبأخي، ومن النساء بأمي وكنا أهله، ونحن له، وهو منا ونحن منه. ولما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء لأمِّ سلمة(رضي الله عنها) خيبري، ثم قال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا « فلم يكن أحد في الكساء غيري وأخي وأبي وأمي، ولم يكن أحد يجنب في المسجد ويولد له فيه إلا النبي صلى الله عليه وآله وأبي، تكرمة من الله تعالى لنا، وتفضيلا منه لنا.

وقد رأيتم مكان منزلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمر بسد الأبواب فسدها، وترك بابنا، فقيل له في ذلك، فقال: « أما إني لم أسدها وأفتح بابه، ولكن الله(عز وجل) أمرني أن أسدها وأفتح بابه «. وان معاوية زعم لكم أني رأيته للخلافة أهلا ولم أر نفسي لها أهلا، فكذب معاوية، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله، ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا، وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمَّنا ما جعل لها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطتهم السماء قطرها،

والأرض بركتها، وما طمعت فيها يا معاوية، فلما خرجت من معدنها تنازعتها قريش بينها، فطمعت فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء أنت وأصحابك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ولت أمة أمرها رجلا وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا . وقد تركت بنو إسرائيل هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى عليه السلام فيهم واتبعوا السامري، وقد تركت هذه الأمة أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة)، وقد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله نصب أبي يوم غدير خم، وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله(تعالى) حتى دخل الغار، ولو وجد أعوانا ما هرب، وقد كف أبي يده حين ناشدهم واستغاث فلم يغث، فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل الله النبي صلى الله عليه وآله في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعوانا، وكذلك أبي، وأنا في سعة من الله حين خذلتنا الأمة وبايعوك يا معاوية، وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضا.

أيها الناس، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب أن تجدوا رجلا ولده نبي غيري وأخي لم تجدوه، وإني قد بايعت هذا(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)))[٣].

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني أيضا: ان معاوية أمر الحسن ان يخطب لما سلم الامر إليه وظن أن سيحصر فقال في خطبته: إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وليس الخليفة من سار بالجور ذلك مَلِكٌ مَلَك مُلكاً يُمتع به قليلا ثم تنقطع لذته وتبقى تبعته: (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ).

قال: وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة فأقام بها وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيئا أثقل من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سما فماتا منه[٤].

وذُكِرت هذه الرواية بطريقة أخرى: لما كان الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام وبين معاوية، أراد الحسن عليه السلام الخروج إلى المدينة. فقال له معاوية: ما أنت بالذي تذهب حتى تخطب الناس وتخبرهم بأن الامر قد صار لي.

قال الشعبي: فسمعت الحسن عليه السلام يقول - على المنبر – بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله:

أما بعد، فإنَّ أكيس الكيس التقي، وإنَّ أعجز العجز الفجور. وإن هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حقٌّ كان لي، فتركته له وإنَّما فعلت ذلك لحقن دمائكم، وتحصين أموالكم(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)(٥).

الشاهد القرآني الذي ختم به الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خطبته هو أشبه ما يكون استشراف للمستقبل وما ستؤول إليه الأمة بعد هذا الصلح الذي أجبر عليه، وهي في مقام حجاجي جاءت كلمات الإمام عليه السلام ردّا على حجَّة سابقه ونقض ما كان عليه وإبطال أحدوثته، فالآية المباركة من سور الأنبياء(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[الأنبياء: ١١١] تحمل مضامين الخلاص من الفتنه عبر الشدائد والصبر عليها، أو مناصرة الحق وتحمل البلاء، والمراد بالفتنة هنا الاختبار(وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) أي: تتمتعون إلى الوقت الذي قدره الله ثم بعد ذلك يكون الهلاك(٦)، ولست أدري لعلّ تأخير الجزاء سيكون فيه استدراج لكم، وزيادة في افتتانكم أيضا، لينظر كيف تعملون فقد ألقيت عليكم الحجة، (وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) وتمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيئته، ليكون ذلك حجّة عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة(٧).

إنَّ عملية الإقناع والتأثير عبر الخطاب الذي هو نوع من الدفاع في مقام التوهين وتزييف الحقائق وتغيير وجهة الأحداث التي مارسها معاوية في مفتتح كلامه على أنه هو صاحب الحق فيما وصل إليه وهذا مالم يترك مجالا لسكوت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على مفتريات معاوية وقلب المفاهيم، فكان الردّ مفصلا وذا طابع إقناعي يستهدف المتلقي وهم من حضر ذلك المجلس ومع قوة الحجة في كلام الإمام إلَّا أنه ختم قوله بآية تبين الجانب النفسي في عملية استقراء الأحداث وكيف ستجري مجريات الأمور بعد هذا الحدث وهذا الموقف من الأمة في السكوت عن الحق وعدم مناصرته، وكأنه يحيل إلى الآية الأخيرة من سورة الأنبياء في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [الأنبياء: ١١٢].

أنجبركم على أمر كرهتموه:

وفي تتمة الخطبة التي خطبها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في جمع من الناس وبمحضر معاوية بن أبي سفيان والتي عدت على أنها قبول بحكم معاوية ذكر الإمام الحسن شاهدا قرآنيا يبين العلاقة المتهرئة ما بين الأمة وإمامها في ذلك الوقت والتي مثل حالة من الإحباط والخذلان للإمام المفترض الطاعة ولنقف عند هذا الشاهد القرآني في قوله: ((أيها الناس، اسمعوا وعوا، واتقوا الله وراجعوا، وهيهات منكم الرجعة إلى الحق، وقد صارعكم النكوص، وخامركم الطغيان والجحود(أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) والسلام على من اتبع الهدى.

قال: فقال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى أظلمت علي الأرض، وهممت أن أبطش به، ثم علمت أن الاغضاء أقرب إلى العافية))[٨].

الآية المباركة التي أتمَّ الإمام بها حديثه من قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)[هود: ٢٨].

فقد اختزل الإمام الخطاب القرآني ومثله خير تمثيل لكونه يعد اختزالا للواقع واستقراءً لما عليه حال المستمعين في قوله تعالى: (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) فهم قومه ومن المفترض أن يكونوا على ثقة بسبط النبي الأكرم ولكن الأحداث والوقائع تشير إلى الخذلان المستمر والانكفاء على الأعقاب بالانقياد وراء من ناوأ الإسلام ورجاله واتعب النبي إبان دعوته العظيمة فصرتم تميلون إلى جهة معاوية وتتخاذلون عن سليل النبوة وغصن الإمامة فحالنا معكم حال سنن التأريخ التي جرت مع الأمم الأخرى وخذلانهم لأنبيائهم.

وكأنَّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول: أنضطركم إلى جادة الحق وطرق الصواب مع ما عرفتموه من البينات الظاهرة والفارق الكبير ما بين نهج الإمام الحسن وما بين معاوية. وقد يكون المراد إن الذي علي أن ألقي عليكم الحجة مع علمي بكراهتكم، وليس علي أن أضطركم إلى أمر أنتم اتخذتم فيه موقفا وحسمتم أمركم.

ومن لطائف التعبير القرآني اجتماع الضمائر في قوله(أَنُلْزِمُكُمُوهَا) ففيها ثلاث ضمائر ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وهذا الترتيب يعد من أحسن ما يكون

في اتساق المعنى: بدأ بالمتكلم؛ لأنَّه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب[٩]، واجتماع هذه الضمائر في سياق هذه الآية المباركة يسلط الضوء على صورة جو الإكراه الذي عاناه النبي هود عليه السلام مع قومه وادماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها مع بعض مثلما يدمج الكارِهون مع ما يَكرَهون ويُشدون إليه وهم على كراهة منه ونفور[١٠]، ولعله أشبه ما تكون هذا الصورة القرآنية مع ما كان يكابده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع قومه والمحاولات التي كان يبذلها من أجل تدارك ما يمكن تداركه وعند انقطاع السبل ليس له إلا أن يلقي الحجة عليهم.

وللاستفهام الإنكاري أثره في دلالة المعنى في قوله تعالى: (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) الذي يختزل كل معاني الشدة التي يمر بها الإمام وصعوبة الموقف وأثره على مجريات الأمور وما يمكن أن يحمله من انحرافات عن المسار الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله إبان دعوته المباركة، من هنا يمكننا القول بأنَّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وظف هذا المقطع من الآية المباركة أتم توظيف وأدق صورة عبر دقة الاختيار بما يناسب المقام الحجاجي.

من مواعظ الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام

المتأمل في حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يجدها زاخرة بالنصح والإرشاد من جهة ومن جهة أخرى يلقي الحجة على الأمة، مع ذلك لم يغفل جانب الوعظ، فمن مواعظه التي اشتملت على نصَّين قرآنيّين ما قاله عليه السلام:

((اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثا وليس بتارككم سدى، كتب آجالكم وقسم بينكم معائشكم ليعرف كل ذي لب منزلته وأن ما قدر له أصابه وما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدنيا وفرغكم لعبادته وحثكم على الشكر وافترض عليكم الذكر وأوصاكم بالتقوى وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين.

قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)[النبأ: ٣١]، وقال: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[الزمر: ٦١].

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ويسدده في أمره ويهيئ له رشده ويفلجه بحجته ويبيض وجهه ويعطه رغبته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا))[11].

الآيتان اللتان وردتا في سياق الحث على التقوى والأمر بها في قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فالآية الأولى من سورة النبأ وردت في معرض ذكر الله تعالى فيه حال الكفار وما أعده لهم من أنواع العقاب(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا)[النبأ: ٢١-٣٠] ثم بعد ذلك ذكر ما للمؤمنين المتقين لمعاصي الله تعالى، فقال(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الذين يتقون عقاب الله(سبحانه وتعالى) عبر اجتناب معاصيه وامتثال أوامره ونواهيه، وأفعال الطاعة التي يترتب عليها الفوز، (مفازا) وهو موضع الفوز وهي الجنة التي يخلص إليها المتقي. وأصل الفوز النجاة إلى حال السلامة والسرور، ومنه قيل للمهلكة مفازة على وجه التفاؤل والخلاص منها، لأنه قيل: منجاة[12]، وقيل: أي ظفروا بما يريدون، يقال: فاز بالأمر إذا ظفر به[13].

معنى الفوز من أبرز الملاحظ الدلالية التي تدور حولها الآية المباركة ولكونها ثمرة التقوى، فتكون الجنة هي المفازة التي يخلص إليها العبد ونجاته من الهلكة والعذاب، وقد يراد من المفاز هو الفوز ذاته وهذا يعود على دلالة(مفازا) في حال عُدَّ المفاز مصدر ميمي، أو اسم مكان من الفوز والآية تحتمل الوجهين جميعا[14]، وقد جاءت لفظة « مفازا « بصيغة النكرة للإشارة إلى حجم العطاء العظيم وسبل الوصول إلى الخير والسعادة التي لا يعلم قدرهما إلا الله عز وجل. ومن مفردات الفوز والسعادة: (حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا)، وهذا الخطاب من أبرز خصائص التعبير القرآني، وفي بقية السور الأخرى أيضا، فهو يضع متضادات الحالات والأحوال في سياق واحد، ليتمكن المتلقي من فهم تلك الصور بسهولة واكتشاف خصائص وشؤون أيا منها في معرض الترغيب والترهيب[15].

إن مدار قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يدور حول مفهوم التقوى من هنا كانت لفظة المفاز أشبه بدلالة مركزية لمفهوم التقوى بوصفها النتيجة والثمرة التي، يجنيها كل متقٍ والمفازة ما يراد الوصول بوساطتها إلى الخير والنعمة، ومن مصاديقها: دخول الجنّة ونعيمها، وإطاعة الله وإطاعة الرسول ورضوان الله تعالى. ليس هذا فحسب وإنَّما الفوز الحقيقيّ: هو في طاعة الله وطاعة الرسول والتقوى ورضوان الله تعالى، وأمّا النعم الدنيويّة وسائر الخيرات المادّيّة: فانّها توجب فوزا وسعادة إذا كانت مقدّمة لتكميل النفس وتهذيبها[١٦].

وقد عضَّد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام آية المتقين في سورة النبأ بآية أخرى من سورة الزمر وكأنها مفسرة ومفصلة لما قبلها من حال المتقين وموضعهم على نحو النجاة من أهوال القيامة من باب اللطف الإلهي وكمال الرحمة المترتبة على التقوى فقال تعالى: (وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

التجمل بلبس أفضل الثياب

المدقق في سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يجدها حافلة بالدروس والعبر التي يمكن للفرد المسلم أن يستقي من تلك السيرة العطرة أروع معاني الإنسانية والجمال مع ما كان يحيط به من فتن ومصاعب فنجده عليه السلام يحث عل ى التجمل والزينة عند الإقبال على الصلاة فقد روي أنَّ: ((الحسن بن علي عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له: يا بن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك ؟ فقال: ان الله تعالى جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي، وهو يقول: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فأحب ان ألبس أجود ثيابي))[١٧].

هذه الرواية قد لا تلتقي مع ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: ((إنا إذا أردنا أن نصلي نلبس أخشن ثيابنا. وفي رواية ابن كثير: كان علي بن الحسين عليهما السلام يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا إلى الصلاة ونحن نفعل ذلك). وقد يُجمع بينهما بحمل أخبار لبس الخشن على ما إذا صلى لحاجة مهمة أو دفع بلية، حيث إنه ورد استحبابه في تلك الحالة، فيخص أخبار التجمل بذلك، وبه تصير أخص من أخبار لبس الخشن فتخص به.

ومنهم من حمل أخبار التجمل على الصلاة في المحافل كالجماعات والأعياد، وأخبار

الخشن على الصلاة في الخلوات، للمروي في المجمع: عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (**خُذُوا زِينَتَكُمْ**) قال: أي خذوا ثيابكم التي تزينون بها للصلاة في الجماعات والأعياد))[١٨].

لبس أجود الثياب يعدّ مظهرا من مظاهر الزينة التي أشار إليها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عبر تعزيز ما ذهب إليه بهذا الشاهد القرآني الذي يتضمن مفاهيم أوسع مع ما جاء بعد هذه الآية المباركة في قوله تعالى: (**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) [الأعراف: ٣١-٣٣]، فالقرآن الكريم لا يحث فقط على أخذ الزينة عند المساجد وإنما يرد على من يحرم الطيبات التي كتبها لعباده المؤمنين واختيار أفضل الثياب وأجملها بالتأكيد من الطيبات التي أباحها الله سبحانه وتعالى لعباده في حال كونها من الكسب الحلال.

إن التعبير بالزينة في قوله تعالى: (**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) والمبالغة في لبس أجود الثياب وأجملها عند الصلاة وفي الحضور عند المساجد أيضا تعدّ جزءاً من مفاهيم التربية الإسلامية التي خالفت ما كان عليه أهل الجاهلية وهم يطوفون بالبيت الحرام، فكانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلّا الحمس - قريشاً وأحلافها - فقال الله جل وعز خذوا زينتكم عند كل مسجد لذلك قيل: أن القرآن الكريم كان قد أمر بلبس الثياب في الصلاة والطواف؛ لأنّهم كانوا يطوفون عراة ويقولون لا نعبد في ثياب أذنبنا فيها، فكان الرجال يطوفون نهارا والنساء ليلا[١٩].

الآية المباركة وبالتحديد قوله تعالى: (**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) يمكن أن تكون إشارة إلى كل زينة تعد من مظاهر الجسد ولوازمه مما يشمل لبس الثياب المرتبة الطاهرة الجميلة، ومشط الشعر، واستعمال الطيب وما شابه ذلك، ويمكن أن تكون إشارة إلى كل زينة معنوية أي: الصفات الإنسانية والملكات الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد المسلم، وكذلك صدق النية وطهارتها وإخلاصها أيضا. في حين أن هناك روايات تشير إلى اللباس

الجيد أو مشط الشعر، وبعض الروايات الأخرى تتحدث عن مراسيم صلاة العيد وصلاة الجمعة، فإن ذلك لا يدل على الانحصار والتضييق الدلالي للآية المباركة، بل الهدف هو بيان مصاديقها الواضحة، فهذا يدل على سعة مفهوم الآية الذي يشمل جميع أنواع الزينة الظاهرية والباطنية. وهذا الحكم في الحث على الزينة عند الصلاة أو المساجد لأداء الفرائض العبادية وقد يتعداها لجميع مفاصل الحياة، وإن كان يتعلق بجميع أبناء آدم في كل زمان ومكان[٢٠].

يبدو أنَّ المفسرين أخذو من هذه الآية المباركة(**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) جانبا تشريعيا في فرض لبس الثياب سواء أكان الأمر متعلق بالطائفين في بيت الله تبعا لسبب النزول[٢١]، أم في كل صلاة يؤديها المسلم في عموم المساجد، إلَّا أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أضاف إلى هذه الآية المباركة مصداقا آخر وهو حث المسلمين على الظهور بأجمل صورة يمكن أن يقف فيها العبد بين يدي ربه، وهذا الأمر لم لكن المسلمون يألفونه ولم يعتادوا عليه لذلك وظف الإمام هذه الآية المباركة توظيفا اجتماعيا وأخلاقيا لتكون هذه الآية المباركة دستور حياة.

الحث على الجهاد والصبر عليه

حين بلغ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تحشيد معاوية بن أبي سفيان العساكر عليه، والسير إلى العراق وأنه بلغ جسر منبج بعث حجر بن عدي ليستنهض الناس والتهيؤ لملاقاة جيش الشام، فنادى المنادي: ((الصلاة جامعة فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فقال الحسن عليه السلام: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال: اخرج فخرج الحسن عليه السلام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

اما بعد: فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرها. ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين(**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**)[الأنفال: ٤٦] فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلَّا بالصبر على ما تكرهون إنه بلغني ان معاوية بلغه أنا كنَّا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فاخرجوا - رحمكم الله - إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا.

قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه، قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال: انا ابن حاتم سبحان الله ! ما أقبح هذا

المقام؟ الا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم أين خطباء مضر؟ أين المسلمون ؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب؟!

أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها، ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره ووفقك لما يحمد ورده وصدره فقد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى امرك وسمعنا منك وأطعناك فيما قلت وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب ان يوافيني فليوافي.

ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة وأمر غلامه ان يلحقه بما يصلحه، وكان عدي أوّل الناس عسكرا. ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد ابن صعصعة التيمي فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وكلّموا الحسن بمثل كلام عدي ابن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن: صدقتم - رحمكم الله - ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء بالقول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيرا ثم نزل))[٢٢].

الشاهد القرآني الذي ورد في كلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو جزء من الآية المباركة التي تشكل مع سابقتها جانبا مهما من جوانب الحث على الجهاد والصبر عليه في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [الأنفال: ٤٥-٤٦].

هذا المقطع القرآني في قوله تعالى: (**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) قدمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كنتيجة لما ضمنه في كلامه بعد هذه الآية المباركة إذ قال: ((فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون))، فقد استوحاه من قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)[آل عمران: ١٤٢]، والصبر: حبس النفس في ضيق وحبسها لابد أن يكون على ما يقتضيه العقل والشرع[٢٣]، من هنا كان حث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام للناس على الصبر؛ لأنَّ الظرف الذي كان يحيط به يعدُّ باعثا على الجزع والتقاعس، فقد كره الناس القتال وهناك من يثبط عزائمهم من

المرجفة لذلك حين سمعوا كلام الإمام عليه السلام سكتوا ولم يتكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف لذلك كان الخوف من عدم النصرة مشروعا، لذلك انبرى لهم عدي بن حاتم، والصفوة من صحب الإمام عليه السلام يستنهضونهم ويعيبون عليهم السكوت.

استنهاض الناس والدعوة إلى القتال ربما صار من متلازمات الصبر فحثهم على الصبر هو جزء من بعث الهمة في نفوسهم لما لها من الأثر العظيم عند الله سبحانه وتعالى إذ قال: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[البقرة: ١٥٥]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[آل عمران: ٢٠٠]، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين يقول: ((عباد الله، اتقوا الله، وغضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمبالطة والمبالدة والمعانقة والمكادمة، واثبتوا، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، (**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**). اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر))[٢٤]، فيجعل من الصبر أنيسا لهم بثبات الموقف والوقاية من الزلل الناتج عن التنازع، والعصمة من الخطأ كي لا تفشلوا وتذهب ريحكم.

الصبر يعدُّ من أفضل الخصال التي يمكن أن ينماز بها المؤمن عن غيره، ونجد التعبير القرآني يعطي الصابرون على الصبر مالا يعطي غيرهم على الخصال الأخرى مثل الصلاة عليهم من الله وهذا ما نجده في قوله تعالى: (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**) [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، ولعل الثبات من أبرز دلالات الصبر في الآية المباركة التي ضمنها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في كلامه، ((فالصبر ثبات قبال المكروه بالقلب بأن لا يضعف ولا يفزع ولا يجزع، وبالبدن بأن لا يتكاسل ولا يتساهل ولا يزول عن مكانه ولا يعجل فيما لا يحمد فيه العجل فالصبر ثبات خاص))[٢٥]، فقوله تعالى: (**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) أي: الزموا الصبر في جميع الأحداث التي تصيبكم ولاسيما مكاره القتال ومما يهددكم به

العدو، وعليكم بالإكثار من ذكر الله وطاعته، وطاعة رسوله من غير أن تهزهزكم الحوادث أو يزجركم ثقل الطاعة أو تغويكم لذة المعصية أو يضلكم عجب النفس وخيلاؤها.

وقد أكد التعبير القرآني الأمر بالصبر في قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**)؛ لأنَّ الصبر أقوى عون في الشدائد وأشد ركن يمكن أن يَلتجئ إليه العبد تجاه التلون في العزم وسرعة التحول في الإرادة، وهو الذي يساعد الإنسان على التفكير الصحيح المطمئن حين تهجم عليه الخواطر المشوشة والأفكار الموهنة لإرادته عند الأهوال والمصائب من كل جانب، فالله سبحانه مع الصابرين[٢٦].

فضل أهل البيت واصطفاؤهم على الناس

وقف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى جانب أبيه أمير المؤمنين عليه السلام موقف المؤازر والناصر في جميع معتركات الحياة التي عصفت به إبان خلافته لذلك نجد أمير المؤمنين عليه السلام يعتمد عليه في تحشيد الناس وبعث الهمَّة في نفوس المقاتلين ورفع عزيمتهم، إضافة إلى تعريف الناس بفضلهم واصطفائهم، وفي هذا المجال روي((أنَّ عليّاً عليه السلام قال لابنه الحسن: اجمع الناس، فاجتمعوا، فأقبل وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: أيها الناس ان الله اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئا إلا انتقصه الله من حقه، في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة(**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**)[ص: ٨٨]، ثم نزل فجمع بالناس وبلغ أباه فقبل بين عينيه ثم قال: بأبي وأمي(**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[آل عمران: ٣٤]))[٢٧].

ذكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ما لأهل البيت من فضل في وقت كان هناك تيار أموي يحرض الناس عليهم ويسعى للتقليل من شأنهم فضلا عن الدفع باتجاه مناهضة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ومواجهتها بكل الوسائل، لذا أشار الإمام الحسن عليه السلام إلى جانب مهم وهو اختيارهم الإلهي ليس هذا فحسب وإنما عاقبة الأمر في كل الأحول ستكون فيهم وإليهم قال تعالى: (**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**)، وهذه الآية المباركة فيها ملمح غيبي يعضد ما ذهب إليه الإمام عليه السلام من أنّ مآل الرئاسة ستكون لهم.

هـذه الآيـة المباركـة يمكـن توظيفهـا في مواضـع الانـذار والوعيـد لمـن ليسـوا أهـلا للوعـظ والنصـح فتكـون أشـبه بالوعيـد ومـن ذلـك مـا جـاء في قـول أمـير المؤمنـين عليه السلام: ((مـا زلـت مـذ قبـض رسـول الله صلى الله عليه وآله مظلومـا، وقـد بلغنـي مـع ذلـك أنكـم تقولـون إني أكـذب عليـه، ويلكـم أتـروني اكـذب ؟ فعـلى مـن أكـذب ؟ أعـلى الله ؟ فأنـا أوّل مـن آمـن بـه، أم عـلى رسـول الله ؟ وأنـا أوّل مـن صدقـه. ولكـن لهجـة غبتـم عنهـا، ولم تكونـوا مـن أهلهـا، وعلـم عجزتـم عـن حملـه ولم تكونـوا مـن أهلـه، كيـلا[٢٨] بغـير ثمـن لـو كان لـه وعاء(**وَلَتَعْلَمُـنَّ نَبَـأَهُ بَعْـدَ حِـينٍ**))[٢٩].

إنَّ مـن أظهـر معـاني هـذه الآيـة المباركة(**وَلَتَعْلَمُـنَّ نَبَـأَهُ بَعْـدَ حِـينٍ**)، لتجـدنَّ مـا أخـبر بـه القرآن الكريـم مـن الوعـد والوعيـد وظهـوره عـلى الأديـان وغـير ذلـك بعـد حـين أي بعـد مـرور فـترة مـن الزمـن، وقيـل: المـراد بعـد حـين يـوم القيامـة، وقيـل: سـاعة المـوت، وقيـل: يـوم بـدر، ولا يبعـد أن يقـال: إن نبـأه مختلـف لا يختـص بيـوم مـن هـذه الأيـام حتـى يكـون هـو المـراد بـل المـراد بـه الإطـلاق عـلى وجـه العمـوم بتعـدد المصاديـق[٣٠]، فيكـون المعنـى أنَّـه سـيتبين لكـم عـما قليـل أيهـا المكذبـون بالقـرآن مـن أنَّ الحـق الـذي لا ريـب فيـه هـو مـا أخبركـم، ويتبـين لكـم في الحيـاة الدنيـا أيضـا حيـث يدخـل النـاس في ديـن اللهّ أفواجـا، وتعرفـون الحـق في الآخـرة حيـث تثبـت الحقائـق، وتضمحـلّ الأباطيـل[٣١].

الساقي على الحوض ومبغضيه

الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام لم يسـكت عـن الذيـن كانـوا يتعرضـون لشـتم أمـير المؤمنـين عليه السلام لأنَّ ذلـك أصبـح جـزءا مـن ثقافـة بنـي أميـة ونهجهـا تجـاه شـخصية الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام لذلـك كان الإمـام الحسـن المجتبـى عليه السلام لا يتوانـى عـن الـرد والتصـدي لانحرافـات دولـة بنـي أميـة ورجالهـا، لا بـل يظهـر مناقـب أمـير المؤمنـين عليه السلام في نفـس الوقـت ومـن ذلـك موقفـه عليه السلام مـن معاويـة بـن خديـج الـذي قـدم حاجـا مـع معاويـة بـن أبي سـفيان((حج معاويـة بـن أبي سـفيان وحـج معـه معاويـة بـن خديـج، فمـر في مسـجد الرسـول صلى الله عليه وآله و الحسـن بـن عـلي عليه السلام جالـس، فدعـاه، فقـال لـه الحسـن عليه السلام: أنـت السـاب لعـلي عليه السلام؟

أمـا والله لـتردن عليـه الحـوض، ومـا أراك أن تـرده، فتجـده مشـمر الإزار عـن سـاق يـذود

عنه. لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق، (**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**))) [٣٢]، وقد وردت هذه الرواية مع اختلاف طفيف في متنها((حج معاوية ومعه معاوية بن خديج، وكان من أسب الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فمر بالمدينة والحسن بن علي عليه السلام جالس، فقيل له: هذا معاوية ابن خديج الساب لعلي عليه السلام، فقال: علي بالرجل، فأتاه، فقال له الحسن عليه السلام: أنت معاوية ابن خديج؟

قال: نعم.

قال: أنت الساب لعلي عليه السلام؟ فكأنه استحيى، فقال له الحسن عليه السلام: أما والله لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل قول الصادق المصدوق(**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)))[٣٣].

هذه الآية المباركة التي جاءت في مختتم قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهي جزء من الآية في قوله تعالى: (**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)[طه: ٦١]، والتي وردت في سياق إنذار لسحرة فرعون قال تعالى: (**فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى(٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى(٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى(٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى(٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى(٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى(٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**)[طه: ٦٠-٦٩].

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهو يختم كلامه بهذه الآية المباركة(**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**) وكأنه ينبئ عن عاقبة لا مفر منها لأنها إخبار الصادق المصدوق وهو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في الذين يعادون أمير المؤمنين عليه السلام وأن مصيرهم الخسران يوم القيامة والظمأ بطردهم عن الحوض الذي أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وآله فقد روي: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن الحوض فقال: أما إذا سألتموني عنه فأخبركم أن الحوض أكرمني الله به، وفضلني على من كان قبلي

من الأنبياء، وهو ما بين أيلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرد والياقوت، بطحاؤه مسك أذفر، شرط مشروط من ربي لا يرده أحد من أمتي إلا النقية قلوبهم، الصحيحة نياتهم، المسلمون للوصي من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب من إبله، من شرب منه لم يظمأ أبدا))[٣٤].

ويبدو أن هذا الشاهد القرآني لم يوظفه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في طيات كلامه وإنَّما قول رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من على المنبر في إحدى خطبه حيث روى الحارث الهمداني أنَّه قال: ((رأيت عليا عليه السلام جاء حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قضاء قضاه الله عز وجل على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، (**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)))[٣٥]، أو أشبه ما تكون هذه الآية المباركة مصداقا للوعيد في مختتم كل كلام، فقد روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خَرج في طلب الخوارج إذ((أقبل رجل يركُض حتّى انتهى إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين البُشرى !

قال: هات ما بُشراك ؟

قال: قد عَبر القوم النهروان لما بلغهم عنك، وقد مَنَحَكَ الله أكْتافَهم، فقال: الله لأنت رأيْتَهُم قد عَبروا ؟

فقال: والله لأنا رأيتُهم حين عَبروا، فحلّفه ثلاث مرّات في كلِّ ذلك يَحْلِفُ له، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كذَبْتَ والّذي فَلَقَ الحبّة وبرأ النّسَمَة ما عبَروا النهروان، ولن يبلغوا الأثلاث ولا قصْر بُوران، حتّى يَقْتُلُهُم الله على يَدَيَّ، لا ينَجُو منهم تمام عشرة، ولا يُقتَلُ مِنّا عشرة: عهداً معهوداً، وقدراً مَقْدوراً وقضاء مقْضِيّاً، (**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)))[٣٦]، وهذا ناصر الحسين عليه السلام حنظلة بن سعد الشبامي تقدم بين يدي الحسين عليه السلام بعد أن صلى بأصحابه((فنادى أهل الكوفة: يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، يا قوم إنِّي أخاف عليكم يوم التناد، يا قوم لا تقتلوا حسينا فيسحتكم الله بعذاب(**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)، ثم تقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله))[٣٧].

الخاتمة

بعد الحمد لله على نعمه وآلائه جاءت هذه الدراسة الفاحصة مع النصوص القرآنية في كلام الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بثمار خَلُص البحث فيها إلى النتائج الآتية:

١.اتخذ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من القرآن الكريم منطلقا للوصول إلى الله وكيفية التأدب بمأدبة القرآن الكريم للخلاص من المكاره التي تحيط بالإنسان على أنها شكل من أشكال البلاء، فالقرآن الكريم فيه آيات تمثل الحلول إذا ما انتهج الفرد المسلم منهاج القرآن الكريم واتخذه طريقا أمثلا، ومن هذا المنطلق جاءت بعض آيات القرآن الكريم مصاديقا يمكن أن يحذو المؤمن حذوها في استنزال الرزق وكشف الجدب ومنها آيات الاستغفار.

٢.يوظف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الآيات القرآنية توظيفا دقيقا في استشراف المستقبل بما ينبئ عن حال الأمة التي تتقاعس عن الإمام الذي يريد أن يحملها على جادة الصواب فيجري الآيات القرآنية مجرى الأمثال التي تعالج مجريات الأحداث في وقت الخطاب وما يمكن أن يقع في المستقبل، وفي بيان فضل أهل البيت عليهم السلام واصطفاؤهم أيضا، وعواقب الأمور ومجريات الأحداث وأن لهم المراتب السامية عند الله مهما حاول أعداؤهم التحريض عليهم والتقليل من شأنهم.

٣.الحث على اقتفاء آثار القرآن الكريم من أجل الفوز بما أعده الله للمتقين وهذا النوع من الحث هو جزء من النصح والإرشاد للناس ووعظهم من أجل القرب من الله والوصول إلى منزلة التقوى بعدها جزءا من الكمالات التي ينبغي على المسلم الوصول إليها ليتحقق الفوز وسعادة الدارين.

٤.إظهار الجانب المشرق في عقيدة المسلم في الجانب العبادي، وعدم تعرضها مع الترهب في العبادة والابتعاد عن ملذات الحياة الدنيا، فنجده عليه السلام يحث على التجمل بلبس أفضل الثياب عند أداء الفرائض العبادية منتهجا أسلوب القرآن الكريم.

٥.يسعى عبر النص القرآني في شحذ الهمم وبث روح الفداء والصبر عند الجهاد وهذا الأسلوب الترغيبي يحفل به القرآن الكريم، فقد وظفه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام توظيفا يعالج حالة الانكسار والتقاعس التي ربما تدب في صفوف المقاتلين قبل الخروج للقتال وفي أثناء التأهب له، فيجعل من الصبر في القرآن الكريم أنيسا لهم ومصدرا لتسلية قلوبهم.

الهوامش

١) مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ١٣٣، ووسائل الشيعة، الحر العاملي: ٧/ ١٧٨، و جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ١٥/ ٤٩٦.

٢)ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠/ ١٣٦.

٣)الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٥٩، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٩٦، حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني: ٢/ ٧٨.

٤)مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٧.

٥)شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٣/ ١٠٥.

٦)ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٨٦.

٧)ينظر: زبدة التفاسير، الكاشاني: ٤/ ٣٦٣.

٨)أمالي الشيخ الطوسي: ٥٦٧.

٩)ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ٤٧٢.

١٠)ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٧٨.

١١)تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني: ٢٣٢، و ينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ١١٠-١١١.

١٢)ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٤٧.

١٣)ينظر: تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي: ٢٩٣.

١٤)ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٢٠/ ١٦٩.

١٥)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٩/ ٣٥١.

١٦)ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي: ٩/ ١٥٦.

١٧) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ٢/ ١٤، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٤/ ٢٤٤، وتفسير الآلوسي: ٨/ ١٠٩.

١٨) مسند الشيعة، المحقق الناراقي: ٤/ ٣٧٢.

١٩) ينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٨٠/ ١٦٩، زبدة التفاسير، الكاشاني: ٢/ ٥١٣، ومعاني القرآن، للنحاس: ٣/ ٢٧.

٢٠) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥/ ٢٠-٢١.

٢١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٨/ ٢٠٩، وأسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري: ١٥١.

٢٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٩، وينظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ٥٠، وشرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ٢٦/ ٤٩٢.

٢٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٧٧(صبر).

٢٤) الإرشاد، الشيخ المفيد: ١/ ٢٥٦.

٢٥)الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٩٤.

٢٦)ينظر: نفسه: ٩/ ٩٥.

٢٧)الأمالي، الشيخ الطوسي: ١٠٤، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٧٨، وبحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٥.

٢٨)لهجة: نوع من الكلام لم تحضروه ولستم من أهله، كيلا: منصوب لأنَّه مصدر في موضع الحال، والمعنى أكيل لكم الحكمة والعلم كيلا ولا أطلب ثمنا، ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الخطيب: ٢/ ٦٢.

٢٩)خصائص الأئمة، الشريف الرضي: ٩٩، وينظر: الاختصاص، الشيخ المفيد: ١٥٥.

٣٠)ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٢٢٨.

٣١)ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ٦/ ٣٨٧.

٣٢)ما روي في الحوض والكوثر، ابن مخلد القرطبي: ١٣٥، والسنة، ابن أبي عاصم: ٣٤٦، ومسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي: ١٢/ ١٤٠-١٤١، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٩/ ٢٧، وسيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٣٩.

٣٣)شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ٦/ ١٧٥.

٣٤)الأمالي، الشيخ الطوسي: ٢٢٨، وينظر: بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري: ١٧٩، وبحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٢.

٣٥)الإرشاد، الشيخ المفيد: ١/ ٤٠.

٣٦)مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي: ٧٢.

٣٧)الإرشاد: ٢/ ١٠٥.

المصادر

*الاختصاص، الشيخ المفيد(٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري والسيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

*الإرشاد، الشيخ المفيد(٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

*أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري(٤٦٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

*الأمالي، الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

*الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم المقدسة، (د. ط)، (د. ت).

*بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسيّ(١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، دار الوفاء، بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

*بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري(نحو ٥٢٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

*التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن مصطفويّ، مؤسسة الطباعة والنشر-وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

*تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر(٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ط)، ١٤١٥هـ.

*التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، مصر، (د. ط)، ١٩٥٦م.

*تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي(٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د. ط)، (د. ت).

*تفسير غريب القرآن، فخر الدين الطريحي، تحقيق: محمد كاظم الطريحي، قم المقدسة، (د. ط)، (د. ت).

*التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الثالثة، ١٩٨١م.

*جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

*حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، تحقيق: غلام رضا البروجردي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

*خصائص الأئمة، الشريف الرضي(٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، (د. ط)، ١٤٠٦هـ.

*زبدة التفاسير، الملّا فتح الله الكاشانيّ(٩٨٨هـ)، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

*سيرة أعلام النبلاء، الذهبي(٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي، اشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: التاسعة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

*السنة، ابن أبي عاصم(٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

*شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي،

تحقيق: محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.

*شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي(٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، (د. ط)، (د. ت).

*ما روي في الحوض والكوثر، ابن مخلد القرطبي(٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.

*مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ(ت٥٤٨هـ) تقديم: السيد محسن الأمين العامليّ مؤسسة الأعلميّ بيروت(د. ط) ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

*مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي(٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

*مسند الشيعة، المحقق الناراقي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

*مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الخطيب، دار الزهراء، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

*معاني القرآن، النحاس(٣٣٨هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني، ط: الأولى، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ.

*المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط: الخامسة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

*مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط: الثانية، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

*مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب(٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، (د. ط)، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.

*مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي(٤٨٣هـ)، انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، ايران، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

*الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم المقدسة، (د. ط)، (د. ت).

*وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط: الثانية، قم المقدسة، ١٤١٤.

بلاغة الإمام الحسن عليه السلام وأثرها في بناء شخصيته

م . م ميسون يونس محمود العبيدي

المقدمـــــة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

تعـد الخطابـة فنـا أصيـلا عنـد العـرب يسـعى بهـا الخطبـاء إلى بيـان رؤاهـم وأفكارهـم واسـتنهاض همـم المتلقـين باللغـة الموظفـة، والصياغـة المتبعـة، والاسـلوب الشـيق،

فالخطابـة مـرآة عاكسـة لرؤيـة الخطيـب ودافعيتـه نحـو تحقيـق هدفه،الإمـام الحسـن بـن عـلي عليهـما السـلام يعتـبر مـن اهـم منابـع الثقافـة الاسـلامية ومصـادر الفكـر الخـلَاق المـوروث مـن آل بيـت النبـوة فكلامـه سـلام الله عليـه قمـة في البلاغـة والفصاحـة وكيـف لا يكـون كذلـك وقـد نشـأ في بيـت زقَ العلـم زقـا منـه صـدرت البلاغـة وآبـت أليـه الفصاحـة.

فحـريُ بمـن ابتغاهـا ان يطلبهـا مـن عُقـر دارهـا ومصدرهـا فسـيجدها سـليمة نابعـه مـن الاصل لا يظلـل بهـا ولا ينقـاد إلى غيرهـا فجمعهـا عندهـم وسائسـها منهـم استسـلمت إليـه كـما انقـادت إلى ابيـه مـن قبـل، فالحسـن عليه السلام قـد ورثهـا مـن ينبوعهـا واسـتخرج دقائقهـا مـن مكنونهـا ومخزونهـا وشرع نهجهـا لمـن رام ورودهـا حتـى اسـتفاضت الخطبـاء والبلغـاء مـن منهلهـا.

وليكـون عمـل البحـث منتجـا، أجرينـا العمـل فيـه عـلى متـن مبـارك مـن متـون تـراث أهـل بيـت النبـوة عليهم السلام وارضاهـم، ذلـك هـو خُطـب الإمـام الحسـن بـن عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام، وكشـف بلاغتـه التـي كان عليهـا عليه السلام.

اسباب اختيار الموضوع.

إن حيـاة الإمـام الحسـن عليه السلام كانـت مليئـة بالمواعـظ والتعاليـم الإرشـادية السـاعية إلى خـير الفـرد والمجتمـع عـلى السـواء، فكان مـن أكـبر اهتماماتـه أن يثقـف النـاس بـما يرفـع مـن مسـتواهم ، ويربيهـم عـلى اسـاس الإلتـزام بالقيـم الإنسـانية السـامية، فقـد كان يسـعى إلى أن يجعـل الأمـة الإسـلامية أمـة متعلمـة مثقفـة في شـؤون الحيـاة كافـة.

أهمية الموضوع.

إن المتدبر في تراث الإمام الحسن عليه السلام، بمرقاب التأمل ومنظار التدبر ، يجد أن المنهجية الموضوعية، والأساليب المنطقية المنظمة وغيرها متوفرة في منجزه الخطابي البلاغي ، وتأسيساً على ذلك سنقف على معلم من معالم البحث الفكري للإمام الحسن عليه السلام، وجزئية من جزيئات البناء البلاغي لديه، هذا البناء الذي يعد مكنزاً كشفياً يضم حقائق عظيمة المضمون ، وقوادح عالية البيان.

وقد اقتضت خطة البحث المعنون (بلاغة الإمام الحسن(رضي الله عنه) وأثرها في بناء شخصيته) أن يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول :سيرة الإمام الحسن عليه السلام الاجتماعية.

المطلب الأول: اسمة ونسبه .

المطلب الثاني: مولـــده.

المطلب الثالث: نشأته على عهد النبي صلى الله عليه وآله.

المطلب الرابع: وفاته

المبحث الثاني : ملامح شخصية الإمام الحسن عليه السلام البلاغية.

المطلب الأول : أثر البيئة الاجتماعية على شخصية الإمام الحسن عليه السلام.

المطلب الثاني : آلية المنظومة البلاغية عند الإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الثالث : نماذج من خطبه في الاحتجاج في القرآن والسنة وبيان منزلتهما، وخطبه العامة ، وفي الوعظ والارشاد.

وختمت البحث بخاتمة وبيان المصادر والمراجع.

المبحث الأول :سيرة الإمام الحسن عليه السلام الاجتماعية.

المطلب الأول: اسمة ونسبه .

الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[١]. أبوه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنة والجماعة، والإمام الأول عند الشيعة الاثنا عشرية، وابن عم النبي محمد[٢].

أمه: فاطمة الزهراء بنت النبي محمد، لذلك يُعرف بـ «سبط رسول الله»، والسبط كلمة تُطلق على الأولاد بشكل عام، وقيل: أولاد الأولاد، وأولاد البنات، وقيل معناه الطائفة أو القطعة، فيكون معنى «سبط رسول الله» أي قطعة منه دلالة على شدة حبه له وللحسين[٣].

المطلب الثاني: مولـــده.

اختلف في تاريخ ميلاده، وأرجح الأقوال أنه ولد في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة[٤]، وذكر أن فاطمة بنت رسول الله ولدت الحسن بن علي في شهر رمضان من ثلاث، وولدت الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع ، وذكر أنه ولد في ١٥ رمضان سنة ٣ هـ، وقيل في شعبان سنة ٣ هـ، وقيل ولد سنة ٤ هـ وقيل سنة ٥ هـ[٥]. كذلك أغلب المراجع الشيعية على القول الأول، بينما جاء في الكافي رواية تذكر أنه ولد في ٢هـ[٦].

ولَمَّا وُلد الحسن أُتِيَ به إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، فحنكه النبي بريقه، وأذن في أذنيه بالصلاة، ثم ذبح النبي عنه كبشًا كعقيقة[٧]، وكان علي بن أبي طالب يريد تسميته حربًا، فسماه النبي حسنًا، فعن علي قال: «لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلت: سميته حربا. قال: بل هو حسن. فلما ولد الحسين قال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلت سميته حربا. قال: بل هو حسين. فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وآله قال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلت سميته حربًا قال: هو محسن. ثم قال: إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.» وقال عمران بن سليمان: (الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة. لم يكونا في الجاهلية) وفي اليوم السابع من ولادته حلقت أمه فاطمة شعره وتصدقت بوزن

شعره فضة على المساكين وأهل الصفة، فوُجد وزنه ثلثي درهم، وجاء في بعض الروايات أنها عقَّت عنه بجزور، وقيل لم تعَّق عنه لأن النبي عقّ عنه بكبش. وخُتِنَ الحسن في اليوم السابع من ولادته [٨].

وقد جاء في بعض المصادر أن أمه فاطمة دفعته إلى أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس لترضعه، وأنها رأت رؤيا قبل مولده، فيروى عنها أنها قالت: (يا رسول الله رأيت في المنام كأن عضوا من أعضائك في بيتي أو قالت في حجرتي، فقال تلد فاطمة غلامًا إن شاء الله، فتكفلينه، فولدت فاطمة حسنًا فدفعه إليها فأرضعته بلبن قثم بن العباس، فجئت به يومًا إلى النبي صلى الله عليه وآله فبال على صدره فدحيت في ظهره، فقال النبي صلى الله عليه وآله مهلًا يرحمك الله أوجعت مشهور، فقلت ادفع إلي إزارك فأغسله، فقال: لا صبي عليه الماء فإنه يصب على بول الغلام ويغسل بول الجارية) ، وقيل بل أرضعت الحسين وليس الحسن [٩].

المطلب الثالث: نشأته على عهد النبي صلى الله عليه وآله.

نشأ الحسن في بيت أبويه في المدينة المنورة، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله يُحب أن يرعاه، وكان يأخذه معه إلى المسجد النبوي في أوقات الصلاة حين يصلي بالناس، وكان الحسن يركب على ظهره وهو ساجد، ويأتي وهو راكع، فيفرج له بين رجليه، حتى يخرج من الجانب الآخر [١٠]. وكان يحمله على كتفيه، فيقول الناس: «نعم المركب ركبت يا غلام»، فيقول النبي صلى الله عليه وآله: (ونعم الراكب هو) وكان يذكره على المنبر، فعن أبي بكرة قال: (لقد رأيت رسول الله على المنبر، وهو يُقبِل على الناس مرة، وعلى الحسن مرة، ويقول: إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)[١١] .

وجاء في العديد من الأحاديث والمرويات، أن النبي محمد كان يُقبّله ويداعبه ويضعه في حجره ويَرْقِيه، كما كان يدعوه له كثيرًا ويقول: (اللهم إني أحبه فأحبه)[١٢].

وكان يُعلّمه الدعاء مثل الدعاء في الوتر[١٣]، ويعلمه الحلال والحرام، والصلاة والعفة وغيرها، فيقول الحسن:

الحسن بن علي سمعته - أي النبي صلى الله عليه وآله يقول لرجل: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشر ريبة وإن الخير طمأنينة»، وعقلت منه: أني بينما أنا أمشي معه إلى جنب جرين

الصدقة تناولت ثمرة فألقيتها في في، فأدخل إصبعه في في فاستخرجها بلعابها وبزاقها فألقاها فيه. وقال: أنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة، وعقلت عنه الصلوات الخمس، فعلمني كلمات أقولهن عند انقضائهن: اللهم اهدني فيمن هديت. وعافني فيمن عافيت. وتولنا فيمن توليت. وبارك لنا فيما أعطيت. وقنا شر ما قضيت. إنك تقضي ولا يقضى عليك. إنه لا يذل من واليت. تباركت ربنا وتعاليت[١٤].

المطلب الرابع : وفاته

اختلف في وقت وفاة الامام الحسن عليه السلام ، (فقيل: توفي سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وكان يخضب بالوسمة.

وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم، فكان توضع تحت طست، وترفع أخرى نحو أربعين يوما، فمات منه، ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين عليه السلام: يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي، قال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكلهم إلى الله عز وجل حضرته الوفاة أرسل إلى عائشة يطلب منها أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله فأجابته إلى ذلك، فقال لأخيه: إذا أنا مت فاطلب إلى عائشة أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وآله فلقد كنت طلبت منها فأجابت إلى ذلك، فلعلها تستحيي مني، فإن أذنت فادفني في بيتها، وما أظن القوم، يعني بني أمية، إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد.

فلما توفي جاء الحسين إلى عائشة في ذلك، فقالت: نعم وكرامة، فبلغ ذلك إلى مروان وبني أمية، فقالوا: والله لا يدفن هناك أبدا.

فبلغ ذلك الحسين فلبس هو ومن معه السلاح، ولبسه مروان، فسمع أبو هريرة، فقال: والله إنه لظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه! والله إنه لابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أتى الحسين فكلمه وناشده الله، فقال: أليس قد قال أخوك: إن خفت فردني إلى مقبرة المسلمين، ففعل، فحمله إلى البقيع)[١٥].

ولم يشهده أحد من بني أمية إلا سعيد بن العاص، كان أميرا على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: لولا أنها السنة لما قدمتك.

وقيل: حضر الجنازة أيضا خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، سأل بني أمية فأذنوا له في ذلك، ووصى إلى أخيه الحسين، وقال له: لا أرى أن الله يجمع لنا النبوة والخلافة، فلا يستخفنك أهل الكوفة ليخرجوك.

قال الفضل بن دكين: لما اشتد المرض بالحسن بن علي عليهما السلام جزع، فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا محمد، ما هذا الجزع، ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك، فتقدم على أبويك: علي وفاطمة، وجديك النبي صلى الله عليه وآله وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية، وأم كلثوم، وزينب، فسري عنه.

ولما مات الحسن أقام نساء بني هاشم عليه النواح شهرا، ولبسوا الحداد سنة[١٦].

المبحث الثاني : ملامح شخصية الإمام الحسن عليه السلام البلاغية.

المطلب الأول : أثر البيئة الاجتماعية على شخصية الإمام الحسن عليه السلام.

أنَّ البيئة الاجتماعيّة لها أثر في كيان الإنسان وتصرّفاته، وأقواله، ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام بدعاً من غيره، فقد اتجه في خطابه إلى الحياة الإنسانية، وما تزخر بها من شعور، وآلام، فكان واعياً وباصراً بالبيئة التي تحيط به بتمثّلاتها كلّها وفاقاً لنظرة موضوعية تعتمد على الاستدلال والبرهان لا على الحدس والوجدان، واللدنية والاكتساب والجهد وهي من لوازم الموضوعيّة بخلاف الفطرة والارتجال اللتين هما من لوازم الذاتية.

ونقطع جازمين بأنَّ الإمام الحسن عليه السلام منذ الوهلة الأولى قد كشف النقاب عن حقيقة البيئة الاجتماعية التي تحيط به، فهي بيئة متلجلجة لا تستقر على أرضية إيمانية صلبة، ولا تستند إلى جدار حصين من الفَهْم الإسلامي الصحيح ؛ لذلك عمل عليه السلام لحظة تسلمه الخلافة إلى التعريف بنفسه ؛ لكونه قد جمع الكمالات الإنسانية كلّها، واحتشدت فيه الفضائل التي نالها من كتاب الله عز وجل، ومن جده المصطفى صلى الله عليه وآله ومن أبيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ،لأنه يعلم فساد المجتمع وانحطاطه، فعملية الإصلاح الشامل لا بُدَّ لها من مصلح عظيم معروف نسبُهُ، محمودة سيرتُهُ، محبوبٌ لدى الناس[١٧].

المطلب الثاني : آلية المنظومة البلاغية عند الإمام الحسن عليه السلام.

قبل الشروع في الكشف عن آلية المنظومة البلاغية عند الإمام الحسن عليه السلام، نقول:

إن الحاجة تقتضي اليوم دراسة تراث الإمام الحسن عليه السلام في ضوء الأبحاث والدراسات التحليليّة التي تعتمد على المناهج التحليلية واللغوية والتاريخية، وهذه الدراسات والأبحاث التحليلية تأخذ بفكره، إلى مواقع متقدمة لسبر أغواره،التنقيب في كنوزه، من أجل أنْ يأخذ موقعه المتألق في ثقافتنا الجديدة التي نحن حاجة إليها لضبط حركتنا المعرفية والعملية على هداها، ونسترشد بإبداعات هذا التراث الحسني وأدبياته في توجيه حياتنا المعاصرة التي تشهد انقطاعاً جزئياً عن هذا التراث[١٨].

وإذا تفحصنا تراث الإمام الحسن عليه السلام نراه موزعاً بين نصوصٍ شفاهية تتمثّل في خطبه التي ألقاها، أو كتابيّة تتمثّل في رسائله التي دارت بينه عليه السلام، وبين معاوية، وقد تكون نصوصه وصايا أو حِكَماً جاد بها لسانه الشريف [١٩].

إن المهمة التي كان يجبُ أنْ يقوم بها الإمام الحسن عليه السلام ،توصف بالصعبة والمعقّدة، والبعيدة المدى، وهي ملأى بالمخاطر والعقبات، فكان البيان الخطابيّ حاضراً، وآخذاً موقعه في إزالة تلكم العقبات، وتوجيه مسيرة الأمّة نحو الطريق الآمنة، والعدل المخطط له.

إن الإمام الحسن عليه السلام ترك لنا نصوصاً تتحدّى الزمن، محشّداً الآليات والطاقات التعبيريّة، والشحنات الضاغطة التي تفجر في الموتى الحياةَ، وفي الطين الروحَ، فكلّ ما يرجوه أنْ يعود الناس إلى التأمّل في سرّ الخلق، ومعرفة الصحيح من السقيم، وعدم الذوبان في المادية الفانية،

إنَّ من أهم أسس موضوعيّة المنظومة الخطابِيّة عند الإمام الحسن عليه السلام ما يأتي:-

أولاً :- آداب المخاطبة :

لقد قدّم لنا الإمام الحسن عليه السلام تراثا فكريّاً يشعّ بآداب المخاطبة، لأنه عليه السلام يَعْرِف أنّ قانون التغالب لا يوجد إلاّ بين الأنواع المختلفة، أما ضمن النوع الأول فيسود قانون آخر هو قانون التسالم، فهناك رباط يجمعهم ، هو انتماؤهم إلى نوع واحد هو الإنسانية ؛ ولذا ينبغي أنْ يتسالموا فيما بينهم، ويتكاتفوا على مغالبة سائر الأنواع [٢٠].

ثانياً :- العقلانية :

حرص الإمام الحسن عليه السلام إلى الدعوة إلى إعمال العقل، والتنشيط العقلي، ونلمح هذا التصور في جملة من الألفاظ التي جاءت في أدب الإمام الحسن عليه السلام منها : التفكر، التفكير، يفكر، العقل العاقل، رأس العقل، معقوله، القلب البصير، الحكمة، التذكير وغيرها من الكلمات الذهبيّة المعبّرة، وقد ربطتها هذه النصوص بالهدف الأكبر للوجود وهو تقوى الله وطاعته وعبادته [٢١].

وقد امتاز خطاب الإمام الحسن عليه السلام بالعقلانية، والفهم الواعي الفعّال ؛ لأنّه أحق بالخلافة والإمامة لما عُرف عنه من علم وتقوى، وإرادة، وإدارة وسياسة وغيرها ، فجاء خطاباً عاقلاً ، لذلك عُدّ خطاب الحسن عليه السلام بعقلانيته ومنطقيته وثيقة سياسيّة في مجتمع توشك فيه قنوات التعبير أنْ تكون مغلقة تماماً أو واحدة النغمة.

أشار يوسف مدن: إنَّ بنا حاجة إلى محاولة علميّة جادة للتحرّك بفكر الإمام الحسن وتراثه الأخلاقي والروحي والثقافي بواسطة (المنهج العقلي) المتداول تاريخياً في عالم المسلمين عبر قرون متتالية إلى منهج تحليلي جديد يفتح أذهان الباحثين على كنوزه العلمية والقيميّة، ويُطْلِع عقولهم على مدخلاته ومعطياته وإبداعاته، وهي مهمة علمية حيويّة تحتاجها الأجيال المعاصرة للاتّصال بتاريخهم الثقافي وإضاءاته العقائدية والأخلاقية والروحية والفكرية لنصوص بالهدف الأكبر للوجود وهو تقوى الله وطاعته وعبادته[٢٢] .

ثالثاً :- الصدق :

يُعَدُّ خطاب الإمام الحسن عليه السلام صورة واقعية صادقة معبّرة نابضة بالحياة، وليس أحداثاً تسرد أو أشخاصًا تُذكر، بل كان يتخيّر في كلّ ذلك ما فيه موعظة، وذكرى لقومه في محنتهم الحاضرة مذكراً إياهم بعظمة الرسول الأعظم والدين الإسلامي وعدالة أبيه وحكمته، فمن بلاغته:

(اعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى ، وَإِنَّ أَحْمَقَ الْحُمْقِ الْفُجُورُ ، وَإِنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَإِنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ ، فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ زِغْتُ ، فَقَوِّمُونِي ، وَحَاسِبُوا

أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَلا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالْفَقْرِ ، وَلا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبَلاءِ ، فَأَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ،أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ)[٢٣]

نرى أنَّ مبدأ الواقعية والصدق في المنظومة الخطابية للإمام الحسن عليه السلام يتجلّى في مطابقة القول للفعل، وتصديق العمل للكلام، وهذا المبدأ هو (مبدأ التصديق)، ويُبنى اعتماد الصدق والإخلاص على عنصرين اثنين ، أحدهما : نقل القول الذي يتعلق بما أسميناه بالجانب التبليغي في المخاطبة، والثاني : تطبيق القول الذي يتعلق بما أطلق عليه بالجانب التهذيبي[٢٤]،لذا كان خطاب الإمام الحسن عليه السلام لدفع ضرر ولجلب نفع من جهةٍ، وتوخّي إصابة الفرصة والغرض، فجاء خطابه متسماً بالاقتصاد اللغوي على قدر الحاجة، مع تخيّر اللفظ الذي به يُتَكَلَّم.

المبحث الثالث : نماذج من خطبه .

عمل الإمام الحسن المجتبى بكل ما أوتي من سَعَةٍ وقوة إلى إبراز بلاغته وقد ظهرت من خلال خُطَبِه ورسائله التي ناظر بها أعداءه أو ردَّ عليهم بما أفحمهم وأبان صِغَرَهم أمام عظمته وفساد منهجهم بمقابل حُسْنِ منهجِهِ ، وقد تجلَّى ذلك في موروثه جُلِّه إن لم يكن كُلَّه ، وقد ظهر أيضا في كلماته القصيرة التي أبانت رأيه في أمورٍ ومعانٍ شتى كشفت عُمْقَ نظراتِهِ إلى بواطن الأمور في مناحي الحياة المتعددة ؛ لذا آثرت استنطاق لغته لِتُفْصِحَ عن سموِّ شخصيته .

وأهم ما ميَّز خطاب الإمام الحسن عليه السلام فهو الآتي :

أولاً- فصاحة الألفاظ وبلاغة العبارات والدقة في استعمال كل أسلوب في موضعه بحسب ما يقتضي السياق على وفق مقتضى الحال.

ثانياً- كثرة حمد الله وبيان صفاته العظيمة وتفرُّده بالربوبية والرضا بما قَدَّرَه سبحانه وتناول ذلك بتفصيل في خطبه ؛ لتكون مقدمات إقناعية لمن آمن بذلك أن يُسلِّم بأحقية أهل البيت عليهم السلام لما أعطاهم الباري سبحانه من رفعة المكانة والتقديم وبأحقية الإمام الحسن المجتبى بالإمامة امتثالا لأمر الله تعالى وأمر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وضرورة استخلاف الأجدر والأفضل لقيادة الأمة .

ثالثاً. استعمال الحجة والدليلين النقلي والعقلي لإقناع السامعين ولاسيما من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأقوال المأثورة والأبيات الشعرية السائرة والأمثال العربية .

رابعاً. الإيجاز والتكثيف في خطبه ورسائله وكلماته القصيرة ؛ مما يدل على تمكُّنه من ناصية اللغة ومعرفته الدقيقة بأفانينها ودقَّته في تناول أساليبها .

ومن نماذج خطبه وبيان قوة بلاغته اذكر ما يلي:

أولاً- وصف القرآن الكريم.

وَصَفَ الإمام الحسن كتاب الله عليه السلام كتاب الله عز وجل، بأنه مصدر الهداية وجمّاع الفضائل والشمائل، وطريق الهدى والرشاد، ما بَقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتّخذوه إماماً يدلُّكم على هداكم، وإنَّ أحق الناس من عمل به وأن لم يحفظه، وأبْعدهم من لم يعمل به وإن كان يقرأه [٢٥].

فوصفه بأقوال متعددة منها :((إن هذا القرآن فيه مصابيح النور ، وشفاء الصدور ، فليجل جال بصره ، وليلجم الصفة قلبه ، فان التفكير حياة قلب البصير ، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور[٢٦] وقوله في وصف القرآن الكريم أيضا : ((ما بقي في هذه الدنيا بقية غير هذا القرآن ، فاتخذوه إماما يدلكم على هداكم ، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه ،وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه)) [٢٧] بين الإمام الحسن بن علي عليه السلام بكلامه الذهبي أن هذا القرآن كتاب هداية يرشد البشر إلى خطط السعادة الأبدية فإذا اتبع الإنسان هذا الكتاب العظيم أرشده إلى ما فيه خيره وسعادته وهيأ له الراحة والرفاه من جميع النواحي، ولذا يحرض الإسلام على الأخذ بالقرآن واتباع مناهجه وتحليل حلاله، وتحريم حرامه.. فإنه النبراس الذي ينير الظلام، ويكشف الأوهام، ويهدي إلى الطريق السوي.

كما نجد أنه قد سيطرت لغة التضاد على النص بأسلوب المقابلة للتأكيد على وحدانية فالله كان في أوليته وحدانيا ، وفي أزليته متعظِّما بإلهيته فهو الأحد في أوليته وأزليته .

وقال:

نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون.. والتالي كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول}[٢٨] ، {ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم }[٢٩].

إن الاستدلال بالخطاب القرآني يظهر المرجعية الإيمانية العميقة والحنين إلى زمن النبي ﷺ، وأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو الزمن الحقيقي الصريح الذي ينتظم في حركة من الإيمان والهناء، والاطمئنان.

ثانيا-الاستدلال بالقرآن الكريم.

روى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (رحمه الله) في تفسيره الوسيط ما يرفعه بسنده أنَّ رجلاً قال : دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت له : أخبرني عن وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ فقال : نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم النحر، فجزته .

إلى آخر يحدِّث فقلتُ له أخبرني عن وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ فقال : نعم أما الشاهدُ فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر، فجزتهما إلى غلام كأنَّ وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله ﷺ، فقلتُ : أخبرني عن وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، فقال : نَعَمْ، أما الشاهدُ، فهو محمد ﷺ)، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سَمِعْته يقول: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }[٣٠] ، وقال تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ }[٣١]، فسألت عن الأول ؟ فقالوا : ابن عباس، وسألتُ عن الثاني ؟ فقالوا : ابن عمر، وسألتُ عن الثالث ؟ فقالوا : الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان قول الحسن أحسن[٣٢].

ثالثا- وصف لله عز وجل:

ماجاء في افتتاحيات خطبه ، وهي كثيرة جدا سأضرب مثلا واحدا لها ، من ذلك قوله في إحداها بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث رقى المنبر ، فأراد الكلام ولم يستطعْ لشدَّة تألُّمه على أبيه إذ خنقته العبرة ، فقعد ساعة ثم قال : (الحمد الله الذي كان في أوليته وحدانيا ، وفي أزليته متعظِّما بإلهيته ، متكبرا بكبريائه وجبروته ، ابتدأ ما ابتدع ، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سَبَقَ مما خَلَقَ ، ربنا اللطيف بلطفِ ربوبيته ، وبعلمِ خبرِهِ فَتَقَ ، وبإحْكَامِ قدرته خَلَقَ جميع ما خلق ، فلا مبدِّل لخلقه ، ولا مغيِّر لصُنعِهِ ولا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لأمرِهِ ، ولا مُستراحَ عن دعوته ، خلَق جميعَ ما خلَقَ ، ولا زوالَ لِمُلْكِهِ ، ولا انقطاعَ لمدَّته ، فوقَ كلِّ شيء علا ، ومِنْ كلِّ شيء دَنَاْ ، فتجلَّى لخلقِهِ من غير أن يكون يُرَى ، وهو بالمنظرِ الأعلى احتجبَ بنورهِ ، وسما في عُلُّوِهِ ، فاستترَ عن خلقِهِ ، وبعَثَ إليهم شهيدا عليهم وبعَثَ فيهم النبيين مُبشِّرينَ ومُنذرينَ ، ليهلكَ منْ هلكَ عن بيِّنة ، ويحيي من حيي عن بيِّنة وليعقلَ العبادُ عن ربِّهم ما جهِلُوه ، فيعرفوهُ بربوبيتهِ بعد ما أنكرُوهُ . والحمد لله الذي أحسنَ الخلافةَ علينا أهلَ البيت ، وعنده نحتسبُ عزانا في خيرِ الآباءِ رسولِ الله صلى الله عليه ، وعند الله نحتسبُ عزانا في أمير المؤمنين ، ولقد أُصِيْبَ به الشرقُ والغربُ..)[٣٣].

وقال أيضاً:

روي أن رجلا جاء إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقال له: يا ابن رسول الله صف لي ربك، حتى كأني أنظر إليه: فأطرق الإمام الحسن عليه السلام مليا، ثم رفع رأسه. فقال: (الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود ولا أمد بحتى، ولا شخص فتجزئ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، فلا تدرك العقول أو هامها ولا الفكر وخطراتها. ولا الألباب أذهانها صفته، فبقول متى ولا بدئ مما، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا، خلق الخلق فكان بديئا، ابتدع ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربي رب العالمين)[٣٤].

جاءت في هذه الخطب عظمة البلاغة ،ودقة الوصف، وعمق الايمان بذلك الوصف، لدرجة ترتاح فيه النفوس.

ولعل إطراق الإمام عليه السلام برأسه قبل بيان الخطبة كان لأجل أن يتعرف نفسية السائل ويتأمل في جوانب شخصيته حتى يلقى إليه قدر ما يتحمله من العلم المعرفة فإن النفوس تختلف في درك المعلومات، وتلقي المعارف وفهم الأسرار الإلهية. وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله كان يطرق برأسه إذا سأل عن شيء ثم يجيب. وهذه الخطب كلها تؤكد على أمر واحد وهو كون الخالق ليس كالمخلوق في الحدود والخصوصيات بل هو بغير زمان ومكان وحد وتخطيط وما أشبهه.

رابعاً: في الوعظ والإرشاد

قال عليه السلام: (يا بن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وأرض بما قسم الله تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلا، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا، ويبنون مشيدا، ويأملون بعيدا، أصبح جمعهم بورا، وعملهم غرورا، ومساكنهم قبورا. يا ابن آدم لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك، وإن المؤمن يتزود، والكافر يتمتع. وكان عليه السلام يتلو بعد هذه الموعظة قوله تعالى: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)[٣٥].

ومن الوعظ والإرشاد أيضاً:

عن جنادة بن أمية قال: دخلت على الحسن بن علي عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة، من السم ، فقلت: يا مولاي ما لك تعالج نفسك؟! فقال يا عبد الله: بماذا أعالج الموت؟ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم التفت إلى وقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذا الأمر يملكه اثنى عشر إماما من ولد علي وفاطمة ما منا إلا مسموم أو مقتول. ثم رفع الطست وبكى. قال جنادة: فقلت له: عظني يا ابن رسول الله! قال نعم: استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك.. واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت، على يومك الذي أنت فيه.. واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك، واعلم أن في حلالها حسابا وفي حرامها عقابا، وفي الشبهات عتابا[٣٦]

.

يتجلى من هذه الخطب الوجيزة البليغة أن الإنسان لا يسعد ولا يسعد به غيره إلا إذا تجمعت فيه مكارم الأخلاق، ومعالي الصفات. ولذا قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وفي هذا الحديث تحريض وترغيب في المكارم ليجعل الإنسان من نفسه إنسانا مثاليا جامعا للمكارم، والمثل الطيبة بتركه اتباع هوى النفس الإمارة والانقياد التام إلى أوامر الله تعالى، والاعتبار بمن مضى من قبله من أصحاب الجاه المريض... والقصور المشيدة... حيث أصبحوا جثثا هامدة تحت طبقات الأرض لا حراك لها ولا زهو، ولا جبروت ولا سلطان، والأمر يومئذ كله لله.

الخاتمـــــة

بعـد الانتهـاء مـن البحـث لابـد لأي باحـث أن يذكـر أهـم النتائـج التـي توصـل إليهـا مـن خـلال كتابـة بحثـه. وسـأذكر أهـم هـذه النتائـج، وهـي كالآتي:

١-إن للمدينـة المنـورة التـي نشـا فيـه لهـا الأثـر البـارز في شـخصية الامـام الحسـن عليه السلام، كونـه تربـى منـذ الطفولـة في بيـت النبـوة الطاهـرة، وفي احضـان جـده الكريـم النبـي محمـد صلى الله عليه وآله، وأن شـخصيته تعتـبر شـخصية قياديـة عـلى الرغـم مـن قـصر مـدة خلافتـه.

٢- إن أهـم الأسـس أو الأصـول للمنظومـة الخطابيـة للإمـام الحسـن عليه السلام آداب المخاطبـة، والعقلانيـة، والصـدق.

٣- وظـف الإمـام الحسـن عليه السلام الآليـات الخطابيـة المنطقيـة وشـبه المنطقيـة، وكذلـك الآليـات البلاغيـة، والروابـط الحجاجيـة، لتقويـة حججـه و تعزيزهـا، ولأن تلـك الأسـاليب لهـا أثرهـا الفاعـل في إيضـاح الدلالـة، وتصويرهـا بشـكل حسـي، يكـون أقـرب إلى الأذهـان وبذلـك يحقـق الغايـة المبتغـاة مـن الحجـاج.

٤-أن الإحاطـة بالبيئـة الاجتماعيـة، وتطويقهـا لهـا أثـر في موضوعيـة بلاغـة الإمـام الحسـن عليه السلام الخطابيـة، فـكان خطابـه متناغـما مـع واقـع المجتمـع وملامسـاً نفـوس المخاطبـين ومسـتشرفا المسـتقبل.

٥-إن أهـم الآليـات التـي اعتمـد عليهـا الامـام الحسـن عليه السلام في منظومتـه الخطابيـة الاستشـهاد بالنصـوص بوصفهـا دليـلاً معتـبراً، وقـد بـين ذلـك وصـف القـرآن الكريـم، والاسـتدلال بـه، ووصـف لله عـز وجـل ، وفي الوعـظ والإرشـاد.

هوامش البحث

١)جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ط١، ص٥٢.

٢)سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)دار الحديث- القاهرة-١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ١/ ٢٢٥.

٣)الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،دار الكتب العلمية - بيروت-١٤١٥ هـ، ط١، ص٦٠.

٤)البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي- ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ط١، ٩/ ١٩٣.

٥)ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)تحقيق: علي محمد البجاوي،دار الجيل، بيروت- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط١، ١/ ٣٥٤.

٦)ينظر: اصول الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية-طهران-ايران، ط٥، ٢/ ٤٩٩.

٧)ينظر: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة): أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)تحقيق: محمد بن صامل السلمي مكتبة الصديق – الطائف- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط١، ١/ ٢٢٧.

٨)أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص٢٥٨.

٩)المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، رقم الحديث(٢٥٤١)، ٣/ ٢٣.

١٠)الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٧.

١١)فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،دار المعرفة - بيروت- ١٣٧٩هـ، ٤/ ٦٧.

١٢)الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٧.

١٣)فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤/ ٦٨.

١٤)الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٧، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م، ط١، ٧/ ٥.

١٥)أسد الغابة: ٢/ ١٣.

١٦)أسد الغابة: ٢/ ١٣. الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٦٥، ٦٦.

١٧)فن السيرة : إحسان عباس، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٥٦ م، ص١٧.

١٨) ينظر: دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام: يوسف مدن، ط ١، دار البرهان، بيروت -

لبنان،١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ص١٢.
١٩) ينظر: الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي عليهما السلام: رحيم كريم علي الشريفيّ، ط ١، دار البرهان، بيروت – لبنان، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ١٥١.
٢٠) ينظر: آراء المدينة الفاضلة: أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق: البيرنادر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٩ م، ص١٧.
٢١) ينظر: دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام: ١٥٠.
٢٢) ينظر: دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام: ص ١٣.
٢٣)تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر -١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م ،١٣/ ٢٧٣ ، وكشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت٢٩٣هـ)، دار الأضواء- بيروت -١٤٠٥هـ، ص١٧٠.
٢٤) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ٣، بيروت- لبنان،٢٠١٢م، ص٢٥٩.
٢٥)مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمّد بن علّي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندرانّي ت ٥٨٨ هـ، تح لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦م، ٣/ ٢١٧، ٢١٨.
٢٦)إرشاد القلوب إلى الصواب المنجي من عمل به من أليم العقاب، الحسن بن أبي الحسن محمد الدّيلمي من أعلام القرن الثّامن، تح السّيّد هاشم الميلاني، دار الأسوة للطباعة، قم ط٢، ١٤٢٤ هـ، ١/ ١٥٧.
٢٧)ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت ٤٧١ هـ، تحقيق:محمد رشيد رضا، القاهرة، مطبعة الترقي، ٨٦، ٨٧.
٢٨) سورة النساء: الآية ٥٩.
٢٩) سورة النساء: الآية ٨٣.
٣٠) سورة الاحزاب: الآية ٤٥.
٣١) سورة هود: الآية ١٠٣.
٣٢)إرشاد القلوب :١/ ١٥٧.
٣٣)التوحيد:الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) صححه وعلق عليه المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم، ٤٥، ٤٦.
٣٤)التوحيد: ص١٤.
٣٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن احمد المالكي، المعروف بابن الصباغ تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث، ص١٦.
٣٦)بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، احياء الكتب الإسلامية،ص ٢٤.

المصـــــادر

بعد القرآن الكريم.

١-آراء المدينة الفاضلة : أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق: البيرنادر، بيروت، المطبعة

٢-إرشاد القلوب إلى الصواب المنجي من عمل به من أليم العقاب ، الحسن بن أبي الحسن محمد الدّيلمي من أعلام القرن الثّامن ، تح السّيّد هاشم الميلاني ، دار الأسوة للطباعة ، قم ط٢ ، ١٤٢٤هـ.

٣-الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)تحقيق: علي محمد البجاوي،دار الجيل، بيروت- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط١.

٤-أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥-أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت ٤٧١ هـ ، تحقيق:محمد رشيد رضا، القاهرة ، مطبعة الترقي.

٦-الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،دار الكتب العلمية – بيروت-١٤١٥ هـ، ط١.

٧-اصول الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية-طهران-ايران، ط٥.

٨-الإنسانية المثالية عند الحسن بن علي عليهما السلام : رحيم كريم علي الشريفيّ، ط ١،دار البرهان، بيروت – لبنان، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٩-بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، احياء الكتب الإسلامية.

١٠-البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي- ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ط١.

١١-تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر -١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٢-التوحيد:الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت ٣٨١ هـ) صححه وعلق عليه المحقق البارع السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم.

١٣-جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ط١.

١٤-دراسات في الفكر التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام: يوسف مدن، ط ١، دار البرهان، بيروت – لبنان،١٤٣٥ ه - ٢٠١٤ م.

١٥-سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)دار الحديث- القاهرة-١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٦-الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة): أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد بن صامل السلمي،مكتبة الصديق –

الطائف- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط١.
١٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت- ١٣٧٩هـ.
١٨-الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن احمد المالكي، المعروف بابن الصباغ تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث.
١٩-فن السيرة : إحسان عباس، ط ١، بيروت – لبنان، ١٩٥٦ م.
٢٠-كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبي الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت٢٩٣هـ)، دار الأضواء- بيروت -١٤٠٥هـ.
٢١-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، ط ٣، بيروت– لبنان،٢٠١٢م.
٢٢-مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م، ط١.
٢٣-المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.
٢٤-مناقب آل أبي طالب ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندرانيّ ت ٥٨٨ هـ ، تح لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦م.

الخطاب الإِقناعي في أقوال الإِمام الحسن عليه السلام

أ . د . كريمة نوماس محمد المدني

المدخل:

أولاً: بلاغة الجمهور تعريفاته وأهدافه

لقد مرت البلاغة العربية منذ تاريخ نشأتها الطويل بمسيرة تاريخية معرفية استحكمت الخطاب (القول) في جميع مراحها التي مرّت بها، بدءًا من الجذور الأولى للقول البلاغي عند العرب وحتى مراحل تقنينها واستقرار مصطلحاتها، فبرز علماء لها أثرهم الواضح وبصمتهم البلاغية- النقدية في تاريخ البلاغة، فكان لمؤلفات عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الأثر الكبير في استقرار مصطلحات ومفاهيم بلاغية التي أكدّ فيها على دور المخاطب، ثم اعقبته مرحلة الاستقرار والاجترار عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابة المشهور (مفتاح العلوم)[١].

وهناك من يرى ان البلاغة بعد السكاكي وصلت مرحلة الجمود والانحسار التي استبدت بآراء منطقية، فالمرحلة التي تلتها لشرّاح المفاتيح التي وُسمت بالتلخيصات لم تقدم إضافة جديدة تُحسب في تاريخ البلاغة، الى ان وصلنا الى بدايات القرن العشرين حتى بدأت البلاغة تدخل في مضامين جديدة وتنضوي تحت علوم حديثة، فارتبط مفهومها بمنهج نقدي سُمي بـ(الاسلوبية) ومرة رُبطت بعلامات سيميائية ومن هنا قادها الى الوصل مع لسانيات النصّ والحجاج.

هذا ما أطلق عليه بـ(الموضة الأكاديمية) التي تجذب الأبصار وتغوي العقول[٢].

وخلال تلك المداخلات النقدية التي أُدخلت فيها البلاغة، حاول أحدّ النقاد البلاغيين العرب ان يضع البلاغة في دائرة جديدة وسمها بـ(البلاغة العامة)[٣]التي تحتضن مختلف أنواع البلاغات من (القرآنية والأدبية والإنشائية) فأمدتها بآليات الاشتغال مع الحفاظ على خصوصية مقوماتها ومميزاتها، حيث التفاعل التخييل بالتداولي الحجاجي لذا نراه يصرّح بقوله:

(بذل بلاغيون محدثون كبار جهدًا فلسفيًا ومخبريًا ان صّح التعبير، في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة بوصفها علمًا كليًا يستوعب ثمار اللسان وعلوم الإنسان))[٤].

ومـن هنـا، فالناقـد محمـد العمـري يـرى ان البلاغـة هـي العلـم الـذي يتنـاول الخطـاب الاحتـمالي المؤثـر تخييـلاً أو تـداولاً أو هـما معًـا، وقولنـا تخييـلاً أو تـداولاً صيغـة أخـرى لقولنـا بمناسـبة قـراءة الـتراث، مناسـبة أو إغرابـا أو هـما معًـا[٥].

ولذلـك أوجـد مفاهيـم كثـيرة ومتعـددة تنضـوي تحتهـا البلاغـة سـمّاها مـرة ((البلاغـة العامـة)) وتـارة «النسـق المصطلحـي» وأخـرى ((الخريطـة النصّيـة))[٦].

ومـن هـذا المنطلـق أخـذ الباحـث الناقـد د. عـماد عبـد اللطيـف عـلى عاتقـه إيجـاد مصطلـح بلاغـي يشـمل بلاغـة المخاطـب أطلـق عليـه ((بلاغـة الجمهـور))[٧] وقصـد بهـا المخاطـب ورود أفعالِـهِ التـي ينتجهـا المسـتمع إثنـاء تلقيـه الخطـاب الأصـلي الـذي يسـتهدف خدمـة المتكلـم؛ فهـو عنـده الخطـاب المـوازي اللغـوي وغـير اللغـوي الـذي ينتجـه ويلقيـه في وجـه المتكلـم ليؤثـر فيـه ويضطـره لتحيـين خطابـه ومـن ثـم الاسـتماع إلى خطـاب مضـاد يعكـس وجهـه السـلطوي الخفـي أمـام ذاتـه، وفي دائـرة محيطـة ومـا يتجاوزهـا، أي سـلطة الخطـاب الأصـلي الـذي تنتجـه السـلطة الحاكمـة في مقابـل سـلطة الجمهـور، وهـو بـدوره في زمـن اسـتجابات يشـكل قـوة مضـادة وبنفـس القـدر ينتـج معـان ومواقـف وآراء وتوجيهـات ويسـعى لنشرهـا وفرضهـا. .[٨]

ويـرى د. عـماد عبـد اللطيـف ان مفهـوم «بلاغـة الجمهور»يمثـلُ حقـلاً معرفيًـا، ينضـوي تحتـه كـم هائـل مـن مـادة البحـث وعـددًا لانهائيًـا مـن الموضوعـات، تشـمل هـذه الموضوعـات الظواهـر المرتبطـة بالإقنـاع والتأثـير في الاسـتجابات التـي ينتجهـا الجمهـور في فضـاءات مختلفـة، فمصطلـح «بلاغـة الجمهـور» هـو الحقـل المعـرفي الـذي يـدرس العلاقـة بـين هـذه الاسـتجابات والسـلطة والخطـاب مـن ناحيـة أخـرى وتطويـر هـذه الاسـتجابات لتكـون اسـتجابات بلاغيـة عـلى تنـوع هـذه الاسـتجابات سـواء أكانـت لفظيـة أم غـير لفظيـة، فرديـة أم اجتماعيـة مكتوبـة أم مسـموعة أم مرئيـة، ويمكـن القـول ((حيثـما وجـدت اسـتجابة جماهيريـة، وجـدت بلاغـة الجمهـور، بوصفهـا مـادة، وحيثـما مارسـت اسـتجابات الجمهـور مـن منظـور الإقنـاع والتأثـير وجـدت بلاغـة الجمهـور بوصفهـا علـمًا))[٩].

وفي هـذا الصـدد ميّـز الدكتـور عـماد عبـد اللطيـف بـين ثلاثـة انـواع[١٠] مـن اسـتجابات الجمهـور هـي:

(١) الاستجابة الآنية المباشرة.

(٢) الاستجابة الآنية غير مباشرة.

(٣) الاستجابة اللاحقة.

أما الموضوعات التي تُدرس ضمن إِطار بلاغة الجمهور هي[١١]

١.الخصائص اللغوية والبلاغية للخطاب غير السلطوي.

٢. الأغـراض التـي يسـعى الخطـاب غـير السـلطوي لتحقيقهـا والاسـتراتيجيات والتقنيـات التـي يوظفهـا لتحقيـق هـذه الأغـراض.

٣. أثـر نـوع الخطـاب (دينـي- سـياسي) والسـياق إلى ينشـأ فيـه، وطبيعـة العلاقـة بـين المتكلـم والمخاطـب مثـل (حاكـم، محكـوم، واعـظ، متديـن)

٤. دور المخاطب في عملية الاتصال.

٥. أنواع المخاطب (نصيّ، فعلي).

٦. طبيعة استجابة المخاطب (لفظية- غير لفظية، مباشرة، غير مباشرة).

بعـد كل مـا عُـرض نفهـم أن مصطلـح «بلاغـة الجمهـور» يحيـلُ عـلى مفاهيـم كثـيرة، منهـا مـا يشـيرُ الى نسـق محـدد مـن الأفـكار والتصـورات والإجـراءات التحليليـة تشـمل مناهـج مختلفـة منهـا الأسـلوبية والبنيويـة التكوينيـة والمناهـج النفسـية، أمـا الرؤيـة الثانيـة فتربـط في التمييـز بـين المناهـج الكميـة والكيفيـة وهنـاك مفهـوم آخـر يتعلـق بسـؤال الهويـة البحتـي المرتبـط بالمدونـة ويسـتعمل مناهـج منهـا الوصفـي والتحليـلي والمقـارن[١٢].

مـن هـذا كلـه يخلـص الدكتـور عـماد عبـد اللطيـف إلى رأي في ماهيـة مصطلـح «بلاغـة الجمهـور» انهـا جـزء مـن مشـروع بلاغـي يهـدف إلى تأسـيس بلاغـة الحيـاة اليوميـة تُعنـى بدراسـة الأبعـاد البلاغيـة لنصـوص البـشر العاديـين، وكلامهـم، واسـتجاباتهم في شـتى مناحـي الحيـاة، فـإن هـذا المشـروع مـازال في طـور التشـكيل ومـا زال مـن المبكـر جـدًا تقييـم جدارتـه بـأن يتحـول إلى مدرسـة بلاغيـة[١٣].

وهي يعدّها مستوى من مستويات التحليل البلاغي يختصُ بدراسة استجابة الجمهور للخطابات العمومية وهو يشمل:

١. بناء النصّ البلاغي (يشمل دراسة الأصوات والصرف، والتركيب، والمعجم في النص اللغوي) أو الألوان والمنظور والبؤرة في الصورة يضاف إليها الحركة في النصّ المرئي.

٢. مستوى الحجج (تقنيات الحجاج والتنفيذ).

٣.مستوى الصور البلاغية (سواء الصور اللفظية والمرئية)

٤. مستوى السياق (دراسة العلاقة بين تشكيلات الكلام وأدائه من ناحية وسياقه ووظائفه من ناحية أخرى).

٥.مستوى استجابات الجمهور (العلاقة بين بناء والنصّ وأدائه واستجابة الجمهور له).

وبلاغة الجمهور كما ترى الباحثة وهي تشاطر رأي د. صلاح حاوي في انها إدراك الظواهر البلاغية بوصفها ظواهر مجتمعية تتسم بالتعقيد والتركيب شأنها شأن بقية ظواهر المجتمع[١٤]

فنحن أمام خطابين: خطاب ينتجه المتكلم له مادته ووظيفته، ولذا له بلاغته التي تعينُ هذا المتكلم وتسُهم في إنجاح خطابه وقد أخذت نصيبها من الدرس البلاغي العربي والغربي وهي (البلاغة الإنشائية) بلاغة المتكلم أو المنتج.

وثانيهما: خطاب ينتجه المخاطب فهو ليس خطاب فهم كما تقول بذلك النظريات التأويلية أو خطابًا تعليق. . . بل هو خطاب مادته الخطابات الجماهيرية وموضوعية دراسة الكيفية التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق الإقناع والتأثير.

أما وظيفته فهي الوعي بمقاومة الخطابات السلطوية وكشف استعمالها اللغة بوصفها أداة.

ثانياً: الخطاب المقروء بين بلاغة الجمهور ونظريات التلقي

تستندُ الوظيفة الشعرية (التواصلية) التي تؤديها العملية التخاطبية على ثلاثة أركان رئيسة هي موضوعة التواصل (المرسل- الرسالة- المرسل إليه) وقد أهتم ياكبسون بعنصر

(المرسل إليه) بوصفه العنصر الأساس الذي ترتكز عليه العملية التواصلية وجعل وظيفته (الإفهامية) فهو يرى ((من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية ولكل فعل تواصلي لفظي، ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي، بادئ ذي بدء سياقًا تحيلُ عليه قابلاً لأن يدركه المرسل إليه. . .))[١٥]

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي أقيمت حول وظيفة المرسل إليه والتسميات التي أُطلقت عليه؛ فإن وظيفته تمثل محورًا رئيسًا ومركزيًا في الرسالة الشعرية وقد أطلق عليها (القارئ الضمني) عند ايزر او (القارئ الفعلي) عند ياوس[١٦].

وهناك من يرى أن هناك تلاقيا معرفيا بين نظرية التلقي وبلاغة الجمهور في ظل مبدأ (العلة والنتيجة) حيث كلاهما نتيجة وجودهما هي علة (سلطة المنهج المهيمن) أيّ إن سيادة نظرية معينة أو منهج محدد كان سببًا في نشأة هاتين النظريتين ونضوجهما، فتكوينهما ردّ فعلٍ على فعل مهيمن ومتسيّد[١٧].

أما مفهوم الاستجابة عند الجمهور وفي نظرية التلقي هو مفهوم مشترك بين كافة الأطراف في العملية التخاطبية على تنوع واختلاف المسميات انطلاقا ((من حيث أن العلاقة بين النصّ والمتلقي علاقة تبادل في الأثر والعمل، يؤثر في المتلقي من حيث الاستجابة التي تتشكل بصورة تأويلية مختلفة، ونظرية التلقي هي نظرية فهم وتأويل))[١٨]

أما الاستجابة في «بلاغة الجمهور» فهي استجابة مختلفة تمامًا من حيث صفتها وشكلها وصورها وهي استجابة جماهيرية والمتلقي في دائرة العام، وقد يجعلها استجابة خاضعة ومكرّسة للخطاب البلاغي- السلطوي الذي تنتجه السلطة السياسية أو الدينية ذات القدرة من السيطرة على سلوك الجماهير التي لا تمتلك الوعي الذي يؤهلها لإنتاج خطاب مفكك أو مضاد لخطاب السلطة[١٩].

فبلاغة الجمهور تُعنى بالخطاب واستجاباته وهي فريضة بلاغية في (بلاغة المخاطب) لكنها اكتسبت سمتها الأخرى (الجماهيرية)؛ لأن مادتها الأساس التي تشتغل عليها هي الخطابات البلاغية الجماهيرية فهي تدرس الأنظمة اللغوية والسيموطيقية المكونة لهذه

الخطابات، فضلاً عن السياقات الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية التي تنتج وتُستهلك فيها هذه الخطابات[٢٠].

وترى الباحثة أن مصطلح «بلاغة الجمهور» مصطلح واسع يشمل مداليل كثيرة وقد لا تكون مستويات المتلقي (الجمهور) ذات ثقافة واحدة؛ بلا لا شك إنها متباينة تبعًا لأنساقهم الثقافية والإجتماعية وهي متنوعة بصورها قد تكون لفظية او غير لفظية مثل الكلام المتضاد او الألفاظ السلبية أو الإيجابية أو مثل التصفيق أو الهتافات، أو صور بصرية مرئية مثل اللافتات أو بطاقات، من جانب آخر؛ ان مصطلح «بلاغة الجمهور» لا يشمل المتلقي/ النخبة الجماهيرية فحسب وانما ينضوي تحته كذلك/ المرسل/ الباث/ المُخاطب، إذًا هو لا يشمل الجمهور فحسب، ويمكن القول: انه يدخل ضمنه أيضا الخطاب، لذا أرى ان يسمى(استجابة الفعل التواصلي النخبوي)، او استجابة الجمهور، والخطاطة الاتية هي توضيح لما تقدم:

الباث (المخاطب الرسالة المتلقي (الجمهور) متلق عام

متلق خاص الخطاب (استجابة الجمهور)

وبهذا شكل مشروع بلاغة الخطاب/ الجمهور في الثقافة العربية المعاصرة ربطًا للدرس البلاغي بمفهومه الحيّ بخطابات الحياة اليومية، أي البحث في آليات الإقناع والتأثير في الخطاب الطبيعي القائم على الأحتمال، اعتمادًا على اجتهادات سخرت جهدها لتعبيد الطريق أمام البلاغة بربطها بهجوم الإنساني وتحليل الخطاب بمختلف انماطه السياسي او السردي والشعري[٢١]

المبحث الأول: بلاغة السلطة الدينية

شهد الخطاب الديني في العصر الاسلامي اتساعًا في الإنتاج والتلقي عكسته تلك الظروف الصعبة على تنوعها السياسي منها والديني وكثرت الأحزاب السياسية والمهاترات التي عاشها المسلمون في تلك الفترة وما بعدها.

والخطاب الديني لا يختلف عن الخطابات الأخرى غاياته الإقناع والتأثير في المتلقين،

ومن هنا فأن (الخطاب الديني) يُعد ممارسة سلطوية تهدف تمكين منشئ الخطاب (المتكلم) من السيطرة على المخاطب، وبالنظر إلى الخطاب الديني من جانبه الاتصالي فنحن أمام عملية تواصلية ذات طرفين (المتكلم ومخاطب)، وفي حالة الخطاب الديني (الواعظ والمتدين) والعلاقة بينهما تفترض نمطًا سلطويًا لذلك تكون العملية إنتاج فقط للمتلكم[٢٢]

وعليه تتأسس العملية التخاطبية على وجود هؤلاء العناصر مع بعضها ضمن خطاب يطغى عليه أسلوب المساءلة وهو دورهم في التفاعل مع هذه العناصر؛ فمنشئ الخطاب يستخدم اللغة بكيفيات معنية أي التحكم في صياغة نسق معتقداته واتجاهاتهِ وسلوكياته بما يجعله يعتقد ويتجه ويسلك وفقًا لمصلحة المنشئ للخطاب[٢٣]

وتكمن بلاغة السلطة الدينية ما يتضمن بعد لغة الخطاب ونسقيته ومضمون لغة الاستجابة، ووجُدت بلاغة السلطة الدينية في خطابات وأقوال الإمام الحسن عليه السلام عبر نسق المقارنة السلطوية.

بلاغة المقارنة

تستند بلاغة المقارنة بوصفها استراتيجية حجاجية في عرض الخطابات الدينية والسياسية عبر تفعيل الذاكرة الخطابية للجمهور من خلال استرجاع التاريخ ومقارنته بالحاضر، وقد عدّ البلاغي محمد مشبال ان «بلاغة المقارنة» في الخطاب تقنية واستراتيجية حجاجية لأنها تبنى على تفسير أسباب التفضيل والتفوق باعتماد الرابط الحجاجي[٢٤]

وقد تمثلّت في السلطة الدينية خطابات الإمام الحسن عليه السلام التي تمكنت من استمالة الجمهور المتلقين عبر تلك الوسائل التي وظفها الإمام عليه السلام في خطاباته الدينية ذات المضامين السياسية.

فمن أمثلة ذلك خطبة الإمام عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وهو يذكر فضله ومنزلته عند الله (سبحانه وتعالى) مقارنة بمعاوية.

(فلمّا قبضه الله تعالى تنازعت العرب الأمرَ بعده فقالت الأنصار: منَّا أمرٌ فلا تنازعوا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش، ونحن الآن أولياءه وذوو القربى منه، وجاحدتنا قريش ما عرفت لها فهيهات أما أنصفتنا قريش وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين وسابقة في الإسلام[٢٥]

ونشاهد مثل ذلك الخطاب أيضا، ما قاله الإمام عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد استطاع خطابه الديني- الوعظي- الذي ينضوي تحته مكمن سياسي الى التغلغل في نفوس الجمهور المتلقين والتذكير بمآثر أمير المؤمنين عليه السلام إذ خطب الحسن عليه السلام قائلا.

(لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسِهِ، ولقد كان يُوجهُّهُ برايته، فيكتنفه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال((أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله إنا ابن البشير، أنا ابن النذير، انا ابن الداعي الى الله، ثم قام ابن عباس فدعا الناس الى بيعته، فاستجابوا له)).

نلاحظ قوة الخطاب الديني- الإعلامي التأثيرية التي حظى بها خطاب الإمام في التذكير بمنزلة أمير المؤمنين عليه السلام والإشادة بمواقفه الجسيمة مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المتجسدة في تلك الاستراتيجيات التي يوظفها الإمام وهذا ما يفرزه من استراتيجيات تلقي تفرضها العملية التخاطبية بين المتكلم والمخاطب (الجمهور).[٢٦]

وهنا في خطبة أخرى يعقد الإمام الحسن عليه السلام مقارنة بينه وبين معاوية الذي يريد ان يتولى خلافة المسلمين بعد أمير المؤمنين عليه السلام: ((يا عجبًا قوم لاحياء لهم، ولا دين مَرّة بعد مرّةٍ ولو سلَّمتُ الى معاوية الأمر، فأيمُ الله لا ترون فرجًا أبدًا مع بني أمية، والله ليسو منكم سوء العذاب، حتى تتمنون ان يلي عليكم جيشًاولو وجدتُ اعوانًا ما أسلمتُ له الأمر، لأنه محرم على بني أمية، فافٍ وترحًا يا عبيد الدنيا[٢٧].

ثم كتب الى معاوية ((إنّ هذا الأمر لي، والخلافة لي ولأهل بيتي، وانها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ولو وجدتُ صابرين عارفين بحقي غير منكرين ما سلمتُ لك ولا اعطيتك ما تريد))[٢٨].

ولقد استطاع الخطاب الديني- السياسي للإمام الحسن ﷺ ان يحقق مكانة مهمة بفعل الاستراتيجيات التي يعتمدها في التواصل مع الجمهور المتلقي، حاملاً بذلك انساقًا ثقافية- سياسية مضمرة تارة ومعلنة تارة اخرى[٢٩] تروم في محملها تحقيق التبليغ وإيصال الحقائق المسكوت عنها التي ينبغي ان يعيها المسلمون من يكون خليفة عليهم.

المبحث الثاني: الاحتشاد البلاغي

وهي استراتيجية خطابية تشير الى تلك التوازيات الصوتية، الموسيقية التي يتوسل بها منتج الخطاب لحصول الإقناع والتأثير، وقد أشاد سابقًا لذلك د. محمد العمري في كتابة ((الموازنات الصوتية))[٣٠].

وقد حفلت أقوال وخطب الإمام الحسن ﷺ بتلك السمات الاستراتيجية المتوازنة في اغلب تراكيب الخطابة، من أمثلة ذلك خطبة الإمام ﷺ في وصف شيعتهم.

(مَنْ فارقنا هلك، ومن أتبعنا لحقَ بنا، والتارك لولايتنا كافر، والمتبع لولايتنا مؤمن لا يحبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن))[٣١].

فلاحظ في النصّ المتقدم نمط من العلاقات التركيبية المتوازنة عكست نسقًا خطابًا متوازيًا قائمًا على تلك الصفات الإيجابية التي يتحلى بها المحبّ لأهل البيت ﷺتقابله تلك المتوازيات في المبغض لهم، فالكل يتوزع في عناصر وأجزاء ترتبط نحويًا وايقاعيًا، فالإمام ﷺ عبر خطبته هذه حشد جمع من المتواليات للطرفين لكسب ثقة الجمهور ومدح الطرف المنتمي للولاية.

من فارقنا هلك من أتبعنا لحق بنا

التارك لولايتنا كافر المتبع لولايتنا مؤمن

لا يحبنا كافر لا يبغضنا مؤمن

ونجد مثل ذلك ايضًا في قول الإمام ﷺ في معرض المقارنة بين الموالي لأهل البيت ﷺ والمعادي لهم.

إذ يقول عليه السلام ((وحقيقٌ على الله ان يجعل ولينّا رفيق الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين، وحُسن أولئك رفيقاً))

وحقيقٌ على الله ان يجعل عدوّنا والجاحد لولايتنا رفيق الشياطين والكافرين وبئس أولئك رفيقًا))[٣٢].

نرى ان هذه التقنية الاستراتيجية في الخطاب الديني والسياسي لها وقعها البلاغي في الجماهير التي تتلقى ذلك الخطاب بحيث تصل الى قرار معين عبر تلك المتوازيات في المقارنة بين الفريقين، ان هذه التقنية الاسلوبية لهذه الانساق التركيبية تتجلى في المقارنة التركيبية بين المعنيين اللذين أشارَ إليها الإمام عليه السلام، فهذه التراكيب المتوازية أسهمت بإثارة توازي دلالي، فضلاً عن التوازي الايقاعي، فقيمة التوازي تتحَدد بفعل تلك: ((العلاقات الصوتية الدلية، وليس فقط الى تركيب الجمل أو ترتيبها إذ إن ارتباط الجمل بعضها ببعض يتأثر بجرس المفردات وايضًا دلالاتها))[٣٣].

وترد تلك المتوازيات في خطب الإمام عليه السلام متخذًا منها أنساقًا تركيبية ذات مغزى عميق لتأثير والإقناع في الجمهور المخاطبين الذين يتلقون الخطاب وهو نمط تقابلي: فنجد مثل ذلك ايضًا في خطبةٍ يردّ على معاوية:

ومن أمثلة النمط المتوازي التقابلي؛ مفهوم ما وظّفه الإمام عليه السلام في خطابته مع معاوية إذ يوازن بينه فهو الإمام المعصوم وامتداد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ونسبه الشريف وبين الطرف الآخر (معاوية):

(أما بعدُ: فإنَّ الله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين فأظهر به الحقّ، ورفع به الباطل، وأذل به أهل الشرك، واعزّ به العرب عامة، وشرّف به من يشاءَ منهم خاصته. . .

فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ولا أثر في الإسلام محمود))[٣٤].

يتفعّل في هذا النصّ مفهوم ((الذاكرة الخطابية)) فالإمام عليه السلام يعمد الى تنشيط ذاكرة المتلقين(الجمهور) من خلال تذكيره بشخصية الرسول الأعظم حامل الرسالة السماوية)

ومواقفه في نشر الدعوة الإسلامية وإنقاذ الأمة من عادات الجاهلية والكفر والشرك، لذا نرى بتضافر هذا النمط من التوازي بشكل أفقي (النحوي- الصرفي) ليتحقق عبر ذلك التضافر الاسلوبي الاستراتيجي، نسقين مضمرين الأوّل يتمثل في امتداد نسب الإمام الحسن ﷺ الى الرسول الكريم ﷺ وهو رسول الإنسانية جمعاء، والنسق الآخر المتمثل في الطرف الأخر (معاوية) وانتسابه وموقفه من الدعوة الإسلامية.

ان هذا التوازي من شأنه ان يخلق مفارقة عميقة الأبعاد تغلف النصّ لتفجر طاقاته الإيحائية خدمة لروئ الجمهور فان هذه الأنساق المتوازية تجعل الجمهور في قناعة بضرورة الوقوف بجانب الحقُ وردع الباطل ومن يدَّعيه.

وتنشيط الذاكرة الخطابية في الخطابات السياسية تساعد الخطيب على تحقيق إجماع شعبي حول القرارات التي يتناولها[٣٥] فمن ذلك ما نجده في خطبته الإمام الحسن ﷺ.

(لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسِهِ، ولقد كان يُوّجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه.

أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير، انا ابن النذير، أنا أبن الداعي الى الله بأذنه، وأنا ابن السراج المنير وأنا ابن من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. . .

هداكم بجدّي محمد فأنقذكم به من الضلالة ورفعكم به من الجهالة، وأعزكم به بعد الذُله، وكثرّكم به بعد القلة))[٣٦].

وتبرز تقنية الخطاب السياسي في الخطبة أعلاه حيث عمد الأمام ﷺ الى تذكير الجمهور بمآثر الأمام أمير المؤمنين ﷺ ودوره البطولي في نشر مبادئ الأسلام والوقوف بجانب الرسول ﷺ وهو يتولى راية المسلمين ومقارعة الكفار والمشركين فدلالة النصّ المذكور تتصاعد شيئا فشيئا عبر توالي تلك الجمل المتوازية واخبارها حتى يصل الإمام ﷺ.

حتى يصل الى نسبه ومنزلته من الرسول الأعظم ﷺ، عبر تلك التقنية المعتمدة في بلاغة

السلطة لتمجيد الذات والإشارة الى منزلته العظيمة والنسب الشريف للإمام وامتداده للرسول صلى الله عليه وآله وهو الامتداد الحقيقي الرسالي في استشهاده بآية قرآنية تعزز ذلك القول.

ومن أروع وصاياه عليه السلام التي تمثلت فيها الانساق التركيبية المتوازية المتحتشدة بلاغيًا بالإقناع قوله عليه السلام ((واعلم: ان في حلالها حسابًا، وحرامها عقابًا، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كتب قد زهدت فيها، وان كان حرامًا لم تكن قد أخذت من الميتة وان كان العتابُ فإن العقاب يسير))[٣٧].

فنشاهد في هذا المنعطف المتوازي من التراكيب تلقي البلاغة بالنصح والإرشاد التي انتجت الخطاب، لإقناع المستمع فالإمام عليه السلام متمكنًا من عدته البلاغية والحجاجية حتى يستطيع الإقناع عبر تلك التراكيب المتوازية فبلاغة الجمهور تستمد مفاهيمها من حقول معرفية متنوعة هي البلاغة، والحجاج واللسانيات، وتحليل الخطاب.

المبحث الثالث: التحفيز الخطابي

يعدُّ التحفيز الخطابي سمة من سمات الخطابة السياسية من خلال علاقات التناص عند جوليا كرستيفا او الحوارية عند باختين، وبالتالي يستمد الخطاب السياسي قوته الإقناعية من النصوص التي يتفاعل معها كالنصوص القرآنية والأمثال النبوية الشريفة والشعر، وقد أشار الى ذلك ايضًا شاييم بيرلمان مفهوم حجة السلطة، التي يمكن توظيفها للخطيب لإكتساب خطابه مشروعية دينية تثبت أحقيته فيما يقول[٣٨].

وتشكل النصوص القرآنية في خطب الإمام عليه السلام حضورًا واسعًا ولا غرابة في ذلك فهو سليل النبوة وسبط الرسول الذي تربى في حجره صلى الله عليه وآله، وسنأخذ أمثلة على ذلك فمنه:

قوله عليه السلام ((وإن مثلنا في كتاب الله كمثل المشكاة، والمشكاة هي القنديل وفينا المصباح، والمصباح، محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته، والمصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة علي أبن ابي طالب لا شرقية ولا غربية معروفة لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء))[٣٩].

فالإمام عليه السلام عمد الى جعل خطبته تبنى على آيات قرآنية أنطلق منها لبيان مقصديته فهو عليه السلام وظف الآيات ليبين منزلتهم عند الله (سبحانه وتعالى) حين شبّه أهل البيت عليهم السلام بالمشكاة وهي قنديل فهم عليهم السلام المصباح والهداية للبشرية جمعاء، وتعد هذه التقنية الخطابية ذات وجهة إقناعية تتلقى استجابة.

جماهيرية كبيرة، وهو ذلك يمارس سلطة دينية وسياسية خطابية تمثل مقدمة ضرورية لما يريد ان يوصل إليه عليه السلام وعلى الجمهور فهم مقصدية الإمام عليه السلام عبر توظيفه لتلك الآيات القرآنية.

ومن خطبته له عليه السلام يوّبخ القوم بما فعلوه به معزرًا كلامه بآيات قرآنية تؤكد ذلك إذ قال في خطبته عليه السلام: ((يا عجبًا من قوم لاحياء لهم ولا دين مَرّةً بعد مرّة ولو سلمتُ الى معاوية الأمرة فأيمُ الله لا ترون فرجًا ابدًا مع بني أمية والله، ليسو منكم سوء العذاب[٤٠] حتى تتمنون ان يلي عليكم، حبشيًا ولو وجدت اعوانًا ما سلمتُ له الأمرة لأنه محرم على بني أمته، فأن وترحًا لكم يا عبيد الدنيا))[٤١].

هنا صوّر الكاتب حالة الغضب التي كان يعيشها بسبب جهل اغلب المسلمين بأحقية أهل البيت عليهم السلام بالولاية بعد الرسول صلى الله عليه وآله ونبههم على سوء فعلتهم وصمتهم أمام ما فعله معاوية حتى يتسلط عليهم معززًا حوله بآية قرآنية توثق صحة ما أراده وذلك نعتهم بأنه (عبيد الدنيا).

فنشاهد هذا النمط السلطوي للعلاقة بين الواعظ المتمثل في شخصية الإمام الحسن عليه السلام والجمهور المستمع قد منح المخاطبين فرصة التواجد في ساحة الخطاب الديني والسياسي للنظر في ما هم عليه، ولذلك سُمي هذا النوع من الخطاب ((خطاب ديني سلطوي مغرض))[٤٢]

ثم أتمم خطبته فقال:

(ويلكم، والله ان معاوية لا يفي لأحدٍ منكم بما ضمنه في قتلي، واني أظن أني ان وضعتُ يدي في يده لأسالمه لم يتركني أُدين لدين جدّي واني أقدر أن اعبد الله وحدي، ولكني كأني انظر الى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يُسقون ولا

يُطعمون فبعدًا وسحقا لما كسبته أيديكم ((وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون))[٤٣].

وبهذا تمكن الإمام عليه السلام من توظيف الآيات القرآنية في نصوص خطبة السياسية والدينية لتعبّر عن مقصديته الواضحة ولتكون أوثق أدلة ولتحمل المتلقي (الجمهور) على استكناه المخزون الثقافي والقرآني، والعودة الى النصوص في مرجعيتها الدينية لكشف الأبعاد والأغراض من وراء ذلك التوظيف[٤٤].

ومن التوظيف المرجعي، وظفّ الإمام عليه السلام قول للرسول صلى الله عليه وآله عند ما ردّ على زياد بن أبيه منَ الحسن بن فاطمة الى زيادة ابن سمية أما بعدُ: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الولدُ للفراش والعاهر الحجر، والسلام[٤٥].

فالإمام عليه السلام هذا النصّ استلهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله بشكل مباشر للردّ على الطرف الآخر وتعريفه بمنزلته الحقيقية وتعريف المسلمين به، وهذا ماله اثر دلالي في نفس المخاطب ومشاعره، وهيهات يستطيع الرد/ فتنحسر هنا بلاغة المخاطب.

الخاتمة:

- يمثل مفهوم بلاغة الجمهور حقلاً بلاغيًا معرفيًا جديدًا يمثل في انتاج خطاب السلطة الدينية والسياسية لانتظار رد استجابة الجمهور.

- تعنى بلاغة الجمهور بدراسة الاستجابة المادية الملموسة للخطاب اللغوية وغير اللغوية المختلفة التي تمارسها السلطة، وهي بذلك تلتقي في مسارات عدة بمفهوم نظرية التلقي.

- مثلت خطابات الامام الحسن عليه السلام الدينية والسياسية انساقًا معرفية تاريخية ودينية في التأريخ الإسلامي لتوجيه وتوعية المسلمين عبر تلك الخطابات وتمثلت استجابة الجماهير في ردود كبيرة ومتنوعة.

- اما مستويات التحليل البلاغي في ضوء بلاغة الجمهور في نصوص الإمام الحسن عليه السلام

- بلاغة السلطة الدينية وهي عملية تخاطبية تمثلت على تفاعل العناصر التواصلية مع بعضها الخطيب والجمهور وتمثلت في بلاغة الاستفهام الحجاجي، وبلاغة المقارنة.

- ومن المحاور التي تضمنها ايضًا فقرة (الاحتشاد البلاغي) المتمثلة في تلك المتواليات المتوازنة الافقية والعمودية لإيصال صوت الخطيب للجمهور رعاياته الاقناع والتأثير.

-ومثل التحفيز الخطابي سمة استراتيجية حجاجيه هامة وظفها الإمام عليه السلام في أغلب خطبه لكونها تمثله آلية إقناعية هامة.

هوامش البحث

١) البلاغة العربية (الأصول والامتدادات): د. محمد العمري، ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي حمود، ٨٨.

٢) ينظر مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر (مقاربة نقدية): ٢٤٨.

٣) ينظر: البلاغة العامة/ النسق المصطلحي والخريطة النصية، محمد العميري: ١٨.

٤) ينظر: البلاغة الجديدة: محمد العميري: ٢١.

٥) البلاغة العامة، الجديدة النسق المصطلحي والخريطة النصية: ١٨.

٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٨-١٩.

٧) بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات: ٦٠.

٨) ينظر: في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة (بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف أنموذجًا، د. ادريس جبري، ٦٠.

٩) ينظر: ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية الاسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف.

١٠) كيف ندرس التناص، عماد عبد اللطيف: ٢٨١.

١١) ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية: عماد عبداللطيف: ٣٢

١٢) ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية، الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف: ٧٢.

١٣) ينظر: ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد، عماد عبد اللطيف: ٣١.

١٤) ينظر الخطاب الانتخابي في العراق (بلاغة السلطة واستجابة الجمهور): د. صلاح حاوي مجلة آداب/ البصرة/ العدد ٨٥، ٢٠١٨، ١٢٤.

١٥) فيري ياكوبسن: أنَ لكل فعل تواصلي من هذه الأركان الرئيسية وظيفة أساسية هي (المرسل (الانفعالية) الرسالة (الشعرية) المرسل اليه (الوظيفة الافهامية)، ينظر: قضايا الشعرية: ٢٧، الشعرية والتواصل اللساني:

١٦) ينظر الأصول المعرفية النظرية التلقي: ناظم عوده: ١٢٣.

١٧) ينظر بلاغة الجمهور ونظريات التواصل (نظرية التلقي) انموذج التلاقي والاختلاف، د. صلاح حسن حاوي: ١٠٥.

١٨) الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ناظم عودة: ١٢٣.

١٩) ينظر بلاغة الحرية: د. عماد عبد اللطيف: ٣١.

٢٠) ينظر بلاغة المخاطب: د. عماد عبد اللطيف: ١٩- ٢٠.

٢١) ينظر بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا: عبد الوهاب صديقي: ١٢٢.

٢٢) بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي (دراسة في خصائص الاستجابات وآلياتها) ضياء الدين محمد.

٢٣) بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني (الخطاب الفتوى انموذجًا) ٢٠٩، حامدة بقايت.
٢٤) خطاب الاخلاق والهوية في وسائل الجاحظ (مقارنة بلاغية حجاجية)، د. محمد مشبال/ ٢٧٧.
٢٥) مكتبات الأئمة الإمام الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، ج٣/ ١٧- ١٨.
٢٦) مكتبات الأئمة عليهم السلام: ج٣/ ٢٨.
٢٧) ينظر مكاتيب الائمة عليهم السلام: ج٣/ ٣٣.
٢٨) المصدر نفسه: ج٣/ ٣٣.
٢٩) بلاغة الجمهور في تلقي (الخطاب الديني الفتوى انموذجًا)، حامدة تقبابت/ ١٨٣.
٣٠) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية: د. محمد العميري، ينظر حروب بلاغية: عماد عبد اللطيف، مجلة ألف عدد ٣٢/ ص
٣١) مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ج٣/ ١٣.
٣٢) مكاتب الأئمة عليهم السلام: ج٣/ ١٣.
٣٣) النقد والاسلوبية بين النظرية والتطبيق: عدنان بن ذريل: ٢٧٧.
٣٤) مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ج٣/ ١٧- ٢٢.
٣٥) بلاغة الجمهور (مفاهيم وتطبيقات): ١٢٩.
٣٦) مكاتيب الأئمة: ج٣/ ٢٨- ٢٩.
٣٧) مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ج٣/ ٦٣.
٣٨) بلاغة الجمهور (مفاهيم وقضايا): ١٢٩.
٣٩) مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ٣/ ١٣.
٤٠)الآية: ٤٩/ سورة البقرة.
٤١) مكاتيب الأئمة عليهم السلام: ٣/ ٢٣.
٤٢) بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي: ٢١٠.
٤٣) آية الشعراء: ٢٢٧.
٤٤) مكاتيب الائمة عليهم السلام: ٣/ ٣٦.
٤٥) مكاتيب الائمة عليهم السلام: ٣/ ٥٠.

قائمة المصادر والمراجع

* مكاتيب الأئمة عليهم السلام (مكاتيب الإمام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي) علي الاحمدي الميانجي تحقيق مراجعة مُجتبى فرجي، مركز بحوث دار الحديث/ ج٣/ ط١/ ١٣٨٤.
* البلاغة العربية الأصول والامتدادات، د. محمد العمري، ط١، ١٩٩٨، ردمك.
* مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر (مقارنة نقدية) عماد عبد اللطيف، كتاب المؤتمر، الندوة الدولية، ١، ٢٠١٥.
* البلاغة العامة (النسق المصطلحي والخريطة النصية) د. محمد العمري، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد، ٩، ٢٠١٦.
*قضايا الشعرية، رومان ياكوبين، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٨.
*كيف ندرس النتاص؟ إطار نظري وتطبيقات على بلاغة السياسية الدينية ضمن كتاب جماعي بلاغة الخطاب الديني، اعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر دار الأمان الرباط، ط١، ٢٠١٥م.
* التفكير البلاغي عند العرب أُسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي حموده منشورات الكتاب الجديد ط٣، ٢٠١٠.
* بلاغة الحرية «معرك الخطاب السياسي في زمن الثورة، عماد عبد اللطيف، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
* البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، محمد العميري، دار افريقيا الشرق، البيضاء، ط١/ ٢٠٠٥
* الأصول المعرفية لنظرية التلقي: ناظم عودة خضر: دار الشروق، ط١، ١٩٩٧.
* الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية، نحو تاريخ جديد للبلاغة العربية، محمد العميري، منشورات دراسات سال، ط١، ١٩٩١.
* بلاغة المخاطب «البلاغة العربية من انتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته»، عماد عبد اللطيف ضمن power and The Role of The In tellctual، منشورات القاهرة، ٢٠٠٥.
* بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا: عبد الوهاب صديقي ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات.
* بلاغة الجمهور والخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابات وآلياتها، ضياء الدين محمد.
*خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ (مقاربة بلاغية حجاجية) د. محمد مشبال.
*بلاغة الجمهمور في تلقي الخطاب الديني خطاب الفتوى انموذجًا حامدة بقايت/ الجزائر ضمن كتاب (بلاغة الجمهور) مفاهيم وتطبيقات.
*بلاغة الجمهور ونظريات التواصل (نظرية التلقي انموذج التلاقي والاختلاف)، د. صلاح حسن حاوي.
* ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية الاسهام، الهوية المعرفية، النقد، د. عماد عبد اللطيف ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات.
* في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة (بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف إنموذجًا)، د. ادريس صبر.
* الخطاب الانتخابي في العراق (بلاغة السلطة واستجابة الجمهور)، د. صلاح حسن حاوي/ مجلة كلية الآداب البصرة/ ٢٠١٨.

آليات خطاب الامام الحسن المجتبى عليه السلام - مقاربة التداولية -

أ. م. د. زينب علي عبيد

الملخص:

يشكل خطاب الامام الحسن (عليه السلام) معلماً دينياً واجتماعياً. حظي باهتمام الدارسين، لما يملكه من وسائل تعبيرية قادرة على استكشاف علامات منطقية وربطها بسياقات متعددة لتظهر للمتلقي بشكل ملائم للموقف التواصلي.

ولما تنماز به التداولية من قدرة على اكتشاف مقاصد المتكلم، ودراسة جوانب السياق، التي تظهر مقدرة الخطاب في ايصال المعنى. لذا تم اختيار عنوان البحث بوصف الامام الحسن يمتلك مقدرة لغوية عالية، اضافة الى ما ابتلي به من محاربة ذوي الفساد، لذا كان الخطاب الحسني، السلاح الاقوى في مواجهة الآخر.

وقد آثرت الباحثة تقسيم البحث الى اولاً: التداولية بين اللغة والاصطلاح، وثانياً: آلية الخطاب التلميحي واثره في عملية التواصل. وثالثاً: آلية الخطاب التضامني وأثره في عملية التواصل. وخاتمة وقائمة باهم المصادر.

Summary

The speech of Imam Hassan (peace be upon him) is a religious and social landmark. He received the attention of learners, because of his means of expression capable of exploring logical signs and linking them to multiple contexts to show the recipient appropriately the communication position.

And because of its deliberative ability to discover the purposes of the speaker, and to study aspects of the context, which show the ability of speech in the delivery of meaning. Therefore, the title of the research was chosen as Imam Hassan (peace be upon him) possesses high linguistic ability, in addition to the plague of fighting those with corruption.

The researcher opted to divide the research into first: deliberative between language and term, and secondly: the mechanism of allusive discourse and its impact on the process of communication. Third, the mechanism of solidarity discourse and its impact on the communication process. Conclusion and list of the most important sources.

أولاً/ التداولية بين اللغة والاصطلاح:

راج في المعجمات اللغوية جملة من المعاني تحمل الجذر (دَوَلَ) بمعنى التحول والتبدّل ففي معجم مقاييس اللغة جاء تعريف (دَوَلَ) بين هذين المعنيين «احدهما يدل على تحوّل شيء من مكان الى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال اهل اللغة: اندّال القوم، اذا تحولوا من مكان الى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيءبينهم: اذا صار بعضهم الى بعض، والدّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدوّلة في المال والدُّلة في الحرب»[1] وقد عرفها الزمخشري (٥٨٣ه) بقوله» دول دالت له الدولة، ودالت الايام، بكذا، وادال الله بني فلان من عدهم، جعل الكرة لهم عليه. . . وأُديل المشركون على المسلمين يوم احد. . . والله يداول الايام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب. . . وتداول الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما [2] وجاء في لسان العرب: «يتداولنا الامر أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على الامر. . . ودالت الايام اي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الايدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل والامر بيننا بمعنى تحاورناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة [3]»

واذا ما حاولنا ايجاد تعريف لهذا المصطلح فاننا سنواجه بصعوبة تحديد تعريف موحد وشامل لعلاقته بعلوم عدة مثل: علم اللسانيات، وعلم المنطق، وعلم الفلسفة، والسيمياء، واي تعريف له لابد من ان ينطلق من العلم الذي ينتمي اليه. فقد عرفت التداولية على انها احدث فروع العلوم اللغوية التي تعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الاقوال اللغوية وخصائصها خلال عملية التواصل. [4] لذا فهو علم لايهتم بالجانب اللغوي فحسب وانما يشمل الخطاب ومدى ملاءمته للموقف التواصلي. وقد عرفه جميل حمداوي على انه: دراسة النص او الخطاب الادبي وعلاقته بالسياق التواصلي والتركيز على افعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي واللفظي. [5]

يتضح ان التداولية كمصطلح جديد اخذ مساحة واسعة في الدرس اللغوي الحديث، وهو مصطلح شديد التكلف والعناية بالافعال الكلامية وهذه الافعال تطلق ويراد بها تحقيق اهداف في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع. [6] وان التداولية تختص "بدراسة المعنى كما

يوصله المتكلم(او الكاتب) ويفسره المستمع (او القارئ) لذا فانها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الالفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم)[٧]. وقد عرفت على انها تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للادلة اللغوية، في صلب احاديثهم وخطاباتهم، والتي تعني ايضاً كيفية تاويلهم لتلك الخطابات والاحاديث.[٨] لذا فان التداولية ليست علماً محضاً، بالمعنى التقليدي، وانما هو علم يعنى بآليات التواصل، ويترتب على ذلك دراسة الظواهر اللغوية واستعمالاتها، وفق علوم معرفية متعددة لذا فان التداولية تشكل شبكة من المفاهيم للعلوم المختلفة.

ثانياً/ آلية الخطاب التلميحي واثره في عملية التواصل:

لاشك أن التداولية أحد الأتجاهات التي ظهرت على ساحة الدرس اللساني، والتي تهدف الى دراسة النص في سياقه المستعمل داخلياً وخارجياً. ومن المسلم به أن خطاب الامام الحسن المجتبى عليه السلام يوصف بأنه خير معبر ومترجم للثورة ضد الظلم والاستعباد. فقد حملت موضوعات ذات سياقات دلالية ساهمت بشكل كبير في التاثير بالمتلقي، وكانت بلاغته عليه السلام لها دور فاعل في هذا التاثير، حيث استوعبت لغته القضايا الاجتماعية والدينية وفق انساق تركيبية شديدة الاحكام. لأن طبيعة اللغة تقوم بوظيفة تفاعلية تسهم وبشكل كبير في اقامة علاقات تواصلية، بوصفها اداة أتصال وتعامل بين الافراد.[٩] وقد مثلت خطب الامام الحسن هذا الدور التفاعلي بين المرسِل والمرسَل اليه، واقامة علاقة بينه وبين المخاطب عبر شفرات مشتركة تُدَعِم هذه العلاقة بوساطة الاسلوب التلميحي الذي عبر عنه عبد القادر الجرجاني بقوله في معنى الخطاب بالمعنى ومعنى المعنى والمعنى في منظوره هو: » ذلك المفهوم من ظاهر اللفظ والذي نصل اليه من غير واسطة، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك الى معنى آخر«[١٠] الذي استثمره الامام الحسن عليه السلام في خطابه لاحداث التأثير المطلوب. وإن خطاب الامام الحسن عليه السلام كان يراعي ظروف المرسل اليه ووضعه فكان خطابه غالباً لاياتي متطابقاً مع دلالة الوضع اللغوي حيث أن المعنى المقصود لا يكون هو المنى الحرفي. ففي خطبته عليه السلام يوم شهادة ابيه عليه السلام: «أيها الناس! في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع

بن ذي النون، وفي هذه الليلة مات ابي امير المؤمنين عليه السلام، والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الاوصياء الى الجنة، ولا من يكون بعده، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينهوميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله»[11] ابتدأ الخطاب الحسني عليه السلام بالفاظ وعبارات ذات دلالة على عمومية المخاطب (أيها الناس) اي ان الخطاب موجه الى الناس كافة وهذه الصيغة التلميحية مشتثمرة بشكل كبير في القرآن الكريم. قال تعالى: ((ياأيها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون))[12]، وقوله تعالى: ((ياأيها الناس كُلوا مما في الارضِ حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدُوٌّ مبين))[13] وقوله تعالى: ((ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوجها))[14] وقد وردت في عشرين موضعاً في القرآن الكريم، فهو خطاب موجه لعموم الناس وليس بمخصوص لشريحة المؤمنين، وفي خطاب الامام الحسن تلميح الى دعوة جميع الناس للدخول في الاسلام، فالاسلام حي وإن توفي أمير المؤمنين، ليأتي بعد ذلك ذكر مؤكدات هذا المعنى ((في هذه الليلة نزل القرآن، وفي هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون))[15] فهو يجمع الاديان جميعاً ويتقدمها الاسلام، ليصل الى مبتغاه ((وفي هذه الليلة مات امير المؤمنين عليه السلام)) فقد توفي المخصوص بالايمان لكن صفاته التي سيلي ذكرها هي عمومية لكل الناس، ففي شخصه عليه السلام تتمثل كل الفضائل والمكارم غير المخصوصة بالمؤمنين، وانما هي موجهة للناس كافة فتتجسد في شخصه الكريم الشجاعة ((والله لا يسبق أي احد كان قبله من الاوصياء الى الجنة، ولا من يكون بعده))[16] يضاف اليها صفات الايثار والكرم بقوله: ((وما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه))[17] فكان كثير العطايا لا يبقى شيئاً وإن كان هو أمير للمؤنين اضافة الى أنه كان يؤثر أهل بيته على نفسه((كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله))[18] فالمؤشرات اللغوية التي يشخصها النص تتجلى في خصائص العمومية فهو للناس وليس للمؤمنين فقط فلا أفضلية لعرق أو لون، وقد جمع الامام الاديان الثلاث بالامثلة التي ساقها. ليوصل المتلقي بالرابط الذي يربط الاديان جميعاً. وبعد هذا الخطاب

خنقته العبرة وبكى ليبكي الناس معه، ليستانف خطبته بقوله: » أنا ابن البشير أنا ابن النذير، انا ابن اداعي الى الله باذنه، انا ابن السراج المنير، انا من اهل بيت أذهب الله فرض الله مودّتهم في كتابه فقال تعالى: ((فلا أسالكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً))(الشورى/ ٢٣، فالحسنة مودتنا اهل البيت "[١٩] فبعد المقدمة الجامعة لكل اشكال واصناف المخاطب الديني، بدأ بتبيان هوية المرسِل والتعريف به على وجه التذكير والتنبيه لا على وجه الاستعلام والاستعجام» أنا ابن البشير، أنا ابن النذير» فهو مؤشر لغوي يجسد اغراضه عليه السلام في تنبيه المخاطب بصلة القربى بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ليقول بعدها « أنا من اهل بيت أهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً « ليكن الكلام أكثر تأثيراً بالدليل القرآني للتصديق بقضيته، واستمالة المتلقي، فما هي الا مؤثرات لفظية تحمل معاني عميقة استثمرها عليه السلام للتأثير بنفس المتلقي خوفاً على الدين وحرصاً على جمع شمل المسلمين بعد وفاة الامام علي عليه السلام لتأكيد فكرة أن نسل رسول الله ومن بعده الامام علي عليه السلام باقٍ أي أن الاسلام باقٍ ولا يموت بعد موت أحد ادعيائه. وخوفاً من الردة التي ظهرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد هذا التقديم المؤثر انبرى عبيد الله بن عباس فخر المسلمين الى المبادرة لمبايعته[٢٠]، قائلاً: "هذا ابن نبيكم، ووصي امامكم فبايعوه «[٢١] ليوضل المتلقي الى غاية الخطاب وفحوى الرسالة وهو المبايعة المشفوعة بالعلة « ابن نبيكم، ووصي أمامكم « وهو تذكير آخر للمتلقي (الناس) ليعيد ابن عباس الخطاب الحسني الى موجهاته الأولى (ايها الناس)، لن الامام الحسن عليه السلام ومن قبله رسول الله صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام لم يختصوا بدعوتهم على ملة أو دين وانما هي دعوة نبي الامة صلى الله عليه وآله الى الناس كافة. واستمر الامام علي وبنيه عليهم السلام بتجسيد تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله بأقوالهم وافعالهم.

وفي خطبة أخرى بعد الصلح الذي حضل بينه عليه السلام وبين معاوية الذي سبق بمواجهة بين جيش الامام عليه السلام وجيش معاوية قال عليه السلام في الرد على معاوية: » أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وابوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك فُتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا

قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً»[٢٢]. الملاحظ أن المخاطب مخصوص ظاهراً (ايها) إلا أنه يلمح الى العمومية ف(الذاكر علياً) يشمل (ايها الناس) التي ذكرها بعد وفاة الامام علي عليه السلام، فذكر علي خُلد بنسبه وعمله، ليعود من جديد ليذكر هذا النسب للمتلقي ولكن مع عقد مقارنة بين نسب الرسِل ونسب معاوية. والمقارنة معروفة الا أنها كانت واجبة في هذا الموضع بعد أن قال معاوية(("اما بعد، ذلكم فانه لم تختلف أمة بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها" قال الراوي: وانتبه معاوية لما منه، فقال: إلا ماكان من هذه الامة، فإنّ حقها غلب باطلها»))[٢٣] فكان رد الامام الحسن عليه السلام ببلاغة متناهية، عن طريق هذه المقارنة، ليعيد خطاب معاوية الى مقصده الأول وهو غلبة الباطل على الحق المتمثل بمعاوية الذي وصفه الامام ب: « واخملنا ذكراً، والامنا حسباً، وشرنا قديماً وحديثاً»، فالدلالات اللفظية التي انتخبها الامام في نصه تضع المتلقي أمام خيارين(الحق/ الباطل) دون أن يجعله في حيرة من أمره فالنسب هو الفيصل بين الحق والباطل لذا آثر المرسِل الرد البليغ ذو الدلالة العميقة على التصريح بذلك.

ثالثاً/ آلية الخطاب التضامني للامام الحسن عليه السلام أثره في عملية التواصل:

يسعى المرسل عادة لاستثمار آليات مختلفة ومتنوعة كي يحقق أهداف الخطاب، وإن الامام الحسن عليه السلام بما يملكه من مقدرة لغوية فائقة استطاع أن يوجه خطاباته بتشكلاتها المختلفة الى متلقٍ يفقه مكنوناته ويحاول ايجاد تفسيرات مناسبة لها. فالالية التضامنية تقوم على محاولة المرسِل تجسيد درجة علاقته بالمرسَل اليه، ومحاولة ازالة الفوارق الاجتماعية والمادية بينهما، مع اظهار الرغبة في الحفاظ عليها. [٢٤]وقد ترجم الخطاب الحسني هذه العلاقة باشكال متعددة ومتنوعة منها: إشعار المتلقي بالقرابة التي تجمعه بهم من جهة الدين والمرجع العقائدي مثل قوله عليه السلام: »أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي باذنه، أنا ابن السّراج المنير»[٢٥] وقد سبق وان بينا اثر هذا الخطاب على المتلقي. فالبشير والنذير هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وهوالصلة التي تجمع المسلمين جميعاًتحت مظلته، وهي علاقة مباشرة، أراد الامام توضيحها للمتلقي (على سبيل التذكير) كي يدخل الى مضمون الخطاب الرئيس.

وقد ترجم الامام الحسن هذه الآلية خير ترجمة، بما أظهره من علاقة ودّ ومحبة للمتلقي، بما يقتضيه سياق الخطاب. ففي خطبةٍ له عليه السلام يقول بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه

ومن والاه: « أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد اصبحت – بحمد الله ومنه- وانا انصح خلق الله لخلقه، وما اصبحت محتملاً على مسلمٍ ضغينةً ولا مريداً له بسوءٍ ولا غائلةٍ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفرقة»[٢٦] نلمح هنا العلاقة التضامنية غير المباشرة والمتمثلة بالنصح والارشاد والحث على جمع كلمة المسلمين والابتعاد عن الفرقة. لذا فقد تقدم هذا الخطاب حجة على النصح فقال عليه السلام: » أنا انصح خلق الله لخلقه»[٢٧] فحجت المرسِل انصح الخلق كدليل على القدرة المعرفية، والدينية، لما يخدم مصلحة الامة. ليُكمل المرسِل فكرته: » الا إن ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا عليَّ رأي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا»[٢٨]. بنيت الخطبة السابقة على مرتكزات ودعائم قوية، لتثبيت المسلمين والحث على لم شتات الامة فقضية اجتماع كلمة المسلمين انما هي قضية أزلية دعا اليها القرآن الكريم. قال تعالى: « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[٢٩] وقوله تعالى: » المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض»[٣٠] لذا فان اجتماع كلمة المسلمين لها القدرة والقوة على الوقوف بوجه الآخر المعادي لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وللاسلام والمسلمين. وقد استثمر الامام مقدرته اللغوية، لبيان غرضه من الخطاب ومنها اظهار صفة القرابة التي تجمعه بالمرسل اليه، التي تجسدت بخطابه الأول « انا ابن البشير، انا ابن النذير» ومن ثم الاعتماد على مرتكزات عامة: » وانا انصح خلق الله لخلقه» التي شكلت معززات معنوية تدعم الخطاب وتقويه كي يواجه خطاب الآخر المعادي بقوة لفظية ومعنوية. فهناك ملفوظات شكلت ظاهرة في الخطاب الحسني عليه السلام وهي خاصية التهذيب والابتعاد عن الالفاظ غير المؤدبة أو التي تحمل تهديداً أو وعيداً. فيقول عليه السلام: ألا وأني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا عليّ رأي، غفر الله لي ولكم وارشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا"[٣١] فالمحبة هي المحور الذي يجمع المرسِل بالمرسَل اليه والرضا هو المآل او النتيجة الحتمية للمحبة. لذا فان مبدأ التصديق بقضيته واجب على المتلقي ((فلا تخافوا امري ولا تردوا عليه رأي)) وقد شفع هذا بعلة مسَبّقة في مقدمة الخطبة ((انا انصح خلق الله لخلقه)). إن آليات الامام الحسن عليه السلام شكلت استراتيجية

خطابية توجيهية لما يجلب المنفعة والمصلحة للاسلام والمسلمين، وابعاد الضرر عن الدين. وقد آثر اسلوب ((الاقناع التهذيبي)) دون أن يمارس اسلوب الضغط والاكراه على المرسل اليه، بالرغم من أن أكثرهم كانوا متخاذلين، وبالرغم من أمتلاكه سلطة بوصفه صاحب قضية إلا أنه لم يستغلها تجاه المرسل اليه وإنما آثر الترفق والين والاقناع تيمناً بقوله جلّ وعلا لرسوله الكريم (ﷺ): » فبما رحمةٍ من الله لِنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلبِ لانفظوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عَزَمْتَ فَتَوكّل على الله إن الله يُحِبُّ المُتَوَكِّلينَ»[٣٢] فالرحمة التي اوضعها الله سبحانه قي قلب نبيه ﷺ، تجاه الناس ليقيل عثراتهم ويحمل الاذى منهم، ويغض الطرف عما بدر منهم، هي مبادئ نبوية تعلمها الامام الحسن عليه السلام وتربى عليها وتشربها، فالغلظة انما هي غلظة القول والعمل اي الابتعاد عن اغلاظ القول للمتلقي لان غلظة القول يقابها عزوف المرسل اليه، وعدم مناصرته للمرسل (الامام الحسن عليه السلام).

وقد كان هذا الاسلوب صفة عامة للخطاب الحسني الشريف، حتى في استنفار الناس على الجهاد، تجده دائماً يخرج عن الامر الى اسلوب التوجيه، الذي يتضمن الارشاد لايصال المتلقي الى حالة من الاقناع. ومنه قوله عليه السلام: » فاني لا أقول لكم إلا ما تعرفون أن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب أرشد الله امره وأعز نصره بعثني إليكم، يدعوكم الى الصواب والى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان عاجل ذاك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله. وقد علمتم أنّ علياً صلى مع رسول الله ﷺ وحده وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه ثم شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم. ولم يزل رسول الله ﷺ راضياً عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده»[٣٣] لاشك أن الجهاد أمر لابد منه وهو واجب من واجبات المسلمين اذا ما اقتضى الامر اضافة الى أن طاعة أولى الامر واجبة قال تعالى: ((ياأيها الّذين آمنوا أطيعوا الله أطيعوا الرّسُول وأُلي الأَمر منكم))[٣٤]. الا أن الامام الحسن آثر اسلوب الاقناع بالحجة والدليل لا بالاكراه والاجبار. وهذا الاسلوب يولد شكل من اشكال التضامن العاطفي بين المرسِل والمرسل اليه. فقد بدأ الامام (عليه السلام) باسلوب تهذيبي

وهو نفي صفة الجهل عن المخاطب» فإني لا اقول لكم الا ما تعرفون» وهذا اسلوب محبب للمرسل اليه، ثم أن ما سيقال صادر عن الامام علي عليه السلام الذي صدق برسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في العاشرة من عمره، وقاتل في سبيل الاسلام ولم يتخلف عن اي موقعة أو لاي طلب يطلبه رسول الله صلى الله عليه وآله فهذه جميعها معززات للخطاب تجعل المتلقي أمام أنموذجاً (ألامام علي عليه السلام) لابد من أن يستجاب لامره دون الشعور بالاكراه والاجبار الذي قد يمارس في مثل هذه المواقف الحاسمة. مع ادراك مسبق من المرسِل أن هذا الامر هو مكروه

عندكم الآن الا ان آجله محمودة عواقبه. وهذا اسلوب تضامني اتحادي بمعنى ان يوجد المرسِل اتصال بينه وبين المرسل اليه من خلال أفكار تنبوئية أي أنه يدرك ماقد يفكر به المتلقي لذا آثر أن ياتي بما يجنبه القلق من المآل. [٣٥] الذي ينتظره من الجهاد. وهذا مايعرف بالحجاج التداولي[٣٦] حيث ان المرسِل يقوم بدور كبير في أختيار الحجج المقنعة، والادلة المناسبة لاقناع التلقي، فمنهج الامام الحسن عليه السلام في خطابه التداولي يتعدى حدود البنى اللغوية باشكالها الظاهرة، الى استنطاق النصوص لظاهرة التواصل الانساني عبر منهجية منبعها القرآن الكريم بما يتضمنه من قوانين أزلية في التعامل مع الآخر.

الخاتمة:

يمكن تلخيص نتائج البحث بما يأتي:

١. توصف التداولية على انها أحد اتجاهات الدرس اللساني الحديث والمعاصر، والذي يهدف الى دراسة الخطاب في سياقه المستعمل داخلياً وخارجياً.

٢. يشكل خطاب الامام الحسن عليه السلام معلماً دينياً واجتماعياً. حظي باهتمام الدارسين، لما يملكه من وسائل تعبيرية قادرة على استكشاف علامات منطقية وربطها بسياقات متعددة لتظهر للمتلقي بشكل ملائم للموقف التواصلي.

٣. واذا ما حاولنا ايجاد تعريف لهذا المصطلح فاننا سنواجه بصعوبة تحديد تعريف موحد وشامل لعلاقته بعلوم عدة مثل: علم اللسانيات، وعلم المنطق، وعلم الفلسفة، والسيمياء، واي تعريف له لابد من ان ينطلق من العلم الذي ينتمي اليه. فقد عرفت التداولية على انها احدث فروع العلوم اللغوية التي تعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الاقوال اللغوية وخصائصها خلال عملية التواصل.

٤. ان التداولية كمصطلح جديد اخذ مساحة واسعة في الدرس اللغوي الحديث، وهو مصطلح شديد التكلف والعناية بالافعال الكلامية وهذه الافعال تطلق ويراد بها تحقيق اهداف في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع.

٥. التداولية تختص «بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم(او الكاتب) ويفسره المستمع (او القارئ) لذا فانها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الالفاظ منفصلة. التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم.

٦. التداولية ليست علماً محضاً، بالمعنى التقليدي، وانما هو علم يعنى بآليات التواصل، ويترتب على ذلك دراسة الظواهر اللغوية واستعمالاتها، وفق علوم معرفية متعددة لذا فان التداولية تشكل شبكة من المفاهيم للعلوم المختلفة.

٧. أن خطاب الامام الحسن المجتبى عليه السلام يوصف بأنه خير معبر ومترجم للثورة ضد الظلم والاستعباد. فقد حملت موضوعات ذات سياقات دلالية ساهمت بشكل كبير في التاثير بالمتلقي، وكانت بلاغته عليه السلام لها دور فاعل في هذا التاثير، حيث استوعبت لغته القضايا الاجتماعية والدينية وفق انساق تركيبية شديدة الاحكام.

٨. مثلت خطب الامام الحسن هذا الدور التفاعلي بين المرسِل والمرسَل اليه، واقامة علاقة بينه وبين المخاطب عبر شفرات مشتركة تُدَعِم هذه العلاقة بوساطة الاسلوب التلميحي.

٩. يسعى المرسل عادة لاستثمار آليات مختلفة ومتنوعة كي يحقق أهداف الخطاب، وإن الامام الحسن عليه السلام بما يملكه من مقدرة لغوية فائقة استطاع أن يوجه خطاباته بتشكلاتها المختلفة الى متلقٍ يفقه مكنوناته ويحاول ايجاد تفسيرات مناسبة لها.

١٠. الالية التضامنية تقوم على محاولة المرسِل تجسيد درجة علاقته بالمرسَل اليه، ومحاولة ازالة الفوارق الاجتماعية والمادية بينهما، مع اظهار الرغبة في الحفاظ عليها.

١١. ترجم الخطاب الحسني هذه العلاقة باشكال متعددة ومتنوعة منها: إشعار المتلقي بالقرابة التي تجمعه بهم من جهة الدين والمرجع العقائدي ١٢) ترجم الامام الحسن عدة آليات خير ترجمة، بما أظهره من علاقة ودّ ومحبة للمتلقي، بما يقتضيه سياق الخطاب.

١٢. يوجد المرسِل اتصال بينه وبين المرسل اليه من خلال أفكار تنبوئية أي أنه يدرك ماقد يفكر به المتلقي لذا آثر أن ياتي بما يجنبه القلق من المآل. الذي ينتظره من الجهاد. وهذا مايعرف بالحجاج التداوليحيث ان المرسِل يقوم بدور كبير في أختيار الحجج المقنعة، والادلة المناسبة لاقناع التلقي، فمنهج الامام الحسن عليه السلام في خطابه التداولي يتعدى حدود البنى اللغوية باشكالها الظاهرة، الى استنطاق النصوص لظاهرة التواصل الانساني عبر منهجية منبعها القرآن الكريم بما يتضمنه من قوانين أزلية في التعامل مع الآخر.

الهوامش:

١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا ابو الحسن (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: مادة/ دول.

٢) معجم اساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨، ج١: ٣٠٣.

٣)معجم لسان العرب، ابن مظور، دار صادر. بيروت، لبنان، مج٥، ط١، ١٨٦٣: ٣٢٧.

٤) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢: ١٩.

٥) ينظر: التداولية وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، ط١، ٢٠١٥: ٤.

٦) ينظر: التداولية النشأة والتطور، هديل حسن عباس، جامعة بغداد: ٣.

٧) التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١_٢٠١٠: ١٩.

٨) ينظر: مدخل الى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، دلاش الجيلالي، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د. ت: ١.

٩) ينظر: تحليل الخطاب، جب براون، دار النشر العلمي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤: ٣.

١٠) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥: ١٧٨.

١١) امالي الصدوق، الشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميت٢٨١)، تق: الشيخ حسين الاعلى، مؤسسة الاعلى، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩: ١٩٢.

١٢) البقرة/ آية ٢١.

١٣) البقرة/ آية ١٦٨.

١٤) النساء/ آية ١.

١٥) أمالي الصدوق: ١٩٢.

١٦) م. ن.

١٧) م. ن.

١٨)امالي الصدوق: ١٩٢.

١٩) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان(٣٣٦هـ - ٤٣١هـ)، تح: مؤسسة أهل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٣: ٢/ ٨.

٢٠)ينظر: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٨.

٢١) م. ن: ٢/ ٨.

٢٢)الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٥.

٢٣) الارشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٥.

٢٤) ينظر: ستراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة،

ط١، ٢٠٠٤: ٢٥٧.

٢٥) الارشاد في حجج الله على العباد: ٢/ ٨.

٢٦) م. ن: ١١.

٢٧) م. ن: ١١.

٢٨)م. ن.

٢٩) آل عمران/ آية١٠٣.

٣٠)التوبة/ آية ٧١.

٣١) الارشاد في حجج الله على العباد: ١١.

٣٢) آل عمران/ آية ١٥٩.

٣٣) بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ: ٣٢/ ٨٩.

٣٤) النساء / آية ٥٩.

٣٥)ينظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري: ٣٦٠.

٣٦) ينظر) المنهاج في ترتيب الحجاج، ابو الوليد الباجي، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠: ٨.

مصادر البحث:

*الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان(٣٣٦ه – ٤٣١ه)، تح: مؤسسة أهل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.

*اساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.

*امالي الصدوق، الشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميت٢٨١)، تق: الشيخ حسين الاعلى، مؤسسة الاعلى، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

*بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

*بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢.

*تحليل الخطاب، جب براون، دار النشر العلمي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤.

*التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١_ ٢٠١٠.

*: التداولية وتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، ط١، ٢٠١٥.

*التداولية النشأة والتطور، هديل حسن عباس، جامعة بغداد – رسالة ماجستير–

* دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٥.

*ستراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤: ٢٥٧.

*لسان العرب، ابن مظور، دار صادر. بيروت، لبنان، مج٥، ط١، ١٨٦٣.

*مدخل الى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، دلاش الجيلالي، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د. ت.

*مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا ابو الحسن (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

*المنهاج في ترتيب الحجاج، ابو الوليد الباجي، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠.

التسامح في الخطاب الفكري
للإمام الحسن عليه السلام

د . مها توفيق شبيطه

الملخص

عندما كان الفكر الإسلامي فتياً، كان قادرا على هضم الاختلاف والتنوع، فساد التسامح والتعايش السلمي القائم على الاستواء في الحقوق بين مختلف مكونات المجتمع الإسلامي، اذ تميزت الفترة التي اعقبت تولي الخلفاء الراشدين، بالتعصب والفتن والارهاب المنظم من قبل بني أمية، وعلى رأسهم معاوية بن ابي سفيان؛ ومن هنا تجسدت فكرة البحث لإبراز سمة السماحة والحلم والعفو التي تميز بها الإمام الحسن عليه السلام، ونبذه للعنف والتعصب، فاتسمت الرحلة في ركام النصوص التي تحدثت عن شخصية الإمام بالتنقيب والاستكشاف، لإبراز النضج السياسي للإمام، وبانه قارئ واع للمشهد السياسي، ومفكر بارع، يستطيع الإحاطة بنزعات النفوس وتخالجاتها، قادر على تجاوز الحدود الظاهرية منسابا إلى حجاج القلوب، من خلال تبنيه خطاب فكري يسعى لتعزيز الأمن والسلم وبناء أسس قوية للمجتمع الإسلامي. فقاد الإمام الحسن تياراً فكرياً، تبنى فيه التسامح، لبناء مدرسة ذات بعد فكري يستطيع من خلالها تغيير المجتمع الإسلامي الذي انقلب على المبادئ والاخلاق الإسلامية السمحة، وساد بذلك الجمود الفكري والركود العلمي بسبب الاضطراب السياسي الاجتماعي، الذي عم أرجاء الدولة الإسلامية نتيجة الصراع على السلطة، وسيادة الظلم والفساد والارهاب.

Abstract

When the Islamic thought was young, it was able to digest the difference and the diversity, so tolerance and peaceful coexistence had prevailed through equality in rights among the Islamic Society's Spectra. As the era after the righteous Caliphs was full of intolerance, sedition and organized terrorism by the Umayyad's on the top of them was Mua'wya Bin Abu Sufyan, so the idea of research arose to show the eminence and pardon feature characterized by Imama Hasan and his rejection to violence and intolerance. So, the journey through contexts about the Imam was characterized by prospecting and exploration to accentuate the political maturity of the Imam and his insightful reading of the political view and that he is a witty thinker who can surrounds the tendencies of souls and exceeded the visible borders to heart's infections by adopting thoughtful speech to reinforce security and safety and building strong bases for the Islamic Society. He adopted an intellectual current of tolerance to build a school of a thoughtful dimension that can change the Islamic Society who turned on its principles and the Islamic manners of tolerance which led to intellectual inertia and scientific stagnation which spread throughout the Islamic Society according the conflict on authority and the spread of injustice, corruption and terrorism.

مقدمة:

الإنسان هو هدف الإسلام، لذلك نظم الإسلام علاقات الإنسان بالإنسان على أسس من المحبة والعدالة والتضامن، والبعد عن الايذاء بكل صوره وأشكاله، وعلى أسس حسن المعاملة، واللطف بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ كالتسامح والرحمة، واللطف واللين، والتيسير والرفق، والسماحة، صوناً لكرامة الإنسان، وتعظيماً لقدرته ومكانته عند الله.

فالإسلام جاء رسالة قدسية في تكريم الإنسان، انطلاقا من نظرة شامله للكون والحياة الإنسانية، بمختلف جوانبها وتجلياتها الروحية والعقائدية والاجتماعية، وتميزت هذه النظرة بطابعها الفلسفي الشمولي للعمق الإنساني، فالإسلام دين عالمي، يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم، وترسي دعائم الأمن والسلام على الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً، التعايش القائم على الإخاء والتسامح بين كل الناس، بغض النظر عن أجناسهم والوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم، فالجميع ينحدرون من نفس واحدة. (زقزوق، ٢٠٠٣، ص: ٤)

وتأكيدا على ذلك، من المفروض أن يتعاظم الدور الذي يقوم به الخطاب الفكري الإسلامي العربي، لتعزيز الأمن والسلم، ولبناء أسس قوية لمجتمعاتنا العربية، تسود فيه قيم التعايش ومبادئ التسامح، وقواعد الحوار بين مختلف أوجه مجتمعنا الإسلامي، فخطابنا الفكري كمجتمعات عربية ليس موحداً، بل ضيق الفعل والتأثير، وأصبح صعب الفهم للكثير وخصوصا فئة الشباب، التي تعد الفئة الأعلى سكانا، حيث تصل في أغلب الدول العربية لأكثر من ٤٠٪ من نسبة عدد السكان، وهي الفئة الأكثر تأثراً بالأحداث الداخلية والخارجية، فعمليات غسيل الدماغ لاستقطاب هذه الفئة؛ تعمل لمصالحهم، وتبني عقولاً وتصوغ وجداناً، وتقوي فيهم إرادة العمل، وتزكي جذوة الحماسة من أجل تغيير يكون في صالح هذا الحزب أو ذاك، هذه الحركة السياسية أو تلك، لذا أصبحت هذه الفئة مضلله، مغيبه عن واقعها، وأصبح انقيادها سهلاً.

لـذا فـإن المتمعـن في أحـوال البـلاد الإسـلامية عـلى اختـلاف أمكنتهـا وأقطارهـا، يلاحـظ ويـدرك مـا تعانيـه هـذه البـلاد مـن مشـاكل سياسـية واقتصاديـة وثقافيـة واجتماعيـة عديـدة، وإذا مـا تعمـق في هـذه المشـاكل، فإنـه يجـد أنهـا عـلى الرغـم مـن تعددهـا وتنوعهـا ترجـع إلى أسـباب رئيسـيه وأساسـية، يـأتي في مقدمتهـا تخـلى المسـلمين عـن التطبيـق الكامـل السـليم لأحـكام دينهـم في كافـة شـؤون حياتهـم، ثـم ضعفهـم الفكـري والتربـوي في حـاضر حياتهـم، فهـم مـا وقعـوا فيـما وقعـوا فيـه مـن مشـاكل وتأخـر إلا بعـد أن انسـلخوا عـن أحـكام دينهـم وأهملـوا مـا فيـه مـن معـاني القـوة والعـزة، مـن دعـوة إلى الإسـلام والعلـم النافـع والعمـل الصالـح والجهـاد في سـبيل الله، وبعـد الضعـف الفكـري الـذي طـرأ عـلى أذهـان المسـلمين في فهـم الإسـلام وإهمالهـم طريقـة الإسـلام في التربيـة والتعليـم، وأصبحـوا مقلديـن لغيرهـم في كافـة أنظمـة حياتهـم (السياسـية، والاقتصاديـة، والتشريعيـة، والتعليميـة). (الشـيباني، ١٩٩٣)

ولتغيـير هـذه النظـرة إلى الإسـلام، الـذي يعتـبر التسـامح شرطـاً أساسـيّاً لتحقيـق السـلام في المجتمعـات الإنسـانية، نجـد أن الله سـبحانه وتعـالى يوجـه خطابـه في القـرآن الكريـم للعقـل الإنسـاني لتربيـة النفـس الإنسـانية وتحقيـق الـذات، كـما يأمـر باسـتخدام أسـلوب التنبيـه والتوجيـه بالتسـامح والاحـترام والحياديّـة، لقولـه تعـالى: (لاَ يَنْهَاكُـمُ اللهُ عَـنِ الَّذِيـنَ لَمْ يُقَاتِلُوكُـمْ فِي الدِّيـنِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُـمْ مِـنْ دِيَارِكُـمْ أَنْ تَبَرُّوهُـمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِـمْ إِنَّ اللهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِـطِينَ) [الممتحنـة: ٨]. وخـير قـدوة لنـا في تطبيـق التسـامح الفعـال والتعايـش الإيجـابي بـين النـاس رسـولنا الكريـم سـيدنا محمـد ﷺ، والصحابـة رضـوان الله عليهـم الذيـن اقتـدوا بسـيد البشريـة، ونحـن نكمـل مسـيرة الأئمـة وأولهـم سـيد الجنـة الإمـام الحسـن عليه السلام ونقتـدي بـه ونسـير عـلى خطـاه. (عصفـور، ٢٠٠٦)

لـذا ارتأينـا أن نتحـدث عـن التسـامح في الخطـاب الفكـري للمجتبـى، مـن خـلال القـاء الضـوءً عـلى حيـاة الإمـام الحسـن عليه السلام باعتبـاره معلـماً فكريـاً، كـما أنـه يشـكل جزئيـة مـن جزئيـات البنـاء الخطـابي لـدى الإمـام، هـذا البنـاء الـذي يعـد مكنـزاً كشـفياً يضطـم عـلى حقائـق عظيمـة المضمـون، وقـوادح عاليـة البنيـان.

ولما سبق ظهرت إشكالية البحث؛ والتي تتلخص في: العديد من التساؤلات، ومنها: بماذا تتسم حياة الإمام الحسن(عليه السلام)؟ هل شكل العنف والظلم مدعاة في حياة الإمام الحسن؟ هل أثر التسامح على خطاب الإمام الحسن الفكري؟

ماذا نعني بالتسامح؟

وما يميّز المجتمع الإنساني في طبيعة حركته، أنه لا يحتاج إلى حركة جماعية من جميع أفراده لكي يحقّق ما يريده من أهداف، فوجود مجموعة تدعو فيه إلى الخير قادرة على المضي قدمًا بركب مجتمعها إلى برّ التقدّم، وبلوغ الأهداف العالية التي ترسمها له يمكّن أي مجتمع من بلوغ أهدافه، وهذا ما ترشد إليه الآية الكريمة في قوله تعالى :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿آل عمران، ١٠٤)، حيث يفرض الله تعالى في هذه الآية على المسلمين أن تنبري منهم «أمّة»، مجموعة تدعو إلى الخير من خلال ما تأمر به من معروف وتنهى عنه من منكرات الأفعال وقبائحها، فالإنسان في المفهوم القرآني لا يكون مسؤولاً عن نفسه فقط فيما يرتبط بالالتزام بالعبادات والضوابط الشرعية، بقدر ما هو مسؤول عن محيطه .(شعبان، ٢٠٠٥)

لكن الأديان بحكم انتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلاّ بالخير، والحق، والصلاح، ولا تدعو إلاّ بالبِرّ، والحب، والرحمة، والإحسان، ولا توصي إلاّ بالأمن، والسلم، والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتّثاقف، ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهّمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ويستغلّون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبَى الله تعالى أن يمنحها لأنبيائه الأخيار، فالإسلام من جهته يعترف بوجود الغير المخالف فرداً كان أو جماعة، ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصوّر والممارسة، تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً، ويكفي أن نعلم أن القرآن الكريم قد سمّى الشِّرك ديناً على الرغم من وضوح بطلانه، لا لشيء إلاّ لأنه في وجدان معتنقيه دين .(الغشيمي وسعد، ٢٠١٣)

لـذا أتسـمت الحضـارة الإسـلامية عـلى مـر العصـور في مشـارق الأرض ومغاربهـا، بالقيـم الفاضلـة، والمعـاني الإنسـانية النبيلـة، التـي مـن شـأنها أن تحافـظ عـلى كرامـة الإنسـان، واحترامـه كإنسـان، فبقـول الحـق تبـارك وتعـالى « فلقـد كرمنـا بنـي آدم « وعـلى قيمـه الدينيـة والاجتماعيـة وعـلى عاداتـه وتقاليـده، ولـهُ الحـق أن يعيـش في أمـن ووئـام مـع أفـراد المجتمـع الـذي يعيـش فيـه.

وقـد أشـارت بعـض الآيـات المباركـة، والعديـد مـن الأحاديـث النبويـة الشريفـة، إلى دور أهـل البيـت عليهم السلام إلى طبيعـة التعامـل، وحسـن المعاملـة، ومبـدأ التسـامح مـع الآخريـن، وطَهَّـر قلوبهـم تطهيراً « ومـن خـلال متابعـة الفـرد لتاريـخ أهـل البيـت يتبـين أن أهـل البيـت عليهم السلام قدمـوا عـبر التاريـخ عطـاءً فكريـاً وثقافيـاً وعقائديـا،ً وهـم امتـداد لثقافـة النبـي الأعظـم صلى الله عليه وآله، والجديـر بالذكـر أن النظريـة الإسـلامية في فكـر أهـل البيـت عليهم السلام كانـت تسـير وفـق فكـر واحـد، ورؤيـة واحـدة للأفـكار والأحـداث والحقائـق الاجتماعيـة عـبر تاريـخ أهـل البيـت ابتـداءً مـن الأمـام عـلي عليه السلام إلى آخـر أئمـة الهـدى، ولا يوجـد اجتهـاد، أو خـلاف، أو اختـلاف في المواقـف، لأنهـم تلقـوا العلـم في مدرسـة واحـدة هـي مدرسـة الرسـول محمـد صلى الله عليه وآله، فأخـلاق الرسـول الكريـم» صلى الله عليه وآله وأهـل بيتـه وصحابتـه الأخيـار المنتجبـين تقـوم عـلى العديـد مـن الصفـات، منها(يـسري، ٢٠٠٥): التسـامح والإخـاء الإنسـاني؛ ففـي فتـح مكـة كان كثـير مـن الأعـداء وحتـى الأصدقـاء ينتظـرون أن تسـفك الدمـاء، وتؤخـذ الثـارات، وتثـار الفتـن والهـرج والمـرج في مكـة، وينتقـم أصحـاب محمـد عليه السلام مـن المشركـين والكفـار الذيـن تعاملـوا مـع المؤمنـين معاملـة بشـعة وعرضوهـم إلى انـواع التعذيـب الجسـدي والنفسـي في مكـة وخارجهـا، حيـث أفـرزت هـذه الأحقـاد شـعارات كان يرددهـا قـادة الفتـح منهـا: (اليـوم يـوم الملحمـة، اليـوم تسـبى الحرمـة، اليـوم أذل اللهُ قريشـاً) ولكـن عندمـا سـمع الرسـول صلى الله عليه وآله سرعـان مـا بـادر انطلاقـاً مـن المبـادئ الأخلاقيـة إلى شـعار (أدفـع السيئـة بالحسنـة) إلى أن عفـى عـن الجميـع، وأطلـق كلمتـه المشـهور (اذهبـوا فأنتـم الطلقـاء) ثـم أمـر صلى الله عليه وآله أن يسـتبدل الشـعار الانتقامـي بشـعار آخـر نقيـض يفيـض احسـاناً ورحـة وكرامـة هـو (اليـوم يـوم المرحمـة، اليـوم أعـز اللهُ قريشـاُ) لقـد أحـدث هـذا الموقـف تغييـراً كبـيراً في أفـكار أهـل مكـة مـن دعـوة النبي صلى الله عليه وآله حتـى إنـهُ عـلى حّـد وصـف الآيـة الكريمـة بـدءوا يدخلـون إلى ديـن الله افواجـاً. (الغشـيمي وسـعد، ٢٠١٣)

فالتسامح مصطلح يُستخدم في المجالات الاجتماعية والثقافيّة والدينيّة، والهدف منه وصف اتجاهات أو سلوكيّات تتصف بالتسامح والاحترام، إذ يعبّر هذا المصطلح عن التسامح الديني في المقام الأول الذي يتمثّل بين الطوائف والأقليات الدينية. وهناك ارتباط وثيق بين التسامح والحوار الصحيح والسليم، فبالحوار يتحقق الإثراء الفكري، وتترسّخ القيمة الأخلاقية بالتسامح بين الناس، وحب التعاون، إذ لا تقتصر الفائدة والحاجة للحوار على فك الخلافات والنزاعات، كما لا تقتصر على مستوى المجتمعات بل تتعدّى المنفعة لتصل لمستوى الأمم والشعوب. ما زال التسامح من المفاهيم المثيرة للجدل حتى وقتنا الحالي، ويعود السبب في ذلك إلى عدم العمل، والاجتهاد في الارتقاء بمستوى المبادئ والأخلاقيات الفعلية في مجتمعاتنا، كما هو الحال في سلوكيات أخرى مثل الحب والاحترام. (الوريمي، ٢٠١٥).

لذا يجب تسليط الضوء على التسامح والذي تتمثّل أهميته في كونه ذا بُعد وُجودي، فقد اقتضت سُنّة الوجود أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمّعات بشرية، وهي وإن اتّفقت في ما يجمع بينها من وحدة الأصل والحاجة إلى التجمّع والحرص على البقاء والرغبة في التّمكّن من مقوّمات الحياة والسّعي في إقامة التمدّن والعمران والتَّوق إلى الارتقاء والتقدّم فإنها قد تباينت في ما تتفرّد به كل مجموعة من خصوصية عرقية ودينية وبيئية وثقافية، وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة الوجودية فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾﴿ الحجرات، ١٣﴾

من ذلك نتبيّن أن، التنوّع بين الناس أفراداً وجماعات، ما كان انحرافاً ولا شذوذاً ولا مُروقاً، بل كان من طبيعتهم البشرية، ومن أصل خلقتهم الآدمية، فهو ظاهرة ضرورية اقتضتها الفطرة الإنسانية، واستلزمتها النشأة الاجتماعية.

وقد ألمع القرآن إلى ضرورة هذا الاختلاف النمطي، وإلى حتمية وجوده، حتى يتمكّن كل فرد وكل مجتمع من العيش حسب ما لديه من إرادة وحرية واختيار وبالطريقة التي يهواها ويرتضيها: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود، ١١٨)

وهكذا نلحَظ، أن الغاية من اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل، وتنوعهم إلى ثقافات ومَدَنيات

إنما هو التعارف لا التَّناكر، والتعايش لا الاقتِتَال، والتعاون لا التَّطاحن، والتكامل لا التعارض، وبات واضحاً أن أهمية التسامح الديني تتمثّل في كونه ضرورياً ضرورة الوجود نفسه.

لكن كتب اللغة ومعاجمها المعتبرة التي استعان بها الكثير من مفسري القرآن، تضع مفردة التساهل مرادفاً لمفردة التسامح، ويشير: «ابن منظور في لسان العرب» إلى التسامح والتساهل باعتبارهما مترادفين، ولهذا، فإن الأصل في الإسلام هو التسامح، وقد كان رسالة عالمية منفتحة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» مما يدل على السلم والمسالمة والصلح والرحمة.

ولتعريف التسامح من الناحية اللغوية، حيث التسامح في لغة العرب: من السماح والسماحة الجود. سمح به يسمح بالفتح فيها سماحا وسماحة: أي جاد وسمح له أي أعطاه. والمسامحة والمساهلة وتسامحوا تساهلوا. والإسماح لغة في السماح يقال سمح أسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء؛ وقيل إنما يقال في السخاء سمح؛ وقولهم الحنيفية السمحة؛ ليس فيها ضيق ولا شدة. ويطلق التسامح ويراد به أيضا معاني قريبة منه مثل: الرحمة، والعفو، والمغفرة، والصلح، والصفح، وكذلك تطلق هذه المعاني ويراد بها التسامح، ولأجل قرب المعنى بينها وبين التسامح فسوف نتعرض لتعريفها كذلك. تعريف الرحمة: والرحمة في اللغة: الرقة والتعطف والمرحمة مثله وقد رحمه بالكسر رحمةً ومرْحمةً أيضا، وترحم عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا. تعريف العفو: فالعفو في اللغة له معانٍ كثيرة منها: الإسقاط، كما في القرآن حكاية عن المؤمنين: (واعفُ عنا) أي بإسقاط الذنوب. وكذلك من معاني العفو الذهاب والطمس والمحو. وفي الاصطلاح الشرعي: فيستعمل الفقهاء العفو غالبا بمعنى الإسقاط والتجاوز، ويختلف العفو عن الصلح في كون الأول إنما يقع ويصدر من طرف واحد، بينما الصلح إنما يكون بين طرفين. ومن جهة أخرى: فالعفو والصلح قد يجتمعان كما في حالة العفو عن القصاص إلى مال. تعريف المغفرة: والمغفرة وهي من الغفر مصدر غفر، وأصله الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ أي أستر. وفي الاصطلاح: أن يستر القادر القبيح الصادر ممن هو تحت قدرته. والفرق بين العفو والمغفرة أن العفو يقتضي إسقاط اللوم والذم ولا يقتضي إيجاب الثواب، والمغفرة تقتضي إسقاط العقاب وهو: إيجاب الثواب، فلا يستحقها إلا المؤمن المستحق للثواب. (الفيروز آبادي، ١٩٨٧)

وقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة اختلاف الشعوب والقبائل « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ .» ﴿ يونس، ٩٩ ﴾ ، « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ» ﴿ الغاشية، ٢٢ ﴾ « إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ « ﴿ الزمر، ٤١ ﴾ ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) »

إن هذه المنطلقات الفكرية التي وردت في القرآن الكريم أعطت زاداً فكرياً ونظرياً لممارسات إسلامية متقدمة خصوصاً، في عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعد لدرجة كبيرة، بشأن اعتماد التسامح خصوصا وقد وردت تطبيقاته في العديد من الوثائق النظرية، والاتفاقيات، والمواثيق السياسية. كما أنها شكلت نقيضاً لممارسات أخرى، لا تتسم بالتسامح باعتبارها خروجاً وتعارضاً مع هذه النصوص المقدسة خصوصاً القرآن الكريم، والسُّنة المحمدية بعد الكتاب .(الغشيمي وسعد، ٢٠١٣)

إذ يجسد التسامح الإسلامي فكرتين جوهريتين، الأولى: الإنسانية، إذ أن الإنسان ابتداء مخلوق مكرمّ، كرمه الله، وأسجد له ملائكته: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿ الإسراء، ٧٠ ﴾ ، ومن ثَم؛ فالآية تؤصل لقيم الإنسان عموماً ومكانته في الوجود، وتشير إلى الكينونة البشرية ذاتها لا إلى ما تحمله من تصورات وأفكار، إذ بها يبرز التباين والتمايز والاختلاف في مراتب التكريم، كما بين هذا قول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات، ١٣ ﴾ إذ نلحظ مطلق الخطاب وعمومه للناس دون تخصيص، ثم تمييزها بعدها للمخاطبين ومراتبهم. والفكرة الثانية: تحقيق الوجود الفاعل للإنسان، اذ يحقق التسامح سبلا للتواصل بين الناس مع اختلاف أفكارهم، وتباين اتجاهاتهم ورغباتهم، ويحقق اكتشاف القيم المشتركة العابرة للحدود التي ترسمها اختلافات الدين والثقافات، التي يلتقي فيها البشر، لا كمنتمين لأديان مختلفة، ولكن كبشر، مع تأكيد أن الإسلام، لا يكتفي بالتسامح كمسلك خلقي مقصود لذاته، فهو غائي في فهم

هذين الباعثين، تغلب فيه المصالح المادية، والذوقيات الشكلية، أما التسامح الإسلامي لا ينفصل عن تصور الإسلام الكلي للوجود والإنسان، وأثر اخلاقياته في حياته وحياة الآخرين، ومن ثم كانت هذه الدعوة لعامة الناس والبيان لهم في قوله تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران، ٦٤﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات، ١٣﴾، إذ أن الاثنين تؤسسان لمبدأ التواصل مع الآخرين، وذلك لإقامة مراد الله في الأرض، وتحقيق سعادة الإنسان المستعمر فيها.

لكن التسامح يعني أن يكون المرء حراً في التمسك بمعتقداته، وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم، كما أن الاختلاف من طبيعة الاشياء، فلا بد من الإقرار باختلاف البشر بطبعهم ومظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، وهذا يقود إلى الإقرار بحقهم في العيش بسلام ودون عنف أو تمييز لأي سبب كان: دينياً او قومياً أو لغوياً أو اجتماعياً أو جنسياً أو ثقافياً أو سياسياً، واذا لم يرد ذكر التسامح لفظا في القرآن الكريم إلا أن ما يفيد عليه أو يقاربه أو يدل على معناه قد جاء، حيث تمت الدعوة إلى: التقوى، والتشاور، والتآزر، والتواصي، والتراحم، والتعارف، والعفو، والصفح، والمغفرة، وعدم الإكراه، وكلها من صفات التسامح، مؤكدةً حق الاختلاف بين البشر و»الاختلاف آيات بينات»، ويشير ابن منظور في لسان العرب إلى التسامح والتساهل باعتبارهما مترادفين، ويقول (الفيروزآبادي في القاموس المحيط): المساهلة والمسامحة، وتسامحوا وتساهلوا، وتساهل أي: تسامح، وساهله أي ياسره، ولعل أول من استخدم مصطلح التسامح لأول مرة بمعنى «التساهل» هو فرح أنطوان في العام ١٩٠٢م.

إن فكرة التسامح، تعني القدرة على تحمل الرأي الآخر، والصبر على أشياء لا يحبها الإنسان، ولا يرغب فيها، بل يعدها أحيانا مناقضة لمنظومته الفكرية والأخلاقية، وذلك أن قبول مبدأ التسامح وفكرة التعايش؛ يعني تجاوز سبل الانقسام الذي يقوم على أساس الدم، أو الرابطة القومية، أو الدين، أو الطائفة، او العشيرة، او غيرها من الناحيتين النظرية والأخلاقية على أقل تقدير .(يسري، ٢٠٠٥).

وحقيقة أن محك احترامنا للآخرين هو قابلية المرء لتقبل الاختلاف، واحترام الآخرين يعني احترام الاختلاف، حيث أن الآخرين ليسوا مثلنا، وتقبل الاختلاف الحقيقي هو امتحان لاحترام الآخرين. ولا يفهم من تربية الاختلاف تكويناً للفرد على أن يختلف بتفرده هو فقط، بل هي تربية على أن يقبل تفرده غيره واختلاف الآخرين معه، ويتفتح عليهم، مدافعاً عن حقهم في الاختلاف.

فالتسامح مصطلح يُستخدم في المجالات الاجتماعية والثقافيّة والدينيّة، والهدف منه وصف اتجاهات أو سلوكيّات تتصف بالتسامح والاحترام، إذ يعبّر هذا المصطلح عن التسامح الديني في المقام الأول الذي يتمثّل بين الطوائف والأقليات الدينية. وهناك ارتباط وثيق بين التسامح والحوار الصحيح والسليم، فبالحوار يتحقق الإثراء الفكري، وتترسّخ القيمة الأخلاقية بالتسامح بين الناس، وحب التعاون، إذ لا تقتصر الفائدة والحاجة للحوار على فك الخلافات والنزاعات، كما لا تقتصر على مستوى المجتمعات، بل تتعدّى المنفعة لتصل لمستوى الأمم والشعوب. ما زال التسامح من المفاهيم المثيرة للجدل حتى وقتنا الحالي، ويعود السبب في ذلك إلى عدم العمل والاجتهاد في الارتقاء بمستوى المبادئ والأخلاقيات الفعلية في مجتمعاتنا؛ كما هو الحال في سلوكيات أخرى مثل الحب والاحترام. التسامح في الإسلام يعني أن الدين الإسلامي دينٌ عالمي، يركز على الأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة بين البشر، إذ يُعتبَر أول دينٍ يهتم ويوجه البشرية لتطبيق العدل، وينهى عن الظلم والبغضاء والتعصب، ويدعو إلى احترام حرية الآخرين، واحترام الرأي الآخر، ويرسم المنهج لتحقيق هذه الأخلاق والسلوكيات. (الامين، ٢٠١٤)

لذا يعتبر الإسلام التسامح شرطاً أساسيّاً لتحقيق السلام في المجتمعات الإنسانية، لذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يوجه خطابه في القرآن الكريم للعقل الإنساني لتربية النفس الإنسانية وتحقيق الذات، كما يأمر باستخدام أسلوب التنبيه والتوجيه بالتسامح والاحترام والحياديّة، لقوله تعالى: (لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الممتحنة: ٨]. وخير قدوة لنا في تطبيق التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)، وآل بيته الكرام (عليهم السلام). (شعبان، ٢٠٠٥)

ويمثل تراث أحفاد الرسول الكريم(ﷺ)، ومن تبعهم أبرز الأسباب الحقيقية التي رسخت فكرة التسامح وعمقها، فالمقصود بتراث الأئمة هو تلك الثروة الهائلة، والخزين الضخم من الأعمال والأقوال الذي خلفه الأئمة لأتباعهم.

ماذا نعني بالخطاب؟

الخطاب كلمة تستخدم بقصد التوجه بحديث خطابيا أو شفهيا مباشرا أو مسجلا أو مكتوبا، يسود وينتشر بهدف الوصول إلى الجماهير والتأثير فيها للتوعية، أو التفهم، أو التأثير، لأغراض متنوعة قد يكون بعضها بريئا، والبعض الآخر غير ذلك؛ ولذلك يهدف الخطاب الديني المذهبي والطائفي والمؤدلج «الخاضع لتوجه وأيديولوجية» إلى تعميم فكر معين، أو مذهب وحيد، ينبغي فرضه وحَده على أنه الحقيقة الوحيدة والمطلقة، وأن ذلك أصبح سمة واضحة لأكثر الخطاب الديني الفاعل في الحياة السياسية، وهو هدف يوظف الدين ويحوله من مبادئه وقيمه العليا المطلقة وثوابته الإلهية السمحة، إلى خدمةِ مبادئ وقيم سياسية هي في الواقع نسبية ومتغيرة، فهو يوظف المطلق والأعلى والثابت لخدمة النسبي والأدنى والعرضي والمتغير، ولنقل من ناحية أخرى هو تسيّس الدين، و يديّن السياسة أو يقدّسها. (الأمين، ٢٠١٤، ص: ١٧)

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب أن (الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا. . . والمخاطبة مفاعلة من الخطاب). (ابن منظور، لسان العرب)

وجاءت مادة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠)، وقال جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧).

ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً:

وعرف بأنه (كل نطق أو كتابة تحملُ وجهة نظر محددة من المتكلم، أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها). (الطيار، ٢٠٠٥، ص: ١٢)

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة تعد أداة الخطاب، وتعني وعاء الأفكار.

ومن هذا المنطلق؛ يتأسس الخطاب العالمي المعاصر حول التسامح على مبادئ حقوق الإنسان، حيث ورد في البند الأول من وثيقة إعلان المبادئ حول التسامح الصادرة عن اليونسكو في ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٥ على أن معنى التسامح:

أولا: الاحترام والقبول يتنوع ويختلف باختلاف ثقافات عالمنا، وهو ليس مجرد واجب أخلاقي، ولكنه أيضا ضرورة سياسية وقانونية، وهو فضيلة تجعل السلام ممكناً عالمياً، وتساعد بالتالي على استبدال ثقافة الحرب بثقافة السلام.

ثانيا: اعتبار التسامح ليس تنازلا أو مجاملة للآخر، بل هو قبل كل شيء موقف يقوم على الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني والحريات الأساسية للآخر، ولذلك فإن التسامح ينبغي أن يطبق من طرف الأفراد كما من طرف الجماعات والدول.

ثالثا: إن التسامح هو مفتاح حقوق الإنسان والتعددية والديمقراطية ودولة الحق.

رابعا: إن تطبيق التسامح؛ يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، كما يعني أيضا أن لا أحد يعمل على فرض آرائه على الآخر.

إن هذا التصور الثري لمفهوم التسامح الذي يربط بين حقوق الإنسان والسلم والديمقراطية يمكن أن يتسع ويتمدد ليصبح جزءاً من الثقافات العالمية، وتسهم فيه ثقافات مختلفة مساهمة إيجابية في ظل وجود قدر هائل من العنف والتعصب والاستبداد.

وبذلك يعد الخطاب وعاء المعنى ورسوله إلى القلوب والعقول، وهو اللغة التي يتفاهم من خلالها البشر، لذا تميز خطاب الإمام الحسن عليه السلام والذي قسم إلى شقين، الأول: بالانسيابية إلى قلوب مناصريه، على اعتبار أنه كان قارئاً واعياً للمشهد السياسي الاجتماعي، ومفكراً بارعاً استطاع الإحاطة بنزعات النفوس وتخالجاتها، قادراً على تجاوز الحدود الظاهرية، ملتزما بمبادئ الإسلام الصحيح القائم على التوحيد، متمسكاً بقيم الإسلام وتعاليمه، أما الشق الثاني من

الخطاب والذي توجه به الإمام الحسن إلى لمناوئيه، وكانوا يشكلون الأكثرية في مجتمع الخلافة الإسلامي، وقد اعتبرهم الإمام بأنهم شخصيات متزاحمة على الدنيا، لذا تميز خطابة بأنه ذا بعد تحليلي لأعدائه من قبل مناصريه وأهله، بسبب سيادة أجواء الشك، وعدم التسامح، والتعصب الفكري، وفقدان الأمن، وانتشار مظاهر التخوين. (الشريفي، ٢٠١٧)

وانطلاقاً من الأجواء المشحونة بالتعصب؛ اعتمد المجتبى في خطابه الذي وجهه إلى الأمة الإسلامية على مفهوم التسامح، والذي شكل مقوماً من مقومات الحداثة السياسية والاجتماعية، لقدرته على حل الإشكالات الناتجة عن التعددية داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات، فهو البديل العادل للتعصّب، ورفض حق الآخر في الاختلاف، والسبيل الوحيد الى تعايش سلميّ قائم على الاستواء في الحقوق بين مختلف مكونات المجتمع، ولئن اكتسب هذا المفهوم اليوم جملة من الخصوصيات الدلاليّة المقترنة بقضايا التحديث في مختلف مستوياته، وخاصة بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، فإنه لم يكن غائبا عن أفق التفكير، والممارسة السياسية في القديم، بما هو قيمة أخلاقية، وسياسية مقترنة بقيمة العدل محددة لتعامل سلميّ داخل المجتمع، فالتعددية ظاهرة ملازمة للعمران البشري، والسلطة التي تتولى تنظيمه لم تكن لتخرج في سياستها عن أحد منزعين: إما التعصّب لمقوماتها ومقولاتها، مع محاولة فرضها على بقية الأطراف، أو الاعتراف بشرعية معيّنة للاختلاف، وإقرار سياسة متسامحة يضمنها حد أدنى من العدل تسمح به معايير الزمن. والتسامح يعد ضرباً من عقلنة ظاهرة الاختلاف، وسعي إلى توفير شروط التعايش السلمي عبر الحوار؛ الذي يعدّ اعترافا متبادلا بين الذوات المتحاورة، وتترجم العقلنة إلى خطابات فكرية تشرّع لفهم المنطق الذي يستند إليه كل طرف في تبنيه لرؤى واختيارات معينة. (الوريمي، ٢٠١٥، ص: ٤)

لذا نلاحظ التميز الذي ساد في بداية الدولة الإسلامية الفتيه، وخصوصا فترة الرسول العظيم ﷺ وما لحق بها من تميز في مرحلة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم، بالتباين في الأعراق والأجناس والأديان والمذاهب والطوائف والقوميات، التي تحمل قيما ومعتقداتٍ وأعرافاً مختلفة، إلا أن الإمام المجتبى كان واعياً بالبيئة التي تحيط به؛ لذلك عمل على التعريف بنفسه

منذ اللحظة الأولى لتسلمه الخلافة، قاطعاً كل السبل على الفتن التي كانت تحاك حوله، حاشداً كل الفضائل التي نالها من كتاب الله، ومن جده المصطفى ﷺ، وأبيه علي عليه السلام لتدعيم موقفه، ولتبيان أن خطابه لصالح الخلافة ولصالح المسلمين بصورة عامة، بقوله» فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية، على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنتَ ابن خرب من الأخراب، وابن أعدى قريش لرسول الله(ﷺ) ولكتابة، إلا أن جسامة الأحداث التي مر بها المجتبى، التي حتمت التنوع في الخطاب الذي تم توجيهه إلى المسلمين حسب المواقف والظروف التي ساهمت في إبرازه؛ من خطاب: تربوي، عَقدي، سياسي، اخلاقي، قيمي. (الشمري، ٢٠١٩)

ماذا نعني بالخطاب الفكري؟

عايش الإسلام أصنافا شتى من الطوائف والملل والنحل والأديان والعقائد والفئات، وعايش أيضا أهل الكتاب، وعايش من لهم شبه كتاب، وعايش المشركين من عبدة الأوثان وعبدة النيران وعبدة الشمس وعبدة الملائكة وعبدة الكواكب ومكري بعثة الرسل، وعايش الملحدين ثم عايش المسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية، وترك جميع هؤلاء وما يدينون، ولم يتعرض لهم أحد بسوء، بل دعا إلى العدل معهم، ودعا إلى الإحسان إليهم في المعاملة، والمعاشرة، والزيارة، والتودد، والبر، والأنصاف، والإقساط، وتجمع كل هذه الوصايا الآيات القرآنية مثل قوله: » لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم أنْ تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين « ﴿ الممتحنه، ٨ ﴾ ومثل قوله تعالى: » إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكوا بالعدل» ﴿ النساء، ٥٨ ﴾، وكذلك أيضا الأحاديث النبوية مثل قوله ﷺ» إلا من ظلم معاهدا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، او أخذ شيئا بغير طيب نفس منه فإني حجيجه يوم القيامة». (الأمين، ٢٠١٤، ص: ٨)

عندما نستعرض السيرة النبوية في بداياتها المكّية، نرى نبينا الأكرم ﷺ يركّز في دعوته على بناء الجانب الفكري لدى الشريحة المسلمة المؤسِّسة التي بدأ معها خطوات دعوته المكّية، فلا نراه يركّز على هدم عادات اجتماعية قديمة، وبناء عادات جديدة في تلك المرحلة من الدعوة،

بل نراه يركّز على بناء الجانب العقائدي بديلاً عمّا توارثه المكّيّون عن آبائهم وأجدادهم السابقين، وهذا بخلاف السيرة النبوية في المدينة التي نزلت فيها آيات الأحكام، وأنشأ فيها النبي ﷺ أركان دولته ومجتمعه الإسلامي الوليد من خلال عادات جديدة، عرفها المجتمع المدني مع دخوله الدين الجديد، وذلك بما امتلكه ﷺ من قدرة ونفوذ اجتماعي أسس جانبًا منه في مكّة أيام دعوته الأولى .(مدن، ٢٠١٤)

والناس بطبائعهم مختلفون يمارسون حياتهم الاعتيادية ما لم يقنعهم من يستأنسون برأيه من خلال ما يقدّمه إليهم من حجّة ودليل بخلافه، مع اختلافٍ بين المجتمعات في سرعة تقبلهم للتغيير والإصلاح، ولذلك غالبًا ما عانى أنبياء الله من مسألة إقناع جمهور مجتمعاتهم بما يبشّرون به، وخاصّةً مع وجود فئة مستحوذة تجد فيما يبشّر به النبي تضاربًا مع مصالحها، وسيطرة على نفوذها القائم آنذاك، إذ يصعب على النبي، في البدء، إقناعهم فكريًّا بما يبشّر به، ما يجعل التغيير الفعلي والسلوكي أمرًا صعبًا، إذ بالكاد استطاع بعضُ الأنبياء الوصول إلى مرحلة التغيير الاجتماعي الكبير والجذري، وكان نبينا محمد ﷺ في مقدّمته، حيث استطاع أن يؤسس مجتمعًا إسلاميًّا يكون هو ﷺ على رأس القيادة فيه .(الشريفي، ٢٠١٤)

ودعا من خلال هذا المجتمع أن لكل إنسان منا بيئته الاجتماعية التي تمثل الأثر الأكبر في كيانه كإنسان وتصرفاته، وأقواله، وهو الأمر الذي ترنو إليه النفس الواعية، وبالتالي تعكس هذه المنظومة الفكرية أفكاره، وتتأثر مع مجريات الأحداث في حياته، وكان له ما دعا من خلال آل بيته الِكرام، وكان خير من يمثلهم الإمام الحسن عليه السلام المثل والقدوة، لذلك اتجه في خطابه إلى الحياة الإنسانية وما تزخر بها من الآلام العذابات، وكان واعياً بمحيطه الاجتماعي بكل تمثلاته وفق نظرة استدلالية معتمداً على جهده بعيداً عن الارتجال.

فالإمام الحسن عليه السلام من الشخصيات التي قادت تياراً فكرياً تبنى مفهوم التسامح، والذي يرسخ قبول الحرية الدينية، والحماية القانونية للحقوق الأساسية للإنسان والمواطن، فقد عرفت الفترة التي عاش بها الإمام الكثير من الفتن، والتي أدت الى مقتل ثلاثة من الخلفاء الراشدين على التوالي.

وهي فترة اتسمت بالجمود الفكري، والركود العلمي، حيث عمت الفوضى نتيجة النزاع ما بين الإمام الحسن عليه السلام، الذي حاول بكل السبل والوسائل ليسود مبدأ التسامح والحوار مع بني أميه وعلى رأسهم معاوية، وإصرار معاوية على خوض الحرب لانتزاع الإمامة، واختيار الإمام الحسن عليه السلام الابتعاد عن السلطة، ليحقن دماء المسلمين، فحياته عليه السلام لم تكون مليئة بالرفاهية، بل كان الحزن سيد الظروف والمواقف؛ فخسارته لجده الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وبعد ذلك بفترة بسيطة والدته السيدة فاطمة عليها السلام، وخسارة والده الإمام علي عليه السلام للإمامة، التي حلت بديار أبو بكر وعمر وعثمان من بعدهم، فعندما وصلت إمامة المسلمين إلى علي عليه السلام كانت الدولة الإسلامية تعج بالفوضى والفلتان الأمني الاجتماعي، والمناكفات التي افتعلها معاوية بعد مقتل الإمام علي عليه السلام لتؤول السلطة إليه، وخيانة جزء من الجيش لاحتيال معاوية عليهم. (القرشي، ٢٠٠٨)

واختيار إمام المسلمين الحسن عليه السلام الابتعاد كان من مصلحته، واثبتت الأيام رجاحة عقله، وحسن تدبيره للأمور، واختياره الصائب، فقد آثر الابتعاد نتيجة الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهو ناتج عن إمعان الحكم الأموي في نشر الظلم والفساد والإرهاب والتجويع بين صفوف المسلمين، وبذلك فقد المجتمع الإسلامي قوته واستقراره والطمأنينة، وأصبح المجتمع الإسلامي يعيش في دوامة القتل والتشريد والتجويع.

وهذه النظرة الثاقبة للأمور من قبل الإمام المجتبى، دفعته ليبني مدرسةً ذات بعد فكري، تقوم على التسامح، وتعد بذلك الأداة اتي حاول بواسطتها الإمام الحسن عليه السلام تغيير المجتمع الإسلامي الذي انقلب على المبادئ والأخلاق الإسلامية السمحة، بعدما كان الجهاد ونشر الإسلام لهما الأولوية في المجتمع الإسلامي، دب النزاع والشقاق، وأصبحت الخيانة هي الخلق البارز في عهد الإمام الحسن عليه السلام. (الشمري، ٢٠١٣)

وساد الفصام ما بين خليفة المسلمين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان، وكان المسبب للتراجع في الطاقة المسلمة، وتمزيق النسيج المسلم، وتدهور الفكر، مما أحاطَ العقل الإسلامي بُمناخ غير نقي، وتغذية غير سليمة، فجاء الخطاب ثقلا غير متوازن، لذلك ركز (المجتبى) بعد التنحي على العملية التثقيفية التربوية، والتي تعد العمود الفقري لوجود الأمة وبقائها، وتميزها عن سائر الأمم.

فكان لا بد أن يقدح المجتبى زناد فكره عن حقيقة الأزمة، بحثاً عن الطريق الذي يعينها على تجاوز أزمتها، ومواجهتها بكل اقتدار، وللرد على كل التحديات، ودفع كيد الخصوم باستئناف الحياة في الدولة الإسلامية، بإيجاد فكر قادر على إرجاع اللحمة إلى الأمةِ الإسلامية.

ومن مميزات خطاب المجتبى الفكري، أنه يتسم بالواقعية والصدق، وليس سرداً لأحداث، أو أشخاص، للتمسك بالقيم والتعاليم الإسلامية السمحة، ولشحذ الهمم، وللتحذير من آثار السقوط التي تنحدر إليه الأمة الإسلامية، وذلك للارتقاء بالجانب التهذيبي في حياة المسلمين، فالمجتبى كان حريصاً على إعمال العقل لإبراز الجانب الإيجابي والقوي في شخصيته، عكس ما كان يشاع عنه بأنه إنسان ضعيف تخلى عن الخلافة بإرادته لصالح معاوية، وهذا الأمر كان في صالح المجتمع الإسلامي، إذ فضل المجتبى المسلمين على نفسه بإيثار الاعتزال والانزواء في المدينة المنورة بدلا من القتال لاسترداد كرسي الخلافة، وهذا لا يتأتى إلا من إنسان لم تجتمع فيه إلا الصفات الخيرة والعظيمة، فقد كان متيقناً أن انصرافه لتعليم المسلمين وتثقيفهم في أمور دينهم ودنياهم لهوى الأجدى، وهذا ما قامت من أجله ديانة الإسلام، فبسبب الفتن والحروب التي شاعت، والفوضى ومهاترات الجاهلية التي استُرجعت بعد أن كانت قد ولت إلى غير رجعه، استعاد المسلمون تراث أيام الجاهلية من عادات وتقاليد بالية، فكان الإمام الحسن عليه السلام المتنبه لما يحصل، فآثر أن يكون ضعفه وولاءهُ للمسلمين لحقن دمائهم، السيفَ الذي يحارب به معاوية، ليَئِدَ الفتنة قبل أن تستفحل وتطول رقاب خير أمه أخرجت للناس، وتسود في بلاد المسلمين، فتحلى المجتبى بمنظومة أخلاقية فكرية قلَ من تحَلى بها، وهو دليل على أنه ذو فكر وقلب وعقل لا يضاهيه إنسان في مرحلته. (الشريفي، ٢٠١٧)

هل أثر التسامح على خطاب الإمام الحسن الفكري؟

يعتبر التسامح الفكري من المصطلحات التي تستخدم في السياقات الثقافية والدينية، لوصف مواقف واتجاهات تتسم بالتسامح، أو الاحترام المتواضع، أو غير المبالغ فيه لممارسات وأفعال، أو أفراد نبذتهم الغالبية العظمى من المجتمع، ويعتبر هذا المفهوم من المفاهيم المثيرة للجدل، ولعل من أسباب ذلك؛ أنه لا يعمل على الارتقاء بمستوى المبادئ أو الأخلاقيات الفعلية على

غرار ما يحدث في المفاهيم الأخرى المتمثلة بالمعاملة بالمثل، ومن أبرز الشخصيات التي طبقت مبدأ التسامح الفكري هو؛ الإمام الحسن عليه السلام فمن خلال علاقته مع أقرانه من آل البيت، ومع المجتمع الإسلامي بصورة عامة، استطاع أن يؤسس نموذجا تصوريا يقوم على التسامح والعفو، على اعتبار أنه شخصية لها أثرها البارز في بناء الأجيال من خلال الفكر الإسلامي المشبع بقيم العقيدة والتوحيد، ليشيد صرح البناء الاجتماعي السليم والمتطور ليحقق الديمقراطية للمشروع الاسلامي، (القرشي، ٢٠٠٨) وبهذا التصور؛ الذي يقوم على المساهلة، ليمحو الحراك الذي يهدد العلاقة بين الطرفين_ المجتمع الإسلامي، وأفراده_ وليعزز التسامح كمفهوم من باب الفكر الإسلامي، والذي يتسم بالشمولية التي تمكنه من التأثير على مساحة الأحداث، بالتالي لم يكن فكراً تجريدياً يعيش عالم التنظير في حدود خاصة، إنما هو ينطلق من آفاق الحياة، ويدخل في كافة شؤون المجتمع والدولة، لذلك اختار المجتبى التنحي عن السلطة والصفح عمن اختلف معه، ففكرة التسامح على قدر ما هي في غاية البساطة والشفافية، ألا أنها كارثية في غيابها، إذا ما انتشر التعصب؛ والذي كان سبباً رئيسياً للمجتبى، ليبتعد عمن أساؤوا إليه، ولينئ إلى التمسك بعقيدته ووحدة المسلمين، عكس ما صنعه معاوية بن أبي سفيان، والذي جعل من نفسه العدو الأكبر لآل البيت من خلال محاربتهم، معتقدا بأنه يدافع عن الحق المطلق الذي زعم احتكاره، وعن الحقيقة التي توهم حضوره تجسيداً لها، فقمع مخالفيه في الرأي، وقاتلهم بحماسة الإيمان حد التعصب، فأمن بأنه الإنسان الأنسب لخلافة المسلمين، ولكل ذلك اتسمت شخصيته:

* اللجوء إلى العنف لتحقيق غايته.
* التمركز حول الذات وعدم تقبل الحوار مع الآخرين.
* التسلط والجود في التفكير.

فعلى الرغم مما اتسمت به تلك الحقبة الزمنية، إلا أن الدين الإسلامي كان وما زال منهجاً للهداية العقيدية مقابل منهج القهر السياسي، وهو النموذج الذي ارتآه الله سبحانه وتعالى للعرب وللمسلمين كأسلوب لبناء التضامن، وطريقة في التعامل الجماعي، واستيعاب العالم، وبه فضلهم على العالمين، من أصحاب الدول والممالك الدنيوية المستندة على القوة، لكن هذا النموذج ليس

سلطة قهرية تستمد شرعيتها من الدين، بقدر ما هي استنهاض لمشاعر الإيمان والرحمة والمودة والتسامح عند كل فرد، بما هو روح ووعي وخليفة لله وبعضا من قبسه ونوره، ومن ثم قابليته للتضحية الخالصة والفناء في سبيل الله تعالى. (غليون، ١٩٩٣، ص: ٥٨).

وبالتالي نذكّر أنفسنا بأن روح التسامح ونهجه، ممثلاً في نحو مئة آية قرآنية عن حرية الاعتقاد الديني، قد نادى بها الإسلام، ثم تمثلت في أقوال شهيرة من مثل قول الإمام الشافعي (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب) أو قول الإمام أبو حنيفة (كلامنا هذا رأي، فمن كان عنده خيرٌ منه فليأت به). (قمر، ٢٠١٣).

فثقافة التسامح والتآخي كانت تلقي بظلالها على المجتمع الإسلامي، فتشير إلى التعامل والتعايش مع آراء الآخرين وعقائدهم ومواقفهم بالصبر والمجادلة الحسنة، بتجنب الانقسام والتعصب الاعتباطي، بالبحث عن المشترك، بالرفض التام للعنف الكلامي، بالاحتكام للمعايير الأخلاقية ومبادئ حقوق الإنسان الأساسية، وخصوصاً ما يتعلق بالحرية والكرامة الإنسانية، ثمّ إن ممارسة فضيلة التسامح الفكري واللفظي تحتاج إلى شخصية متوازنة ومؤمنة بالمسؤولية الاجتماعية، وهذا لا يتوافر في الكثير من الشخصيات الهامشية في الحياة السياسية والثقافية. (عصفور، ٢٠٠٦).

لذلك عندما تنحرف أمّة من الأمم عن جادّة الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، يصطفي سبحانه منهم أحد أنبيائه الذي تتوفّر فيه الصفات القيادية التي يستطيع من خلالها قيادة عملية الإصلاح الاجتماعي، الذي لا يتأتّى إلا من خلال الإصلاح الفكري، الذي يبدأ به النبي في دعوته، وذلك من خلال خلخلة كثير من الاعتقادات الفكرية التي نشأت عليها مجتمعات تلك الأمة ردحًا من الزمن، وذلك تمهيدًا لإجراء التغييرات الاجتماعية التي يمكن من خلالها بناء المجتمع الإنساني الصالح الذي تتحقّق فيه نسبة عالية من العدالة الاجتماعية بين أفراده.

ولابد لنا أن نشير إلى أن أهل البيت عليهم السلام كلهم يتصفون بالحلم، إلا أن الظروف التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام اقتضت وساعدت على بروز هذه الصفة في شخصيته بشكل أجلى وأوضح، فالإمام كان يواجه تشنجات واستفزازات من جهتين:

الجهة الأولى: خارجية، وتتمثل في معاوية بن أبي سفيان، وجبهة الشام، حيث سعى بكل جهده وقوته، وإمكانيات سلطته وحكمه، إلى أن يشوّه سمعة الإمام الحسن عليه السلام، لعزله شعبياً، فعمل على إثارة الدعايات والإشاعات الكاذبة والمغرضة على الإمام الحسن عليه السلام، وعلى أبيه أمير المؤمنين، واستطاع نتيجةً لذلك أن يوجد تياراً في الشام يكره أهل البيت عليهم السلام، حتى لقد صدق بعضهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يصلي!!

ولقد كان معاوية يتعمد كثيراً أن يُسمع الإمام الحسن عليه السلام، وفي حضوره بعض الاستفزازات، وكان بعض أتباعه والمقربين منه كمروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، يقومون بمثل هذا الدور.

الجهة الثانية: داخلية، حيث إن قرار الإمام بالصلح مع معاوية، والذي فرضته عليه الظروف، ورعاية مصلحة الأمة، أثار مشاعر بعض المحيطين بالإمام، ونظروا إلى الصلح على أنه موقف ذل وخنوع واستسلام، فراحوا يوجهّون لومهم العنيف، وعتابهم الشديد، وبعبارات مسيئة وغير لائقة.

الظروف التي مر بها المجتبى اقتضت أن يكون في الجانب الأضعف، إلا أنه تمتع بشخصية متوازنة ومؤمنة بالمسؤولية الاجتماعية، وقد توافرت في شخصيته، فضيلة التسامح الفكري واللفظي حيث اعتبر من القادة المؤثرين في الحياة السياسية والثقافية.

سأل الإمام الحسن عليه السلام يوماً: ما الحلم؟ قال: (كظم الغيظ وملك النفس)، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه، حينما يواجه الآخر بتصرف مستفز، ذلك أن غريزة الغضب تتحرك عنده، لتحميه من الاستفزاز الموجه إليه، ولكن الحليم هو من يتحكم في توجيه هذه الغريزة، ولا يستخدمها إلا في ظرفها المناسب، لأن إتاحة الفرصة لهذه الغريزة أن تنفجر على شكل تصرف غاضب، قد يضر الإنسان بدلاً من أن يفيده، وكم من مظلوم تصرف تصرفاً طائشاً، وتحول بسبب ذلك التصرف إلى ظالم مُدان، فأعطى الفرصة لعدوه، يقول الإمام علي عليه السلام: (الغضب شر إن أطلقته دمر)، ونخلص مما سبق بالحاجة الماسة سواء سابقاً أم حالياً إلى قراءة سيرته العطرة، والتزام خطه الرسالي، والأخذ بمنهجه في التسامح الاجتماعي، لتسود أجواءنا المحبة والوئام، ولنتوجه لمواجهة الأعداء والأخطار صفّاً كالبنيان المرصوص .(الشريفي، ٢٠١٤).

هذا يشكل مدعاه لنا كمسلمين في هذه المرحلة، بأن نأخذ حياة المجتبى عبرةً لنا، فلم تكن حياة الإمام الحسن عليه السلام بالسهلة، فقد احاطت به أرضية إيمانية غير مستقرة، لم تستند إلى جدار حصين من الفهم الإسلامي الصحيح، فقد كان المجتمع الإسلامي في تلك الفترة مريضاً، ولا يخلو من العلل، لا يفرق بين الخير والشر، بين الإمام الحقيقي والإمام المزيف، لذلك جاء خطاب الإمام الحسن عليه السلام لإظهار المسار الصحيح، كونه من آل البيت وجده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولكل ذلك شكل الإمام الحسن عليه السلام إماماً للهداية والرشد، وتركز هدفه الأسمى بإبعاد نار الفتنه من خلال تقوية الوحدة بين صفوف المسلمين، وإزالة الأمراض التي تفتك بالأمة، فالتعايش في ظل العنف والفتنه، وعدم التسامح، ووجود فراغ نفسي وفكري عند الأغلبية، جعل القيم التي سادت المجتمع الإسلامي إلى اندثار، فالمشهد السياسي الذي خيم بفكره الأسود على الأمة، واضعا مصلحه أقليه من المسلمين بمناوئة الأغلبية، ومن هنا بانت عظمة خطاب الإمام الحسن صلى الله عليه وآله بحيث دعا إلى الوحدة وعدم الانقسام إلى فرق وشيع، وطالب بوأد الفتنة، والالتزام بمبادئ الإسلام السمح، وعدم الانجراف وراء المناوئين، فمن خلال ذلك، نرى أن الإمام الحسن عليه السلام يتسم بنظرة عميقة ثاقبة لكل ما يدور حوله، مدركاً لأبعاد الظروف التي جعلت من بنو أمية وعلى رأسهم معاوية يشرع في معاداة أحفاد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ويستبيح دماءَهم من خلال تشجيع فئة من المسلمين على الارتداد عن مناصرة الإمام الحسن عليه السلام والانقلاب عليه.

وحقيقة أن كل أفعال الإمام الحسن عليه السلام كانت تدل على ذكاء ورصانة فكر؛ لأنه كان متكئاً على علمٍ جليل أخذه عن جده وأبيه وقد علمهم عزيزٍ مقتدر فكانت شخصية المجتبى توصف بالحنكة والذكاء، كما أنه لم يكن في زمانه شخصٌ بمستطاعه تحريك الأحداث إلى صالح الإسلام والمسلمين إلا هو؛ لما يمتلك من مؤهلات علمية وقيادية وريادية فذة تمكنه من نقل الأحداث إلى صالحه فنورانية المفاهيم التي قدمها المجتبى من خلال صلحه، والسياسة التي اتخذها من أجل حماية الإسلام ورعايته، والمسلمين حقيقة كانت عبقرية سياسية كبيرة ليس بإمكان أي شخص اعتيادي إحاطتها أو تصريفها بهذا النحو. (القرشي، ٢٠٠٨).

فانتهج سلوكاً بنى على مفهوم التسامح والحوار مع الآخر، وبذلك أسس تياراً ثقافياً قادراً أن يقف أمام التيارات المنحرفة، والتخطيط الأموي البغيض، فالحوار وحده يؤدي إلى الهدف المنشود، ويتحقق الاحترام المتبادل بين الأطراف المختلفة، والمتخالفة بالرأي، وبالتالي يؤول ذلك إلى التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترام الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، وليس الهدف من الحوار مجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر، وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير والمنفعة، وذلك بالبحث في القواسم المشتركة التي تشكل الأساس المتين للتعاون البناء بين الأمم والشعوب، وهذا يعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها والعمل بها، وإشاعتها على جميع المستويات، والوعي بذلك أمر ضروري يجب أن تتعلمه الأجيال خاصة عن طريق القدوة وليس التلقين، وهو ما مارسه الإمام الحسن عليه السلام. (مدن، ٢٠١٤)

المجتمع الاسلامي بحاجه إلى الحوار، وبث ثقافته في أبنائه من خلال اللطف والتسامح والعفو والمغفرة، التي أرسى معالمها الامام الحسن عليه السلام، فدعوة الإمام إلى عدم المواجهة، ونبذ العنف والتسامح، وأن يكون المنهج الذي يعمل به، ولغة التسامح هي ألطف شيء في الحياة، لازدهار المجتمع الإسلامي، وعدم انكارنا لوجود الصراع الذي كان قائما بين مختلف الأطراف، ونزعه بني أمية إلى السيطرة على الحكم وإمامة المسلمين، لاعتبارهم الأفضل والأقوى والأجدر، وتخلي الإمام الحسن عليه السلام عن السلطة بإرادته واختياره؛ منعاً لتفشي الظلم والإرهاب أكثر مما كان، شكل مدعاة للتسامح، والمحبة والمودة بين الجميع. (زقزوق، ٢٠٠٣)

فيثرب التي اختارها المجتبى لتكون الحاضنة بعد ما رفضته الكوفة وأهلها، ازدهرت بالعلم والثقافة، فكانت من أخصب البلاد الإسلامية علما وأدبا وثقافة؛ وكان المجتبى يتولى نشر العلم في يثرب، وكان يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، والتأدب بسنة النبي صلى الله عليه وآله وقد رفع عليه السلام منار الأخلاق التي جاء بها جده الرسول لإصلاح المجتمع وتهذيبهم(القرشي، ج٢، ص: ٢٨٥)، فالدور العلمي والتهذيب الأخلاقي الذي صنعهُ الإمام

في المدينة صار أساساً كبيراً وقوياً لإعادة بناء الفكر الاسلامي فأنشأ بذلك جيلاً علمانياً جديداً له قيم ومبادئ إنسانية عالية مرتكزة على مبادئ التشريع المحمدي القيم فكانت دعوة الإمام هي دعوة حداثة وتجديد لتزدهر من خلالها عقول المسلمين، وتصحو من غفلتها وترفع من أفكارهم تراكمات الزمن التي أحدثتها الحكومات الأنفة والسياسات المناهضة التي دعمت البدعة وشرعة الفسق والتخلف الفكري بل إنها حاربت وقاومت كل الدعوات إلى الفكر والتطور الاجتماعي، فبذكاء الإمام المجتبى وعبقريته استطاع أن يقود ثورة علمية صامته وذات طابع حركي قوي مناهض للمد الأموي الذي طالما دعا للبدعة والجهل والتخلف عن التشريع الديني والأخلاقي المهذب والصحيح .

وبناء على ذلك استطاع الإمام الحسن عليه السلام بعد التفكك والخيانة التي عمت صفوف جيشه، وهروب قائد الجيش عبيد بن العباس بقبوله الرشوة التي عرضها عليه معاوية» مليون درهم» بعد أن كان من ألد أعدائه بقتله اثنين من أبناء عبيد بن العباس، ونصيحة أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام بقبول الصلح مع معاوية، حقنا لدماء صحابة رسول الله، وخوفاً عليهم من الإبادة والموت، أن يحافظ على مواقفه، وان يعوض الانهيار السياسي، بالتقدم الفكري والثقافي الذي أرسى صنيعته في مكة المكرمة، فكانت تلك الفترة المظلمة سياسيا، مشرقة فكريا، فقساوة الصدمة وشراسة الغازي معاوية وإصراره على أن تكون الخلافة له من بعد الإمام علي عليه السلام كان من الممكن أن تؤدي إلى شلل عام في مفاصل الحياة الإسلامية بما فيها الفكر، إلا أن ذلك لم يحدث بل انطلق وربما بصورة أفضل من السابق، وكان الإنجاز الأكبر في حياة الإمام الحسن عليه السلام، فالإنسانية التي حملها الإمام بأخلاقه الرفيعة تعد إرثاً حضارياً عربياً إسلامياً. (الحائري، ٢٠١٣)

الإمام الحسن (المجتبى) عليه السلام:

وافق ١٥ شهر رمضان المبارك ولادة كريم أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسن السبط عليه السلام، فبهذه المناسبة العطرة والميمونة نسلط الضوء على إحدى أبرز صفاته وهي «التسامح»، ولم يرد ذكر التسامح لفظاً في القرآن الكريم، لكن الشريعة الإسلامية ذهبت إلى ما يفيد معناه، وقد جاء بما يقاربه أو يدل على معناه، حين تمت الدعوة الى التقوى، والتشاور، والتآزر، والتواصي،

والتراحم، والتعارف، وكلها من صفات التسامح مؤكدة حق الاختلاف بين البشر، و(الاختلاف آيات بينات)، وإن كان لا يلغي الائتلاف؛ إلا أن لها عدة بدائل، منها «الحلم»، إن صفة الحلم من أبرز صفات الإمام الحسن عليه السلام التي عرف بها، حيث اشتهر عنه أنه (حليم أهل البيت)، روى المدائني عن جويرية بنت أسماء قال: لما مات الحسن، أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين: تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعّه الغيظ؟ قال مروان: نعم، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال. (ابن أبي الحديد، ١٩٨٧)، فإذا ساد الحلم، وشاع التسامح بين التجمعات والتوجهات، تحول الحلم حينئذ إلى منهج اجتماعي عام، وآتى ثماره في تحقيق وحدة المجتمع وانسجامه، وتوجه جهوده وطاقاته نحو الأهداف الكبيرة، والتحديات الخطيرة.

ومن هذا المنطلق لا يمكن إغفال دوره الرسالي الذي كان مطابقا ومكملاً لدور أبية الإمام علي عليه السلام، فقد أشاد به النبي المرسل رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿ ألا أخبركم بخير الناس عماً وعمّة: قالوا بلى يا رسول الله، قال عليه السلام: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب ﴾، هذه المناقب التي أهلت الإمام الحسن عليه السلام لخلافة المسلمين بعد أبيه، كما دعته إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، وهذا دليل سماحته عليه السلام وحلمه برغم معارضة الكثيرين من اتباعه، فحلي بنا في هذه الأوقات العصيبة، حيث تشهد أغلب الدول العربية والإسلامية الحروب والفتن أن نحذو حذو الإمام الحسن في اختيارنا للصلح والمسامحة والسلام، وللعيش بسلام وترك العنف والتعصب. (القرشي، ٢٠٠٨)

فمن كثرة الأحاديث والروايات التي تحدثت وبينت مدى قدرة المجتبى على التسامح والحلم، فقد قيل أنه كان سيّداً كريماً حليماً زاهداً، ذا سكينةٍ ووَقارٍ وحُشمة، جَواداً مَمدوحاً، ومن كبار الأجواد، وله الخاطر الوقاد، والسيّد المُحبَّب، والحكيم المقرَّب، هذا ما رواه ابن حجر وسبط ابن الجوزيّ وأبو نعيم. ونقل ابن أبي الحديد عن المدائني قولَه: وكان الحسن عليه السلام سيّداً سخيّاً حليماً خطيباً.

واذا ما نظرنا إلى شخصيته والتي تجسدت فيها جميع القِيَم الإنسانية والمُثُل العليا، والتقت به عناصر الإمامة، فكان بحكم مثُله وتهذيبه فذّاً من أفذاذ التكامل الإنساني، وعَلماً من أعلام القيادة البشرية التي ازدهر حال مجتمعها بها، وتغير من خطر إلى نجاة ومن تعاسة إلى سعادة، فكان عليه السلام مثلاً رائعاً من أمثلة الرسالة الإسلامية، فهو الممثل الحقيقي، والقائد الحق لِأطروحةِ الإسلام الخالدة بجميع طاقاته ومقوّماته؛ لما يمتلكه من صفات قيادية عظمى وتربية رسالية نبوية عملاقة، مع مسحة كمالية من سيد الأوصياء والأولياء علي بن أبي طالب لتزدهر ثمرة النبوة وتعطر الدنيا بحنكة وذكاء ريحانتها .(الشريفي، ٢٠١٤).

فشخصيات أهل البيت صلى الله عليه وآله، تعتبر من الشخصيات الإسلامية التي كانت ذات جوانب تميزها عن غيرها من بقية الشخصيات الإسلامية، مما دعا أن تكون في مقام الاقتداء والإتباع من قبل الأمة، ولذلك اتسمت شخصية الإمام الحسن صلى الله عليه وآله بالنضج السياسي وبعد النظر، لاختياره الصلح كحركة استراتيجية، حقق من خلالها حفظ شيعته والخلص من أنصاره ليحفظ بذلك دماء أنصاره أولاً، ودماء المسلمين ثانيا، وليفضح بذلك ما آلت إلية الأمور من تزوير للحقائق، والكذب الذي مارسه معاوية على المسلمين من افتراء على آل البيت، وخاصة الإمام الحسن صلى الله عليه وآله، وقد اتبع الإمام سياسة المهادنة بقبوله الصلح مع معاوية بعد أن غدر به الجيش وأهل الكوفة، وليتجنب بذلك سخط المسلمين عليه، وإنكارهم لدوره، كوريث للإمامة من بعد جده النبي صلى الله عليه وآله، وأبيه علي صلى الله عليه وآله، وهدف الاستراتيجية التي اتبعها الإمام الحسن صلى الله عليه وآله من خلال إعلان الهدنة: انتظار الفرصة الملائمة، والظرف الأنسب لإعلان الثورة على بني أمية، لاسترجاع الحق المغتصب منهم، وهذا كان واضحاً من رفض الإمام الحسن عليه السلام لعرض أهل الكوفة بعد أن أدركوا خطأهم حيال الإمام، لينقضوا عهدهم مع معاوية وبني أمية. (القرشي، ٢٠١١)

لكن الإمام الحسن عليه السلام أدرك بأن الخاسر الأكبر، إذا ما قبل عرض أهل الكوفة، وتراجع هو دماء المسلمين، وعلى اعتبار أنه إمام معصوم مفترض الطاعة، لا يأتيه الباطل من بين يديه أو خلفه وبذلك العلم الذي يرتفع إشادة بالإمام الحسن، ويرفع لواء الإمامة بين يديه يستوجب أن تكون جميع أعماله حجة، وليس عبثاً، فما قام به من صلح مع معاوية، إنما كان أمراً إلهيا،

تكتنفها حكمة إلهية ومتى ما كنا قد استوعبنا هذين الأمرين، يمكننا أن نستبعد احتمال أن يكون الإمام قد لجأ إلى الصلح لحبه للمسالمة، وقلة شجاعته والعياذ بالله، كما أن المصلحة التي دعت المجتبى إلى الصلح مع معاوية إنما هي مصلحة أمة بكاملها، كان الواجب على المجتبى رعايتها وقيادتها بحكمة وحنكة لا بأهواء وعبث، وهذا ما أداها الإمام الحسن يقيناً وواقعاً، فالنتائج التي أنتجها الصلح، والثمرة التي قطفها المسلمون من هذا الصلح كانت أكبر من تشبث الإمام بالحرب، وهذا ما لا يريده الإمام للبشرية، إنما كان العفو والصلاح والهدوء هو محل رعاية الإمام، ونقطة رئيسية في مهمته. (الامين، ٢٠١٤).

فالمجتبى عليه السلام وهو من بيت المثل العليا المطلقة، لا تسمح به شهامته ونخوته إلا أن يتسامح، ولو لم يكن كذلك لما كان إماماً، فهو متسامح، لأنه إمام ولأنه إمام فشأنه التسامح، وهو بذلك كأجداده وآبائه يسن سنة التسامح حتى مع الأعداء الذين ما تركوا منكراً إلا وارتكبوه، وخلت صحائفهم من فعل الخير.

لذلك أشاد رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله بمناقب المجتبى حينما قال» أما الحسن فان له هيبتي وسؤددي»، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فإنه ليس مني». (فرائد السمطين، ج٢، ص: ٣٥، وينابيع المودة، ص: ٤٤١-٤٤٣، و٤٨٧ عن المناقب.

فهذه الإشادة للمجتبى بمثابة تصريح علني من قبل رسولنا الأعظم؛ ليكون الوريث لخلافة المسلمين، لذلك تولى الإمام الحسن السبط عليه السلام منصب الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ، وكان في السابعة والثلاثين من عمره المبارك، وقد عاش خلال هذه المرحلة مع جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ما يزيد على سبع سنوات، كانت تلك السنوات على قصرها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغرة عن شخصية الرسول، حتى ليصبح جديرا بذلك الوسام العظيم الذي حباه ووهبه جده، حينما قال له: » اشبهت خَلْقي وخُلُقي»، والرسول الأعظم عليه السلام هو الذي تحمل مسؤولية هداية الأمة ورعايتها، ومسؤولية تبليغ الرسالة وتطبيقها، وحماية مستقبلها، من خلال وضع الضمانات التي لابد منها في هذا

المجال، وهو المطلع- عن طريق الوحي- على ما ينتظر هذا الوليد الجديد من دور قيادي هام، والمأمور بالإعداد لهذا الدور، وذلك ببناء شخصية هذا الوليد بناءً يتناسب مع المهام الجسام التي تؤهله للاضطلاع بها على صعيد هداية الأمه وقيادتها، وعاش مع أبيه المرتضى عليه السلام فترة حياته، وإمامته البالغة ثلاثين سنة تقريبا، عاصر خلالها كلا من الخلفاء الثلاثة، وشارك بشكل فاعل في إدارة دولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. (القرشي، ٢٠٠٨)

وقتل مسموما على يد زوجته جعده بنت الأشعث الكندي، وقد كان رجلا منافقا، بأمر من معاوية بن أبي سفيان، حيث ضمن لها أن يزوجها بابنة يزيد، وأرسل لها مائه الف درهم، فسقته جعدة السم، حيث وضعته في طعام الإفطار وكان صائما، فشعر الإمام الحسن عليه السلام بألم شديد يقطع أمعاءه، ونظر إلى زوجته«جعدة» وقال لها ﴿ يا عدوة الله، قتلتيني قتلك الله، لقد غرك معاوية، وسخر منك، يخزيك الله ويخزيه ﴾، بعد ذلك سخر منها معاوية وطردها من قصره وقال لها: إننا نحب حياة يزيد، وهكذا خسرت جعده الدنيا والآخرة، وفازت بلقب: «مسممه الازواج»، وفي الثامن والعشرين من شهر صفر عام ٥٠ للهجرة، عرجت روح الإمام الحسن عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، حيث دفن في المدينة المنورة مقبرة البقيع. (القرشي، ٢٠١١، ص: ٤٧٥)

هل شكل العنف والظلم مدعاة في حياة الإمام الحسن؟

يمكننا أن نفهم من قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ﴿البقرة، ٢٠٨﴾، أن «السلم» من المفاهيم التي يحث عليها القرآن، منهجاً يؤمن بالتراحم والعيش بمودة، في حين أن الحرب والعنف تمثل أعمالاً خارجة عن المنطق والعقلانية، في حين أن الحرب والعنف هو من عمل الشيطان، فكل حرب تقع لسبب غير معقول مع وجود خيار السلم، هي حرب تسير على منهج الشيطان، وليس على منهج القرآن الإنساني، فالله يدعونا إلى السلم والسلام، حتى أنه عز وجل قد سمي نفسه «السلام» ووصف ب«الرحمن» و«الرحيم»، ومن ثم وجب أن يكون السلام هو الرحمة والمحبة، أما قضية العلاقة بين السلم واللاعنف في الفكر الإسلامي الأصيل وما سواه من المبادئ، فسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته خير مصداق لسلوك السلام والتسامح

في الأمة، فهي حامل لراية السلم والسلام؛ لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة، إذ يقول عليه السلام: ((انما انا رحمة مهداة)).

وقد حثَّ الإسلام في تعاليمه كثيراً على التجمل بأخلاقيات اللاعنف والتسامح كالرفق والصفح والعفو والرحمة والشفقة واللين؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنّ الرِّفقَ لَم يُوضَعْ على شيءٍ إلّا زانَهُ، ولا نُزِعَ مِن شَيءٍ إلّاشانَهُ))الكافي: ﴿ ٢/ ١١٩/ ٦ ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله ((الرِّفْقُ يُمنٌ والخُرقُ شُؤمٌ))الكافي: ﴿ ٢/ ١١٩/ ﴾ ٤وقوله» :صلى الله عليه وآله الرِّفقُ نِصفُ المَعِيشَةِ «﴿الأنوار: ٧١/ ٣٤٩/ ١٩ ﴾ وقوله» :صلى الله عليه وآله إنّ في الرِّفقِ الزِّيادَةَ والبَرَكَةَ، ومَن يُحرَمِ الرِّفقَ يُحرَمِ الخَيرَ «الكافي: ٢/ ١١٩/ ٧﴾ وقال الإمام علي» :صلى الله عليه وآله كُن ليّناً من غير ضعف شديداً من غير عُنْف« عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٩٣﴾ وقال الإمام علي ـــ :صلى الله عليه وآله الرِّفقُ يُؤَدِّي إلى السِّلْمِ))﴿عيون الحكم والمواعظ، ص ٣١﴾ وقال الإمام الباقر :صلى الله عليه وآله إنّ اللهَّ عزّ وجلّ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ ويُعطِي على الرِّفقِ ما لا يُعطِي على العُنفِ ﴿الكافي: ٢/ ١١٩/ ٥ ﴾

وفي الوقت الذي تؤكد الوصايا والتعاليم الدينية على الرفق والتسامح ونبذ العنف وتنهى بشدة عن بذاءة اللسان والفحش في الكلام، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: « إيّاكُم والفُحشَ؛ فإنّ اللهَّ عَزَّ وجلَّ لا يُحِبُّ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ﴿ بحار الأنوار: ٧٩/ ١١٠/ ١ ﴾ وعنه صلى الله عليه وآله قال: «إنّ اللهَّ لا يُحِبُّ كلَّ فاحِشٍ مُتَفَحِّشٍ «كنز العمّال: ٨٠٧٨ ﴾ وعنه صلى الله عليه وآله قال: «الجَنَّةُ حَرامٌ على كُلِّ فاحِشٍ أن يَدخُلَها﴿ كنز العمّال: ٨٠٨٥ ﴾

.وعنه صلى الله عليه وآله قال: «لا تَسُبُّوا الناسَ فتَكتَسِبُوا العَداوةَ بَينَهُم﴿ الكافي: ٢/ ٣٦٠/ ٣ ﴾وقال الإمامُ الباقرُ» :صلى الله عليه وآله إنَّ اللهَّ يُبغِضُ الفاحِشَ المُتَفَحِّش﴿ الكافي: ٢/ ٣٢٤/ ٤ ﴾وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «سِلاحُ اللِّئامِ قَبيحُ الكلامِ« ﴿الأنوار: ٧٨/ ١٨٥/ ١٤ ﴾.

لذلك يعتمد مفكرو الغرب إلى استلهام تشددهم على قيم الحرية والعدالة، والمساواة، واحترام كرامة الإنسان، مستمدين قوانينهم المدنية من مفاهيمهم الفلسفية والأخلاقية، لكن الخطاب الإسلامي وبالظرف الحالي، يقف عائقا أمام مبادئ التسامح والحداثة، غافلا كون «التشدد والغلو والتطرف»، مفاهيم مناقضة للإسلام، الذي يقوم على الوسطية والاعتدال

والتسامح، فغياب التسامح يعني انتشار ظاهرة التعصب والعنف وسيادة عقلية التحريم والتجريم، وهذا ما يرصد على أرض الواقع وخصوصا بعد احتلال العراق وتمركز» القاعدة» كمنظمة ساهمت بطريقة أو بأخرى في العنف السائد، وظهور «داعش» والتي تعد من أكبر المنظمات تطرفاً وعنفاً، على الصعيد الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي.

أسس الإمام الحسن عليه السلام لمبدأ التسامح والمحبة والمودة، وجسده في العديد من المواقف مع أعدائه، فعلى الرغم من اتخاذ أعدائه السلاح في مواجهته، إلا أنه كان يواجههم بالكلمة، وبالنصيحة، فكان عليه السلام يمنع قومه من البدء بالقتال، فمادام هناك مجال للكلمة، ومعرفة الرأي، فلا مجال في ثقافة الحسن بأن يستعمل سلاح الحرب والقتال، مادامت هناك فسحة لمعرفة الرأي ووجهات النظر، وفي هذه المواقف يتجلى منتهى تمسك الإمام الحسن بالتسامح، إن هذا المبدأ الأخلاقي الرائع للإمام الحسن عليه السلام يكشف لنا حدود المبادئ الإنسانية التي كان الإمام يدعو لها ويطبقها بنفسه، وهي مبادئ لا نجد لها ما يقابلها، وللأسف خصوصاً بين أبناء المجتمع الإسلامي المعاصر .(مدن، ٢٠١٤).

كانت سياسة الإمام الحسن عليه السلام مكملة وممهدة لسياسة جده النبي محمد صلى الله عليه وآله، فكانت تتسم بسياسة اللاعنف والنهضة والسلام، إضافة إلى الحكم الرشيد، فسياسة الإمام المجتبى عليه السلام كانت نبراساً والأرض الخصبة التي خططت لقيام ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الظلم.

لذلك وصف دور الإمام الحسن عليه السلام بالمهم في الثورة النهضوية للإمام الحسين عليه السلام، فقد كان حساساً وصعباً أكثر من دور سيد الشهداء عليه السلام؛ لأن المجتبى كان عليه أن يهيئ الأرضية الصالحة للنهضة المباركة، وقد قام الإمام الحسين، بتلك النهضة الحقّة، لأن النهضة الموفقة تحتاج أولاً إلى إعداد الأرضية والتخطيط المنظم والدقيق، حتى يمكن إجراؤها بنجاح، فنبي الإسلام صلى الله عليه وآله مثلاً كان شجاعاً مجاهداً، لكنه في مكة المكرمة قد قام بتهيئة الأرضية المناسبة للأمة الإسلامية، فوضع الأسس في مكة، وقام بمرحلة التنفيذ والتطبيق في المدينة .(سليمان، ج٧، ص: ٧)

لقد قام الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام بأداء رسالة واحدة، ولكن نصفها قد أداه الإمام الحسن عليه السلام بالإعداد الكامل، وتهيئة الأرضية اللازمة، ونصفها الآخر قد قام بأدائه سيد الشهداء عليه السلام

بقيامه المقدس والدامي. لكن مسؤولية الإمام الحسن عليه السلام كانت مهمة وصعبة جداً، ربما أصعب من مسؤولية الإمام الحسين عليه السلام، وذلك لأن مسؤولية الإعداد أصعب من تفجير النهضة والقيام المسلح، لأن الشخص الذي يريد بناء جيل وتربيته على المفاهيم الصحيحة، فمن دون شك وتردد، لابد من أن يلاقي صعوبات عديدة، وربما يهان، كما أنه يحتاج إلى برنامج منظم وزمان طويل ومخطط دقيق على المدى البعيد، والكوادر الصالحة والتقية والاحتياط من أجل المحافظة على هذا الجيل في حال الإعداد والبناء، وعوامل البقاء خلال عشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر، وأخيراً فهو بحاجة للاستعداد الكامل لتحمل الكلمات الجارحة، وأن يكون بعيداً عن كل مدح وثناء.

ومن هنا يعرف مدى أهمية مسؤولية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ودوره العظيم، فإنه كان يشكل القسم المهم من النهضة المباركة، وأن رسالته ورسالة أخيه الإمام الحسين عليهما السلام كانت واحدة ولكن تتشكل من قسمين، وهل هذا من أسباب ما ورد من أن الإمام الحسن عليه السلام هو أفضل وأعلى مرتبة من الإمام الحسين عليه السلام كما صرح بذلك سيد الشهداء صلى الله عليه وآله في يوم عاشوراء حيث قال: «أخي خيرٌ مني.”

إن المتبع لنهضة الإمام الحسن» صلى الله عليه وآله الفكرية والسياسية والدينية، يلاحظ صعوبة المهمة التي قام بها في ظروف كانت توصف بالحرجة والصعبة، حيث كانت كل حركات الإمام» صلى الله عليه وآله مرصودة، وعلى طول المدة وحتى وفاته ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾، وهو وإن لم يمد يداً للسلاح، إلا أنهُ التزم النضال بكل الأسلحة الأخرى التي لا تقل أهمية عن السيف، فكان سلاح السيف هو الفكر والإرادة والعزيمة وقول الحق بالخطب والمواعظ وسلاح العلم والفكر والتثقيف وسلاح العدالة بالاعتناق، كل هذه الآليات الدفاعية عن دين الإسلام، وعن الإنسانية، كانت سداً منيعاً في وجه أخطر عملية تحريف تهدف إلى إبادة الإسلام من جذوره في حكم بني أمية الجاهل والعودة إلى أحلام أجدادهم زمن الأصنام والجهل والعبودية. (الشريفي، ٢٠١٤)

والإسلام الذي ظهر في زمن سادت به الجاهلية أخذ يدعو إلى التحلي بنهج (اللاعنف) في جميع شؤون الحياة الخاصة والعامة، فالإسلام يعتبر السلم والسلام واللاعنف هو الأصل، وما عداه استثناء يؤكد هذا الأصل الأولي.

ولا يقتصر نهج اللاعنف على جانب دون آخر، أو بعد دون آخر، بل يشمل جميع أبعاد الحياة كبناء الكيان الأسري، وبناء المجتمعات الإنسانية، وبناء الفكر والثقافة، وبناء التعليم والتربية، وبناء العلاقات الدولية بين الدول والأمم المختلفة.

ولا شك أن رؤية الدماء تحت أي مدعى خلاف رسالة التسامح، فكيف يمكن الموالفة بين الدماء وقيمة التسامح؟ بل كيف يمكن تنشئة مجتمع سليم الذهن والفطرة في حين أن الدماء الحلال والحرام تسفك أمامه.

عندما كان الفكرِ الإسلامي، والعلم الإسلامي، والخطاب الإسلامي، فتياً وحيوياً وفعالاً، كانت الحضارة الإسلامية فتيه صاعده وقادرة على هضم الاختلاف والتنوع، وهذا ما يجب استحضاره اليوم لتفعيل خطاب ديني وسطي ومتسامح ومعتدل يؤثر على مناحي الحياة كلها، ويمهد لخطاب سياسي معتدل وبناء كذلك، ولكن عندما يتعصّب للرأي وينفي الآخر المختلف، ويضعف التنوع والتكامل، تعتل الثقافة، وتمرض الحضارة. (عصفور، ٢٠٠٦)

إن الماضي كنزٌ يجب أن نستفيد منه؛ إلا أن علينا أن نضع نُصب أعيننا، أننا فئات شتى في المجتمع، وربما ارتكب بعضنا أخطاء وآثامًا من قبل؛ فجرح البعض منا الآخر وآذاه وأدمى قلبه؛ ومن الخطأ تصوير هذه الأحداث بآلامها ومرارتها مجدّدًا كما في الروايات والأفلام، وإحياء الأحداث البائدة في يومنا هذا، وجعلها مثارًا للنزاع والخصام؛ لا جرم أن هذه الأحداث التاريخية قد وقعت جميعها، وهذا لا نزاع فيه؛ لكن من الخطأ استغلالها في مواجهة بعضنا واتخاذها مسوِّغًا للنزاع والعراك؛ ولا نقصد بذلك أن: "علينا أن نُعنَى بالصفحات المشرقة في التاريخ فحسب"، كلَّا، بل لا بد أن تخضع الأحداث التاريخية بحلوها ومرّها للدراسة والتمحيص، حتى نتجنّب تكرار الوقوع في الأخطاء نفسها.

مراجع تسامح الخطاب الفكري:

*-ابن أبي الحديد، عبد الحميد(١٩٨٧) شرح نهج البلاغة ج١٦ ص١٣ دار الجيل – بيروت، ط١.

*- ابن منظور محمد بن مكرم، « **لسان العرب – مادة «خطب»**، بيروت: دار صادر.

* - ابن منظور، لسان العرب، ط٦، ص ٣٥٤ و ٣٥٦.

*- أحمد عبدالله الطيار(٢٠٠٥) «**تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد**»، حولية كلية ٤- أصول الدين القاهرة، العدد (٢٢)، المجلد الثالث، ص ١٢.

*- الحائري، حسن الشمري(٢٠١٣)، قبس من نور: الامام الحسن المجتبى، كربلاء المقدسة، دراسة موضوعية في حياة الامام المجتبى، العتبة الحسينية المقدسة، ط١.

*- الأمين، علي(٢٠١٤)، التسامح السياسي في الاسلام، معهد البحرين للتنمية السياسية، البحرين.

*- باقر شريف القرشي: حياة الامام الحسن، ج٢، ص.٢٨٥

*- بحار الأنوار: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٩/ ١٩. -٧٨/ ١٨٥/ ١٤. ٧٩/ ١١٠/ ١.

* -زقزوق، محمود حمدي(٢٠٠٣)، الانسان والقيم في التصور الاسلامي، القاهرة: دار رشاد للطباعة، ط١.

*- الشريفي، رحيم كريم(٢٠١٤)، الانسانية المثالية عند الحسن بن علي، بيروت: دار البرهان، ط١.

*- الشريفي، رحيم كريم(٢٠١٧)، موضوعية المنظومة الخطابية عند الامام الحسن عليه السلام: مقاربة تداولية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مجلد(٧)، ع(٤).

*-شعبان، عبد الحسين(٢٠٠٥)، فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي: الثقافة والدولة، بيروت: دار النهار.

*- الشمري، حاتم بديوي(٢٠١٩)، دور الخطاب الديني في اصلاح قضايا المجتمع: دراسة تحليليه لخطبة جمعة كربلاء «نموذجا»، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، مجلد(٩)، ع(١).

*-الشيخ حسين سليمان: الامام الحسن القائد والاسوة ج٧ ص ٧.

*- أصول الكافي: ٢/ ١١٩/٣-٤-٥- ٦-٧ - عيون الحكم والمواعظ، ص(٣١) و(٣٩٣).

*-عصفور، جابر(٢٠٠٦)، ثقافتنا بين التعصب والتسامح، مجلة العربي، ع(٥٦٧)، شباط، ص: ٨٠.

*- عمر محمد الشيباني (١٩٩٣) « **من أسس التربية الإسلامية** » الطبعة الثانية، من منشورات الجامعة المفتوحة.

*- الغشيمي، عبدالواسع و سعد، امير فاضل(٢٠١٣)، التسامح الاسلامي قراءة في معطياته الفكرية واثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، ع(٢١).

*- غليون، برهان(١٩٩٣)، الدولة والدين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ص: ٥٨.

*- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(١٩٨٧)، القاموس المحيط، ت: محمد نعيم العرقسوسي، مكتبة تحقيق التراث، بيروت: مؤسسة الرسالة. ، باب الحاء، فصل السين، ص: ٢٢٥.

*- القرشي، باقر الشريف(٢٠٠٨)، حياة الامام الحسن، دراسة وتحليل، ت: مهدي باقر القرشي، ايران، مطبعة شريعة، ط١.

*- قمر، محمود (٢٠١٣) التسامح والاخاء الانساني في الاسلام، دراسة تحليلية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ص ٨٥.

*- كنز العمّال: ٨٠٧٨و ٨٠٨٥.
*- مدن، يوسف(٢٠١٤)، دراسات في الفكر التربوي عند الامام الحسن عليه السلام، بيروت: دار البرهان، ط١.
*- الوريمي، ناجية(٢٠١٥)، الاختلاف وسياسة التسامح، الرباط: منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، ط١.
*- يسري، مصطفى(٢٠٠٥)، عرض كتاب فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي للدكتور عبد الحسين شعبان، شبكه المعلومات الدولية.

الآليات الاقناعية اللغوية في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

دراسة تداولية

م . د عبد الحسن علي الناصر

المقدمة

يعدّ الخطاب الحجاجي البؤرة المركزية في إيصال الأفكار وتثبيت المقاصد في ذهن المتلقي، إذ ينطوي على أثرٍ فعَّالٍ في إقناع الآخرين؛ كونه محاولة واعية من المتكلّم للتأثير في المتلقي عبر وسائل الإثارة والتأثير، ومن ثمَّ دفعه نحو تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين أو لتغيير رأيه لبناء موقف جديد، فآثرت الخوض في هذا الموضوع؛ محاولة مني الكشف عن خباياه، والوقوف على أهمِّ سماته وأنواعه بمنظور حداثي، لذا تسعى الدراسة الكشف عن الآليات الإقناعية الحجاجية في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بتوظيف بعض ما توصَّل إليه البحث التداولي من مفاهيم وقوانين كمبدأ التعاون، ونظرية أفعال الكلام، واستثمار ما قدَّمته النظريات الحجاجية من مفاهيم وأدوات في التحليل؛ أملاً في إضفاء إشراقة موجزة لأهم الآليات الاقناعية التي وظّفها الامام الحسن عليه السلام في محاوراته مع الآخرين، والطرق التي استعملها عليه السلام في افحام المتلقي على الرغم من عناده ومكابرته، فجاءت الدراسة على مبحثين: الأول كان توطئة نظرية نرمي بها إلى إلقاء ضوء على بعض المفاهيم والاسس النظرية ذات الصلة بمحتوى الدراسة فتطرقنا إلى: مفهوم التداولية والحجاج، أمَّا المبحث الثاني: فكان لأهم الآليات الاقناعية اللغوية التي استثمرها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في خطابه الحجاجي، ودورها في تحصيل الاقتناع واستمالة المتلقي ومن ثمّ اذعانه لفحوى الخطاب الموجّه، وخُتِمَت الدراسة بأهم ما توصلنا إليه من نتائج.

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على رسوله وآله أبداً

المبحث الأول

مثاقفات في الحجاج والتداولية

أولاً: مفهوم الحجاج

الحجاج في اللغة: تدور معاني الجذر اللغوي لمادة (ح ج ج)، على معنى التخاصم والتنازع والبرهنة والغلبة، وهي مفاهيم وعمليات مأخوذة بمعانيها الفكرية والتواصلية، جاء في لسان العرب «حاججتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حجَجْتُه، أي غلبتُه بالحُججِ التي أدليتُ بها. . . والحُجَّة: الدليل والبرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقال الازهري: الحُجَّة ما يكون به الظفرُ عند الخصومة. ومن أمثال العرب: لجَّ فَحَجَّ، معناه لجَّ وتمادى به لَجَاجُه فغَلَبَ من لاجَّه بحُجَجِه، ورجلٌ مِحجاجٌ أي جَدِلٌ، والتحاجّ: التخاصُم، وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاج»[1].

عبر هذه التحديدات المعجمية نتبيَّن أنَّ الحجاج إنَّما يكون لخصومة، وهو بهذا مرادفٌ للجدل[2]، وأصل الخصومة المنازعة التي لا تستلزم عداوة ولا مقاتلة، بل مدارها الاختلاف في دعوى تملّك الحق، والغلبة فيه للذي يقيم الحُجَّة والبرهان، وهذا يستدعي أنْ يكونَ هناك ثلاثة أطراف تتحقق عبرها العملية الحجاجية التواصلية: الأول: المُحاجِج وهو المتكلِّم، الثاني: المُحاجَج وهو الطرف السامع، فإذا غُلِبَ كان محجُوجاً[3] أي إنَّه اقتنع بالأدلة والحجج والبراهين، والثالث: الحُجَج التي تتداول على ألسنة المتحاجين.

الحجاج في الاصطلاح: ليس بوسعنا القبض على مفهوم دقيق كل الدِّقة لمعنى الحجاج، فهو مفهوم عائمٌ يصعب حصره والإحاطة به؛ وذلك لتعدد مظاهر الحجاج وتنوعها، وتعدد استعمالاته وتباين مرجعياته كالخطاب والفلسفة والمنطق، فلا غرابة أن نجد مثلاً حجاجاً لغوياً وحجاجاً فلسفياً وحجاجاً قضائياً وحجاجاً سياسياً. . . الخ[4]، فضلاً عن ذلك فإنَّ الحجاج بوصفه نظرية لم تنغلق بعد، بل نراها تشهد كل يوم ظهور مؤلفات جديدة تغني هذه النظرية وتثريها[5]، ولكن لا بأس بتلمس بعض معانيه والوقوف على بعض حيثياته أملاً في إضفاء إشراقة موجزة على جوانب منها.

نجد القدماء في تراثنا العربي قدَّموا رؤية لمفهوم الحجاج تقترب إلى حد كبير من مفهوم

الجدل[٦]، أو أنَّهم عرَّفوا «الحجاج بمعناه العام دون الدخول في تفاصيله وآلياته»[٧]، من ذلك ما أشار إليه الجرجاني (٧٢٩هـ) في تعريفه للحجاج قائلاً: «المحاجَّة: هي ادّعاء شيء مع الحجَّة عليه»[٨]، وواضح من هذا التعريف أنّ الجرجاني ينطلق من (الحجَّة) في بيانه للحجاج مع أنَّ الحجّة هي الركن الأساس في العمل الحجاجي وليست الحجاج نفسه، فضلاً عن اهماله لدور المتلقي بوصفه الطرف الآخر للعملية الحجاجية التي تقوم على الادّعاء والاعتراض، وأطلق ابن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ) على الحجاج (المذهب الكلامي) وعرَّفه بأنَّه «احتجاج المتكلم على خصمه بحجَّة تقطع عناده، وتوجبُ له الاعترافَ بما ادَّعاهُ المتكلِّمُ، وإبطالِ ما اوردهُ الخَصمُ. وسُمِّيَ بالمذهب الكلامي؛ لأنَّه يسلُكُ فيه مذهبَ أهلِ الكلام في استدلالهم على الباطلِ حُججَ خُصومِهم. »[٩]. وهذا التعريف أقرب إلى مفهوم الجدل منه إلى مفهوم الحجاج؛ وذلك بفرضه **(القطع والوجوب)** مع أنَّ ميدان الحجاج المحتمل والممكن من غير فرض على الآخر؛ ليتسنى للمتلقي تحصيل الاقتناع بنفسه الذي هو غاية العمل الحجاجي، فضلاً عن تقييده ميدان الدرس الحجاجي في علم الكلام، ولهذا أطلق عليه (المذهب الكلامي)، مع أنَّ مساحة الحجاج وميدان اشتغاله أوسع بكثير مما ذكر.

أمَّا في الدرس اللساني الحديث فقد تباينت الرؤى وتشعّبت حول مفهوم الحجاج، واتخذت مدارس خاصّة ونظريات لها أُسسها ومنطلقاتها وآلياتها لا مجال في هذا المختصر بسط القول فيها إلا إننا نجد أنَّ أبرز التعريفات التي قُدِّمَت للحجاج هو تعريف د. طه عبدالرحمن الذي حدَّ الحجاج بقوله: «كلُّ منطوقٍ به موجَّه الى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقُّ له الاعتراض عليها»[١٠]، فالحجاج استناداً إلى هذا التعريف يتعلَّق بمبادئ منها:

١. مبدأ النطق لحظة الإيقاع[١١]؛ ذلك إنَّ المحاجِج إنَّما يكون محاوراً و «لا يكون المحاور ناطقاً حقيقياً إلا إذا تكلَّم لساناً طبيعياً معيناً، وحصَّل تحصيلاً كافياً صيغه الصرفية وقواعده النحوية وأوجه دلالات ألفاظه وأساليبه في التعبير والتبليغ»[١٢].

٢. مبدأ **التواصل** (موجَّه الى متلقٍ)، وفي ذلك إشارة إلى انفتاح الحجاج على العالم الخارجي، إذ يُعدّ حلقة ضرورية تمرّ عبرها مختلف العلوم، فهو ظاهرة اجتماعية وثقافية يحاكي الآخر، سواء أكان ذلك الآخر فرداً أم جماعةً أم جمهوراً حاضراً، أم جمهوراً كونياً.

٣.مبدأ **التوصيل** والإفهام، ويُنزَّل الحجاج هنا في صميم **التفاعل** بين المتكلِّم والمتلقي؛ ذلك أنَّ التواصل لا يتم من أجل لا شيء، بل يأتي لربط علاقات مع الغير، بهدف التأثير فيه، عن طريق تحريك اعتقاده، ودفعه الى العمل[١٣].

٤.مبدأ **احتمالية** النتيجة لا قطعيتها، فميدان الحجاج الممكن المحتمل، إذ لا ينطلق من حقيقة مفروضة، بل من قناعة يسعى المتكلم إلى بنائها، فهو عملية تعتمد على التوافق وليس القطعية، بمعنى آخر أنَّ صفة الاحتمالية التي تشكِّل صفة في الحجاج «تقوم في كونه ينطوي على قدر من **الالتباس** في الوظيفة، هذا الالتباس الذي لا نجد له نظيراً في غيره من طرق الاستدلال؛ ولولا تضمّن الحجاج لهذا الالتباس، لما تميَّز طريقه عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو الفاصل بين الحجاج والبرهان»[١٤].

٥.مبدأ **الاختيار** وعدم الإكراه في قبول الحجة أو رفضها، وهو الطريقة الحضارية السلميَّة المُثلى لحل التنازع والتخاصم، وهو «البديل عن العنف. . . إذ يمكن حسب بيرلمان وتيتكاه أنْ نسعى الى تحقيق النتيجة نفسها باعتماد إحدى وسيلتين: العنف أو الخطاب نقنع الناس بواسطته فيقتنعون»[١٥]، وهو بهذا يحقق أنجع الوسائل لحل الخلافات.

ثانياً: مفهوم التداولية

يرجع الفضل في ظهور اللسانيات التداولية- بوصفها درساً لسانياً معاصراً- الى الفيلسوف الإنكليزي جون أُوستن (J. Austin) (١٩١١-١٩٦٠م) إثر صدور كتابه الموسوم (كيف ننجز/ نصنع الأشياء بالكلمات)[١٦]، إذ تُحدَّد عنده التداولية على أنَّها جزء من التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي[١٧]، فهو ينتقل من المستوى اللغوي والنفسي للغة، الى المستوى الاجتماعي، وما ينطوي عليه من تأثير وتأثر، عبر استعمال اللغة تحقيقاً للتواصل[١٨].

نتيجة لتداخل مجالات التداولية وتنوعها، وتعدد اهتمامات الباحثين والعلوم التي تناولتها، فقد تعدَّدت تعريفاتها فمنها[١٩]:

*هي دراسة الأُسس التي نستطيع بها لِمَ تكون مجموعة من الجمل شاذّة تداولياً.

*هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية (معرفية، واجتماعية، وثقافية).

*هي دراسة جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية.

*هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب.

*هي دراسة المعنى التواصلي، أو في معنى المرسِل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله.

*هي فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم.

*إنَّها تتطرق الى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً.

وإجمالاً لهذه التعريفات «يمكن تعريف التداوليات في أوسع معانيها بأنَّها دراسة التواصل اللغوي في السياق»[٢٠] أو هي «دراسة اللغة في الاستعمال»[٢١]، فالمعنى ليس مختبئاً خلف المتكلم، وليس ثاوياً وراء السامع، وليس شيئاً متأصِّلاً بالكلمات وحدها، بل هو تداول بين المتكلم والسامع في سياق[٢٢] محدد وصولاً إلى المعنى، فالتداولية إذن دراسة الاستعمال اللغوي.

المبحث الثاني:

الآليات الإقناعية اللغوية في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

يعتمد الحجاج الخطاب الطبيعي على آليات مخصوصة مطواعة حسب استعمال المتكلّم لها، فيعمد إلى توظيف الأدوات اللغوية، بمعانيها وإمكاناتها، وتنوّع وظائفها في السياقات المختلفة، واعتماداً على كثير من النظريات الحجاجية، واستناداً إلى مادة موضوع الدراسة، من الممكن تقسيم الآليات اللغوية في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى:

أولاً: ألفاظ التعليل

إنَّ ألفاظ التعليل من الأدوات الناجحة والفاعلة التي يستعملها المتكلّم لتقديم حججه في خطابه؛ إذ تربط بين الفعل وسببه، وبمقدار قوَّة الارتباط هذه تكون قوَّة الاستدلال، فالعلاقة السببية هي من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، إذ يحرص المحاجج فيها على جعل بعض الأحداث أسباباً لأحداث أُخرى، ويسم فعلاً ما أنَّه نتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفاً معيناً سبباً مباشراً لموقف لاحق[٢٣].

إنَّ التعليل نوع من أنواع التأكيد والتثبّت والاطمئنان بصحّة الخبر أو الحكم؛ لأنَّ ذكر

الشيء معلَّلاً مما يقوّي تأثيره في النفس وثقتها به، ((وفائدته التقرير والأبلغية؛ فإنَّ النفوس أبعث على قبول الأحكام المُعلَّلة من غيرها))[٢٤]، ومن هذه الأدوات التعليلية التي شكَّلت مظهراً بارزاً في خطاب الإمام الحسن عليه السلام:

١)**المفعول لأجله**: هو أحد ألفاظ التعليل إينما ورد في الخطاب بوصفه ((المصدر المُفْهِم عِلّة، المشاركُ لعامله: في الوقت والفاعل))[٢٥]. ويكمن البعد الحجاجي في بيانه ((علة الإقدام على الفعل، وهو جواب له))[٢٦]، فينتج عنه توجيه الخطاب الوجهة التي يبتغيها المحاجج، وبهذا تتحدّد قيمة الفعل وخطورته على نحو قول الإمام الحسن عليه السلام في محاججته للمغيرة بن شعبة: ((**وأَنْتَ الَّذي ضَرَبْتَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ الله** صلى الله عليه وآله **حتّى أَدْمَيْتَها وأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِها، اسْتِذْلَالاً مِنْكَ لِرَسُولِ الله** صلى الله عليه وآله **ومُخالَفَةً مِنْكَ لِأَمْرِهِ، وانْتِهَاكاً لِحُرْمَتِه، وقَدْ قَالَ لَهَا رَسُولُ الله** صلى الله عليه وآله: **يا فاطِمَة أَنْتِ سيِّدَة نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ. واللهُ مُصيِّرُكَ إلى النَّارِ، وجاعِلُ وبالَ مَا نَطَقْتَ بِهِ عَلَيْكَ**))[٢٧]. الخطاب هذا دار بين الإمام الحسن عليه السلام والمغيرة، استثمر فيه الامام عليه السلام الطاقة الحجاجية لفعل التعليل في إظهار المحرِّك الأساس والسبب الرئيس وراء إقدام المغيرة على فعله، وانتهاكه لحرمّة النبي عبر السيدة الزهراء عليها السلام بضربه إياها، قيَّدها الإمام بثلاثة أفعال هي: (الاستذلال، والمخالفة، والانتهاك)، قد بالغ الإمام في بيانها، وركَّز على إظهارها؛ كونها تؤدّي إلى النتيجة الضمنية اللاقولية وهي عدم إيمان المغيرة وكفره وفسقه.

يبدأ الإمام عليه السلام بالإخبار عن أصل الحادثة وهي (ضرب المغيرة للسيدة الزهراء عليها السلام)، ولم يكن الإخبار هنا مراده عليه السلام بقدر ما أراد تقييد الفعل بالمغيرة، ومحاصرته من الفرار من أصل الحادثة؛ لهذا ابتدأ الامام عليه السلام قوله بـ(**أنت الذي**)، ثمّ يبيِّن عليه السلام الدرجات الصعودية في الفعل والحادثة، والاسترسال في الضرب والإصرار عليه، إذ لم يكن ضرباً عارضاً أو من غير شعور أو تعمّد، يظهر ذلك من إدماء المغيرة للسيدة الزهراء عليها السلام، واسقاطه لجنينها، إنَّ التراتب بين الأقوال التي قدَّمها الإمام عليه السلام خضعت كلها إلى علاقة تراتبية مترابطة تتحرَّك كلها نحو نتيجة واحدة مضمرة؛ لهذا تتمظهر حجاجية هذه الأقوال في كونها تسدّ مسدّ الدليل المعين الذي يُفهم من السياق، ومن بنية الأقوال نفسها وكما مبيّن:

السلم الصعودي للأقوال/الحجج	ق٢	كفر المغيرة	أُسقِط جنين فاطمة عليها السلام
	ق٣		أدميتَ فاطمة عليها السلام
	ق١		ضربت فاطمة عليها السلام

إنَّ التدرّج الحركي في بناء الخطاب الحجاجي يحكمه عنصر هامّ يتعلَّق بمبدأ الضعف والقوَّة في الحجة «فالحجج اللغوية ليست متكافئة ولا متماثلة، وتخالف في هذا البراهين المنطقية والرياضية، فالحجة اللغوية لها قوّة معينة، وتحتل مرتبة ما من المراتب الحجاجية، فهناك الحجج القوية، والحجج الأقوى، وهناك الحجج الضعيفة والحجج الأضعف»[٢٨]، والمساهم في الربط بين الحجة الضعيفة والحجّة الأقوى الرابط الحجاجي (حتى)؛ لذا استثمره الامام عليه السلام للربط بين حجَّتين لهما النتيجة نفسها، إذ «الدليل الذي يرد عادة بعد هذا الرابط يكون أقوى، حجاجياً، وأعلى سلَّمياً، من الأدلة التي ترد قبله»[٢٩]، فالضرب[٣٠] وإن كان –بحد ذاته– انتهاكاً لحرمة النبي صلى الله عليه وآله وفعلاً عظيماً تكاد تتفطَّر منه السموات والأرض وتخر منه الجبال، إلا أنَّ بلوغه حدّ الإدماء وإسقاط الجنين لهو من أعظم الأفعال جرأة على الله تعالى، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام يعدّ نتيجة لهذا الفعل الصارخ، وتعليلاً لهذا العمل الفادح، عبر بيانه لمكنونات الفاعل وما انطوت عليه سريرته من كفر ونفاق، وما استبطنه قلبه من حقد وضغائن على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله، ليصبَّ (المغيرة) جام غضبه وحقده على السيدة الزهراء عليها السلام بوصفها ابنته وبضعته صلى الله عليه وآله؛ لهذا يقيِّد الامام عليه السلام سبب إقدام المغيرة على فعله هذا بثلاث علل:

١) اسْتِذْلَالاً مِنْكَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله

٢) ومُخَالَفَةً مِنْكَ لِأَمْرِهِ

٣) وانْتِهَاكاً لِحُرْمَتِه

فلم يكن فعل المغيرة معاداة لشخص الزهراء عليها السلام، بقدر ما كان بغضاً لأبيها النبي صلى الله عليه وآله، وتقليلاً من شأنه، وإرادة الحطّ من قدره، وانتهاك حرمته، وهذا يقودنا إلى النتيجة المضمرة الثاوية خلف هذه الأقاويل التي قدَّمها عليه السلام وهي كفر المغيرة وعدم إسلامه ونفاقه.

إنّ وراء فعل الفاعل لا بدَّ من علَّة دفعته إلى ذلك الفعل، وإنَّ وراء الأحداث المتعاقبة

والإيقاعات المختلفة من قبل الفاعل غرضاً أو رغبة دفعته إلى إحداث ذلك الفعل، وهذا الغرض قد يكون مصرَّحاً به أو قد يكون مضمراً، يكتشفه المحاجج في خطابه لإفحامه الطرف الآخر، على نحو مخاطبة الامام عليه السلام معاوية بعدما تحدَّث جماعة من بني أُميَّة في مجلسه بأحاديث أرادوا عبرها النيل من الإمام عليه السلام وشتمه فقال عليه السلام: «**إنَّهُ لعَمْر الله يا أزْرَق مَا شَتَمَني غَيْرُكَ ومَا هَؤلاءِ شَتَمُونِي، وَلَا سَبَّنِي غَيْرُكَ وما هَؤلاءِ سَبُّونِي، ولَكِنْ شَتَمْتَنِي وسَبَبْتَنِي، فُحْشَاً مِنْكَ وَسُوءَ رَأْيٍ وبَغْيَاً وعُدْوانَاً وحسَدَاً عَلَيْنا وعَداوَةً لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَدِيْماً وحَدِيْثاً**»[٣١]. يبدأ الأمام عليه السلام خطابه الحجاجي بعدَّة مؤكّدات، وكلُّها حجج أراد عبرها إيصال رسالة مركزية مثَّلت بؤرة الخطاب وغايته، وكشف عبرها دهاء معاوية ومكره بوضعه الإمام الحسن عليه السلام ذلك الموضع في جماعة بني أُميَّة لينالوا منه عليه السلام، وكما مبيّن:

١) التوكيد الحرفي: إنَّ

٢) التوكيد بالقسم: لعمر الله

٣) التوكيد بالقصر: ما شتمني غيرك

لقد استثمر الأمام عليه السلام الطاقة الحجاجية للمؤكِّدات (إنَّ، والقسم، والقصر) في مستهلّ خطابه لغرض تقوية العلة التي سيذكرها بعدها، ورغبة منه في اخضاع المتلقي لفحوى خطابه، فضلاً عن ذلك فإننا نستشف منه شدّة انكار المتلقي للخطاب.

فالعلة التي دفعت معاوية لعقد هذا المجلس إنما تكمن في العلل التي ذكرها عليه السلام وهي:

١) فحشاً منك

٢) سوء رأي

٣) بغياً

٤) عدواناً

٥) حسداً علينا

٦) عداوة لمحمد

هذا يدل على معرفة المتكلم الكاملة والخبرة الواسعة لطرف النزاع (معاوية) على نحو محاصرته بالعلل الأساس التي كانت وراء عقد المجلس المشؤوم بصورة لا يمكنه الفرار أو

التخلص منها فإذا ما راودته نفسه الرد على علة من تلك العلل طالعته العلة الأُخرى فيبقى أسير الرضوخ والانقياد لحجة المتكلم لا يحير معها جواباً ولا يستطيع منها فراراً.

٢) **لام التعليل**: تعد لام التعليل من الروابط الحجاجية التي تستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه[٣٢]، وقد وردت كثيراً في خطابه ﷺ على نحو مخاطبة عتبة بن أبي سفيان: ((**فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك، ولا عاقل فأعاتبك، وما عندك خير يرجى ولا شر يخشى وما كنت ولو سببت علياً لأُعيِّر به عليك؛ لأنّك عندي لست بكفؤ لعبد عبد علي بن أبي طالب فأرد عليك**. . .))[٣٣]، يبين الامام السبب في رفضه إجابة المتلقي؛ كونه ليس بكفؤ لعبد العبد، وهذا أسلوب استعمله المتكلم في تضعيف حجة الخصم وتوهينها فهو ليس ممن يُسمع لقوله أو يُنصت لقوله، فضلاً عن ذلك فإن المتكلم يقدم بعض الحجج هي بمثابة مقدمات للنتيجة والعلة التي ذكرها فيما بعد، وهذه الحجج هي:

١.ما أنت بحصيف = فأجاوبك

٢.ولا عاقل = فأُعاتبك

٣.وما عندك خير = يرجى

٤.ولا شر = يخشى

فكانت تلك الحجج مقدمات للوصول الى العلة الحقيقية لعدم إجابة المتلكم للمخاطب وعلى أقواله التي ذكرها. فتتابع العلاقات السببية في هذا النص شكّل علاقة شبه منطقية جعلت منه نصاً مترابط الأجزاء ومتناسق الأفكار، وجعلت الأحكام متسلسلة متجاوية مع بعضها.

وكذا قوله ﷺ مخاطباً عتبة: ((**وما أنت بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك؛ لأنّ أخاك أكثر تمرداً على الله، وأشد طلباً لاهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم**...)). يستعمل الامام في هذا النص عنصر المفاجأة بنتيجة السبب والعلة التي ذكرها، فيكسر بذلك أُفق توقع المتلقي، فالنسق النصي والترابط الجملي والتتابع السببي كلها تقود الى نتيجة طبيعية، إلا أن المتكلم يفاجئ المتلقي بنتيجة معاكسة تماماً لما قد ظهر من المقدمات، فالمتكلم يوعز الى أن السبب في عدم أهلّيّة عتبة بن ابي سفيان

للخلافة؛ كونه ليس شبيهاً بأخيه معاوية، وهو ليس بخليفة أبي سفيان، وهو ما قد يرسم من صفات الكمال التي استحق بها معاوية الخلافة وفقدها عتبة، بعدها يتفاجأ المتلقي في السبب الذي جعله ليس شبيها بأخيه معاوية الى أنّ معاوية:

١. أكثر تمرداً على الله

٢. أشد طلباً لإهراقه دماء المسلمين

٣. طلب ما ليس له بأهل

٤. يخادع الناس ويمكرهم

٣. **التركيب الشرطي**: وهو الارتباط بين فعل الشرط والجزاء، بحيث إذا وقع الفعل وقع الجزاء، وهذا مؤدّاه أنّ الجزاء ليس مستحيل الوقوع؛ لأن الغرض من التعليق هو توليد قوة انجازية، على نحو قول الامام الحسن عليه السلام: ((**وأمّا رجائي الخلافة، لعمر الله إنْ رجوتها فإنّ لي فيها لملتمساً**. .))[٣٤]، إنّ المقام هنا مقام انتفاء أن يكون للإمام الحسن عليه السلام أي رجاء في الخلافة وهذا يقتضي الرد على من يدعي إرادته لها، ووجه الملازمة بين الجواب والشرط هو دخول (إنْ الشرطية) على الفعل الماضي من أجل تقوية الحجاج عن طريق إنزال ما لم يتحقق بمنزلة المتحقق، عضّده المتكلم بالقسم في بداية رسمه للحجة. مع هذا فالمتكلم يساوق المتلقي في رؤيته تلك (في إرادته الخلافة) على نحو يخالف العلة المتصورة في رجائه إياها، ويجعلها مضمرة ليترك المتلقي يعيش في فلك التصورات المحتملة لتلك الإرادة.

المدعي (المحاج): أنت ترجو الخلافة وتسعى إليها

الإمام الحسن عليه السلام:

(١) لا أرجو الخلافة = الخلافة بالمعنى الذي يفهمه المدعي

(٢) أرجو الخلافة = وجود غاية ألتمسها منها

(٣) إخفاء الغاية من الخلاف = جعل المتلقي يفترض عدة تأويلات

ثانياً: الأفعال اللغوية

تنطلق نظرية الحجاج من فكرة «إننا نتكلم عامة بقصد التأثير»؛ فاللغة تحمل بصورة جوهرية وظيفة حجاجية متضمنة في بنية الأقوال نفسها، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات

مـن الاقـوال بعضهـا بمثابـة الحجـج اللغويـة وبعضهـا بمثابـة النتائـج التـي نسـتنتج منهـا، فيتأسـس الحجـاج عـلى هـذا عـلى بنيـة الأقـوال اللغويـة وعـلى تسلسـلها داخـل الخطـاب[٣٥].

يفـرِّق جـون اوسـتن (J. Austin) بـين قولـين: الأول يسـميه بـ(العمـل القـولي) وهـو كل قـول لـه غايـة عمليـة مـا وهـو في ذاتـه عمـل نقـوم بـه. والثـاني يسـميه بـ(العمـل اللاقـولي) وهـو كل قـول يهـدف الى صياغـة واقـع جديـد، فبمجـرد صياغـة القـول يحـدث فعـل مـا، وهـو شيء آخـر مغايـر تمامـا للنشـاط الصـوتي البسـيط القائـم عـلى إرسـال بعـض الأصـوات[٣٥]، ومـن أهـم الأعـمال اللاقوليـة (الاسـتفهام) إذ يعـدُّ التركيـب الاسـتفهامي مـن أهـمّ التراكيـب الانشـائية مقـدرة في توجيـه الخطـاب وجهـة حجاجيـة مـا، وهـو ((فعـل حجاجـي بالقصـد المضمـر فيـه عـلى وفـق مـا يقتضيـه السـياق))[٣٦]، فـإنَّ طـرح السـؤال يعنـي ضرورة الحجـاج؛ وعندمـا يوضـع السـؤال يوضـع معـه في الوقـت نفسـه رأي مخالـف أو مناقشـة مـا، ومـن ثمّـة حجـاجٌ، والحجـة إنَّـما تعنـي الإتيـان بـرأي مخالـف أو موقـف حـول سـؤال مـا[٣٧].

لقـد كان للاسـتفهام حضـور بـارز في خطـاب الامـام الحسـن عليه السلام؛ إذ كان لـه الـدور في فـرض إجابة محـدَّدة عـلى المخاطَـب يمليهـا المقتـضى الناشـئ عـن الاسـتفهام عـلى نحـو مـا نلحظـه في مخاطبتـه عمـرو بـن عثـمان حـين سـب الامـام عـلي عليه السلام: ((**إن سـبك عليـاً** عليه السلام: **أبنقـصٍ في حسـبه؟ أو تباعـده مـن رسـول الله** صلى الله عليه وآله **؟ أو بسـوء بـلاء في الإسـلام؟ أو بجـورٍ في حكـم؟ أو رغبـةٍ في الدنيـا؟ فـإن قلـت واحـدة منهـا فقـد كذبـت.**))[٣٨]، فقـد اسـتعمل الامـام الحسـن عليه السلام التكثيـف الدفعـي للأسـئلة، وهـي طريقـة الجمـع بـين الأسـئلة وتوجيههـا سرداً واحـداً، سـؤالاً بعـد سـؤال، فـإلى جانـب أنهـا ((أخـصر وأظهـر لمنـار الحـق بـسرد أدلتـه متواليـة متعاضـداً بعضهـا ببعض))[٣٩]فـإن المتكلـم يتخذهـا طريقـة في تبكيـت الخصـم وإفحامـه، حيـث يوضـع المتلقـي بسلسـلة شـبكية مـن الأسـئلة، فـلا يسـتطيع وضـع جـواب لسـؤال حتـى يُفاجـأ بسـؤال آخـر، فتختلـط عليـه الأسـئلة ويبـان عجـزه.

إن الامـام هنـا يطـرح مجموعـة مـن الاحتـمالات التـي قـد تكـون مدعـاة لفعـل خصمـه (سـب عـلي)، وكل هـذه الاحتـمالات باطلـة بإقـرار الخصـم نفسـه، يظهـر ذلـك مـن تحـدي الامـام للخصـم في القـول بأحدهـا، وإذا بـان ذلـك فقـط بطلـت دعـوى الخصـم ولا مجـال لـه الا الإقـرار بالهزيمـة والرضـوخ لفحـوى حجـة الطـرف الاخـر.

وقد يأتي تكرار الاستفهام من الامام عليه السلام مسبوقاً بفعل المناشدة[٤٠]، على نحو مخاطبة جماعة بني أُمية في مجلس معاوية، حيث كرر الامام عليه السلام فعل المناشدة (١٥) مرة وكلها تدور حول رسالة مركزية وهي إثبات أحقية أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والرد عليهم باتخاذهم سب الامام علي عليه السلام وسيلة للنيل منه. لقد جاءت صورة المناشدة في خطابه عليه السلام بشكلين مع حرف الاستفهام (هل) و(الهمزة) كلها أفادت معنى التقرير والاثبات:

١.أنشدكم بالله هل تعلمون... (٧) مرات

٢.أنشدكم بالله أتعلمون... (٨) مرات

إن طرْح السؤال هنا حمل بعداً حجاجياً في محاصرة المخاطَب، وإلزامه إجابة واحدة وهي الإقرار بالمقتضيات الناشئة التي وقعت بعد الفعل (تعلمون)[٤١]عمل الامام عليه السلام على جعل المتلقي مسهماً في إنتاج الحجة، فيصنعها هو نفسه ويتقيد بها، فتكون بذلك أشد إلزاماً؛ لأنّها تنبع من قرارة نفسه وإقراره من غير أن تفرض عليه سلطة ما تبنِّي رأيٍ ما أو موقفٍ معين.

ثالثاً: الوصف

يشتمل الوصف على عدة أدوات لغوية نعرض لها بحسب ورودها في خطاب الامام الحسن عليه السلام:

١)**الصفة**: تعد الصفة حجة يوجهها المتكلم الى الخصم بقصد إقناعه بفحوى الخطاب؛ وذلك بما تحملها من طاقة حجاجية تمثل شخصية الموصوف بتلك الصفة وعمله وهي أقوى تأثيراً من غيرها من الحجج؛ كونها حجة تنبع من الداخل، فضلاً عمّا تحيل عليه من نتائج مترتبة عليها، كما في قول الامام عليه السلام مخاطباً عمرو بن العاص: ((**وأما أنت يا عمرو بن العاص الشانئ اللعين الأبتر. . .**))[٤٢]، فتقديم الامام لهذه الأوصاف يزيل كثيراً من التساؤلات التي دفعت تلك الشخصية لفعل عمل ما في الخارج، فالذي يحمل هذه الاوصاف ليس بمستغرب منه صدور أعمال قبيحة في الخارج؛ لأنه من سنخية أوصافه التي ذكرها عليه السلام، فضلاً عن ذلك فإن الامام استعار أوصاف تلك الشخصية من القرآن الكريم فأعطى بذلك التفسير الحقيقي والمصداق الواقعي للنص القرآني المتمثل بتلك الشخصية.

وقد يذكر الامام عليه السلام صفاته وصفات اهل البيت عليهم السلام جميعاً؛ وذلك تبيين للأمة أهليتهم

وأنهم الأحق من غيرهم في تولية زمام الامامة والخلافة، ذكر الصفات أدى طاقة حجاجية مضمرة كما في قوله عليه السلام: ((**انا شعبة من خير الشعب، آبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب، من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة. . .**))[٤٣]

وقد يذكر عليه السلام صفاته واهل البيت عليهم السلام ويقارنها بصفات أعدائهم، ولا يخفى لما لهذه المقارنة من أثر حجاجي، يقود جمهور المتلقين إلى تفضيل هذه الشخصية على تلك عبر رصد الصفات كما في خطبة الامام الحسن عليه السلام عندما ارتقى المنبر بعدما ارتقاه قبله معاوية ونال من الامام علي عليه السلام فذكر عليه السلام مقارنة بينه وبين معاوية في النسب والصفات بعدها ذكر عليه السلام: ((**فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفرنا، وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقاً. . .**))[٤٤]، إنَّ مثل هذا التقابل في قول الإمام الحسن عليه السلام يحمل بين طيَّاته نوعاً من التوجيه، ودعوة صريحة من المحاجّ لجمهور المتلقين في تبنّي رأيه وحجّته.

٢)**اسم الفاعل**: يعد اسم الفاعل من أنواع الوصف التي تشير الى الحدث وصاحبه، يأتي به المتكلم حجة يسوّغ عبرها اصدار حكم ما على شخصية معينة على نحو قوله عليه السلام في عتبة بن أبي سفيان: ((**فوالله ما أنت بحصيف فأجاويك، ولا عاقل فأُعاتبك. . .**))[٤٥]، فوصف (عاقل) نفاه الامام بـ (لا) نافية للجنس، فمعاتبة الشخص إنما تكون عندما يتصرف بعقل ودراية، أما من كانت حاله اللاعقلية فليس جديراً بالمعاتبة، وهذه حجة ساقها الامام عليه السلام في ردّه على (عتبة) عندما بدأ بسب الامام علي عليه السلام والنيل منه.

النتائج

١.أكثر محاججات الامام الحسن عليه السلام كانت مع جماعة بني أُمية في مجلس معاوية

٢.الموضوع الرئيس الذي كان في محاورات الامام عليه السلام هو الرد على الشبهات التي أثارها الأعداء على أمير المؤمنين عليه السلام وفتنة قتل عثمان، وما رافقها من أحداث دامية.

٣.وظّف الامام عليه السلام عدّة طرق حجاجية لإيصال رسالته الى جمهور المتلقين وظهر في بعضها الأسلوب اللاذع في الرد على حجج الخصوم عندما كان الموقف يتطلب ذلك.

٤.استمدَّ الإمام الحسن عليه السلام مادة الخطاب من عوالم يعرفها المخاطَبون، ومن بيئتهم التي يعيشونها، فكانت بذلك أبلغ في الأقناع.

هوامش البحث:

١ – لسان العرب: مادة (حجج)، وينظر: تهذيب اللغة: مادة (حجَّ).

٢ – وهو شدَّة الخصومة، وجادله، أي خاصمه، مُجادَلة وجِدالاً. ينظر: الصحاح: مادة (جدل).

٣ – ينظر: أساس البلاغة: مادة (حجج).

٤ – ينظر: تاريخ نظريات الحجاج: ١٥.

٥ – ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ١٥.

٦ – سنتتبع وجوه المفارقة بين مفهوم الحجاج والجدل عند بياننا لمفاهيم متعلقة بالحجاج في ضمن هذا التمهيد.

٧ – الدفاع عن الأفكار: ٢٤.

٨ – الإشارات والتنبيهات: ٢٢٢.

٩ – جوهر الكنز: ٣٠٢.

١٠ – اللسان والميزان: ٢٢٦.

١١ – في إشارة الى قضية التداول اللغوي، فالتلفظ هو الأساس الذي بنى عليه اوستن (نظرية أفعال الكلام) بوصفه ممارسة المتكلم لينجز فعلاً لغوياً، يتلاءم مع السياق، والتلفظ هو من يحدد دور الملفوظات التداولي ويسهم في بيان دلالتها، وهو الفيصل لبيان الحقيقة من المجاز في استعمال اللغة، وهو كذلك يقود الى تعدد الإنجازات والمعاني، ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٠، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فإنَّ نظرية الحجاج تولي للمكتوب تركيزاً كبيراً؛ لأن مجال إعمال العقل فيه تحليلاً وتأويلاً أوسع مما هو عليه في الخطابة التي تتميَّز بالشفوية. ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١١٠.

١٢ – في اصول الحوار: ٣٧، وللوقوف على طبيعة كل منطوق، ينظر: م. ن: ٣٧.

١٣ – ينظر: عندما نتواصل نغير: ١٢٥.

١٤ – اللسان والميزان: ٢٣٠. سنشير في (خصائص الخطاب الحجاجي): ١٩، الى بسط أكثر لمفهوم (الالتباس) في الحجاج.

١٥ – الحجاج في القرآن: ٤٤.

١٦ – الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها اوستن Austin في جامعة هارفارد عام ١٩٥٥م، ضمن برنامج (وليام جيمس) قبل وفاته المفاجئة بخمسة أعوام ١٩٦٠م، وقد جمع إرمسون J.O.Urmson محاضراته وعدَّتُها إثنتا عشرة محاضرة في كتاب نُشِر عام ١٩٦٢م بعنوان (How to do things with words?). ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٤٣.

١٧ – ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة: ١٢٤.

١٨ – ينظر: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، (بحث): ٢١.

١٩ – ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٢٢، والمدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦، والتداولية عند علماء العرب: ١٦، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية. (بحث): ١١.

٢٠ – الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية: ٦٦.

٢١ – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.

٢٢ – عن ماهيَّة السياق في التداولية، وأنواعه، ودوره في تحديد الخيارات اللغوية من بين الخيارات المطروحة، ينظر: التداولية وآفاق التحليل، (بحث): ٢٤.

٢٣ – ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ٣٢٧.

٢٤ – معترك الأقران: ١/ ٢٨٢.

٢٥ – شرح ابن عقيل: ١/ ٥٧٤.

٢٦ – شرح المفصل في صنعة الاعراب: ١/ ٤١٧.

٢٧ – الاحتجاج: ٢/ ٤٠.

٢٨ – اللغة والحجاج: ٨٨.

٢٩ – م. ن: ١٠٣.

٣٠ – من غير المعقول أن نصف فعل المغيرة بضربه السيدة الزهراء (ع) بالحجة الضعيفة، ولكن بحسب الأدلة المعروضة والحجج التي يقدِّمها الامام الحسن (ع) في بيان شناعة فعل المغيرة بحق الزهراء (ع) فإنَّ ما وقع بعد الضرب، وما ترتَّب عنه لهو أعظم وأدهى وأمرّ.

٣١ – الاحتجاج: ٢/ ٢٣.

٣٢ – ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧٨.

٣٣ – الاحتجاح: ٢/ ٣٩.

٣٤ – الاحتجاج: ٢/ ٣٩.

٣٥ – ينظر: اللغة والحجاج: ١٤-١٧

٣٦ – ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ١٤٧.

٣٧ – استراتيجيات الخطاب: ٤٨٥.

٣٨ – ينظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، (بحث) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم: ٣٩٤

٣٩ – الاحتجاج: ٢/ ٣٣.

٤٠ – علم الجذل في علم الجدل: ٨١.

٤١ – المناشدة: مصدر نَشَدَ، ونشدتك بالله: أي استحلفك بالله واقسم عليك به. ينظر: لسان العرب: مادة (نشد).

٤٢ – ينظر: الاحتجاج: ٢/ ٢٤-٣١.

٤٣ – الاحتجاج: ٢/ ٣٥.

٤٤ – الاحتجاج: ٢/ ٤٥.

٤٥ – الاحتجاج: ٢/ ٥٣.

٤٦ – الاحتجاج: ٢/ ٣٨.

النهج اللغوي في خطاب العصمة
خطاب الإمام الحسن عليه السلام إنموذجًا
دراسة لغوية وتداولية

أ. م. د. مرتضى مزيد جبر

الملخص:

على الرغم من دخول خطاب العصمة في زمن الاحتجاج اللغوي أو الاستشهاد اللغوي بعهديه المفترضين إلى (١٥٠هـ) وفقًا لمذهب البصريين، وإلى (١٧٥هـ) وفقًا لمذهب الكوفيين، فإنَّ حضوره في الاستشهاد اللغوي في كتب النحو، والصرف، صصصواللغة، كان على استحياء، ولعل ذلك راجع إلى الظروف السياسية التي كانت تسيطر على تلك الفترة، فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على النهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن عليه السلام إنموذجًا، دراسة لغوية تداولية، وكانت بمقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، ضمت المقدمة دراسة موجزة عن الاستشهاد اللغوي بخطاب العصمة في فترة تقعيد قواعد اللغة العربية.

وضم المبحث الأول دراسة في مفهوم التداولية وبعدها اللغوي، وضم المبحث الثاني دراسة الانجازية في خطاب الإمام الحسن عليه السلام، وضم المبحث الثالث دراسة السياق في خطاب الإمام الحسن عليه السلام، وضم المبحث الرابع دراسة طرائق الاستعمال اللغوي في خطاب الإمام الحسن عليه السلام.

أما الخاتمة فضمت مجموعة من النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة.

Summary:

Despite the entry of the letter of infallibility at the time of the linguistic protest or the linguistic citation of the supposed apostates to (150 e) according to the doctrine of Basrien, and to (175 e) according to the doctrine of the Kufayn, his presence in the linguistic citation in the books of the treasury, The study was conducted to highlight the linguistic approach in the discourse of infallibility, the speech of Imam Al-Hasan (peace be upon him) model, a linguistic and deliberative study, and it was an introduction and four questions and a conclusion. The period of raiding Arabic grammar.

The second topic included studying the context in the speech of Imam Hassan, peace be upon him. The fourth topic included studying the methods of linguistic use in the speech of Imam al-Hasan (peace be upon him).

The conclusion included a series of important findings of the study.

المقدمة

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد. . .

وبعد. .

إن من دواعي سروري أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأخوة المؤتمرين في المؤتمر العلمي السنوي السادس لفكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (إدارة و رعاية) لحثهم الباحثين على الغوص في أعماق أقدس النصوص الدينية واللغوية والأدبية بعد كلام الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

إن عِظَمَ سرور الباحث تكمن أيضًا في الزمان الذي يكتب فيه بحثه وهو أخص الأزمنة بركة وأكثرها طقوسًا وأفضلها أجرا وثوابًا، إنه الزمان الذي أُنزِل فيه القرآن الكريم في ليلة مباركة أفضل من ألف شهر، فَشُفِعَ بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، وكلام أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأرباب الفصاحة والبلاغة لتتبين معانيه، وتُفسر آياته وتضبط قراءاته، فكان لهم نهج لغوي مبين في خطاب أقل ما يوصف بأنه خطاب العصمة، فأثمر سروري بثمرة وسمتها بالنهج اللغوي في خطاب العصمة، خطاب الإمام الحسن عليه السلام انموذجًا، دراسة لغوية وتداولية، جاءت بأربعة مباحث وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: في مفهوم التداولية وبعدها اللغوي.

المبحث الثاني: الانجازية في خطاب الإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الثالث: السياق في خطاب الإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الرابع: طرائق الاستعمال اللغوي في خطاب الإمام الحسن عليه السلام.

ثم جاءت الخاتمة لتسلط الضوء على نتائج هذه الدراسة وما توصلت إليه في ضوء النظرية التداولية.

ولا يخفى على الباحثين في الدرس اللغوي إن النظرية التداولية هي إحدى نظريات الدرس اللساني الحديث وثمرة من ثماره، شاعت في الدرس اللغوي الأكاديمي في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وكُتبت فيها مئات الدراسات والبحوث والرسائل والأطاريح بحثًا ودرسًا وتقصيًا وتطبيقًا، وعندما أردتُ أن أكتب فصلي الرابع (مفهوم التداولية)[1] في أطروحة

الدكتوراه ما بين الأعوام ٢٠١١ إلى ٢٠١٤ (سنة المناقشة)، وجدتُ بونًا شاسعًا بين الباحثين في تفسير هذهِ النظرية وشرحها، واختلافًا كبيرًا في إمكانية تطبيقها على اللغة العربية.

ولعل ذلك راجع إلى طبيعة النظريات اللغوية اللسانية في الدرس الغربي، إذ إنها تنماز بمزيتين:

الأولى: إن غالبية تلك النظريات ليست لغوية بحتة وإنما هي تمتلك بُعدًا لغويًا من مجموعة أبعاد سياسية وفلسفية واجتماعية واقتصادية ودينية، وقد بينتُ ذلك بشكل مفصل في أطروحتي للدكتوراه[٢].

الثانية: إن تلك النظريات تبحث في اللغة المنطوقة (العامية المحكية) التي ما زال الناس يتكلمون بها في السوق والشارع والبيت والعمل وليست في لغة مقننة محفوظة بقواعد ونصوص أخذها الخلف عن السلف.

ولو عدنا بخطاب العصمة إلى الوراء –وهذا أملي في المؤتمرات القابلة– إلى ما قبل التداولية وأخواتها ووصلنا به إلى زمن الاستشهاد اللغوي لوجدنا العجب العجاب كما يقال، فعلى الرغم من دخول خطاب العصمة في زمن الاحتجاج اللغوي، أو الاستشهاد اللغوي بعهديه المفترضين إلى (١٥٠هـ) وفقًا لمذهب البصريين، وإلى (١٧٥هـ) وفقًا لمذهب الكوفيين، فإن حضوره في الاستشهاد اللغوي في كتب النحو، والصرف، واللغة كان على استحياء، ولعل ذلك راجع إلى الظروف السياسية التي كانت تسيطر على تلك الفترة، فمن المعلوم أن أول كتاب في اللغة العربية قد وصل إلينا هو كتاب سيبويه المتوفى في سنة (١٨٠هـ)، الذي يرجع إلى فترة الحكم السياسي للفترة من عام (١٣٢هـ) إلى عام (٦٥٦هـ)، وهي فترة زمنية لم يكن فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام بأحسن حال من الفترة الزمنية التي سبقتها والتي عُرفت بالحكم الأموي.

وتأسيسًا على ذلك فإننا نلحظ أن كتاب سيبويه يخلو تمامًا من الاستشهاد بخطاب أهل العصمة، على الرغم من وجود من يروي خطابهم، وشعرهم، أو يسمع كلامهم، ويحضر مجالسهم، ويتتلمذ على أيديهم، ويأخذ عنهم، ويكتب رسائلهم، وعلومهم في الحديث، والفقه، والتفسير، وبقية العلوم.

ويبدو أنه قد أخذ بهذا المنهج في التأليف كلُّ من ألف كتابًا بعد سيبويه حتى سقوط الدولة العباسية ووصول الأمر في التأليف إلى رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) الذي **"وسع دائرة احتجاجه بكلام أهل البيت عليهم السلام وهو بهذا يؤسس لمنهج جديد في الدرس"**[٣]، ليتوسع اليوم أكثر على أيدي محبيهم، فَيُبحث خطابهم وفقًا للنظريات اللغوية الحديثة في الدرس اللساني لاستنطاق مكنونات ذلك الخطاب، والوقوف على درره، والإفادة منه، بغية الوصول إلى الحلقة المفقودة في الدرس اللغوي العربي، والتي أشار إليها بعض الباحثين في دراساتهم عن نشأة النحو العربي[٤] قبل ظهور كتاب سيبويه الذي يحمل بين دفتيه نظرية لغوية متكاملة دفعتهم إلى التساؤل عن سبب حجب جهود كبيرة سبقت ذلك الكتاب.

المبحث الأول

في مفهوم التداولية وبعدها اللغوي

يرجع استعمال مصطلح التداولية لأول مرة سنة ١٩٧٠م، عندما ترجم الدكتور طه عبد الرحمن[٥] المصطلح الأجنبي Pragmatic للفيلسوف الأمريكي شارل موريس، والذي وضعه سنة ١٩٣٨ وأراد به في وقتها **"دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها"**[٦].

وللتداولية تعريفات كثيرة لسنا بصدد سردها[٧]، لكننا نريد أن نؤشر إلى البعد اللغوي في مفهوم مصطلح التداولية، والذي يتلخص في انحصاره بثلاث دلالات هي **"الانجازية في أحداث أفعال الكلام، والسياق، وبيان طرائق الاستعمال اللغوي"**[٨] فأما الدلالة اللغوية الأولى، وهي الانجازية في أحداث أفعال الكلام، فتقتضي أن يمرَّ الكلام بمرحلتين[٩]:

الأولى: نطقية ويسمى الكلام فيها منطوقًا أو مكتوبًا.

والثانية: تطبيقية ويسمى الكلام فيها منجزًا بأحداث أفعال الكلام.

والمثال الآتي يوضح ذلك:

حين يوافق الوزير في الوزارة على تعيين شخصًا ما في وزارته، فإن الموافقة الشفوية، أو المكتوبة على الطلب المقدم من ذلك الشخص تمثل المرحلة الأولى من مرحلتي الانجازية في أحداث أفعال الكلام.

وحين يصدر الأمر الوزاري، ويباشر ذلك الشخص في أداء مهام وظيفته، ويكتسب

صفة الموظف في الوزارة فإن ذلك يمثل المرحلة الثانية من مرحلتي الانجازية في أحداث أفعال الكلام.

وأما الدلالة اللغوية الثانية لمصطلح التداولية، وهي السياق فتعني المعنى الجديد الذي اكتسبته اللفظة بعد دخولها حيز النص، والذي فهمه السامع، أو المتلقي، من دون أن يرد في خاطره المعنى القديم لتلك اللفظة قبل دخولها حيز النص[١٠]. أو أنها تعني دلالة اللفظة وهي مؤتلفة مع غيرها من الألفاظ داخل النص لتكوين ما يُعرف بالسياق التداولي.

ولنا في مثال الريشة للأستاذ محمد الأنطاكي سبيل إلى توضيح ذلك، إذ ينقل عن فندريس قوله: **"لا يوجد شخص واحد يحاول أن يشكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل: يعيش من كد ريشته**

واجتث له ريشه

وكل واحد يفهم من دون تردد أن الكلام في الجملة الأولى عن أحد الكُتّاب، وفي الثانية عن أحد الطيور، فالكلمتان مختلفتان كجميع المشتركات الأخرى"[١١].

وينقل أيضًا عن لورا قوله: **"لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه السياق... أما المعاني الأخرى جميعها فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقًا. فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول:**

الخياط يقص الثوب

أو الخبر الذي يقصه الغلام صحيح

أو البدوي خير من يقص الأثر

... الذي يعين قيمة الكلمة إذن إنما هو السياق"[١٢].

وأما الدلالة اللغوية الثالثة لمفهوم مصطلح التداولية في بعدها اللغوي، وهي بيان طرائق الاستعمال اللغوي، فتعني تجانس أركان الصنيع اللغوي (المتكلم، والنص، والمخاطب) فيأتي النص مراعيًا لأحوال المتكلم والمخاطب، أو بعبارة أخرى، هي مطابقة نص المتكلم لمقتضى حال المخاطب في الحذف، والذكر، والتقديم، والتأخير، والتكرار، والرفع، والنصب، والجر... وهلم جرا[١٣].

ولنا في كلام سيبويه أسوةٌ حسنةٌ في توضيح ذلك، فذكر في بيان الفرق في طرائق الاستعمال اللغوي بين بني تميم وأهل الحجاز في قولهم: **"مررتُ به وحده ومررت بهم وحدهم ومررت برجل وحده ومثل ذلك في لغة أهل الحجاز مررت بهم ثلاثتهم وأربعتهم وكذلك إلى العشرة وزعم الخليل أنه إذا نصب ثلاثتهم فكأنه يقول: مررت بهؤلاء فقط ولم أجاوزه.**

وأما بني تميم فيجرونه على الاسم الأول وإن كان جرا فجرا وإن كان نصبًا فنصبا وإن كان رفعا فرفعا"[١٤]. فأهل الحجاز ينصبونه على أية حال، وبني تميم يتبعونه الاسم الأول.

ولنا – بعد هذا العرض الموجز – أن نبحث عن تلك المفاهيم للنظرية التداولية في بعدها اللغوي في خطاب الإمام الحسن عليه السلام في قابل المباحث الآتية.

المبحث الثاني

الانجازية في خطاب الإمام الحسن عليه السلام

ذكرنا في المبحث الأول أن الإنجازية في أحداث أفعال الكلام هي إحدى دلالات النظرية التداولية في بعدها اللغوية، وذكرنا أيضًا أن الإنجازية في أحداث أفعال الكلام تبحث في الجانب المنجز من خلال الخطاب فيطلق عليها أفعال الكلام، أو أحداث الكلام.

وأوضحنا ذلك في مثال الوزير الذي يوافق على تعيين شخص ما لفظًا، أو كتابة وكيف تُترجم تلك الموافقة إلى حدث واقع ملموس تكسب ذلك الشخص صفة الموظف في وزارة الوزير.

والإنجازية بهذا المعنى متحققة في خطاب الإمام الحسن عليه السلام فكلامه يخرج من وصف المنطوق إلى وصف الحدث الواقع، الذي تترتب عليه آثار فقهية، وشرعية، تمس واقع المسلم وعقيدته التي يعيش فيها، ويموت عليها من ذلك قوله عليه السلام بعد أن حمد الله **"أما بعد فإن عليًا باب من دخله كان آمنًا، ومن خرج منه كان كافرًا، أقول قولي هذا واستغفر الله لي، ولكم"**[١٥].

فالكلام خرج من وصفه منطوقًا، وأصبح ذا حدث. فعليٌّ عليه السلام باب من دخله كان آمنًا ومن خرج منه كان كافرًا، والناس في النهاية بين آمنٍ وكافر، فأصل الإمامة في حياة المسلمين لا يقل شأنًا عن أصول التوحيد، والنبوة، والمعاد (يوم الحساب) **"ولما كانت**

الإمامة مثار الأقاويل مما اختلفتها الأهواء وزاغت عنها قلوب الناس أشار الإمام السبط إلى هذا الأصل الإسلامي ولا سيما ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي من لم يقبله كان كمن لم يقبل التوحيد والرسالة والمعاد"(١٦).

والباحث الفاحص يلحظ عناية الإمام عليه السلام بمضمون هذا الأصل لأهميته في الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله فيذكر في خطبة أخرى بعد أن حمد الله **"بمحامد بليغة شريفة وصلى على النبي صلاة موجزة ثم قال: أيها الناس سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها وهل يدخل المدينة إلا من بابها"**(١٧). وهل هنا للنفي والحصر بمعنى (ما) أي: ما يدخل المدينة إلا من بابها.

فالكلام خرج عن كونه كلامًا منطوقًا إلى كلام منجز إلى أحداث وأفعال.

لقد بنى الإمام عليه السلام مواقفه الشرعية من بعض القضايا السياسية التي عاصرها، وبيّن ذلك في كلامه ليكون حجة على الناس في دينهم، من ذلك الإنجازية التي تحققت من كلامه عليه السلام **"بعد تسليم الأمر لمعاوية والصلح معه، قيل له ما حملك على ما فعلت؟ فقال عليه السلام: كرهتُ الدنيا، ورأيت أهل الكوفة قومًا لا يثق بهم أحد أبدًا إلا غُلِب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هواء. مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقى أبي منهم أمورًا عظامًا، فليت شعري لمن يصلحون بعدي وهي أسرع البلاد خرابا"**(١٨).

فقيمة هذا الكلام إنجازيًا تكمن في الحقائق التي عليها النص، فأهل الكوفة -في زمانه عليه السلام- قوم لا يثق بهم أحد إلا غُلبِ، وإنهم مختلفين فيما بينهم، وليسوا على رأي واحد، ويفضلون الوقوف على التل، وإنهم آذوا عليًا عليه السلام من قبلُ وهو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وهاهم يخذلون الإمام الحسن عليه السلام مجددين عهد الخذلان مع أئمتهم، وولاة أمورهم، فلمن يصلحون بعد هذا الخذلان وكوفتهم أسرع البلاد خرابًا.

فالخطاب ليس هجاء، أو ذمًا، أو تقريعًا، أو نصًا أدبيًا ينفس عما يجول في خاطر منشئه إنما هو وصف سايكولوجي في بيان حال أمة ومصيرها، وكيف كانت، وكيف تكون، وكيف ستكون.

إن عناية الإمام عليه السلام بموضوعه الذي يتكلم عنه تدلنا بوضوح على إنجازية هذا الخطاب، من ذلك قلبه هزل معاوية بن أبي سفيان إلى جدٍ حين أراد معاوية أن يهزأ بخطبة الإمام التي كانت "**في بيان أمجاده وحسبه ونسبه... فلما سمع معاوية غاظه منطقه، وأراد أن يقطع عليه فقال: يا حسن عليك بصفة الرطب.**

فقال الإمام الحسن عليه السلام: الريح تلقحه، والحر ينضجه والليل يبرده ويطيبه على رغم أنفك يا معاوية، ثم أقبل على كلامه"[١٩] وأتمه إلى نهايته.

فمعاوية ما أراد بكلامه إلا التهكم فأجابه الإمام عليه السلام بنظرية كيمائية، علمية، لها واقع منجز، ليبين له ومن معه أن هذا الذي سخرتم به إنما هو آية من آيات خلق الله، يجري في نظام علمي معقد، لا يجدر بكم أن تهزأوا به.

المبحث الثالث

السياق في خطاب الإمام الحسن عليه السلام

السياق هو الدلالة اللغوي الثانية من دلالات النظرية التداولية في بعدها اللغوي على ما بيناه في المبحث الأول من هذهِ الدراسة، وذكرنا أن السياق يبحث في دلالة اللفظة وهي مؤتلفة مع غيرها من الألفاظ داخل النص، وأوضحنا ذلك في مثالي (الريشة)، والفعل (يقص)، وكيف أن السياق اللغوي، والمقامي، غيّرا في معاني تلك الألفاظ. والسياق بهذا المعنى موجود في خطاب الإمام الحسن عليه السلام، من ذلك خطبته عند استشهاد أبيه علي ابن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله وثنى عليه وأحتسب أمره لله ثم قال: "**ولقد حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن الأمر يملكه اثني عشر إمامًا من أهل بيته وصفوته ما منا إلا مقتول أو مسموم**"[٢٠].

فالسياق يكشف لنا عن حقيقتين وإن لم يذكرها الإمام عليه السلام وهما:

١- إن النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر باستشهاد الإمام علي عليه السلام من أول أيام الدعوة الإسلامية.

٢- إن مصير الأئمة عليهم السلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله واستشهاد الإمام علي عليه السلام سيكون بين مقتول ومسموم.

إن السياق يكشف لنا في هذهِ الخطبة عن عفة علي عليه السلام، حين كانت مقدرات الأمة بيده، ولعل ذلك درسًا لكل مسؤول عن مقدرات الناس، وأموالهم ليكون له في علي عليه السلام أسوة حسنة

في قبال خصوم علي عليه السلام وجشعهم واستغلالهم للسلطة فيشير الإمام الحسن عليه السلام إلى ذلك ضمنًا في قوله: **"والله ما خلف درهمًا ولا دينارًا إلا أربعمائة درهم أراد أن يبتاع لأهله خادمًا"**(٢١).

إن السياق يفسر بعض مفردات الإمام الحسن عليه السلام من ذلك لفظة الحميراء في كلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام حين حضرته الوفاة في قوله: **"يا أخي إني أوصيك بوصية فأحفظها، فإذا أنا متُ فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهدًا ثم أصرفني إلى أمي فاطمة عليها من الله السلام، ثم ردني فأدفني في البقيع، وأعلم أنه سيصيبني من (الحميراء) ما يعلم الناس من صنيعها"**(٢٢).

ومن خطبة له عليه السلام **"فيما جرى بعد الرسول صلى الله عليه وآله خطب هذهِ، الخطبة وقد وضع يده على عمود يساند إليه وكان عليلاً من شكوى به"**(٢٣) فحمد الله وثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال: **"أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعز نصره، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله... ولقد علمتم أن عليًا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وإنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه. ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهده، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله.**

وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضيًا عنه حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من منن الله عليه، ثم والله ما دعا إلى نفسه، ... فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه، حسدًا له، وبغيًا عليه"(٢٤).

ففي هذه الخطبة يدلنا السياق وحده على أحقية علي بن أبي طالب عليه السلام في الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، من دون أن يذكر ذلك صراحة، إذ يميط السياق اللثام على نظرية سياسية مهمة سبقت زمانها بكثير، ولنا أن نسميها (بنظرية السيرة الذاتية) تشترط على المتقدمين لتسنم الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقدموا سيرهم الذاتية ليتبين للناس من جهة ولبقية المتقدمين المتنافسين من جهة أخرى أحقية من سيتسنم الأمر بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

فيبدأ الإمام الحسن عليه السلام بذكر السيرة الذاتية للإمام علي عليه السلام وعلى النحو الآتي:

١.علي صلى مع الرسول صلى الله عليه وآله وحده.

٢.علي صدق بالرسول صلى الله عليه وآله وهو ابن العاشرة.

٣.علي شهد مع الرسول صلى الله عليه وآله جميع مشاهده.

٤.علي لازم الرسول صلى الله عليه وآله حتى وفاته.

٥.علي هو من جهز رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مثواه الأخير تساعده في ذلك الملائكة، وكان الفضل ابن عمه ينقل إليه الماء.

٦.علي هو من وارى جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله الثرى.

فمن يملك من المتقدمين لتسنم الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله سيرة ذاتية كسيرة علي بن أبي طالب عليه السلام؟!.

وإذا كان الجواب؟ لا أحد.

فلم هذا الخذلان وهذا النكوص والتقهقر عن الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله؟ وما حجة الذين رشحوا غير علي بن أبي طالب عليه السلام لأمر الخلافة بعد النبي؟

وهل رأوا في سيرهم الذاتية ما يؤهلهم إلى هذا المنصب؟ ألم تكن حجتهم في الاختيار الشورى؟ إذن فما المعايير التي اعتمدتها الشورى في الاختيار؟ وهل كانت السيرة الذاتية من معايير الشورى؟

فيجيب السياق –والسياق وحده الذي يجيب– على جميع هذه الأسئلة، فيدلنا بوضوح على ازدواجية القوم في (الرأي والمبدأ) فبعد أن تدافعوا طائعين لبيعة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الغدير ويوم مقتل عثمان بن عفان، ها هم ينكثون بيعتهم ناكصين حسدًا له وبغيًا عليه. ولعل هذا المبدأ الذي عرضه الإمام الحسن عليه السلام في خطبته فيما أسميناه (بنظرية السيرة الذاتية) هو مبدأ حي وشمولي، بمعنى أنه يمثل نظرية عامة لا تختص بزمان أو مكان، وليست محصورة في موضوع الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وحسب؛ بل هو مبدأ من مبادئ الدولة وأسسها، إذ إن الأخذ بمبدأ النظر في السيرة الذاتية لمن يجب أن يتسنم منصبًا هو أحد أهم أسباب تقدم الأمم أو تأخرها، ودليل على رقي الشعوب في اختيار قادتها، وممثليها في بناء دولة متماسكة اجتماعيًا،

واقتصاديًا، وسياسيًا، وأخلاقيًا، ودينيًا وهو ما افتقدته دول المنطقة وشعوبها في هذا الزمان.

فالانتخابات التشريعية لا تجري وفقًا للنظر في السيرة الذاتية للمرشح بل تكون على أساس الميول المذهبية، أو العرقية، أو القبلية، أو المناطقية فكانت مخرجات تلك المعايير والمبادئ عبارة عن مجالس تشريعية لا تهتم إلا بمصالحها الخاصة وما تجنيه من رواتب وامتيازات، وعقود، وصفقات سياسية في دورتها التشريعية.

وأفرزت أيضًا ولاة أمور أكبر همهم هو التجديد لهم في تسنم المسؤولية وزيادة أرصدتهم المالية وإنعاش أحزابهم السياسية وينهشون بعضهم بعضًا خلافًا، واختلافًا في تقاسم ثروات الشعوب.

ولعل الإصلاح الحقيقي في تصحيح أحوال هذهِ الدول وشعوبها يقع في تطبيقها ذلك المبدأ الجوهري الذي أشر إليه الإمام الحسن عليه السلام في خطبته السابقة، ولعلنا نوفق في قابل الوقت إلى كتابة بحث مستقل عن المبدأ الجوهري في (نظرية السيرة الذاتية عند الأئمة عليهم السلام).

إن ما يدلنا على أهمية تلك النظرية في عملية إصلاح شؤون الأمة هو اعتمادها في خطاب العصمة من الأئمة عليهم السلام بعد الإمام الحسن عليه السلام، من ذلك استعمالها في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وهو يخاطب الأعداء إذ: **"دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: يا أهل العراق- وجلهم يسمعون- فقال: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عَلَيَّ... أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي. ألستُ ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدتُ كذبًا منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخُدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذهِ المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي. . . ثم قال لهم الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا أفتشكون أني ابن**

بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحةٍ؟"[٢٥].

إن استعمال مبدأ نظرية (السيرة الذاتية) في خطاب العصمة في خطاب الإمام السجاد عليه السلام يُعضد ما ذهبنا إليه من إن صلاح شؤون الأمة يكمن في اعتماد هذهِ النظرية وسيلة لتسنم مناصب الدولة التشريعية والتنفيذية، من ذلك خطبته عليه السلام في مجلس يزيد بن معاوية بعد استشهاد الحسن بن علي عليهما السلام، إذ قال عليه السلام: **"يا يزيد إئذن لي أن أصعد هذهِ الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضى ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب... ثم قال: أيها الناس أعطينا ستًا وفضلنا بسبع... من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.**

أيها الناس، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى... فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب"[٢٦].

المبحث الرابع

طرائق الاستعمال اللغوي في خطاب الإمام الحسن عليه السلام بيان طرائق الاستعمال اللغوي هي الدلالة الثالثة من دلالات النظرية التداولية في بعدها اللغوي على ما بيناه في المبحث الأول، وذكرنا أنها تعني مطابقة نص المتكلم لمقتضى حال المخاطب في الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتكرار والرفع والنصب والجر. . . وهلم جرا، وذكرنا لتوضيح ذلك نص من كتاب سيبويه.

وبيان طرائق الاستعمال اللغوي بهذا المعنى حاضر في خطاب الإمام الحسن عليه السلام، وكيف لا وهم أهل بين النبوة، ومعدن الرسالة، وأهل الفصاحة، والبلاغة. من ذلك خطبته عليه السلام عندما بويع معاوية الذي **"خطب فذكر عليًا عليه السلام فنال منه ونال من الحسن ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام الحسن عليه السلام فقال: أيها الذاكر عليًا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، وألأمنا حسبا، وشرنا قديمًا وحديثًا،**

وأقدمنا كفرًا ونفاقًا"[٢٧].

فاستعمل عليه السلام طريقة المقابلة في خطبته، فذكر نفسه وأباه عليًا، وقابلهما بمعاوية وأبيه صخر، ثم ذكر أمه فاطمة عليها السلام، وقابلها بهند أم معاوية، ثم ذكر جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وقابله بحرب جد معاوية، ثم ذكر جدته خديجة عليها السلام، وقابلها بقتيلة جدة معاوية، وبعد أن اكتملت الصورة في ذهن المتلقي دعا عليه السلام باللعن على الأخمل ذكرا، والألأم حسبًا والشرِّ قديمًا وحديثًا، والأقدم كفرًا ونفاقًا.

والمقابلة في البلاغة العربية من فنون البديع **وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر أي بمعانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابل المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة على الترتيب**[٢٨].

وتعدُّ المقابلة إحدى طرائق التدريس الحديثة، وتعرف بطريقة عرض الموضوع بطريقة الموازنة، وقد جربتها كثيرًا في تدريس مادة اللغة العربية لطلبتي، ووجدتها تنماز بمجموعة ميزات، منها رسوخ المعلومة في ذهن الطالب، وسهولة تذكر المعلومة وقت الامتحان، فضلاً عن سهولة حفظها عن ظهر قلب ووضوح المعلومة فيها.

ولعل الإمام عليه السلام أراد أن يوجه اهتمامه وعنايته للمتلقي في هذهِ الخطبة أكثر من أن يوجه كلامه لمعاوية؛ فلا سبيل لمن ختم الله على قلبه وسمعه وبصره. ونلحظ ذلك أيضًا في خطبة أخرى له عليه السلام في الوعظ، جاء فيها: **اعلموا أن الله لم يخلقكم عبثًا، وليس بتارككم سدى، كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم، ليعرف كل ذي لب منزلته، وإنه ما قدر له أصابه، وما صرف عنه فلن يصيبه، وقد كفاكم مؤنة الدنيا وفرغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر**[٢٩].

فذكر عليه السلام أن الله لم يخلقكم عبثًا، وليس بتارككم سدى، ثم قابل ذلك بقوله كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم. وذكر عليه السلام أيضًا وإنه ما قدر له أصابه، ثم قابله بقوله وما صرف عنه فلن يصيبه.

ثم ذكر وقد كفاكم مؤنة الدنيا وفرغكم لعبادته، ثم قابل ذلك وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر.

وتكثر المقابلة في كلماته -عليه السلام- القصار والمتضمنة للنصح من ذلك قوله **من اتكل على**

حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له[٣٠]. وقوله عليه السلام: **لرجل أبل من علة: إن الله قد ذكرك فأذكره، وأقالك فاشكره**[٣١]، وقوله: **العار أهون من النار**[٣٢]، وقوله حين سُئل عن البخل: **هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفا، وما أمسكه شرفًا**[٣٣]، وقوله: **الناس في دار سهو وغفلة، يعملون ولا يعملون فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين يعلمون ولا يعملون**-[٣٤]، وقوله: -**من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، وإذا تفكر حزن**-[٣٥].

إن من طرائق الاستعمال اللغوي في خطاب الإمام الحسن عليه السلام (التكرار) وإنما يستعمله -**ليكون اطنابا لا تطويلاً كتأكيد الإنذار**-[٣٦]، و-**زيادة التنبيه على ما ينبغي التهمة والإيقاظ عن سنة الغفلة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول**-[٣٧]، و-**تذكير ما قد بعد بسبب طول في الكلام**-[٣٨]، وهو –أي التكرار– في القرآن الكريم كثير، ومما جاء منه في خطب الإمام الحسن عليه السلام وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية حين حضرته الوفاة فقال: -**يا محمد بن علي أني أخاف عليك الحسد. . . يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك. . يا محمد بن علي لو شئتُ أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك. يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام بعدي**-[٣٩]. فالإمام عليه السلام يكرر اسم محمد بن علي عند الخطاب؛ لتقرير المعنى في نفس المخاطب، وتثبيته، ولاسيما أن المقام مقام إرشاد، وتنبيه، وإنذار.

الخاتمة

ألقت هذهِ الدراسة الضوء على خطاب الإمام الحسن عليه السلام بوصفه انموذجًا لخطاب العصمة، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج المهمة، لنا أن نوجزها على النحو الآتي:

١) إن الظرف السياسي الذي صاحب مرحلة تقعيد قواعد اللغة العربية كان له كبير الأثر في تغييب خطاب العصمة عن الاستشهاد اللغوي، يؤيد ذلك دخول خطاب العصمة في الاستشهاد اللغوي بشكل أوسع بعد زوال ذلك الظرف السياسي القاهر.

٢) إن خطاب العصمة كان مكملاً للخطاب الرسالي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله من جهة كونه خطابًا إنجازيًا له أثره الحقيقي في حياة المسلمين وعقائدهم الدينية.

٣) اهتم خطاب العصمة بالسياق اللغوي بوصفه أداة من أدوات إيصال المعنى للمخاطب، أو تفسير لفظة، أو استعمال الإيماء، أو الإيحاء للوصول إلى تحقيق غاية النص.

٤) أصّل السياق اللغوي لنظرية (السيرة الذاتية) في خطاب العصمة عند الأئمة عليهم السلام بعد الإمام الحسن عليه السلام.

٥) أفاد خطاب العصمة من طرائق الاستعمال اللغوي في مخاطبة المتلقي لإظهار الحقيقة في ظل الظروف السياسية الحرجة والصعبة والمعقدة.

هوامش البحث

١) ينظر: مفاهيم علم لغة النص سيبويه: ١٧٣.
٢) ينظر: نفسه: ١٧٣.
٣) الاحتجاج النحوي بكلام الإمام علي عليه السلام: ١٥٣.
٤) ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي: ٥ وما بعدها.
٥) ينظر: الأسس الابستمولوجية والتداولية: ٢٦٢.
٦) شظايا لسانية: ٥٩.
٧) ينظر: في تلك التعريفات أطروحة مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه: ١٧٥-١٨٢.
٨) نفسه: ١٨٢.
٩) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٢٨-٢٩.
١٠) ينظر: التداولية: ١٩٤.
١١) الوجيز في فقه اللغة: ٣٩٢.
١٢) نفسه: ٣٩٣.
١٣) ينظر: المدخل إلى علم الألنسية: ٢٠٧، وينظر: النحو العربي بين نحو الجملة والنص: ٢١٣.
١٤) الكتاب: ٢/ ١٨٣.
١٥) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسين عليه السلام: ٧.
١٦) نفسه: ٨.
١٧) نفسه: ١٢.
١٨) نفسه: ٥٠.
١٩) نفسه: ٥١.
٢٠) نفسه: ١٠.
٢١) نفسه: ٩-١٠.
٢٢) نفسه: ٢٩.
٢٣) نفسه: ٣٤.
٢٤) نفسه: ٣٥.
٢٥) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٧.
٢٦) خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام على منبر مسجد دمشق: ٢/ ٤٩٥.
٢٧) نفسه: ٢١.
٢٨) المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٦٤٣.
٢٩) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام: ٢٧.
٣٠) نفسه: ١١٠.
٣١) نفسه: ١١١.

٣٢) نفسه: ١١١.

٣٣) نفسه: ١١٢.

٣٤) نفسه: ١١٢.

٣٥) نفسه: ١١٢.

٣٦) المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: ٤٩٤.

٣٧) نفسه: ٤٩٤.

٣٨) نفسه: ٤٩٤.

٣٩) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام: ٣١-٣٢.

قائمة المصادر والمراجع

*الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الكتب، أربد- الأردن، ط. الأولى، ٢٠٠٦.

*الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد النعمان المفيد (ت٤١٣هـ)، إيران- قم، ١٤١٣هـ.

*التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط. الأولى، ٢٠١٠.

*الاحتجاج النحوي بكلام الإمام علي ﷺ في شرح الرضي على الكافية، د. أحمد جعفر داوود، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد١١، السنة الخامسة، ٢٠١٣.

*الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٣.

*خطبة الإمام زين العابدين ﷺ على منبر مسجد دمشق، د. لبيب بيضون، موسوعة كربلاء، د. ت.

*الروائع المختارة، من خطب الإمام الحسن ﷺ، مصطفى الموسوي، دار العلم، طهران، ط. الأولى، ١٩٧٥.

*شظايا لسانية، أ. د. مجيد الماشطة، تموز ٢٠٠٧.

*علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

*كتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو الملقب سيبويه، المطبعة الأميرية، بولاق-مصر، ط. الأولى، ١٣١٦هـ.

*مدخل إلى علم الألسنية الحديثة، د. جرجس ميشال جرجس، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان، د. ت.

*المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، ت: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط. ٣، ٢٠١٣م.

*مفاهيم علم لغة النص عند سيبويه، أطروحة دكتوراه، مرتضى مزيد جبر، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤م.

*النحو العربي بين الجملة ونحو النص مثل من كتاب سيبويه، د. يوسف سلمان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد٧، العدد١، ٢٠١١.

*الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشرق، ط. الثانية، د. ت.

المحور الثالث:
الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في دراسات المستشرقين

منهجية المستشرقين
في إحياء المرويات التي نسجها الأمويون والعباسيون وإعادة انتاجها: تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام مثالاً

د. أحمد الصفار

الخلاصة

اعتمدت منهجية المستشرقين على المصادر الضعيفة، وتقصّدهم في تصيّد الآراء الشاذة، والروايات الضعيفة المنكرة، ومحاولتهم تفسير التاريخ تفسيرا ماديا خاليا من النزعة الروحية المخلصة لله تعالى، وتفسيرا ماديا لا علاقة له بالغيب، فكان الافتراء، والكذب أحيانا، وإلصاق الأخبار ببعض الشخصيات القيادية في التاريخ الإسلامي أسلوبهم، وتميّزت كتاباتهم بخلوها من التحليل العلمي الرصين. وأن المستشرقين قد نحوا منحى مثيرا للجدل في تعاملهم مع القرآن الكريم، والسيرة المطهرة، والأحداث التاريخية، وتمادوا أيضا في تعاملهم مع التراث الشيعي، ومنه سيرة الإمام الحسن عليه السلام، ولم يسلم باقي أصحاب الكساء عليهم السلام من التشويه والافتراء، وتطلّب من المستشرقين أن يبحثوا كثيرا في المذهب الشيعي الذي كان خارج بحوثهم لعدم معرفتهم به. ويعزى سبب اهتمامهم في تقويض صورة أصحاب الكساء الى هدم قدسيتهم وتجريح شخوصهم لما وجدوا أن التشيع قوة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبية، وذلك من إيجاد الفرقة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى تقديم صورة مشوشة عن الرموز الإسلامية القيادية الى الجهلة، وأنصاف المثقفين، والمغرورين بالحضارة الغربية لإرباكهم، وإضعاف ارتباطهم برموزهم المقدسة.

مقدمة

لقد توغل بعض المستشرقين في قضايا جزئية، واهتمامات فرعية بذلوا فيها جهدا غير يسير حتى ثبّتوا فيها رأيهم، وصار لهم تلاميذ، ومعجبين بهم فيأخذون عنهم، ويستأنسوا بآرائهم، بل ويسيرون على منهجهم، ومنهم من كان متعصبا فطعنوا في الإسلام، وفي شخص نبيّه ﷺ، وفي القرآن، وفي التراث الإسلامي. فكان منهج المستشرقين «تحمل وجها وملامح وقسمات مستمدة من عجينة أخرى غير مادّة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوّة، ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة. . . كتبوا أبحاثا تسعى لأن تخضع حقائق السيرة لمقاييس عصر تنسخ كل ما هو جميل، وتزيّف كلّ ما هو أصيل، وتميل بالقيم المشعّة إلى أن تفقد إشعاعها وترتمي في الظلمة، أو تؤول إلى البشاعة!!»[1] فكانت نزعتهم صليبية فعمدوا الى توهين التعاليم الإسلامية والحط من قيمها الإنسانية. فقد أرسل مدبرو الحروب الصليبية من قبل عيونهم إلى البلاد الإسلامية، وبثوا جواسيسهم، ليتحسَّسُوا واقع المسلمين، وليكتشفوا مواطن القوة والضعف لديهم، وليتخذوا لهم من ضمن البلاد الإسلامية أعواناً لهم يوالونهم.

من هم المستشرقون وما هي حركة الاستشراق؟

الاستشراق: هو معرفة؛ موضوعها الشرق، وينتجها غالبا غير الشرقي، عن هذا الشرق الذي يضيق فيقصد به الشرق وبعض دول الجوار من مثل تركيا وإيران والعربي، الذي يشمل الوطن العربي، ويستدق أكثر فيتناول الدين، والعقيدة والتاريخ الإسلامي، ويتسع فيشمل الشرق الأدنى والأوسط والأقصى، وما بينهما من أمصار تقع الى الشرق من أوربا الغربية التي نظرت الى نفسها على أنها مركز العالم. وأن «موضوع الاستشراق هو الشرق وأهله تاريخا، وثقافة، ومجتمعا مغيب ومفتقد فيها، وأن صلتها به صلة واهية»[2]. ولا ننسى "أن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر، والشرق الإسلامي. كلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضر، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية، والتبشير، والاستشراق في ذلك سواء، والفرق بينهما هو أن الاستشراق

أخذ صورة البحث، وأدعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة، وهي العقلية الشعبية"[٣].

وبعد، فإن **حركة الاستشراق**: هي اتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام، والعرب بصفة خاصة. وقد كان مقتصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام، واللغة العربية فقط، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه. فالمستشرقون إذن هم علماء الغرب الذين اعتنوا عناية كبيرة بدراسة الإسلام واللغة العربية ولغات الشرق وأديانه وآدابه. ولقد كانت الأبحاث والكتب والدراسات التي كتبها هؤلاء المستشرقون عن الإسلام كبيرة جدا. وتنطوي وظيفة المعرفة الاستشراقية على جملة من الأمور[٤] التي منها:

١. أنها لم تقدم أية خدمة حقيقية لموضوعها الذي هو الشرق والشرقيون.

٢. لم تسهم في تحسين العلاقات بين الشرق والغرب، بل تسهم بدورها الخبيث في بث سوء التفاهم، والترويج لمناخ المواجهة

دوافع الاستشراق وأهدافه

دوافع المستشرقين

إن الدوافع التي جعلت من هؤلاء المستشرقين يؤلفوا آلاف الكتب والدراسات، والأبحاث التي تغص بها مكتبات الاستشراق يمكن حصرها بما يلي: ديني، واستعماري، وعلمي، وسياسي. أما **العامل الديني**، حيث رأى المستشرقون أن الخصم الوحيد للمسيحية كدين في نظر الغربيِّين يواجه أتباعهم، ويحد من انتشار المسيحية هو الإسلام، فأخذوا يُشَوِّهُوا محاسنه، ويُحَرِّفُوا حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدِّينِيَّةِ، أنه دين لا يستحق الانتشار. ورافق ذلك الدافع ما رافق أحلام الغربين من السيطرة على الشرق بعدما هزموا بعد الحروب الصليبية فخامرتهم فكرة الانقضاض على الشرق من جديد. فلازم ذلك التهيئة الفكرية، والثقافية، لرفع معنويات المثقفين الغربيين الذين يطمعون في استعمار الشرق.

فكان **الدافع الاستعماري**، فرسمت صورة مشوهة عن الواقع التراثي بأن المسلمين هم خارج حدود الإنسانية ومرتكزاتها، وغير جديرين بالحياة، وأن دينهم يحثهم على القتل وسفك الدماء، ويبعدهم عن كل سمو روحي، وأخلاقي، وكانت تلك الصورة قد رسمت بعناية بأيدي المستشرقين، وأغلبهم من الرهبان والقسسة. ساعدهم في ذلك -بالتأكيد- ما هو موجود من مرويات مكذوبة، وموضوعة تسيء الى الصالحين من هذه الأمة، وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، والى القيم الاسلامية من خلال المس بالقرآن الكريم، وبالسيرة المطهرة. بالإضافة الى الدافعين السابقين، وهما: الديني، والاستعماري هناك الدافعين العلمي والسياسي: وإن كانا محدودين، ويمسّا شريحة ضيقة تلامس على الأكثر المنضوين تحت مجالي العلم والسياسة.

فالدافع العلمي: يحث تلكم المجموعة من المستشرقين بالبحث العلمي المجرد للثقافات، والدراسات الشرقية، وما تدفعهم الرغبة العلمية بالبحث، والتقصي في دراسة ثقافات، وأديان، وعادات، وغيرها للشعوب الشرقية، وغالبا ما تكون دراساتهم غاياتها ليس للتشويه، والسب، والطعن، والتحريف، والتزوير بقدر ما يدفعهم حب الاطلاع، ومعرفة الحقيقة، وهؤلاء قلّة جدا؛ لأن بحوثهم، ودراساتهم لا تلقى رواجا عند أحد من رجال الكنيسة، والسياسة، وأصحاب النفوذ والسيطرة.

أما الدافع الأخير هو **الدافع السياسي**: فلا بد لمن يمثل بلادا غربية عليه أن يكون ملمّا الى حد ما بثقافة البلد الذي سيعيش فيه؛ ليتمكَّن من الاتصال برجال الفكر، والصحافة، والسياسة، فيتعرَّف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الأفكار، والاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير من مثل: بث الدسائس، وإيجاد الفرقة ليسهل عليهم السيطرة على تلك المجتمعات الشرقية، وذلك من خلال معرفتهم الدقيقة للاتجاهات الشعبية، والأخطر منها المذهبية.

أهداف المستشرقين

بعد التطلّع على الدوافع، والأسباب؛ يمكن تشخيص الأهداف، ويمكن تقسّيمها الى ثلاثة أقسام° كما يلي:

١.هدف علمي مشبوه، ويهدف الى: التشكيك بصحة الرسالة، بل وإنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله إذ أنهم لا يعتقدون بنبوة محمدﷺ.

٢.الأهداف الدينية والسياسية، والتي تتلخص فيما يلي: تشكيك المسلمين بقرآنهم، وبنبيهم، وبالسيرة المطهرة، وأنه ليس للمسلمين حضارة؛ بل هي ناتج عن فلسفة الحضارة الرومانية. وينتج عن ذلك إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم، وعقيدة، ومثل عليا، وقتل روح المقاومة، وما يبعث فيهم النكوص، والتردي، والشعور بالنقص، وإضعاف روح التآخي بين المسلمين من جهة، وإثارة النعرات الطائفية، والعرقية من جهة أخرى مما يسهّل عملية التباغض بين القوميات والمذاهب.

٣.أهداف علمية محضة، لا يقصد من ورائها إلا البحث والتمحيص، ومع إخلاصهم في البحث، والدراسة فإنهم لا يسلمون من الأخطاء في البحث، والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إمّا لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإمَّا لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيُحبُّون أن يتصوَّروها كما يتصوَّرون مجتمعاتهم؛ كما فعل توماس أرنولد فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم[٦].

وقد يضاف اليها -كنتيجة حتمية- ما يلي:

٤."تحصين الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته، ويصيروا من دعاة هذا الدين الحنيف، وحماته والمنافحين عنه»[٧]. فبالإضافة الى تحصين المثقف الغربي من أن يقع في إسار الإسلام، فإنه يروم الى أن يضرب ستارا كثيفا من التشويش، والتشويه بين المثقف الأوربي، وبين الإسلام؛ ثم أصبح مؤخرا مصدرا لتشويه السيرة، والمرتكزات العقائدية تحت عناوين متعددة مثل حرية المعتقد[٨].

والحداثوية[٩] بصورة فجّة.

٥.التعرّف على الشرق، ودراسته على كل الصُعد: طوبوغرافيا، وسكانيا ودراسة ثرواته وتوزيعها، وثقافيا وعلميا واقتصاديا وكل شيء. كل ذلك لكي يعرف كيف يصل اليه، فقد ظلت دار الإسلام آنذاك مرهوبة مخوفة لم يستطع أحد اختراقها لعدة قرون، وكانت المناوشات، والاحتكاكات على الثغور، والاطراف تحسم دائما لصالح الإسلام، والمسلمين،

وترجع قوى الشر مقهورة مدحورة، كما قال المستشرق مونتغمري: «كان الإسلام خلال قرون عدة العدو الأكبر للمسيحية، ولم تكن المسيحية في الحقيقة على اتصال مباشر بأية دولة أخرى منظمة توازي الإسلام في القوة. فلقد هوجمت الإمبراطورية البيزنطية، بعد أن فقدت مقاطعاتها في سورية، ومصر، وآسيا الصغرى. بينما كانت أوربا الغربية مهددة في اسبانيا وصقلية»[١٠]، ولكنها ما فتئت هذه القوى تدبر، وتقدر، وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام لما استعصى عليها اختراقها، وكان الاستشراق هو رائدها الذي يرتاد لها الطريق وهذا الأمر باعترافهم هم بأنفسهم، وتمّ لهم ما أرادوا! ولم يكن ممكنا أن يغيب عن ذهن أي أوربي ماضيا وحاضرا كون الإسلام قد فاق أوربا، وسما عليها.

٦.الهدف العلمي للاستشراق -كما ذكرنا- على نوعين: هدف علمي نزيه خالص، وهدف علمي مشبوه، والهدف العلمي المشبوه كان امتدادا للأهداف السابقة والتي تبطن العملية التخريبية. إذ لم يبدُ عليه طغيان هدف آخر، ولم يبدُ على أصحابه انخراطهم المباشر في هيئات، ومؤسسات دينية، أو احتلالية، أو سياسية، أو تجارية، فالتشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ، وإنكار القرآن الكريم منزّلا من الله تعالى ذكره، ثم إنكار أن يكون الإسلام دينا من عند الله تعالى، والتشكيك في السيرة النبوية، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، ثم التشكيك في الفقه الإسلامي، وأصالته الإسلامية، وأخيرا التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة العصور والتطورات العلمية، كل هذه الوسائل وغيرها، إنما هي امتداد لمحاولة إشعار المسلمين ببطلان ما هم عليه، ودفعهم نحو البحث عن بديل يكون جاهزا في ثقافتهم المستمدة من النصرانية أو اليهودية، أو معا، أو بغيرهما ما ينقله لهم الاستعمار وتؤيده السياسة.

لا زالت أهواء المستشرقين تسيطر على عطائهم، فهم يقدمون السموم، والأساطير، والآراء الضالة، وليست لهم "القدرة حقيقة على أن يستوعبوا أحوال مجتمعات المسلمين ليقدموا لها شيئا ينفع"[١١]. ولكن؛ وللإنصاف هناك من "الجوانب الإيجابية للعديد من الكتب التي ألّفها مستشرقون بارزون في مختلف فروع المعرفة تشكل عطاء إيجابيا»[١٢]، ويذكر بعضهم جانبا من هذه الإيجابيات وذلك من «تقديم خدمات كثيرة للغة العربية وآدابها، وحفظ أمهات الكتب العربية وتحققيها ودراستها وإبرازها"[١٣]، بينما يرى آخرون

أن في دور المستشرقين «استفزاز للمثقفين المسلمين وحفزهم للمشاركة في تحقيق التراث، ودفعهم وتحريكهم لتوضيح حقائق الإسلام ورد الشبهات وكشف زيف دعوات الخصوم، وقد أدى هذا بالفعل إلى الخروج من جمود العصور الماضية، وأحدث في المجتمع الإسلامي ديناميكية ثقافية جديدة"[١٤].

ومن بين الدراسات التي تتبعت نتاجات المستشرقين ما أحصاه (الديب)[١٥] في كتاب علمي موثّق بالأدلة يكشف فيه كذبة من أكبر الأكاذيب عبر التاريخ بالأرقام، والوقائع نتاجات المستشرقين وبشهادات أهل الغرب، أنفسهم، فيضعهم في الميزان كاشفا هدفهم الخفي، وعارضا نماذج من خيانتهم للمنهج العلمي، وتجاوزهم في حق تراثنا بسوء قصد وفساد نية، ويسرد فيه شهادات بعضهم. ومن بين تلك الشهادات التي حصرها(الديب) وغيره[١٦] نذكر ما يلي:

شهادات المستشرقين عن دوافعهم للكتابة

يقول المستشرق الامريكي (روبرت بين Robert Payne) في مقدمة كتابه (السيف المقدّس The Sacred Sword): "إن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، والتعرّف على طريقتهم. وأن النّار التي أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة، وقد يفعلونها مرة ثانية، وهناك ألفُ سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء"[١٧]. ويقول الإيطالي (الكونت ليوني كايتاني)[١٨] الذي استخلص تاريخ الفتح الاسلامي في تسعة مجلدات ضخمة بعنوان (حوليات الإسلام) بلغ بها سنة أربعين هجرية قال: «كيف أن معاقل المسيحية في الشرق قد تهاوت أمام المد الإسلامي، بسبب تلك الجاذبية وسطوع مبادئه"[١٩]. ذكر (جِسَب، Jessup)[٢٠] في كتابه الذي طبع ١٩١٠، "ويود أن يمحي الإسلام من العالم"[٢١]، وجاء في كتاب (تقدم التبشير العالمي) الذي ألفه الدكتور غلوور ونشره في نيويورك سنة ١٩٦٠، في نهاية الباب الرابع: "إن سيف محمد، والقرآن أشد عدو، وأكبر معاند للحضارة، والحرية، والحق، ومن بين العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلى الآن، ويضيف منتقدا شخصية الرسول ﷺ: « كان محمد حاكما مطلقا، وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه، ويعمل ما يشاء، وكان مجبولا على هذه الفكرة، فقد

كان عازما على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه. أما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم، ويبعد عن طريقهم، وقال في أن القرآن الكريم: "القرآن خليط عجيب من الحقائق، والخرافات، ومن الشرائع، والأساطير، كما هو مزيج غريب للأغلاط التاريخية، والأوهام الفاسدة، وفوق ذلك هو غامض جدا لا يمكن أن يفهمه أحد إلا بتفكير خاص له. . . والذي يعتقده المسلم أن المعبود هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، فالله ملك جبار متسلط، ليست له علاقة مع خلقه، ورعاياه، برغم أن الإسلام يذكر الرابطة الموجودة بينهما"[٢٢]، وقال المستشرق (ليوبولد فايس) الذي أسلم فيما بعد وغير اسمه الى (محمد أسد) معبرا عن واقع المستشرقين فيقول عن موقفهم: "موقف كره في غير مبالاة فحسب، بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على صدور من التعصب الشديد، ويتحدث عن التجربة التي استحالت معضلة في مناهجهم يصعب تجاوزها فيقول: فيما يتعلق بالإسلام، فإن الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوربا والعالم الإسلامي (منذ الحروب الصليبية) غير معقود فوقه بجسر، ثم أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسيا من التفكير الأوربي. والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيين من الوثنيين. غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير. . . ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسيء توجيهها. أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة، وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول، في عقول الأوربيين"[٢٣]. ويقول المستشرق الألماني كارل بيكر (Becker) بصراحة: "إن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد في البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها"[٢٤]، ويشرح المستشرق (مونتغمري واط) الأسباب الحقيقية للتخوف من أن يعيق الإسلام طريق

انتشار المسيحية قائلا: «إن الإسلام من وجهة نظر المسيحية الغربية يتسم بخلفية إشكالية لاهوتية عميقة. فقد ألغى الإسلام حقيقة الأمر أي مكان لتجسيد الطبيعة الإلهية، مع نفي تام لفكرة الثالوث المسيحية. وبذلك التوجيه العقائدي حطّم الإسلام النظام البنيوي – اللاهوتي الذي كان مهيمنا في التصورات المسيحية لا سيما في العصر الوسيط حول التكوين الإلهي للتاريخ، وحول التقديس، وتجسيد الإله ذاته. هكذا كان ظهور الإسلام بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية نوعا من التحدي الديني – التاريخي»[٢٥]. ويفصح القس (كالهون سيمون) عن رغبة التبشير في تفريق المسلمين، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم بقوله: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السُمُر، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركات. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها"[٢٦]، " يجب أَن نحوّل بِالتَّبْشير مَجَارِي التَّفْكِير فِي الوَحدَة الإِسلاَمِيَّة حَتَّى تَسْتَطيع النَّصْرانِية أَنْ تَتغلغل فِي المسلِمين"[٢٧] ويكتب المستشرق الالماني (باول شمتز) كتابا، يتناول فيه عناصر القوة الكامنة في العالم الإسلامي، والإسلام فيسمي هذا الكتاب (الإسلام قوة الغد العالمية). فلماذا كتب هذا الكتاب وقام بهذه الدراسة؟، إنه لا يتورع أن يعلن صراحة، وبدون مواربة عن هدفه الذي هو تبصير أوروبا الغافلة عن هذه القوة التي هي صوت نذير لأوروبا، وهتاف يجوب آفاقها، يدعو إلى التجمع، والتساند الاوروبي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو، وينفض النوم عن عينيه»[٢٨]. ويحاول المبشرون أن يروا العداوة بين الإسلام وبين الغرب دينية، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم فإذا هي سياسية خطر الوحدة الإسلامية على الغرب. إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا. لقد أبرز (لورنس براون) هذا الموقف في صورة واضحة حينما قال: "إِذَا اتحد المسلمون في إِمبراطوريَّة عربية، أَمكن أَن يُصبحوا لَعنة عَلى العالم وخطرا، وأمكن أَن يصبحوا أَيضا نعمة لهُ، أَما إِذَا بقوا متفرقين فَإِنهم يظلون حينئِذ بِلا قوة وَلا تأثير"[٢٩]. ولا نستغرب لَم اصطفّ الغرب ضد عدم دخول تركيا الى الاتحاد الأوربي، فيرون أن الأتراك أصبحوا خطرًا على أوروبا منذ

دخلوا في الإسلام؛ وعبّر عن ذلك صراحة (أديسون) قائلا: «لا لأنهم مسلمون بل لأنهم قد أصبحوا قوة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبية»[٣٠]. وتستمر حملة المستشرقين في جهدهم وتتغير خططهم ووسائلهم بتغير ظروف الشرق، لقد رأى هؤلاء أن جهدهم يجب أن يستمر، ولكن وسائله يجب أن تتبدل، ذلك أنهم رأوا أن العالم يتبدل فأحبوا أن تتبدل خططهم حتى توافق الأحوال الجديدة[٣١].

لقد شكل خطاب المستشرقين صورة عدائية نابعة من الإحساس بالاستعلاء والفوقية ودناءة وضعف غيرهم، ومحاولتهم من السيطرة النفوذ الى المجتمعات. فحاولوا بكل الوسائل وخاصة غير المشروعة من الافتراء والكذب ولي الحقائق والتاريخ لمصلحتهم. وكان جل هدفهم ونصب أعينهم يستهدف الرموز المقدسة في الدين. تناولوا القرآن الكريم، فوصفوه بالضعف، والتعارض، وأنه نتاج النصرانية، وغيرها ثم تعرضوا الى سيرة الرسول الأكرم، وأصحاب الكساء عليهم السلام. فكان مشروعا ممنهجا، ومنظما يهدف الى «تقويض صورة المثال-الإنسان الكامل- في الإسلام، وممثّلة بالنبي، وأهل بيته عليهم السلام للاحتفاظ بفرادتها لما يقابلها في المعتقد المسيحي. التي تفترض كونها تمثل العائلة المقدسة المثال قبالة المثالية المسيحية (الأب، الأبن، الأم، الروح القدس) فإن كلا منها يعطي مثالا قائما بنفسه، وبحد ذاته قادرا على إزاحة ما يقابله في المثالية المسيحية (النبوة، البنوة، البتولية)»[٣٢].

المستشرقون والشيعة

وتطلّب من المستشرقين أن يبحثوا كثيرا في المذهب الشيعي الذي كان خارج بحوثهم لعدم معرفتهم به. فقد كانت الدراسات الاستشراقية حول التشيع عبارة عن «أخبار دونها القساوسة، وأسفار، ومعلومات موجزة وما الى ذلك من تراث ضيق النطاق»[٣٣]، ولقد ادعى فيها المستشرقون بأن أصل التشيع فارسي، ومنهم: جوبينو الفرنسي، وإدوارد البريطاني، والفرنسي دار مستتر، والإيطالي جويدي، والهولنديون دوزي وأوجست ملّر وفون كريمر؛ ربط التشيع بأصل فارسي، وكانت متمثلة برأي المستشرق الإنجليزي براون قائلا: «بأن العقيدة المتعلقة بالحق الإلهي التي أودعت في الأسرة الساسانية، كانت ذا أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيع، فلقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة متماشية مع

ديمقراطية العرب، غير أنها لا يمكن أن تظهر في نظر الفرس إلا بمظهر ثوري غير مطابق لطبيعة الأشياء"[٣٤]، ويردد ذات النغمة أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام بأن جذور التشيع فارسية، ويزيد على ذلك فيضيف اليه تعاليم زرادشت، وماني، ومزدك -وهؤلاء تنسب لهم ديانات ومذاهب فارسية وجدت قبل الإسلام- ويقول: «والحق إن التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الإسلام بعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية، ونصرانية، وزردشتية، وهندية، فاليهودية ظهرت في التشيع، والنصرانية ظهرت في التشيع»[٣٥]. وهناك دراسة تفصيلية تسرد أسماء معظم المستشرقين الذين ادعوا في دراساتهم عن الجذور التاريخية لأصل الشيعة، ونشأتهم، وتتلخص تلك الدراسة بأن النشأة خضعت لتأثيرات أجنبية مختلفة: مجوسية ويهودية، ومسيحية، وغنوصية[٣٦]

ويقول إيتان كوهلبرغ في هذا الصدد: «المسلمون الذين تعرّف عليهم الأوربيون بالتدريج في شتى أرجاء العالم، واعتبروهم أعداء أو انهم تحالفوا معهم، كان معظمهم من أهل السنة، لذلك تعرّف الغربيون الى حدّ ما على تقاليدهم وطقوسهم ومعتقداتهم؛ على العكس من الاسلام الشيعي الذي كان ينتشر غالبا في المناطق البعيدة عن سيطرة الغرب، لذا كان أشبه بالأحجية بالنسبة الى الكثيرين، وبالتالي تطلّب التعرّف على عالم التشيع زمنا طويلا، وما زال الأمر على حاله الى يومنا هذا؛ وكما هو واضح فإن دراسة أية فرقة من فرق الشيعة المعروفة لها مراحل خاصة بها ونطاقها يتسع وفق مسيرة معينة»[٣٧].

ولكن النظرة حول التشيع قد بدأت تتغير، وتطورت الدراسات الاستشراقية بالاعتماد على «مصادر أهل السنة، ثم أصبحت الدراسات بعناوين مختلفة ذات صلة بالفكر الشيعي، وكانت أشهر الدراسات هو كتاب مذهب الشيعة (أو عقيدة الشيعة) لدونالدسون، وكتاب نورمان هوليستر (شيعة الهند)»[٣٨]. ويبدو واضحا جدا أن الهدف هو عدم رضاهم لإبقاء المسلمين متوحدين، وذلك ليسهل عليهم التغلغل بينهم لتحقيق مآربهم السياسية، وإن كانت مغلفة بمسوح دينية تبشيرية. إن الدين كان الوسيلة، أما السياسة فكانت الهدف الحقيقي. والسياسة هنا معناها استعباد الغرب للشرق.

إن المثقفين الغربين وعلى الخصوص المهتمين منهم بالشرق قد "ميّزوا الشرق بصورة

متخيلة إرضاء لميول، ومصالح، وأحلام، وظهرت رؤى أنثروبولوجية، وإثنية، وفكرية تحوّل الشرق هذا الى حقل تجارب لفروض، ونظريات متخلفة من وجهة نظر تاريخ العلوم، وفلسفتها، ومن وجهة نظر علوم الحياة، والاجتماع. لقد ظهر العرق السامي بخصائصه الخُلقية والعقلية فظهرت في المقابل الإثنيات الأخرى»[٣٩].

وما دامت بحوث المستشرقين صارت أمرا واقعا، وهي تغطي مساحات في السيرة المطهّرة، وواسعة في مجال البحث التاريخي، وتفرض ثقلها في الدوائر الأكاديميّة التخصصيّة، وما دام أن في بعض هذه البحوث لمحات منهجية، وموضوعية قد تمنحنا المزيد من الإدراك لنسيج السيرة المطهّرة، وتعطينا المزيد من الأدوات المعينة على الفهم، «فلا بأس أن نتعامل معها على هذا الأساس، وليس أبدا على اعتبار أنها صيغة مقبولة في التعامل الدراسي مع سيرة رسولنا ﷺ»[٤٠].

مميزات منهجية المستشرقين

ونستطيع أن نحدد منهجيتهم في دراستهم التي تميزت[٤١] بالنقاط التالية:

١. اعتمادهم على المصادر الضعيفة مثل كتاب (الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني)[٤٢] الذي يستند الى الروايات الضعيفة ويركز على جانب الخلاعة، والإلحاد متأثرا بأخلاقه الشخصية، «وهذا يناسب المؤلِّف وخياله وحياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به.»[٤٣]

٢. عدم إدراكهم لحقيقة المجتمع الإسلامي وأسس تكوينه.

٣. تقصّدهم في تصيّد الآراء الشاذة، والروايات الضعيفة المنكرة، سنأتي الى دوافع ذلك.

٤. عدم أمانتهم في النقل.

٥. استعمالهم طريقة التمويه، وبتر الرواية، والأخذ منها ما يفيدهم.

٦. الافتراء والكذب أحيانا، وإلصاق الأخبار ببعض الشخصيات القيادية في التاريخ الإسلامي.

٧. محاولة تفسير التاريخ تفسيرا ماديا خاليا من النزعة الروحية المخلصة لله تعالى.

٨. ينظر الى الإسلام الى أنه دين قد أخذ تعاليمه، وأنظمته من اليهودية والنصرانية.

٩.التركيز على أحداث النزاع في التاريخ الإسلامي، وترك الفترة الحضارية المشرقة من أجل التأكيد على فرية افتروها في أن التاريخ الإسلامي لم يكن إلا أحداث نزاع وقتل وتنافس على السلطة.

منهجية المستشرقين في تقويض صورة الإمام الحسن عليه السلام

من المعلوم أن أغلب من بحث في السيرة، والقرآن من الغربين بين أن يكونوا علمانيين، ماديين، لا يؤمنون بالغيب، وبين أن يكونوا يهودا أو نصارى لا يؤمنون بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، ونادرا جدا أن تجد من كتب بإنصاف. فيصبح من المتعسر بل من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة، ونتائجها، وأهدافها، والغاية الأساسية التي تمحورت حولها. فاعتمدوا منهجا خاطئا؛ إذ غيبوا المرتكزات الغيبية من أبحاثهم في السيرة، فما زال وسيظل الاستشراق بعيدا عنها، لأسباب كثيرة بعضها راجع الى طبيعة الاستشراق، وهدفه، ونشأته، وبعضها راجع «لعجز طبيعي فطري في هؤلاء الأعاجم يحول بينهم وبين امتلاك البحث في العلوم الإسلامية، وأدواته»[٤٤]. ولذلك أساءوا كثيرا الى أصحاب الكساء عليهم السلام وتجاوزوا على الواقع من غير الالتفات -دائما- الى العنصر الغيبي في سيرة أهل البيت؛ بل من الاعتماد على الدراسة المجردة الانتقائية. عندئذ "تصبح أبحاثا، ولكن عبثا بمقدساتنا باسم العلم، وتحويلا للسيرة لكي تكون حقلا لتجارب العقل النقدي الغربي ونحن يجب أن نرفض التعامل مع هذا العبث وأن نرفض حتى النظر فيه»[٤٥].

وقد عزى أحدهم الى توغل المستشرقين في دراسة تراث أهل البيت الى "الحضور السياسي للشيعة في العالم، وبالخصوص تأثيره في الشرق، ووصول آثاره للغرب، بحيث «إن البحوث الاستشراقية للفكر الذي يتبناه الشيعة قد تواترت بشكل ملحوظ في العقود الأربعة ولا سيما ما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران"[٤٦].

لقد عجز المستشرقون عن طرح صورة واضحة لمعتقدات الشيعة، من جهة، وعدم قدرتهم على بسط مواضيع بحوثهم بشكل لائق يتناسب مع أصول البحث العلمي المعتبرة، من جهة أخرى؛ حيث لم يراعوا الإنصاف والتجرد عن النزعة الفئوية، ولا سيما عند تناولهم بعض المواضيع الدينية المثيرة للجدل وتشبيههم مذهب التشيع بسائر المذاهب

والأديان دون أن يكترثوا بتعاليمه التي يكمل بعضها بعض، ناهيك عن تجاهلهم الكثير من المبادئ الأساسية في هذا المذهب، واعتمادهم على فرضيات شخصية لا تمت بصلة لأسس البحث العلمي، وبالتالي فإن دراساتهم بشكل عام عارية من أي موقف منصف في الدفاع عن الشيعة -وهو أمر غير مطلوب منهم- بل أن منظومتهم الفكرية قد صيغت بالكامل بشكل يتضادّ مع التشيع.

يعد المستشرق البريطاني (Dwight M. Donaldson) دوايت دونالدسون[٤٧] من أوائل المستشرقين الذين كتبوا عن الإمام الحسن عليه السلام في كتابه عقيدة الشيعة[٤٨] (the Shi'te Religion) في الباب السادس منه. "فقدّم سردا تاريخيا بأحداث عصره، وسيرته وملابساتها، وقد وقع في أخطاء جسيمة ونسب لشخصه الكريم مجموعة من الأباطيل والأكاذيب، وكلها تتعارض مع سموّ أخلاقه عليه السلام"[٤٩]؛ [٥٠].

بينما أستفاد (هنري لامنس)[٥١] من الروايات التي وضعت إثر التقاء المصالح الأموية-اليهودية. وهنري لامنس هذا "يميل الى جانب معاوية ممجدا له وللأمويين قبال موقفه المعادي للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته من أصحاب الكساء»[٥٢]. إذ غدت بلاد الشام موطنا آمنا لرجالات اليهود والنصارى الذين فقدوا رجالاتهم بسيف أمير المؤمنين عليه السلام، الذين وضعوا كثيرا من الروايات التي تحط من قدر النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وترفع من مقام معاوية والأمويين.

بعض ما تناوله المستشرقون من بحوث سلبية حول الإمام الحسن عليه السلام

لقد أفرد الكعبي[٥٣] فصلا أسماه تقويض صورة الخليفة والقائد المثال، لنقد وردّ الخطاب الموجه ضد صورة الإمام الحسن عليه السلام، تلك الصورة التي لم تتوفر إلا على حزمة من الشتائم، والسباب، واجترار الأكاذيب التي روجتها وسائل الدعاية، والرواية، والتدوين الأموي والعباسي، والتي لم تكن لتخفى على بسطاء المطلعين، وقراء التاريخ، فضلا عن المستشرق (لامنس). الذي كان قد تكلّم بدوافع الحقد والكراهية للإسلام، وهو ممن قلبوا صفحات التاريخ الإسلامي وأتوا على الغاية فيها، إلا أنه تعامل مع تلك المرويات بأريحية تامة، نمت عن تحيّز واضح ومفضوح، لأنه كان يستثار من كل جزئية مهما بدت بسيطة إذا ما

تضمنت اعترافا بفضيلة أو حقيقة لأحد الأئمة. وقد أفرد (لامنس) دراسة خاصة عن الإمام الحسن عليه السلام نشرت في دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان (الحسن بن علي بن أبي طالب) في مجلدها الثالث الصادر بين العامين (١٩١٣-١٩٣٨)[٥٤] فقد كشف في مقاله عن مدى التلاعب في النص الأصلي، واجتزاءه، بل الخروج عليه والافتراء، وسلب معناه، واستباحته واستبداله وتكذيبه.

بالإضافة الى ذلك فقد "أنحى الباحثون المستشرقون باللائمة على الحسن عليه السلام لأنه صالح وتنازل عن الحكم لخصمه معاوية بشروط ولم يف له بشيء منها، وقد وصفوه بانه لم يكن رجل الساعة المطلوب، ولم يكن ابنا جديرا لعلي عليه السلام وانه كان شخصية متخاذلة انصرف إلى ملذاته وشهواته"[٥٥]، وفيما يلي ما عثرنا عليه من كلماتهم في هذا السبيل:

فهذا الدكتور فيليب حتي اللبناني (١٨٨٦ – ١٩٧٨)[٥٦] الذي قال: "ولكن الحسن الذي كان يميل إلى الترف والبذخ لا إلى الحكم والإدارة. لم يكن رجل الموقف فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها معاوية"[٥٧]، وهو بذلك يكرر مقولة غيره من المستشرقين[٥٨]

لقد تبنت دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان: (الحسن بن علي بن أبي طالب) ما كتبه المستشرق البلجيكي (لامنس) المتخصص بالتاريخ الإسلامي عن الحسن عليه السلام تناول حياته عليه السلام منذ ولادته. فيذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين [بأنهما سيدا شباب أهل الجنة][٥٩]، لكنه يقلل من أهمية هذا الحديث فيورد رأيه مغلفا بشهادة مروان بن الحكم طريد رسول الله، الذي قال فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: « هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون"[٦٠] فيقول (لامنس) في حديث رسول الله بأنه: "حديث جادل في صحته مروان بن الحكم"[٦١]، فلم يلتفت الى أي من رجال الحديث وكتب الأحاديث في إظهار قوة الحديث لكنه اكتفى برأي مروان بن الحكم طريد[٦٢] رسول الله صلى الله عليه وآله مؤيدا بذلك الهوى الأموي. ثم يرسم صورة للحسنين عليهما السلام من مخيلته المريضة، ويصورهما على أنهما طفلين مشاكسين وخارجين عن طاعة الوالد فيقول: «قد جاء في أحد المصادر أنهما ظلا يعيشان في طاعة أبيهما. والحق أنهما وإن تبعاه في إظهار بعض اعتراضاته على عثمان، فإنهما لعبا دورًا سلبيًا لأنهما كانا صبيين صغيرين"[٦٣]، ويحاول المستشرقون أن يعرضوا صورة الإمام الحسن عليه السلام كما صورها من قبلهم الأمويون،

وزادوا عليها أن الإمام المجتبى عليه السلام لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه، وأخوته، وقد ثبت خلاف ذلك الأمر إذ هو الوصي بعد أبيه، والقائم بمقامه في مهام الإمامة الإلهية، ومن بعده أخوه الإمام الحسين عليه السلام، فكانت العلاقة ربانية فيما بينهم في أعلى مستوى من السمو، والرقي كما خطط لها الباري عز وجل. لكن (لامنس) له رأي وضيع، وسقيم في الحسن المجتبى نسجه من تفكيره الحاقد فيقول: "ولم يكن الحسن على وفاق مع أبيه، وإخوته عندما ماتت فاطمة، ولما تجاوز الشباب، وقد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق، فأحصي له حوالي المائة، والثلاثمائة، والتسعمائة زوجة[٦٤]. وألصقت به هذه الأخلاق السائبة لقب المِطلاق[٦٥]، [٦٦]، ويضيق (لامنس) أن هذه الزيجات أوقعت عليّاً في خصومات عنيفة. ويقول مرة أخرى أن بتصرفاته هذه اثبت الحسن كذلك انه مبذّر كثير السرف. فقد اختص كلًّا من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم. وهكذا نرى -والكلام (للامنس)- كيف كان يبعثر المال أيام خلافة علي التي اشتد عليها الفقر. وشهد يوم صفين دون ان تكون له فيها مشاركة إيجابية. ويردد المقولة ذاتها (فيليب حتّي) فيقول: "ولكن الحسن الذي كان يميل إلى الترف والبذخ لا إلى الحكم والإدارة لم يكن رجل الموقف فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها معاوية"[٦٧]. وفيليب حتي يكرر ما كتبه لامنس، ودونالدسون[٦٨]

لماذا عمد المستشرقون على تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام؟

لقد تعمّد المستشرقون بطريقة فجّة، وبعيدة عن التحليل العلمي للتاريخ بقدر ما يضفون على الدراسة ذوقهم وانطباعاتهم على التحليل. ومنهم المستشرق الإنجليزي (أنتوني ناتنج) الذي تعمّد الخطأ في التحليل لأحداث التاريخ، ومنها صلح الحسن عليه السلام، وذلك في كتابه (العرب: انتصاراتهم، وأمجاد الإسلام) قائلا: «إن مبايعة أهل الكوفة للإمام الحسن عليه السلام كانت قد صدرت من باب الاحترام لذكرى والده الإمام علي عليه السلام، وأن الحسن عليه السلام كان يؤثر العافية، ويحب السلم»[٦٩]، ويؤيده في ذلك بشكل وآخر ما ذهبت اليه المستشرقة البولونية غايانا[٧٠] والتي يبدو من ظاهر كلامها أنها منصفة للإمام الحسن عليه السلام؛ لكنها وكغيرها من المستشرقين دست السم في العسل في محاولة منها تظهر دفاعها عن الحسن عليه السلام قائلة: "بعد مقتل أبيه علي بايع شيعته ابنه الحسن، وأقام في الخلافة ستة أشهر، ولم يخضع معاوية

لـه، فـكادت تكـون بينهـما حـروب كـما كان في أيـام أبيـه، ولكـن الحسـن فكّـر في الأمـر، ونظـر الى الظـروف نظـرة صائبـة، وكان يكـره الفتـن، ويحـب للمسـلمين الألفـة. فـرأى خـير المسـلمين أن يتنـازل عـن الخلافـة الى معاويـة، وصالحـه عـلى شروط رضيهـا الطرفـان، وكتـب الى معاويـة بالبيعـة، وسـلّم اليـه الكوفـة في أواخـر ربيـع الأول سـنة ٤١ ه. وبذلـك تـم مـا قالـه الرسـول في الحسـن [إن ابنـي هـذا سـيد، ولعـل الله أن يصلـح بـه بـين فئتـين عظيمتـين مـن المؤمنـين][٧١].

ويمكننـا أن نـرى بوضـوح هـوى المسـتشرقين تجـاه الإمـام الحسـن عليه السلام مـن الاطـلاع عـلى مـا كتبـه أحدهـم، وهـو المسـتشرق (لامنـس) في دائـرة المعـارف الإسـلامية -وأن معظـم المسـتشرقين فيـما بعـد قـد اقتبسـوا مـن كتاباتـه- فيقـول: "هـو -أي الحسـن عليه السلام- لم يهتـم أي اهتـمام بالشـؤون العامـة في حيـاة أبيـه، وبويـع الحسـن بالخلافـة في العـراق بعـد مقتـل عـلي عليه السلام فحـاول أنصـاره أَن يقنعـوه بالعـودة إلى قتـال أهـل الشـام، وقَلَـبَ هـذا الإلحـاح (مـن جانبهـم) خُطـط الحسـن القعيـد الهمـة -كـذا- فلـم يَعُـد يفكـر الّا في التفاهـم مـع معاويـة. كـما أدى إلى وقـوع الفرقـة بينـه وبـين أهـل العـراق، وانتهـى بهـم الأمـر إلى إثخـان إمامهـم -اسـما لا فعـلا- بالجـراح.

فتملّكـت الحسـن منـذ ذلـك الوقـت فكـرة واحـدة هـي الوصـول إلى اتفـاق مـع الأمويـين، وتـرك لـه معاويـة ان يحـدد مـا يطلبـه جـزاء تنازلـه عـن الخلافـة، ولم يكتـف الحسـن بالمليـوني درهـم التـي طلبهـا معاشـا لأخيـه الحسـين بـل طلـب لنفسـه خمسـة ملايـين درهـم أخـرى، ودَخَـل كـورة في فـارس طيلـة حياتـه. وعـارض أهـل العـراق بعـد ذلـك في تنفيـذ الفقـرة الأخـيرة مـن هـذا الاتفـاق، بَيْـدَ انـه أُجيـب إلى كل مـا سـأله حتـى ان حفيـد النبـي تجـرأ فجاهـر بالنـدم عـلى أَنـه لم يضاعـف طلبـه، وتـرك العـراق مشـيعا بسـخط النـاس عليـه ليقبـع في المدينـة. وهنـاك عـاد إلى حيـاة اللهـو واستسـلم للـذات، ووافـق معاويـة عـلى ان يدفـع نفقاتـه ولم يطلـب في مقابـل ذلـك الا أمـرا واحـدا هـو الا يخِـلّ الحسـن بأمـن الدولـة، وكان قـد أَجبـره مـن قبـل عـن الجهـر بتنازلـه عـن الخلافـة في اجتـماع[٧٢] عُقِـدَ في (اذرح)[٧٣].

ولم يعـد معاويـة يشـغل بالـه بـه، ذلـك انـه كان واثقـا مـن قعـود همتـه (!) وإيثـاره للدعـة، ومـع هـذا فقـد اسـتمر الانقسـام في البيـت العلـوي، ولم يكـن الحسـن عـلى وفـاق مـع الحسـين (!!) وان اجتمعـا عـلى مناهضـة ابـن الحنفيـة وغـيره مـن أبنـاء عـلي، وتـوفي الحسـن في المدينـة بـذات الرئـة ولعـل إفراطـه

في الملذات هو الذي عجل بمنيته. وقد بذلت محاولة لإلقاء تبعة موته على رأس معاوية"[٧٤].

وكان الغرض من هذا الاتهام (والكلام لا زال للامنس) وصم الأمويين بهذا العار، وتبرير لقب الشهيد أو (سيد الشهداء) الذي خلع على ابن فاطمة هذا التافه الشأن، ولم يجرؤ على القول بهذا الاتهام الشنيع جهرة سوى المؤلفين من الشيعة أو أولئك الذين كان هواهم مع العلوية بنوع خاص، وقد أعطى هذا الاتهام في الوقت نفسه فرصة للإيقاع بأسرة الأشعث بن قيس المبغضة من الشيعة، لما كان لها من شأن في الانقلاب الذي حدث يوم صفين، وما كان معاوية بالرجل الذي يقترف إثما لا مبرر له، كما ان الحسن المستهتر (!!) كان قد اصبح مسالما منذ أمد طويل، وكانت حياته عبئاً على بيت المال الذي أَبهظته مطالبه المتكررة، ومن اليسير ان نعلل ارتياح معاوية وتنفسه الصعداء عندما سمع بمرض الحسن، وربما كانت وفاته عام ٤٩ هـ بالغا من العمر الخامسة والأربعين"[٧٥].

ويذكر الكعبي[٧٦] مجموعة من المواضيع حول الإمام الحسن عليه السلام التي حاول (لامنس) الالتواء عليها، وما كان قاصدا الانسياق وراء الرواية التاريخية، واختيار أبغضها، وتشويهها أكثر وأكثر ضمن تبنيه فكرة، ومبدأ تقويض صورة الإمام الحسن عليه السلام، ومنها:

عدم ذكاء الحسن، فقال: «ونظرا لأن عليا وفاطمة كانا متوسطي الذكاء، فإن تطور الأطفال الفكري كان بطيئا، فقد احتاج الحسن الى وقت طويل حتى استطاع الكلام (أبطأ بالكلام). حاول محمد إخراجه من ذلك، من خلال التكبير في أذنه لخمس مرات، فرددها الطفل، مما جعله يردد الله أكبر فرحا وسرورا بنطقه»[٧٧].

ومن الأمور الأخرى كذلك التي تجرأ (لامنس) بحماقة على العمل بالتلاعب في النص: فمثلا قام (لامنس) بترجمة (الجود والمهابة)، أو (هيبتي وسؤددي) في الحديث الشريف بوصف الحسن عليه السلام بالذكاء، والى لفظ الاعتدال في الحديث التالي تكريسا لدعواه في أنه الحسن عليه السلام ليس ذكيا: الحديث، «أن فاطمة عليها السلام جاءت بالحسنين للنبي صلى الله عليه وآله فقالت: أنحلهما، فقال: قد نحلت الحسن الحلم والحياء، ونحلت الحسين الجود والمهابة»[٧٨].

الشهوانية: وصف هذا المستشرق الأمام الحسين بالشهوانية وكثرة الزواج والطلاق: فقد اعتمد (لامنس) على الكم الوفير من المرويات التي نسجها الأمويون والعباسيون في هذا

المجال، فأعاد انتاجها بشكل أكثر اساءة، ووصف الحسن عليه السلام بأنه «بصفاته الجوهرية يميل للشهوات ووصفه بالمطلاق»[٧٩]، والصورة ذاتها يرسمها المستشرق (دونالدسون) بتهمة كبيرة حاول أن يلصقها بالإمام الحسن عليه السلام من دون وجه حق وافتراء عليه، جاءت في كتابه[٨٠] قائلا: وقد قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق حتى بلغ من تزوجهن المائة، وسمِّي المطلاق وخلق لعلي أعداء خطرين. مستنداً لكلام سلفه (لامنس) في دائرة المعارف الإسلامية.

بالإضافة الى ما ذكر سابقا تطرق (لامنس) الى أنه ألصق به «الأخلاق السائبة لقب المطلاق، فأوقع أبيه في خصومات عنيفة»[٨١] وقال بأن الحسن عليه السلام كان «مبذرا وكثير السرف»[٨٢]. "ومما يؤيد افتعال تلك الكثرة لأزواجه ما روي أن الحسن بن علي رضي الله عنه لما وافاه الأجل المحتوم خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته وهن يقلن نحن أزواج الإمام الحسن. إن افتعال ذلك صريح واضح، فأنا لا نتصور ما يبرر خروج تلك الكوكبة من النسوة حافيات حاسرات، وهن يهتفن أمام الجماهير بأنهن زوجات الحسن، فإن كان الموجب لخروجهن إظهار الأسى والحزن، فما الموجب لهذا التعريف والسير في الموكب المزدحم بالرجال مع أنهن قد أمرن بالتستر وعدم الخروج من بيوتهن إن هذا الأثر وأمثاله لا يصح ولا يثبت من حيث الإسناد"[٨٣].

ولا نستبعد ما كتبه الوضاعون المتزلفون لبني أمية وبني العباس؛ فقد وصفوا الإمام الحسن عليه السلام بالمزواج والمطلاق، وأنه على خلاف مع أبيه عليه السلام -وهو أبعد عن ذلك- ومنها: ما اختُلف في عدد زوجات الامام الحسن بن علي عليهما السلام، وذكروا أنه كان كثير الزواج والطلاق، فقيل إنه تزوج حوالي سبعين امرأة، فيقول الذهبي: "كان منكاحًا مطلاقًا، تزوج نحوًا من سبعين امرأة، وقلما كان يفارقه أربع ضرائر، وفيما نُقل عن جعفر الصادق عليه السلام: "أن عليًا قال: يا أهل الكوفة! لا تُزوِّجوا الحسن، فإنه مطلاق، فقال رجل: والله لنزوجنّه، فما رضي أمسك، وما كره طلق"[٨٤]، [٨٥]،

وقال ابن كثير الدمشقي الذي أمعن بتسفيه شخص الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويذكر فيما كتب عن المجتبى عليه السلام: "وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقا مصداقا، يقال إنه أحصن سبعين امرأة[٨٦]، وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم... وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزاري - وقيل هند بنت سهيل - فوق إجار فعمدت المرأة

فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خشيت أن تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب. فأعجبه ذلك منها، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك"[٨٧]، ولعل ابن كثير وبطريقة المدح المبطن بالذم، فيقول أنه ما تفحّش بالقول إلا مرة واحدة فيروي عن محمد بن إسحاق أنه قال: "ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم ألا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة"[٨٨].

عدم برّه لأبيه: واستخلص أن "العلاقة بين الحسن وعلي عليهما السلام متوترة وانهما ليسا على وفاق، وأنه لم يهتم بالشؤون العامة في حياة أبيه»[٨٩] معتمدا في ذلك على رواية الطبري في تاريخه[٩٠]، وذلك ليس ببعيد عما قاله ابن سعد في طبقاته: «حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج، ويطلق حتى خشيت أن يورثنا، عداوة في القبائل"[٩١]. وادّعى المستشرق (دونالدسن) ذات التهمة في أن الإمام المجتبى عليه السلام لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه وأخوته قائلاً: "وبعد وفاة فاطمة في شرخ صباها لم تكن علاقته مع أبيه وأخوته على أحسن ما يرام"[٩٢].

متمنيا المصالحة مع معاوية: وتعمد هذا المستشرق في إظهار الحسن عليه السلام كأنه «ميال لمصالحة معاوية واعتزال الخلافة منذ اللحظة الأولى لأنه لم يكن مهتما بالسياسة»[٩٣]، وبذلك أعاد الصورة التي رسمها الأمويون عن الحسن عليه السلام في تشويه سيرته عليه السلام بل وأعطى الشرعية لمعاوية في ابتزاز الخلافة، وهذا ما نتلمّسه في الكلام المروي عن الحسن البصري، وكأن الشغل الشاغل للحسن عليه السلام من وراء الصلح هو المال وليس غيره[٩٤].

قعيد الهمة: لنعد الى ما قام به (لامنس) من إظهار الحسن عليه السلام على أنه «قعيد الهمة لا يقدر على حرب أهل الشام، مما أدى الى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق»[٩٥] معتمدا في ذلك على تبنّي رواية الزهري[٩٦] فيما تحتوي على تزييف لحقيقة الأحداث والصراع، فأعاد صياغتها من جديد ولكن بلغة مشبعة ببذاءة اللسان وقاذع القول، فيقول: "ولم يعد معاوية يشغل باله به، ذلك أنه كان واثقا من قعود همته، وأنه تافه وجدير بالإهمال، لشخصيته المتراخية والكسولة»[٩٧]. ويستمر لامنس في بذاءة تحليله ولّي الحقائق فجعل من حياة الحسن عليه السلام «عبئا على بيت المال الذي أبهظته مطالبه المتكررة»[٩٨].

مبذرا ومسرفا: ومما ادّعاه (دونالدسن) بغير وجه حق ونسبه إلى لإمام الحسن عليه السلام هي صفة التبذير مكررا ذات المقولة قائلا: «وقد برهن عن كثرة تبذيره بأن خص كل امرأة من نسائه بمال كثير، فنرى بذلك كيف بذرت أموال طائلة خلال خلافة علي بالزمن الذي كانت الخلافة نفسها شديدة الافتقار»[٩٩]

موته: أما بالنسبة لموته عليه السلام فقد قرر (لامنس) حسب مشتهياته السقيمة أن سبب موت الإمام الحسن عليه السلام هو «إصابته بذات الرئة»[١٠٠]! ولا أدري كيف توصل لمعرفة هذا المرض؟ لكنه أراد بذلك الى أن يبرّئ جعدة بنت الأشعث من تسميمها الإمام الحسن عليه السلام فيقول: «كذبة أو خرافة سمها للحسن، وإنها لم تدفع لسم الحسن بأمر معاوية؛ وإنما لغيرتها من نساء الحسن الأخريات، اللائي لم يتوقف الحسن عن التزويج بهن»[١٠١]، وتراه يتخبط بين القول: «إنه مات بالسل! وإنه أنهكته الملذات! ومرة يلمّح لمرض الجدري المنتشر في تلك السنة! وأخرى لشربة عسل!» [١٠٢]. وتمادى المستشرق (دونالدسن)[١٠٣] في تبرير موت الحسن المجتبى عليه السلام وتوصل الى أن الإمام مرض بداء السل[١٠٤] ولا غرابة في ذلك فهو يعيد ما قاله (لامنس) لكن الغريب هو تعليله سبب الإصابة بأنها نتيجة تبذير الأموال، ولعله قصد أنه تعرض لداء السل نتيجة إسرافه في الأكل والشرب، فقال: أن معاوية كان يرسل للإمام الحسن عليه السلام الأموال وهو يبذرها فكانت النتيجة أنه مات بالسل عندما بلغ بالعمر خمساً وأربعين سنة. وهذا ادعاء باطل لأنه علمياً لم يكن هناك من دليل على أن الإسراف في الأكل والشرب يورث السل ومن ثم لم يشر إلى مصدر هذه المعلومة فهو أطلقها على عواهنها.

ولا نستغرب أبدا من تصرفات دعاة السوء، والذين كانوا يلبسون الحق بالباطل في أيام بني أمية، وبني العباس تقرّبا إليهم، فكانت واحدة من دسائسهم هي أن قال أبو نعيم واصفا الحسن عليه السلام في مرضه وما انتابه من جزع (كذا) فقال: "لما اشتد [المرض] بالحسن بن علي ابن أبي طالب جزع قال: فدخل عليه رجل[١٠٥] فقال: يا أبا محمد ما هذا الجزع ما هذا؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك علي وفاطمة وعلى جديك النبي (ﷺ) وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب ومطهر وإبراهيم وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب. قال: فسرى عنه"[١٠٦]، وهذا مما سهل

للمستشرقين في التهكم والاستهزاء من شخص الحسن عليه السلام وكان محرضا لهم في ابتداع أفكارا بائسة ينسجونها من مخيلتهم السقيمة في الاساءة لأهل البيت عليهم السلام.

وبصورة عامة نجد أن المستشرق (لامنس) تبنى الروايات الأموية التي حاولت خلط الأوراق وعكس الحقائق، فهو وأمثاله من المستشرقين ومن المتأثرين بهم في تفسيرهم للأحداث تحدثوا في معزل تام عن الواقع التاريخي، والظروف التي كانت تحيط بالإمام الحسن عليه السلام، الذي حاول الحفاظ على تماسك المنهج، والمبادئ الإسلامية من الضياع.

لكنّا نجد المستشرق (يوليوس فلهوزن)[١٠٧] على العكس من (لامنس) قد خاض بين النصوص تمحيصا وبحثا، وخاصة في تصرف عبيد الله بن العباس، وانصرافه الى معاوية وتفكّك الجيش، «فكان أكثر ثباتا واتزانا وأوضح في معالمها الرئيسية وجزيئاتها واستجلاء حقيقة الحدث مهما كان مصابا بالضبابية والتشوه، ومن ثم تقديمه بصورة مترابطة.»[١٠٨]

إن مناقشة أيّ من المستشرقين الذين تناولوا السيرة، على مستوى التفاصيل والجزئيات التاريخيّة والعقديّة، وهؤلاء المستشرقون أكثر ما تناولوا بالبحث والدراسة من مثل تلك النماذج الوارد ذكرها أعلاه والتي كتبها وروج لها ابن سعد والذهبي وابن كثير وغيرهم ممن تمادوا وأسفّوا بالذم للحسن عليه السلام محاباة للأمويين والعباسيين، أقول فإن مناقشة آراء المستشرقين لا تغني شيئا، «لأنها ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرّك على السطح، ويستهلك نفسه في الجزئيات؛ دون أن يبحث عن الجذور العميقة التي تظلّ تنبت الشوك والحسك. فإن بحوثهم في السيرة لا يحمل عناصر اكتماله منذ البداية»[١٠٩] طالما أن كتب الأحاديث والسير والتواريخ مليئة بمثل هذه السفاسف والمغالطات عن أهل بيت النبوة عليهم السلام.

الاستنتاج

وبالنتيجة، نلاحظ اليوم أن كثيراً من الأفكار المشوهة عن الإسلام، وتاريخ المسلمين، والمضادة لهما المنتشرة في صفوف الأجيال الحديثة من أبناء المسلمين، والمنتشرة في معظم البلاد غير الإسلامية، ليست إلا أثراً مباشراً أو غير مباشر، من آثار دسائس المبشرين، والمستشرقين والمستعمرين ضد الإسلام، والتي تبناها بشكل أو آخر أبناء جلدتنا.

ونستطيع أن نستبين من نتائج أعمالهم المهمات التالية:

المهمة الأولى: هدم الإسلام في عقائده وعباداته ونظمه وأخلاقه.

المهمة الثانية: تجزئة المسلمين أينما كانوا من الأرض، وإضعافهم في جميع النواحي.

المهمة الثالثة: تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والتاريخية الغابرة، بكل وسيلة من وسائل الكذب والافتراء.

المهمة الرابعة: خداع الشعوب الإسلامية بربط كل صورة من صور التقدم الحضاري والمدني التي يزينونها لهم بخطة هدم الإسلام، وتجزئة المسلمين، ويربط كل صورة من صور التخلف الحضاري والمدني بالاستمساك بالإسلام، وبالمفاهيم، والمعارف التي يحملها علماء المسلمين.

وأن غزوهم الفكري يتجسّد بأمرين:

١. تزيين الأفكار التي يراد الغزو بها، والإقناع بأنها صحيحة ونافعة لاعتقادها واتخاذها مبادئ للحياة ومناهجها. فتم التركيز على الروايات الساقطة.

٢. تشويه وتقبيح الأفكار التي يراد حربُها، ونسخُها من أذهان وقلوب الأمة. واتهام الرموز الطاهرة بالأخلاق السائبة والسيئة وخلو أنفسهم من السمو الأخلاقي والروحي. وضرب المقدسات وجعلها مدنسات الى أبعد صورة.

وعليه فنستطيع القول أن ما عمل عليه المستشرقون ينحصر فيما يلي:

١. التقاء مصالح المستشرقين، وأهدافهم مع المصالح الأموية، والعباسية المغتصبتان للخلافة بوجه العلويين الذين يعتمدون على الموروث الشرعي، لذا جندت الأقلام منذ بدايات التدوين التاريخي للالتفاف على هذا الموروث ومحاولة تقويضه وهدّ أركانه، وما كان على

الخطاب الاستشراقي الهدّام الا تلقّف هذه الصور والروايات والتأكيد عليها وأخراجها على أنها حقائق تاريخية.

٢.يعيش المستشرقون تلك المواجهة الصليبية المحمومة، وذلك السعار المقيت ضد الإسلام.

٣.روّج المستشرقون تلك الروايات الموضوعة، والكاذبة، والإغفال عن الصحيحة منها، ومن بين الذين أكثروا ابن سعد (ت ٢٣٠ه) في طبقاته[١١٠]، والعمل من قبلهم على إدامتها وإحيائها وإبقائها غضة بالفكر الإسلامي، وذلك لكسر ثقة المسلم بتاريخه.

٤.تكريس فكرة (الضبابية) وعدم الوضوح، وذلك من عدم تحديد المرجعية الشرعية الربانية. فعملوا على ضرب مبدأ النص بالعمق من جهة، واعتماد الموضوع منه من جهة أخرى، والإمعان في التأكيد عليه ليجعلوه البديل. فينظر حينئذ بالجزئيات وتغيب الغاية والهدف.

٥.تغييب الحقائق التاريخية وضرب المبادئ من خلال الاستنتاجات الملتوية والكاذبة وتشويه سيرة شخوصها.

٦.الاعتماد على السيرة الكاذبة، والموضوعة، والضعيفة من المرويات، ومن كتب التاريخ والسيرة تكريسا لمشروعهم في إبراز البديل الهجين عن السيرة الناصعة الحقيقية وتدمير الثقة بها. آملين من ذلك إضعاف المقاومة الروحية، والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقِيَمٍ إنسانية.

٧.اعتمادهم على نصوص مفردة متقطعة عما ورد في موضوعها مما يوضح المراد منها، ويبينه، وكثير من ذلك في أبحاثهم، وأنهم يعوّلون على مصادر ليست في مستوى البحث، ووضع النصوص في غير موضعها، وتحميلها مالا تطيقه ألفاظها ولا يستمدّ من معانيها. أنهم يوردون مقدمات جزئية ضعيفة ثم يبنون عليها نتائج ضخمة فضفاضة لا تناسب تلك المقدمات ولا تنتج منها. وبمعنى أدق فإن «منهج البحث في السيرة للمؤرخ الغربي أو المستشرق، يمثل بحد ذاته جدارا يصدّه عن الفهم الحقيقيّ لوقائع السيرة ونسيجها العام»[١١١]

الهوامش: -

١)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ٨

٢)المعرفة الاستشراقية: طبيعتها ووظيفتها، عبد النبي اصطيف، مجلة المعرفة، ع ٤٩٠، س ٤٣، ٢٠٠٤، ص ٤٩

٣)المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)، دار الوعي العربي، ص ٤٠

٤)المعرفة الاستشراقية: طبيعتها ووظيفتها، عبد النبي اصطيف، مجلة المعرفة، ع ٤٩٠، س ٤٣، ٢٠٠٤، ص ٥٤

٥)الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ)، دار الوراق، ص ٢٥

٦)الدعوة الى الإسلام: بحث في تاريخ العقيدة الإسلامية، السير توماس و. أرنولد، ترجمة حسن ابراهيم حسن وأخرون، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧

٧)الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٣

٨)حرية المعتقد الديني تعتبر من أهم الحريات الأزلية، وأدت إلى صراعات اجتماعية وتوترات على مدى العصور. وقد شرعت حرية الأديان السماوية في بلاد الإسلام منذ البداية. ولهذا فقد أدرجت الدساتير حرية، وحماية المعتقد الديني، ومن منطلق الإرادة الإنسانية، ونسبية الموقع من الحقيقة، يتمتع العقل المسلم بالرحابة، والتسامح الذي يضمن حرية المعتقد، والفكر، وتعدد المواقف الفكرية، والعقيدية، والتطبيقية، وتفاوتها. إن التعدد، والتفاوت، والاختلاف في كيان الوجود الإسلامي لا يمثل خطراً. ثم تطوّر هذا المفهوم فقالوا من حرية المعتقد تنشأ الحرية الدينية أي: حرية الفرد في ان يؤمن أو لا يؤمن في القضايا الدينية. «ومن عجيب الأمر ما رامه بعض الباحثين، والمفسرين، وتكلّف فيه من إثبات حرية العقيدة في الإسلام بقوله تعالى: ﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. فالتوحيد أساس جميع النواميس الإسلامية، ومع ذلك، كيف يمكن أن يشرّع حرية العقائد؟ وهل ذلك إلا التناقض الصريح؟ فليس القول بحرية العقيدة إلا كالقول بالحرية عن حكومة القانون في القوانين المدنية بعينه. وبعبارة أخرى العقيدة بمعنى حصول إدراك تصديقي ينعقد في ذهن الإنسان ليس عملا اختياريا للإنسان حتى يتعلق به منع أو تجويز أو استعباد أو تحرير، وإنما الذي يقبل الحظر والإباحة هو الالتزام بما تستوجبه العقيدة من الأعمال كالدعوة إلى العقيدة، وإقناع الناس بها، وكتابتها، ونشرها، وإفساد ما عند الناس من العقيدة، والعمل المخالفين لها، فهذه هي التي تقبل المنع والجواز، ومن المعلوم أنها إذا خالفت مواد قانون دائر في المجتمع أو الأصل الذي يتكئ عليه القانون لم يكن مناص من منعها من قبل القانون، ولم يتك الإسلام في تشريعه على غير دين التوحيد (التوحيد والنبوة والمعاد) وهو الذي يجتمع عليه المسلمون، واليهود والنصارى، والمجوس (أهل الكتاب) فليست الحرية إلا فيها وليست فيما عداها إلا هدما لأصل الدين» راجع: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج ٤، ص ١١٧

٩)الحداثوية، تقول بعدم وجود أمر، أو حقيقة قيّدت الإنسان، والمجتمع، والتاريخ الإنساني قبل العقل، والعمل الإنساني، وخارجه، ولا يفرض عليها أي إلزام خارج عن الإلزامات الحادثة في فعل الإنسان نفسه. ويتطلب البناء الذاتي للوجود، والإنسان الحداثوي أن يكون التاريخ، والمجتمع الإنساني (ابن وقته) - بالمعنى الدنيوي، وليس العرفاني الذي يستخدم هذا المصطلح في تعبيره (الصوفي ابن وقته). فالإنسان الحداثوي هو أسير حال يتشكل بالفعل، والعمل الحادث والتصادفي، فهو أسير ما يفعله، وبهذا المعنى فهو ليس أسير أي أمر آخر، حتى ذاته. راجع: معرفة الحداثة والاستغراب: حقائق متضادة، حسين كَتْشُويَان نِيانْ، محمد فراس حلباوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٦، ص ٨٣.

١٠)الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٧٢

١١)هزيمة الاستشراق في الاسلام، أنور الجندي، ص ٨٠٧

١٢)منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، محمد بن عبود؛ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣٤٣

١٣)http: //www. alhayat. com /article/ ١٧٥١٦٢٠

١٤)https: //www. al-sharq. com /opinion/ ٢٠١٣/٠٨/٠٩/ الدور-الثقافي-للاستشراق-الإيجابيات-والسلبيات

١٥)الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٤-٦٥

١٦)عن النصوص السابقة، ولمزيد من التفاصيل انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ٥٠٧- ٥٢١؛ الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٣

١٧)مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٥٩٧

١٨)الكونت ليوني كايتاني (١٨٦٩-١٩٢٦) دوق سيرمونتيا، بالإضافة إلى كونه أكاديميا وسياسيا ومؤرخا للشرق الأوسط، وهو أبرز المستشرقين الإيطاليين. قدم كايتاني إلى التراث العربي والحضارة الإسلامية كتابه الضخم (حوليات الإسلام)، جهد عملاق، حلل فيه الإسلام في عشرة مجلدات، وكان يحلم بتأليف ٢٥ مجلداً ولكن المنية حالت دون ذلك. ساهم المستشرق دلا فيدا في تحرير مشروع (الحوليات) في عام ١٩١١. وقد أهدى له المجلد التاسع من (حولياته)، معترفاً بفضله في الإسهام. واستكمل مشروعه الأساسي بكتاب (دراسات في تاريخ الشرق) في ثلاثة مجلدات. . وكتب تراجم عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم في الأندلس، جمعها المستشرق الاسباني (ربيرا) ونشرت بالعربية تحت عنوان (تجارب الأمم) لمسكويه.

١٩)https: //www. albayan. ae /our-homes/ ٢٠١٠-٠٩-٠١-١. ٢٧٩٤٣٥

٢٠)مبشّر أمريكي

٢١)التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، مصطفى خالدي؛ عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٧٣، ص ٣٦

٢٢)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦ه، ص ٢١

٢٣)الإسلام على مفترق الطرق، ليبولد فايس (محمد أسد): ص ٦٠ فما بعد

٢٤)المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد (من كبار علماء النصارى مَنَّ الله عليه بالإسلام)، دار الوعي العربي، ص ٣٨ عن: Becker- Islamstudien, von C. H. Becker, zwei Baende, Leipzig 1924 und 1932

٢٥)لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ص، باسم خفاجي، الرياض، ٢٠٠٦، ص ٦٦؛ عن كتاب: تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى، مونتغمري واط، موسكو، ١٩٧٦، ص ٨-١٠

٢٦)نفس المصدر السابق

٢٧)Islam and Missions, by E. M. Vherry, S. M. Zwemer and C. G. Mylrea, N. Y. 1911; PP 68-69

٢٨)الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٥

٢٩)Islam and Missions, by E. M. Vherry, S. M. Zwemer and C. G. Mylrea, N. Y. 1911; PP 44-48.

٣٠)The Christian Approach to the Moslem, By James Thayer Addison; N. Y. 1942; p 59.

٣١)Re-Thinking Missions, by the Committee of Appraisal; Ernest Hocking. Chairman; N. Y. & London 1932

٣٢)صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥ ص ١٧، ٢٢

٣٣)المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، ترجمة أسعد مندي الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٤، ص ٣٣ عن: التشيّع (باللغة الفارسية)، هاينز هالم، ترجمه الى الفارسية: محمد تقي أكبري، ص ٣٠

٣٤)أصول الإسماعيلية: دراسة، تحليل، نقد، سلمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠١، ص ٩٧؛ نقلا عن تاريخ الأدب في إيران لبراون.

٣٥)أصول الإسماعيلية: دراسة، تحليل، نقد، سلمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠١، ص ٩٧؛ نقلا عن: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص ٢٧٦.

٣٦)مجلة البيان، نشأة الشيعة عند المستشرقين، فرست مرعي، العدد 316، 2013؛ http: //www. albayan. co. uk/MGZArticle2. aspx?ID=3166

٣٧)المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، ترجمة أسعد مندي الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٤، ص ٣٣ عن: التشيّع (باللغة الفارسية)، هاينز هالم، ترجمه الى الفارسية: محمد تقي أكبري، ص ١٩

٣٨)المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، ترجمة أسعد مندي الكعبي،

دار الكفيل، ٢٠١٤، ص ٣٣ عن: التشيّع (باللغة الفارسية)، هاينز هالم، ترجمه الى الفارسية: محمد تقي أكبري، ص ٣١

٣٩)الاستشراق والمستشرقون بين الغلو والمغالاة، رضوان السيد، في محاضرات الموسم الثقافي الخامس عشر، مؤسسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ١٨٥-١٨٦

٤٠)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦ه، ص ١٣

٤١)المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي، الاستشراق: أهدافه وآثاره، عبد القاهر العاني، من البحوث التي ألقيت في المؤتمر العلمي الأول لكلية الفقه- الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦، الكفيل، ٢٠١٤

٤٢)كتاب الأغاني من أغنى الموسوعات الأدبية التي أُلفت في القرن الرابع الهجري، وهو مؤلَّف ضخم، ألفه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ومادته تقوم على جمع المؤلف للأغاني المتميزة (أصوات) في عصره والعصور السابقة عليه مع ذكر لطرائق الغناء فيها. ثم يتبع ذلك بشروح وتعليقات لما تحويه هذه الأصوات من أشعار وإشارات. وقد استغرق تأليف الكتاب زهاء خمسين عامًا. كتاب الاغاني من اهم كتب الادب العربي التي احتوت على فرائد الادب في مجمل مواضيعه، فكان الكتاب ذخيرة من الأخبار عن جميع مناحي حياة العرب الاجتماعية، ينقلها لنا المصنف في دقة الوصف وبساطة التعبير، بأسلوب مسل ومضحك وغني بالمعلومات، وفيه حديث عن أخبار النساء، من ادبهن واخلاقهن وطرائفهن ونوادرهن وامور اخرى. . . ومؤلفه من أكبر أدباء العرب، صاحب كتاب الأغاني، وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بني أمية؛ وهو أصبهاني المولد، بغدادي المنشأ. كان من أعيان أدبائها، وأفراد مصنفيها، وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير، شعره كثير. كان أبو الفرج الأصفهاني، من الكتاب الموسوعيين في مؤلفاتهم، وقد جمع في كتابه (الأغاني) أخباراً شتى، في الأدب والشعر والغناء، من الجاهلية إلى صدر الإسلام، ثم العهد الأموي، والعباسي، وتناول أغراضاً شتى في التفسير والحديث والسيرة والفقه واللغة، وأخبار الفتوح، وأحوال الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء، وسيرات الناس. راجع: http: //www. iwan7. com/forum/ أروقة-المكتبة-العلمية-والإلكترونية/ المكتبة-الأدبية/ ٤٠١١-التعريف-بكتاب-الأغاني-لأبي-الفرج-الأصفهاني.

٤٣)http: //www. kitabat. info/subject. php?id=22056 فضائحُ أبي الفرج الأصفهانّي في كتابِهِ (الأغاني)، ايّوب جرْجيس العطيّة

٤٤)الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع، ص ٦٧

٤٥)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ١١

٤٦)المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، دار الكفيل، ٢٠١٤، ص ٩

٤٧)(١٨٨٤-١٩٧٦) كان باحثًا إسلاميًا ومستشرقًا أمريكيًا، كتب عن تاريخ الشيعة في بلاد فارس والعراق. أمضى ١٦ عامًا كمبشر بريسبيتاري في مشهد، إيران، حتى تم طرده في عام ١٩٤٠. وكان مديرًا رئيسيًا لكلية هنري مارتين للدراسات الإسلامية في أليغاره بالهند. وكتب كتابا بعنوان عقيدة الشيعة،

ويعتبر من الدراسات الاستشراقية المبكرة الشاملة لحياة، وسيرة الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام، ودراسة في الجغرافية التاريخية لمزاراتهم في النصف الأول من القرن العشرين. وقد تطرق في الفصول الأخيرة من كتابه لتاريخ التشيع في القرن الرابع الهجري، وبالتحديد درس الدولة البويهية ثم ذكر بدايات جمع الحديث عند الشيعة، وتطرق بشكل سريع لتاريخ العلوم الدينية، والاجتهاد عند الشيعة الإمامية من سقوط الدولة البويهية حتى العصر الصفوي، ومن بعده تكلم عن بعض عقائد الشيعة الإمامية مثل العصمة، والشفاعة، ومن ثم تكلم عن بعض الفرق التي تنتسب للتشيع، وخص منها الإسماعيلية، والبابية، والبهائية.

٤٨)عقيدة الشيعة، دوايت م. دونالدسون، تعريب: ع. م. ، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠.

٤٩)دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام دونالدسن نموذجا، علي زهير هاشم الصراف، مجلة دراسات استشراقية، العدد ٧، السنة الثالثة، ١٤٣٧ ه، ص ٧٣

٥٠)The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933, P 60

٥١)راهب يسوعي بلجيكي ١٨٦٢-١٩٣٧. ان كتابات القس هنري لامنس حول التاريخ الاسلامي تدل بوضوح على عدم سلامة نواياه، وعلى عدم منطقية، وعلمية منهجه في الكتابة. والذى يلفت النظر ان هذا المستشرق هو احد الذين ساهموا في تدوين دائرة المعارف الاسلامية وان آراءه تلقى رواجاً في اوساط الباحثين في التاريخ الاسلامي؛ أنظر: تاريخ اسلام در آينه پژوهش، موسسه آموزشي - پژوهشي امام خميني(ره)، قم، ٢٠٠٨، ج ٦، ص ٩

٥٢)صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥ ص ١٣

٥٣)صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥ ص ٢٧

٥٤)دائرة المعارف الإسلامية: صدرت الطبعة الإنجليزية في أربعة أجزاء، وجزء خامس ضمّ ملاحق خلال الأعوام (١٩١٣- ١٩٣٨). وقد اشترك في تأليفها نخبة من المستشرقين أمثال: ارنولد، بروكلمان، كارادو، جولدزيهر، غايب، ماسنيون، نيكلسون، فينسينك، بالإضافة لبعض الباحثين من الدول الإسلامية. وقد حوت على أكثر من تسعة آلاف مدخل معجمي في أكثر من خمسة آلاف صفحة من المعلومات الخاصة بالتاريخ والجغرافيا والحضارات والعلوم والمعتقدات والفرق الإسلامية والشعوب والطوائف ومشاهير المسلمين، الأمر الذي جعلها من الموسوعات المهمة والفريدة، لكنها مع ذلك لم تخلُ من الهفوات العلمية، أما على حساب الأهواء الخاصة أو نظراً لما تظهر من نظريات جديدة تنقض سابقاتها. راجع: الغرب والتشيّع تاريخ أئمة الشيعة في كبرى موسوعات المستشرقين عن الإسلام، مهرداد عباسي، علي آقائي، مجلة المنهاج، ع ٤٤، السنة ١١، ٢٠٠٧، ص ١٩٢

٥٥)الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر، ص ٤٦-٤٩

٥٦)فيليب حتي مؤرخ العرب، والحضارة الإسلامية اللبناني. استدعي من قبل جامعة برينستون لتأسيس قسم لدراسات الشرق الأدنى فأقام مركزا للدراسات العربية، وأنشأ مكتبة عربية إسلامية في جامعة

برينستون تعنى بجمع المخطوطات، والوثائق العربية ونشرها. ضمت المكتبة ٥٥٠٠ مخطوطة عربية، وعمل لها فهرسا باللغتين العربية، والإنجليزية حتى يسهل الاستفادة منها. من أبرز مؤلفاته: تاريخ العرب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، لبنان في التاريخ، صانعوا التاريخ العربي الحديث.

٥٧)تاريخ العرب، فيليب حتّي، ص ٧٨، كتبه بالإنجليزية وطبع لأول مرة في لندن سنة ١٩٣٧م.

٥٨)The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933, P 74

٥٩)بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٥٠، ص ٨١

٦٠)حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ه، ج ١، ص ٩٥.

٦١)موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد تحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨، ج ١٢، ص ٣٨٠٤

٦٢)في وصية الحسن عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام قال: «إِذَا أَنَا مِتُّ يَا أَخِي فَغَسِّلْنِي... وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا حَمَلْتَنِي إِلَى قَبْرِ جَدِّي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم لَا يَدَعُ مَرْوَانُ طَرِيدُ جَدِّكَ لِكُفْرِهِ وَيَرْكَبُ بَغْلَتَهُ وَيَصِيرُ إِلَى عَائِشَةَ مُسْرِعاً...»، راجع: الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٥٨هـ)، البلاغ، ١٨٦

٦٣)موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد تحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨، ج ١٢، ص ٣٨١٠

٦٤)يقول دونالسون معتمدا على ما نشره المستشرق لامنس في دائرة المعارف الإسلامية في الكتاب الرابع، الفصل ٢: «الشيعة أنفسهم يعترفون بأن الحسن كان لديه ستين زوجة والعديد من الإماء، وأن الزوجات اللواتي تزوجن منهن بلغن ستين، إلى جانب إماء وزوجات مؤقتات. كما أعطيت الأرقام ثلاثمائة وتسعمائة، لكنه طلّق الكثير منهن.» راجع: The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933, P 74

٦٥)موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد تحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨، ج ١٢، ص ٣٨٠٤

٦٦)The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933, P 74

٦٧)تاريخ العرب، فيليب حتّي، ص ٧٨، كتبه بالإنجليزية وطبع لأول مرة في لندن سنة ١٩٣٧م.

٦٨)The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933, P 74

٦٩)العرب: انتصاراتهم، وأمجاد الإسلام، أنتوني ناتنج، ت راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤٥

٧٠)يوجينا غيانا ستشيجفسكا Bozena-Gajane stryzewska: باحثة بولونية معاصرة، درست الاسلام في الازهر على يد اساتذة ومشرفين اخصائيين زهاء خمس سنوات (١٩٦١ - ١٩٦٥)، تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك، وكانت قد انهت دراساتها العليا في كلية الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا.

٧١)تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، بوجينا ستشيجفسكا، التجارية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩٦

٧٢)ذكر الطبري قائلا: فَاجْتَمَعُوا بِأَذْرُحَ. وَقِيلَ: إِنَّ الصُّلْحَ تم بين الحسن وَمُعَاوِيَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الآخَرِ، وَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، (سنة ٤١هـ)، وَقِيلَ: دَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ؛ راجع: تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، ج٥، ص ١٦٥.

٧٣)أذرح: مدينة مقابل عسقلان جنوبا، وهي في غاية الخصب وكثرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان وعامة سكانها من قيس. وكذلك بين جنوب منها وشرق قرية مؤتة ومنها إلى عمان. راجع: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الشريف الإدريسي، ج١، ص ٣٥٧. وقيل: أَذْرُح قرية أردنية ومنطقة جغرافية ضمن قضاء أذرح، في محافظة معان جنوب العاصمة عمّان. للقرية أهمية تاريخيّة لارتباطها بموقع جبل التحكيم؛ راجع: https: //ar. wikipedia. org/wiki/ أذرح

٧٤)وكأنه يريد أن يبرئ ساحة معاوية من قتله للإمام الحسن المجتبى.

٧٥)دائرة المعارف الإسلامية، فنسك وآخرين ج ٧، ص ٤٠١-٤٠٢

٧٦)صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥

٧٧)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٣٢

٧٨)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٣٣

٧٩)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٣٤

٨٠)عقيدة الشيعة، تعريب: ع. م، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠

٨١)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٤٦

٨٢)نفس المصدر

٨٣)أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شخصيته وعصره، عَلي محمد محمد الصَّلَّابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ٢٠٠٤، ص ٣١.

٨٤)سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ومن صغار الصحابة، الحسن بن علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ٢٥٣، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١

٨٥)البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار احياء التراث العربي، ج ٨، ص ٤٢

٨٦)في رواية للمجلسي نقلا عن المدائني: روي أنه ﷺ "تزوج سبعين حرة، وملك مائة وستين أمة في سائر عمره". أنظر: بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٤، ص ١٧٣.

٨٧)البداية والنهاية، ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار احياء التراث العربي، ج ٨، ص ٤٢

٨٨)المصدر السابق، ص ٤٣

٨٩)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٥٠

٩٠) تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، الأعلمي، بيروت، ١٩٧٩ج ٣، ص ٤٧٤

٩١)الطبقات الكبرى متمم الصحابة الطبقة الخامسة، ابن سعد، ج ١، ص ٣٠١

٩٢)دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط ﷺ دونالدسن نموذجا، علي زهير هاشم الصراف، مجلة دراسات استشراقية، العدد ٧، السنة الثالثة، ١٤٣٧ هـ

٩٣)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٥٨

٩٤)فيقول: اسْتَقْبَلَ وَاللهَّ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ وَكَانَ وَاللهَّ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولاَ لَهُ: وَاطْلُبَا إِلَيْهِ، فَأَتَيَاهُ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا، وَقَالاَ لَهُ: فَطَلَبَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ، قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا، قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا، قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ)، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ: إِنَّمَا ثَبَتَ لَنَا سَمَاعُ الحَسَنِ مِنْ أَبِي بَكْرَةَ، بِهَذَا الحَدِيثِ. انظر: ترجمة الامام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ من تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١، ص ١٨٥

٩٥)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٥٩

٩٦)«قال بايع أهل العراق الحسن بن على بالخلافة فطفق يشترط عليهم الحسن إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال فلم يلبث الحسن ﷺ بعدما بايعوه إلا قليلا حتى طعن طعنة أشوته فازداد لهم بغضا وازداد منهم ذعرا فكاتب معاوية وأرسل إليه بشروط قال إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع وعليك أن تفي لي به ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده وأمسك معاوية صحيفة الحسن ﷺ التي كتب إليه يسأله ما فيها فلما التقى معاوية والحسن ﷺ سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذى ختم معاوية في أسفله فأبى معاوية أن يعطيه ذلك فقال لك ما كنت كتبت إلى أولا تسألني أن أعطيكه فاني قد أعطيتك حين جاءني كتابك قال الحسن ﷺ وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه فاختلفا في ذلك فلم ينفذ للحسن ﷺ من الشروط شيئا». أنظر: تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، الأعلمي، بيروت، ١٩٧٩ج ٤، ص ١٢٣-١٢٤

٩٧)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٧٨

٩٨)نفس المصدر

٩٩)دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط ﷺ دونالدسن نموذجا، علي زهير هاشم الصراف، مجلة دراسات استشراقية، العدد ٧، السنة الثالثة، ١٤٣٧ هـ

١٠٠)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٨٧

١٠١)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٨٨

١٠٢)الكعبي، مصدر سابق، ص ٦٨٩

١٠٣)كان دوايت مارتن دونالدسون (١٨٨٤ - ١٩٧٦) مستشرقًا أمريكيًا، كتب في تاريخ الشيعة في بلاد فارس والعراق. وأمضى ١٦ عامًا كمبشر بريسبيتاري في مشهد، إيران، حتى تم طرده في عام ١٩٤٠. وكان مديرًا رئيسيًا لكلية هنري مارتين للدراسات الإسلامية في أليغاره بالهند.

١٠٤)حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ج ٢، ص ٤٧١، عن: عقيدة الشيعة ص ٩٠، وذكر عين هذا المعنى لامنس في دائرة المعارف الإسلامية، ج ٧، ص ٤٠٠، وجاء في أنساب الأشراف «إنه السّلّ ثم إنّه شرب شربة عسل فمات منها» أنظر: انساب الاشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بالبلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧، ج ٣، ص ٥٥

١٠٥)جاءت تسمية هذا الرجل في ترجمة ابن عساكر بأنه الحسين ﷺ فيقول: «لما ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين، فقال: يا أخي لاي شيء تجزع؟» أنظر: ترجمة الامام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ من تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١، ص ٢١٥

١٠٦)ترجمة الامام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ من تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١، ص ٢١٤

١٠٧)مستشرق ألماني، له مؤلفات منها: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الأموية، والخوارج والشيعة، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام

١٠٨)صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥ ص ٦٦٩

١٠٩)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ١٠

١١٠)الطبقات الكبرى متمم الصحابة الطبقة الخامسة، ابن سعد، ج ١، ص ٢٩٠ وما بعدها

١١١)المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ١٠

المصادر العربية

*الاستشراق في الميزان، عبد العظيم الديب، دار دون للنشر والتوزيع
*الاستشراق والمستشرقون بين الغلو والمغالاة، رضوان السيد، في محاضرات الموسم الثقافي الخامس عشر، مؤسسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩
*الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعي (ت ١٣٨٤هـ)، دار الوراق
*الإسلام على مفترق الطرق، ليبولد فايس (محمد أسد)
*أصول الإسماعيلية: دراسة، تحليل، نقد، سلمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠١
*الإمام الحسن عليه السلام في مواجهة الانشقاق الأموي، سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر
*انساب الاشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بالبلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧
*بحار الأنوار، المجلسي، (ت ١١١هـ) دار الإحياء، بيروت، ١٩٨٣م
*تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى، مونتغمري واط، موسكو، ١٩٧٦
*تاريخ اسلام در آينه پژوهش، موسسه آموزشي - پژوهشي امام خميني(ره)، قم، ٢٠٠٨
*تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، الأعلمي، بيروت، ١٩٧٩
*تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، بوجينا ستشيجفسكا، التجارية، بيروت، ١٩٦٦
*تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري
*التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، مصطفى خالدي؛ عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٧٣
*التشيّع (باللغة الفارسية)، هاينز هالم، ترجمه الى الفارسية: محمد تقي أكبري
*حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي
*حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ
*دائرة المعارف الإسلامية، فنسك وآخرين
*دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام دونالدسن نموذجا، علي زهير هاشم الصراف، مجلة دراسات استشراقية، العدد ٧، السنة الثالثة، ١٤٣٧ هـ
*الدعوة الى الإسلام: بحث في تاريخ العقيدة الإسلامية، السير توماس و. أرنولد، ترجمة حسن ابراهيم حسن وأخرون، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧
*صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، شهيد كريم محمد الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٥
*الطبقات الكبرى متمم الصحابة الطبقة الخامسة، ابن سعد
*العرب: انتصاراتهم، وأمجاد الإسلام، أنتوني ناتنج، ت راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢
*عقيدة الشيعة، دوايت م. دونالدسون، تعريب: ع. م. ، مؤسسة المفيد، ط ٢، بيروت، ١٩٩٠.
*الغرب والتشيّع تاريخ أئمة الشيعة في كبرى

موسوعات المستشرقين عن الإسلام، مهرداد عباسي، علي آقائي، مجلة المنهاج، ع ٤٤، السنة ١١، ٢٠٠٧

*الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي

*لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ، باسم خفاجي، الرياض، ٢٠٠٦

*مجلة البيان، نشأة الشيعة عند المستشرقين، فرست مرعي، العدد 316، 2013؛ http: //www. albayan. co. uk/MGZArticle2. aspx-?ID=3166

*مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب

*المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، مصطفى مطهري، ترجمة أسعد مندي الكعبي، دار الكفيل، ٢٠١٤

*المستشرقون والسيرة النبوية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ١٤٢٦هـ

*المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم خليل أحمد، من كبار علماء النصارى مَنَّ الله ﷻ، دار الوعي العربي

*المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي، الاستشراق: أهدافه وآثاره، عبد القاهر العاني، من البحوث التي ألقيت في المؤتمر العلمي الأول لكلية الفقه- الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦، الكفيل، ٢٠١٤

*المعرفة الاستشراقية: طبيعتها ووظيفتها، عبد النبي اصطيف، مجلة المعرفة، ع ٤٩٠، السنة ٤٣، ٢٠٠٤

*معرفة الحداثة والاستغراب: حقائق متضادة، حسين كَتْشُويَان نِيانْ، محمد فراس حلباوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٦

*منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، محمد بن عبود؛ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥

*موجز دائرة المعارف الإسلامية، هوتسما، أرنولد، باسيت، هارتمان، إعداد تحرير ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨

*الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

*الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٥٨هـ)، البلاغ

هزيمة الاستشراق في الاسلام، أنور الجندي

المصادر الأجنبية

*Becker- Islamstudien, von C. H. Becker, zwei Baende, Leipzig 1924 und 1932

*Islam and Missions, by E. M. Vherry, S. M. Zwemer and C. G. Mylrea, N. Y. 1911

*Re-Thinking Missions, by the Committee of Appraisal; Ernest Hocking. Chairman; N. Y. & London 1932

*The Christian Approach to the Moslem, By James Thayer Addison; N. Y. 1942; p 59.

*The Shi'ite Religion: A History of Islam in Persia and Iraq, Luzac's Oriental Religions Series, Vol. Luzac & Co.،London 1933

* المواقع الإلكترونية

*http: //www. alhayat. com/article/1751620
*http: //www. iwan7. com/forum/أروقة-المكتبة-العلمية-والإلكترونية/المكتبة-الأدبية/4011-التعريف-بكتاب-الأغاني-لأبي-الفرج-الأصفهاني.
*http: //www. kitabat. info/subject. php?id=22056 فضائحُ أبي الفرج الأصفهانيّ

في كتابِهِ (الأغاني)، ايّوب جرْجيس العطيّة
1. https: //www. albayan. ae/our-homes /2010-09-01-1. 27943
2. https: //www. al-sharq. com / opinion /09 /08 /2013 / الـدور- الثقافي-للاستشراق-الإيجابيات-والسـلبيا

الفكر الاستشراقي موضوعية خجولة وتهوين مقصود (صلح الامام الحسن -عليه السلام- انموذجا)

الباحث حسين جويد الكندي

المقدمة

الأمام الحسن بن علي عليه السلام هو واحدية الحقيقة والتاريخ، سواء أنصفته الحقيقة التاريخية او لم تتعرف اليه طلابها، فالحقيقة ومريديها سيُذعنان في النهاية لصوت الضمير اختيارا، ولداعي العقل طوعا، ولاعتبارات الموضوعية اتساقا ومسواقة، ولأن الفترة التاريخية التي شهدت ماتعارف على تسميته تاريخيا بـ (صلح) الامام الحسن، والتي كانت انعطافة تاريخية مهمة وشاخصة في التاريخ الاسلامي تغيرت بنتائجها طبيعة الحكم في دولة الاسلام، واستبدلت بأمتيازها مناهج النبوة والخلافة بسلطة القوة والسيف، فقد احتلت هذه القضية جل اهتمام حركة الأستشراق العالمي الذي تبعه الاهتمام بدراسة شخصية الأمام عليه السلام.

موضوع البحث: يسلط الضوء على طبيعة الاتجاهات البحثية الاستشراقية واهدافها في مسألة تاريخية غاية في الاهمية سلط عليها دارسي التاريخ الاسلامي من الغربيين الضوء في محاولة لفهم ماجرى وماستتبعه ذلك الجريان، او لتعمية منهجية على ادوار التاريخ الاسلامي لقصد استعماري يهدف الى ضرب كيان الامة، فاليوم وبعد أربعة عشر قرناً من عهده عليه السلام، لازالت بعض الاقلام تخط ذات الكلمات وتبث الافكار المستهلكة بدعوى الموضوعية تارة والنقد والتحليل تارة اخرى لتخلق شكاً في حقيقة تاريخية ثابتة ولتصنع وهما تصطاد به ضعاف العقول للتنكيل برموز الدعوة المحمدية واركانها، بالرغم من كل ما حدث من تحول وتغيير في الأفكار والأذواق والثقافات، ما زالت المواقف هي ذاتها ليومنا هذا توجه أصابع الاتهام لعبقرية الأمام الحسن عليه السلام مليئة بالشك والحقد اتجاه هذا الفكر المتوقد، الذي تجاوز حدود الزمان والمكان ليرى بعينه نتائج هذا (الصلح) بعد ان عُمي آخرون من كنه حقيقته، فأصبح بذلك فكراً خصباً تجسدت به معاني الشخصية السياسية الفريدة مع معاني الصدق والحكمة.

أهمية البحث: تاتي في سياق بيان الحقائق التاريخية التي حاولت الاقلام المجهولة القدر والمعروفة الانتماء ان تساهم في طمسها والتعتيم عليها كونها من أكثر الانعطافات التاريخية صعوبةً واشدها اهمية خاصة وان المواقف والتوقعات تتعلق بوجهات نظر المستشرقين المختلفة عن الإسلام، حيث كان البعض منهم غامضاً في آرائه وفي تقييمه للأمور، والبعض

منهم أيضاً كان يستعين بمصادر ومراجع إسلامية ليس لها وجود أساساً، ومن هنا كان الفرز مهما ومعقدا بلحاظ تباين الاراء واختلاف الميول والاتجاهات.

اشكالية البحث: تتعلق ببيان اصل الاتجاهات البحثية للمستشرقين بصفة عامة ومن تناول منهم قضية الصلح بصفة خاصة، لوجود جهة ارتباط وثيقة بين الافكار المسبقة (السياسية) لدى غالب الفكر الغربي والتي تؤمن بتلازم فكرة نظام الحكم وتردده بين التداول والاحتكار، حيث مثل الصلح عند غالبية من درس تلك الفترة منهم تنازلا عن حق الامة في تقرير المصير المتمثل بالبيعة المعقودة للامام الحسن عليه السلام في قبال سياسة الغلبة على مقاليد الحكم والتسلط الذي يمثله معاوية من الطرف الاخر، هذه الاشكالية مثلت نقطة ارتكاز مهمة في سوء فهم بعض الدارسين لقضية الصلح خاصة وانهم اعتمدوا على مصادر غير موثوقة لفهمها، فخرجت نتائج تلك الدراسات مبتورة وغير ذات موضوعية علمية تذكر.

منهج البحث: اتبع البحث المنهج التحليلي في غالب مطالبه لما يتوفر عليه هذا المنهج من مرونة عالية في تحليل الخطاب الاستشراقي وارائه المختلفة في القضايا ذات المساس بطبيعة تشكل النظام السياسي في التاريخ الاسلامي، وكذلك قدرة هذا المنهج على الفرز بين مختلف الاتجاهات البحثية وتصنيفها وفقا للمعايير البحثية المتخذة فيها.

هيكلة البحث: تكون البحث من مبحثين باربعة مطالب، كان الأول منها يهتم ببيان الرؤية الاستشرافية للإسلام بين دعوى الموضوعية وحقيقة التزييف، واطلالة على فهم المستشرقين للتشيع منهجا ورؤية حياتية، بينما جاء المبحث الثاني ليضع تناول المستشرقين لمسالة الامامة والسياسة في خانة التحليل ومن ثم الوقوف على طبيعة الدراسات الاستشراقية من خلال افتراض جدلية الامامة والخلافة، لينتهي بتسليط الضوء على خلافة الامام الحسن في بعدها التاريخي و في سياقها العام، متناولا صلح الامام الحسن باعتباره سابقة نادرة جدا في التاريخ وطبيعة تناول هذا الصلح في الفكر الاستشراقي.

المبحث الأول

المطلب الأول

الرؤية الاستشرافية للإسلام بين دعوى الموضوعية وحقيقة التزييف

بالرغم من دعوى الموضوعية التي يصطف خلف عناوينها جملة مؤسسي فكر الاستشراق سواء في دراساتهم حول الاسلام فكرا ومنهجا، او في مظاهر العلاقات الاجتماعية والسياسية مع الاخر الاسلامي، الا ان الحقيقية اظهرت زيف هذا الادعاء وانه لايعدو الا ان يكون مزاعم واهية بانت هشاشتها ووضوح بطلانها، لكنّها وجدت من تبنّاها فيما بعد من المسلمين انفسهم قبل غيرهم، و ارتكزت عليها آراء جملة من المستشرقين منهم: **جولد زيهر و القديس بيدا والقس إيولوجيوس والقديس باول آريوس**[1]، حيث راموا من ذلك تشويه الصورة الحقيقية للإسلام والمساس بشخصية النبيﷺ.

استمرّت هذه النزعة المناهضة للإسلام حتّى بداية مايسمى بعصر النهضة ولعل الشاعر الإيطالي **دانتي** مثل صورة تلك الحقبة ورؤية دارسي التراث الاسلامي من الاوربيين في ملحمته المعروفة (الكوميديا الإلهية) التي نال فيها من شخص النبي وخليصه الحميم عليّ بن أبي طالب[2] حيث تصور أنّ نبيّ الإسلام وخليصه يواجهان عذاباً أليماً في الطبقة الثامنة من الجحيم، وحظيت هذه الأباطيل التي دوّنها بإقبالٍ واسعٍ في قارّة أوروبا لقرون متوالية وكان لها وقعٌ عظيمٌ على الذهن المسيحي الغربي. هذه النتاجات الأدبية الخيالية التي تجاوزت حدود احترام القيم والمبادئ المعنوية، ولا سيّما الإسلامية منها، قد شاعت بشكلٍ كبيرٍ في عصر النهضة إبّان سلطة الأتراك العثمانيين وتجرّأ البعض على الرسول الأكرم ﷺ بزعم أنّه نبيّ العرب ومظهرٌ لروح الشيطنة التركية[3].

وفي عصر النهضة شهدت اوروبا موجة فكرية تهدف الى إهانة الأتراك وديانتهم، وقد ساعدت على ذلك أيضاً الحركات المسيحية المتطرفة كالبروتستانتية، ومن الطبيعي ان تكون المخرجات الفكرية والادبية معبرة عن هذا الانطباع كتب **وليم شكسبير**، عل لسان الملك هنري الخامس: « أَليس من المقرّر أن نصنع ولداً جميلاً. . . ولدٌ نصفه فرنسيٌّ ونصفه الآخر بريطانيٌّ، ثمّ نرسله إلى القسطنطينية ليمسك بلحى الأتراك ويتحدّاهم؟[4]، في هذا الكلام ملامح خشية العالم المسيحي وخوفهم من جيرانهم الأتراك المسلمين، حيث كانوا يعتبرون القسطنطينية تهديداً لوجودهم[5].

ورغم أنّ الكنيسة اضطرّت لإجراء بعض التعديل على مواقفها في أواخر عصر النهضة، تحت ضغط الاصلاحات التي تبناها القسّيس الألماني مارتن لوثر؛ لكن كلّ ذلك لم يسفر عن اصلاح حقيقي للنظرة المسيحية للاسلام حتى في صفوف الاصلاحيين فالعداء كان اقوى من مجرد الاختلاف في النظر لمختلف القضايا الدنيوية والاعتراف بوجود العالم الاخروي، لقد كان ياخذ بعدا وجوديا تعززه الايدلوجيا الحاكمة بضرورة التفوق للدم الازرق، وفي هذا السياق يبدوا الاعتراف بالاسلام كدين سماوي صعبا عند الاوربين بل لعله قوة خارجية غاشمة تهدد الامة المسيحية المنتخبة والمصطفاة والتي لاتقل خطرا من الفساد المستشري في الكنيسة والتي يعتبرها الاصلاحيون قوة داخلية تحاول اجهاض الدعوة الى المسيح ودينه، يؤكد هذا الاتجاه **مارتن لوثر** عندما يقول: « ليسخط من شاء أن يسخط على البابا، فليتبرّأ منه ويلعنه ويذمّه لأنّه تعدّى على المسيح أكثر ممّا فعله محمّد. الأتراك يقتلون ويسلبون ويدمّرون أملاك النصارى وثرواتهم، إلا أنّ البابا لا ينفكّ عن الاعتراف بقرآنهم، ولربّما يؤدّي هذا الاعتراف إلى إنكار المسيح. إنّهما عدوّان للكنيسة وعبدان للشيطان لأنّهما ينكران الأناجيل الأربعة»[٦].

وحتى قبل هذا التاريخ وتحديدا في القرن الثالث عشر الميلادي كان لهاجس الخوف من الاسلام اثره في المنتج المعرفي والادبي لتلك الحقبة في التاريخ المسيحي، ومنذ ان الف المبشر **ريكولدو دي مونتي** كتابه المشهور والذي ترجمه مارتن لوثر فيما بعد كانت الصورة عن الاسلام في اوروبا مشبعة بعبارات الشيطنة [٧]، وحتى **فولتير** الذي يعدّ أكثر الكتّاب شهرةً ونفوذاً في القرن السابع عشر والذي يعتبره بعض الباحثين قد أدرك الحقائق الإسلامية السمحاء بالتدريج وعلى مرّ الزمان[٨] لم يسلم من القدح في الاسلام ونبيه ﷺ عندما ألّف مسرحيةً تحت عنوان محمد اظهر فيها النبي كمحاربٌ متعطّشٌ للدماء ومتطلّع إلى أقصى الحدود للسلطة وفاتحٌ ينتهج السلب والنهب من المناطق التي يفتحها وصاحب فكرٍ تآمريٍّ بحيث إنّه يقتل أقرب الناس إليه لمجرّد رغبته الجامحة في السلطة ونزعته الهائجة في الجنس[٩].

وفي باكورة القرن السابع عشر دخلت أوروبا في عصرٍ التطوّر التكنولوجي وظهور توجّهاتٍ عقليةٍ القت بظلالها على علوم الاجتماع ايضا، في ذلك الوقت لم تكترث اوروبا بالإمبراطورية العثمانية لكونها لم تعد خطراً يهدّد بلدانهم، اما الفلاسفة والمفكّرين فقد

تمسكوا بمنهج كانط وأطلقوا العنان لعقولهم لنقد الطباع السالفة والتقاليد المتعارفة وفي هذا السياق تم توجيه النقد الى الفكر الديني تحت عنوان نقد الكنيسة ومن الطبيعي بعد ذلك ان تتم عملية نقد الفكر الاسلامي في سياق نقد الافكار الدينية، وقد كان التركيز على اثارة الحفيظة الاخلاقية لدى المجتمع الاوربي الذي بدا اكثر استعدادا من أي وقت لتلقي الافكار المناهضة للتوجهات الدينية من خلال اظهار الفكر الديني باعتباره ممثلا للنزعات الشاذة والميولات المتطرفة، واي هاجس يمكن اثارته او اعتباره مثيرا اشد من هواجس اللذة والجنس، وفي هذا السياق برع الكاتبان الفرنسيان **دينس ديدرو وجان لورون دالامبير** في كيل التهم للاسلام بشخص النبي الاكرم ﷺ ففي الموسوعة الفلسفية لهما دونا في مفردة محمد مانصه: « لقد أباح محمّد للرجال أن يتزوّجوا بأكثر من امرأةٍ، وقد أعرب عن موافقته على هذا الأمر من خلال اقتناء عددٍ كبيرٍ من النساء في داره»[١٠].

في القرن التاسع عشر وبعد ثورة الفكر الاوربي على الكنيسة ظهرت دعوات تدعو الى الحرية بكافة اصنافها ونزعاتها من دون قيد لدين او عرف اجتماعي، وهنا كان الاسلام ايضا هدفا لسهام النقد لكن بصيغة المدح ممن يمثلون شواذا في افكارهم التحررية ونزعاتهم النفسية، وكنتيجة طبيعية لتراكم القراءآت الخاطئة والناقصة للتراث الاسلامي والشرقي عموما، فقد استخدم هؤلاء بعض النصوص الاسلامية كدليل لما يؤمنون به او يعتقدونه مناسبا والوضع الاجتماعي الجديد، فقد عمل كل من **يوهان جوته وهاينرش هاينه** على تبرير نزعتهما الجنسية[١١]، لنقد العالم المسيحي الذي يبدو لهما انه اكثر تشددا من الاسلام بالنسبة الى حرية المراة والحب وحسب رأيهما فإنّ الدين الذي جاء به النبيّ محمّد ﷺ قد عكس الحقيقة بحذافيرها حينما أكّد على كون الجنّة تحفل بشتى الملذّات ولا سيّما الجنسية منها، وممّا قاله **جوته** أنّ أروع تصويرٍ ترسّخ في نفسه هو ما وعد به النبيّ محمّد ﷺ في قرآنه من نعيمٍ[١٢]، وفضل **هاينرش هاينه** النبي ودينه على المسيحية وادعى الايمان به[١٣].

ولم يقتصر النقد على النخبة والمفكرين، بل ازاح الادباء عن قرائحهم في هذا المضمار ولعل **فيكتور هوجو** صاحب ملحمة البؤساء المشهورة كان ممن نظم الشعر الحماسي للنيل من العالم الشرقي، و صوّر الشرقيّين بأنّهم غارقون في الشهوات من رؤوسهم إلى أخمص

أقدامهم وأنّهم لا يعرفون سوى منطق العنف والقتل، ومن أمثلة ذلك قصيدته أسطورة القرون[١٤]، إذن، يثبت لنا ممّا ذكر أنّ المفكّرين الغربيين قدحوا بالإسلام بأساليب ومتبنّيات فكرية متنوّعة ابتداءً من **يوحنّا الدمشقي وآريوس، مروراً بمارتن لوثر** رائد النهضة البروتستانتية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وصولاً إلى عصر التنوير الفكري وظهور **فولتير ودالامبير وديدرو**، انتهاءً **بفيكتور هوجو وهيجل وجوته واللورد غوردون بايرون**. فهؤلاء بأجمعهم كان لهم دورٌ فاعلٌ في تشويه صورة الإسلام[١٥].

أمّا بالنسبة إلى **جولد زيهر وبيكر وفيبر** فقد اقتاتوا على مائدة هذا التراث المشوّه الذي لا ينسجم مع العقل ولا مع النقل والذي لا يهدف إلا إلى المساس بالإسلام الحنيف وإيجاد الضغينة في نفوس البشرية نحوه، وبطبيعة الحال فليس من اليسير بمكانٍ إزالة كلّ هذه الشوائب الفكرية الشيطانية ومقارعة تلك الديماغوجيا والفرضيات المنحرفة، **وماكس فيبر** بدوره رغم كلّ المساعي التي بذلها لكنّه لم يتمكّن من إزالة الغبار التي تراكم في عقول مسيح أوروبا طوال قرون متمادية، وقد تطرّق إلى الحديث عن النظام الفكري لدى المسلمين من دون أن يقوم بتقييمه على وفق المبادئ الإسلامية الأصيلة، كما أنّه لم يدرك الحقائق التأريخية والإسلامية بحذافيرها فطالتها يداه دون الارتكاز على أيّة أُسسٍ تأريخيةٍ أو منطقيةٍ صحيحةٍ.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الباحثين أدركوا الخطأ الفادح الذي وقع فيه فيبر لدى طرحه آرائه ونظرياته حول الإسلام، ومنهم **بارسونز وبرايان تيرنر**. يقول بارسونز في هذا الصدد: «الكثير من الأصول التجريبية والاستنتاجات التي توصّل إليها فيبر حول الأديان غير المسيحية، لم تعد اليوم مقبولةً»[١٦] أمّا **برايان تيرنر** فقد أكّد على أنّ بعض نظريات فيبر حول الإسلام، وبالأخص ما يرتبط منها بشخصية النبيّ محمّد ﷺ وظهور الإسلام، قد ارتكزت على معلوماتٍ خاطئةٍ ولم تتنزّه عن الحياد العلمي والتأريخي لدرجة أنّه اعتبر بعضها مرتكزاً في أساسه على العداء والضغينة[١٧].

ان التخبط وعدم اتضاح الرؤية لدى كثير من المستشرقين اوقعهم في شراك الجهل والاستنتاجات الخاطئة ولعل خير دليل على هذا الاتجاه مضافا الى الغرض الايدلوجي الذي يسم اغلب تلك الدراسات، ولعل خير ممثل لهذا الخط المستشرق **مارتن كريمر**[١٨] الذي يقول

في احدى محاضراته عن الشيعة[١٩]: إن اللحظة التاريخية للتطرف الشيعي قد تكون أصبحت من الماضي، وإن الشيعة أصبحوا مجددا على أبواب استقراء جديد للتقليد، استقراءٌ أقلُّ تفاؤلاً لناحية قدرة الإنسان على تغيير مصيره، لذلك قد ينقلب التشيع رأسا على عقب مجدداً. ولكن إنجازات الإرهاب الشيعي قد تُعَدُّ دليلا على أنه لا يوجد تقليد ديني سامٍ أو بعيد عن هذا العالم لدرجة أنّه لا يمكن إعادة تشكيله بهدف خلق العنف والتضحية بالذات[٢٠].

من كل ذلك يظهر جليا الاتجاه العام للدراسات الاستشراقية وانها ذات اساس نقدي يحمل بعدا ايدلوجيا متطرفا يهدف الى زعزعة المبادى الاسلامية والمثل الاخلاقية العليا التي نادى بها الاسلام، في محاولة لتجنب عودة الايمان الى اوروبا واستغلاله من قبل الكنيسة والكرة مرة اخرى نحو سلطة جديدة للبابا تحت غطاء التجديد في الفكر الديني.

لقد اعطى التراكم الهائل من قراءات المستشرقين للاسلام والمبنية على وتر التباين والاختلاف الثقافي، سياقات وانطباعات ظالمة بحق هذا الدين، لم يكن لها تاثير على رؤية الانسان الغربي الى الاسلام فقط، بل تعدى تاثيرها الى رؤية المجتمع الشرقي للاسلام، والى رؤية المسلمين لدينهم، وكلما اقترب بنا الوقت تزداد اكتشافات المستشرقين لصعوبات جديدة امام تصدي الاسلام لتغيرات العالم السريعة[٢١].

المطلب الثاني

المستشرقون والتشيع

بعد ان استعرضنا الاتجاه العام لدراسات المستشرقين فيما يتعلق بالفكر الديني متمثلا بالمسيحية والاسلام، ناتي الى بيان رؤى دارسي التراث الشرقي والعربي بالتشيع او الفكر الاسلامي بشقه الشيعي، فقد حظي هذا التراث باهتمام المستشرقين فقد كتبت دراسات موسعة حول الفكر الشيعي بمختلف اتجاهاته واقسامه، وهي دراسات مكثفة ومركزة نوعا وكماً [٢٢]، وبالرغم من كثافة هذه الدراسات الا ان السمة الغالبة لها عدم الدقة ومجانبتها للموضوعية بسبب اعتمادها بصورة رئيسية على المرويات الضعيفة او الموضوعة او الاسرائيليات التي تزخر بها كتب الحديث لدى العامة والخاصة فكانت هذه الروايات المنطلق لجملة من المستشرقين عندما استخدموها محركاً للطعن، والتشويه وحجتهم في ذلك

أنّها من داخل المنظومة الإسلامية، فتمسكوا بها، بل تم توظيفها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهوائهم، وقد وجد بعض المستشرقين ان افضل طريقة لكسب الصراع الثقافي مع الاسلام هو البحث في النصوص المشوهة، والغريبة، واظهارها على انها تمثل الشريعة الاسلامية، اضافة الى موضوع فهم الغة العربية، حيث كانت الترجمة الرديئة للنصوص العربية تؤدي الى شطحات كبيرة في اراء المستشرقين حول التاريخ الاسلامي، فيما تبدو براعة المستشرقين الالمان وريادتهم في التعمق بفقه اللغة (الفيولولوجيا) انها قد انتجت دراسات رصينة وعلى مستوى عالي من الموضوعية، وقد كان شيخ المستشرقين الالمان (نولدكه) من البارعين في هذا المنهج، خصوصا بعد ان اهتم بالدراسات القرآنية التي كانت متكأه على فهم اللغة العربية[٢٣]، ففي كتاب **جورج تاكر** [٢٤]، الذي ركز فيه على نصوص تعود الى صدر الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب، منها ما ورد في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي والمتضمن خطاب اهل الشام الى عمر يؤكدون فيه التزامهم بالشروط، التي اقروا بها على انفسهم بعد فتح سوريا[٢٥]، وهنا يحق لنا ان نتسائل عن ماذا يعكس هذا النص الى الانسان الغربي، غير رؤية مشوّهة، لذلك يجب الكشف عن حقيقة هذه النصوص، وانقاذ الدين الاسلامي منها، ومن هنا يتضح الاتجاه العام للدراسات الاستشراقية وسمتها الغالبة بارادة الطعن في الاسلام فكرا ومنهجا.

تعود بدايات تعرف الغرب المسيحي على التشيع الى فترة الحملات الصليبية زمن (الدولة الفاطمية)، وتواتر الاخبار المثيرة الى الغرب عن فرقة الحشاشينإلاّ أنّ الأخبار عن الشيعة صيغت بكثير من الخلط، والتعميم، وعدم التمييز والفرز عن غيرها، مع وجود التأثير الأيديولوجي السياسي على طبيعة تلك الكتابات. إذ نجد جملة من المستشرقين والكتاب الغربيين يعتبرون أن الأفكار الشيعية، وبالخصوص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة انتحالاً للأفكار الوثنية الإغريقية والفارسية القديمة، وسار على هذا المنوال كثير من دارسي الاستشراق من المسلمين بل اخذوا تلك المقالات اخذ مسلم بها[٢٦].

وفي الوقت الذي نفى فيه بعض المستشرقين حصول حوادث كبرى في التاريخ الاسلامي[٢٧]، اثبتتها المتون الحديثية العامة والخاصة، بنصوص متفق على صحتها، مخالفين بذلك الموضوعية التي يدعونها[٢٨]، عن طريق التشكيك تارة والتدليس تارة اخرى[٢٩]، اتخذ

اخـرون طريـق الطعـن في رمـوز الامـة واهـل البيـت سـبيلا لبـث الفرقـة والتناحـر بـين ابنـاء الديـن الواحـد تحـت ذريعـة القـراءة الموضوعيـة للاحـداث التاريخيـة، مثـال مـا ذهـب اليـه جملـة مـن دارسي الـتراث الشـيعي مـن المسـتشرقين ومنهـم: (**وليـم الصـوري**)[٣٠] والـذي يعتـبر أهـم مؤرخـي الحمـلات الصليبيـة في القـرن الـثاني عـشر الميـلادي عندمـا نسـب إلى الشـيعة الاعتقـاد بـأنّ عليـاً نبـي الإسـلام الحقيقـي، لـولا أنّ المـلاك جبرائيـل أخطـأ، وأوصـل الرسـالة إلى محمـد ﷺ[٣١]، وسـار عـلى هـذا النهـج (**يعقـوب دي فيـتري**)[٣٢] الـذي تسـنم منصـب مطـران عـكا فيـما بـين (١٢١٦- ١٢٢٨م) والـذي روج فيـما كتبـه مـن كتابـات إلى: أنّ عليـاً كان نبيـاً مرموقـاً تكلـم إليـه الله كتقديـر تمييـزي عـن النبـي محمـدﷺ[٣٣]، وكذلـك استنتاجات المنصِّر الشـهير (**ريكولـدو ديمونتـو كـروس**)[٣٤] التـي تدعـي ان الشـيعة يعتقـدون بـأنّ محمـداً اغتصـب حقـوق عـلّي. واعتـبر (ريكولـدو) أن أتبـاع عـلي يحتفظـون بقـدر مـن اللطـف، وأنّهـم أقـل شـيطنة مـن الأغلبيـة السـنية[٣٥]. وبالاضافـة الى دعـوات (ريكولـدو) المعاديـة والتـي تزامنـت مـع دعـوات اخـرى اشـد وانكـى لـ (رايمـون لـول)[٣٦]، و(بطـرس بسـكوال)[٣٧].

وحظيـت الافـكار الشـيعية باهتـمام ملحـوظ مـن قبـل بعـض المسـتشرقين والسياسـيين ايضـا الذيـن دونـوا ملاحظاتهـم في التقاريـر التـي كانـوا يرسـلونها الى مراجعهـم الاداريـة والتـي اعتبرت فيـما بعـد دراسـات تتعلـق بتطـور المدرسـة الشـيعية فقهـا واصـولا وعقيـدة، نظـير ماقـام بـه الدبلومـاسي الفرنـسي (**جوزيـف آرثـر غوبينـو**)[٣٨]، الـذي قـدم معلومـات جديـدة للغـرب ليـس فقـط عـن الانشـقاق السـني الشـيعي حسـب رايـه بـل عـن الاتجاهـين الرئيسـيين بـين علـماء ايـران: (الإخباريـين) و(الأصوليـين) أي منظومتـي (النقـل والعقـل)، وهـي فروقـات أرجعهـا لأسـباب اجتماعيـة قبـل أن تكـون دينيـة بحسـب مدعـاه، كـما وقـد كتـب (**الفـرد فـون كريمـر**)[٣٩] في عـام (١٨٦٨م) عـن التعصـب المفـرط للشـيعة وعـدم تحملهـم لغيرهـم مـن أتبـاع الطائفـة المحمديـة، ولم يقـف المسـتشرقون عنـد هـذا الحـد فادعـوا ان العزلـة التـي يعيشـها الشـيعة تنبـع مـن خوفهـم مـن الاحتـكاك بالآخـر نتيجـة نجاسـته، وان للشـيعة قـرآن خـاص[٤٠].

وقـد وصـم المتاخريـن مـن المسـتشرقين الشـيعة بشـتى التهـم والتـي يغلـب عليهـا الطابـع الايدلوجـي والسـياسي، بفعـل عـودة الشـيعة الى الواجهـة والريـادة في العـالم الاسـلامي في محاولـة

لوئد الصوت الاسلامي الحق واعتباره في التطرف الاسلامي يقول **مارتن كريمر** في احدى المحاضرات: أُعْرب عن تفاجئي أنّ سلسلة المحاضرات هذه لا تحتوي على محاضرة واحدة حول الأصولية الشيعية والتي هي ليست سوى شكل من أشكال الأصولية الإسلامية لأنّ الجزء الأكبر من ذاكرتها الجماعية ومادتها الأساسية الخام ونصوصها المقدسة هي في الواقع مشتركة مع باقي الفرق الإسلامية[٤١].

ومثل هذه النظرة يتبناها بقوة قطب من اقطاب الاستشراق وهو **برنارد لويس**، فقد كانت له محاولات لسحب الاسلام الى مناطق غريبة عنه، متهما اياه باستعارة مفاهيم من ديانات سماوية وارضية، فالصراع ضد الشر والظلام في الاسلام، كان مفهوما مستعارا من الزرادشتية والمانوية، وقد بقي هذا المفهوم في الفكر الاسلامي، ولم يتغير مع القرون الطويلة، ليظهر على ما يرى برنارد في خطابات بلدان اسلامية منها لبنان عند حزب الله، وايران بعد الثورة الاسلامية بمسمى (اعداء الله)، وكان المقصود بالاعداء هم الغرب وامريكا، وقد اكتشف برنارد ان تلك الخطابات يكررها باستمرار قادة هذه البلدان، وهي تتخطى المصالح السياسية لتصل الى مرحلة العداء بسبب الاختلاف الثقافي والتباين الحضاري[٤٢].

ومن هنا يتضح ان اغلب الدراسات التي تتعلق بالشيعة عند المستشرقين جاءت على شكل طرح فرضيات من دوافع شخصية او سياسية، عززها الإلمام القاصر بواقع فكر التشيّع في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية، والاعتماد على الدراسات التي أجريت في اوقات سابقة والاستناد إليها كفرضيات ثابتة دون ملاحظة صحتها أو سقمها، وعدم الرجوع إلى المصادر المعتمدة في البحوث العلمية، كذلك عدم الاستناد إلى مصادر الشيعة الأصلية والمعتبرة، والاعتماد بشكلٍ أساسي على مصادر أهل السنة، ادى الى إصدار أحكام مسبقة حول المعتقدات بقصدٍ أو بعدم قصد، وعضد كل ذلك هشاشة البحوث المطروحة في هذه الدراسات وعدم رصانة تفاصيلها، ومن ذلك كله يتبين ان الدراسات الاستشراقية في اغلبها الاعم استبطنت العداء لمذهب التشيع، وأنّه كان عداءً أيديولوجيا بامتياز، غير مبني على حقائق، بل هو مجرد مفتريات كاذبة تحركها اجندات سياسية.

المبحث الثاني

المطلب الأول

الامامة والسياسة في الفكر الاستشراقي

انشغل المستشرقون بدراسة التشيع من حيث المباني العقدية وسائر المسائل المطروحة منذ فترة طويلة، ولكن بسبب تطور الفقه السياسي عند الشيعة كثّفوا جهودهم في دراسة التشيع وبحثوه من زوايا مختلفة وبآراء متنوّعه وبدواعٍ متفاوتة، هذه الدراسات التي يغلب عليها طابع التعصّب والخصومة والتخريب تارة ـ على الرغم من كونها تدّعي إعطاء تصوير وصفيّ عن التشيع، ولكن لاعتمادها ـ في منهجها المعرفي ـ على المباني السوسيولوجية (الاجتماعية) والتجريبية، أبت إعطاء وصف ـ ولو ناقص ـ عن التشيع، وعطفت نظرها نحو صناعة التنظير الفارغ[٤٣]، وتارة استجابت ولو نسبيا للمباني السياسية باعتبارها تصف تيار اسلامي كبير وفاعل اجتماعيا.

حيث تبنى بعض المستشرقين النظرية الشيعية لمسألة الامامة، عندما أيدوا استخلاف النبي للامام علي في حكم المسلمين، ومن بعده في ولده الحسن والحسين وذريته، وأكدوا على الاتجاه الشيعي الذي يهدف الى اثبات الوصية وحصول البيعة في غدير خم، فيرى المستشرق **إدوارد براون**[٤٤] ان النبي عيُن الامام علي كقائد روحي للاسلام وقد عزى المستشرق **ميرسيا الياد**[٤٥] ذلك الى علم الامام علي وايمانه المبكر وقوته في اثبات الحق[٤٦]، فكان اهلا لان يصطفيه ليخلفه في الامة، وان المسلمين عند عقدهم البيعة لغيره بعد وفاة النبي، قد اغتصبوا حق الامام علي وان الخلفاء الثلاثة مغتصبين لحق الخلافة من غير وجه حق، وعمل اتباعهم على جعل فترة خلافة الامام علي فترة اضطراب سياسي ادت الى قتله في نهاية المطاف [٤٧].

وفيما يرى المستشرق **ليوناردو بايندر**[٤٨] ان الامويين انقلبوا على فلسفة الحكم في الاسلام المبنية اساسا على البيعة، واحلوا بدلها الغلبة والاستيلاء بالقوة على مقاليد الحكم كشرعة جديدة ووضعوا النصوص التي تهدف الى خدمة هذا المشروع السياسي، فتم بذلك قمع كل من يطالب بخلافة العلويين بعد استشهاد الامام علي في اشارة الى خلافة الامام الحسن، بل ذهب بايندر الى ابعد من ذلك عندما اعلن ان الخلافة الاموية وفقا لهذا الاسلوب غير

شرعية وان اجماع الامة كان في خلافة الامام الحسن بعد استشهاد ابيه وفي الائمة الاثني عشر الذين ينحدرون من سلالة الامام علي ومن النبي عبر السيدة فاطمة الزهراء[٤٩].

وقد استغرق كثير من المستشرقين في بيان متبنيات الشيعة في مسألة الامامة والخلافة، ووضحوا هذا الاتجاه الخاص في المنظومة السياسية الاسلامية بما يتوافق مع السياق العام لبيان الحقائق في خطوة متقدمة وجريئة تخالف الذوق الاستشراقي العام، المعتمد في هذه المسالة على متبنيات النظرية السنية للمسالة ذاتها، وفي ذلك يشير المستشرق السويدي **سودر بلوم** ان نظرية الامامة الشيعية تستند الى اسباب غير طبيعية او معنوية بالدرجة الاساس ويجعل تنصيب هؤلاء لهذا الموقع امر سماوي خاص بهم لامتلاكهم جوهر نور سماوي وان هذا الامر ينحدر فيهم منذ آدم حتى وصلت الى سلف النبي محمد عبر علي وفاطمة لتنتهي بالامام الغائب الذي سيظهر في آخر الزمان[٥٠].

ان حقيقة الموقف الذي سار عليه بعض المستشرقين في بيان عقيدة الشيعة في الامامة لاينفي وجود آخرين لم يشيروا الى جهة كون هذه العقيدة من ثوابت نصف الامة الاسلامية ومن البديهيات التي لاتقبل الشك والجدل لقيام النص في تعيين الامام، ولما وجد المستشرقون اصالة هذا المبدأ عند الشيعة ولجوا الى مناقشة الاراء الاخرى التي تشكك او تضعف من قدرة النص على اثبات الولاية والامامة للائمة، وذلك يعكس اهمية مبدأ الامامة لدى طائفة كبيرة من المستشرقين، لما وجدوا ان اهم مايميز الفكر السياسي الشيعي عما سواه عقائديا او حتى سياسي هو مفهوم الامامة، بل ان انطوان صفي اكد على مبدأ الوراثة في الامامة حيث ينص كل امام على من يخلفه من ولده، وعلل صفير ذلك كون ذلك تفاديا للاشكال الذي حدث بعد وفاة النبي، بل حصر وراثة الامامة في نسل الحسين دون الحسن تماشيا مع متبنيات الشيعة [٥١].

لقد أسهمت بعض الدراسات الاستشراقية لمحور الإمامة في بيان الخطوط العريضة والواقعية لمعتقدات الشيعة أمام العالم، ولم تقتصر تلك الدراسات والتوجهات على مدرسة من المدارس؛ بل اتسعت اهتماماتها على عدد من المدارس الاستشراقية، كالمدرسة الألمانية[٥٢] أو المدرسة البريطانية أو المدرسة الفرنسية أو المدرسة الأمريكية، وهكذا في بقية المدارس

الأوروبية [٥٣]، ان إلتفاف المستشرقين الأوربيين الى حقيقة النظرية السياسية الشيعية واهميتها في فهم المنظومات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، هو الذي صيّرُ التشيع الإمامي على وجه الخصوص موضوع الدراسة في عدد من المؤتمرات المهمة، ومنها مؤتمر (بترسبورغ) وباريس في نهاية الستينيات من القرن العشرين، وقد حضره عدد من علماء الدين لتدارس واقع وطبيعة مذهب الإمامية الإثني عشرية، وقد أُلقيت فيه بحوث قيّمة في الفرنسية والانكليزية والايطالية وغيرها من اللغات عن التشيع الإمامي، وعقيدة الإمامية، والأكثر أهميةً أنّ مؤتمراً آخر أعقب هذا المؤتمر تمَّ عقده في باريس أيضاً عام ١٩٧١م بعنوان: (التشيع الإثني عشرية) طُبعت بحوثه في جزأين، وكان للاستشراق الأوربي في المؤتمر حضوراً فاعلاً[٥٤]، اضافة الى ذلك جهود علماء الشيعة في تقريب وجهات النظر الشيعية الى العالم المعرفي الاوربي والامريكي، والتي انعكست على مجمل التوجهات البحثية الاستشراقية، بصورة خاصة بعد ٢٠٠٣، والتي كان فيها التاثير واضحا وملموسا في حالات التقرب من مدركات الحالة السياسية او الدينية او الاخلاقية لما تؤمن به هذه المدرسة الاسلامية الاصيلة.

في المقابل كانت هناك دراسات حاولت التقليل من شان النظرية السياسية للشيعة وانها جاءت نتيجة هاجس الظلم، الذي ادى بالشيعة الى تكفير السنة، ومثل هذه الدراسات تبنتها جهات معروفة في مواقفها اتجاه الدين الاسلامي بصورة عامة نظير الاراء التي يتناولها **ايتان كوهلبرغ**[٥٥] في كتابه الشيعة الاوائل، حيث يقول: مذهبياً أنّ الصحابة الذين يرى أهل السنة أنّهم نوّاب العصر الذهبي الإسلامي؛ يكونون عند الإمامية مذنبين بل حتى كفرة[٥٦].

المطلب الثاني

الاستشراق وجدلية الامامة والخلافة

يعتمد اغلب المستشرقين على المصادر العامة بموازاة المصادر غير المعتبرة والثانوية او ذات الطابع القصصي[٥٧]، وعلى كثير من كتب الباطن او مما يقع في ايديهم من كتب خلال تجوالهم في البلدان الشيعية كايران والعراق كنوع من انواع دراسة انثربولوجيا الشعوب نظير ماقام به المستشرق الانكليزي دونالسون خلال فترة وجوده في ايران التي استمرت لمدة ١٣ عام قضاها في خراسان والتي الف خلالها كتابه (عقيدة الشيعة) [٥٨] وغيره كثير، وتم دراسة التاريخ الإسلامي وفقا لمعطيات تلك الكتب خاصة الاحداث المهمة التي مثلّت تحولاً خطيراً في الواقع السياسي الإسلامي، مثل التحول الكبير من نظام الخلافة الى نظام الملكية الاموية، فكان لموضوع التحول في فلسفة ممارسة الحكم الدور البارز في ظهور الخلافات السياسية التي أصبحت نقطة الخلاف والانقسام عند المسلمين، تلك النقطة التي اشكل على بعض المستشرقين فهمها بدقة، فكانت استنتاجاتهم قاصرة ومبتورة.

وفي محاولة للوقوف على حقيقة اعتقادات الشيعة، بصورة ادق، وتحت تاثير هاجس امكانية طي قرون من تطور الذهنية العقائدية الاسلامية والوقوف على بياناتها الراهنة بمجرد قراءة التراث الفكري والثقافي الاسلامي والاطلاع على اكبر قدر من تلك المصادر، وكنتيجة طبيعية لهذا الاتجاه نسب للتشيع مجموعة من الأباطيل والأكاذيب التي كانت بفعل دس أقلام السلطة وقد دخلت بعضها التراث الشيعي فذكر هذه المداخيل الزائفة في المصادر الشيعية دليلاً على صحة استنتاجاتهم وهي في الحقيقة عارية عن الصحة متناً وسنداً، و(صُلحُ الإمام الحسن) ـ كما يرد تاريخيا ـ واحدٌ من تلكمُ التحولات الخطيرة التي شهدت وضعاً سياسياً مرتبكاً بين المسلمين، فهي ليست واقعة عابرة أو حادثة سطحية احتوت البساطة في مجرياتها، بل كان لها الأثر الأكبر عمقاً في امتداد الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيراً في سير خطّها الطويل.

خلافة الامام الحسن في الفكر الاستشراقي في سياقه العام

الغالب في الرؤية الاستشراقية لمسالة الخلافة عند المسلمين تاثرها بنظرية الغلبة والقوة السنية، عززتها وبررت لها هواجس العقلية الكونيالية الاوربية، وعند ذاك تكون فترة خلافة الامام الحسن من فترات ضعف المؤسسة الاسلامية الحاكمة يقول المستشرق البريطاني **دوايت م. دونالدسون**: « ان الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العقلية لقيادة شعبه »[٥٩]، والجدير بالملاحظة ان اي من مصادر المسلمين لم تذكر للامام الحسن مايسئ لقابلياته العقلية والنفسية ولم تتجرأ اشد المصادر التاريخية المتاثرة بسياسات الامويين بماتجرأ على استنتاجه دونالدسون، ومن هنا يمكن الوقوف على مصدر الاخبار الذي اعتمد عليه في استنتاجه هذا، فهو يعتمد على قراءة مستشرق آخر هو البلجيكي [٦٠]والأب اليسوعي الحاقد على الإسلام والأئمة المعصومين **هنري لامانس** [٦١]، الذي عمل معلماً في الكلية اليسوعية في بيروت حيث درّس التاريخ والجغرافيا، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد الدروس الشرقية في الكلية نفسها[٦٢].

وقد تصدى لاراء لامنس السيئة المستشرق الالماني **نولدكه** عندما عمل على تعرية اراء لامنس من صفتها العلمية، ولم يبقَ لها سندا من الموضوعية الا انسياق هذا المستشرق المتحامل على الاسلام مع ميوله الدينية ومصالح بلاده، واذا ما اردنا ان نميز بين اراء الاثنين فاننا نجد انهما ينتميان الى مدارس مختلفة، ان طبيعة لامنس وتواجده في الشرق، في خدمة بلاده الاستعمارية هي التي فرضت عليه هذا النمط من الدراسات، بينما كان نولدكه متحررا من اسر السياسة، متوجها الى زيادة حصيلته العلمية ونتاجاته من بحوث ومؤلفات[٦٣].

فلنا أن نتصور ما ينقله المستشرقون، فمنهم واضح الحقد والكراهية، ومنهم من دس السم بالعسل باسم العلم والحيادية والموضوعية، والمتتبع لأغلب تلك الآراء والدراسات التي تحاملت على الإمام الحسن يرى كثيرًا من المؤاخذات التي حملت في طياتها الحقد والكراهية والتعصب على حفيد رسول الإسلام النبي محمد وهذا ناتج لا محالة عن القصور الذهني، والاعتماد على المصادر التاريخية التي صنعتها أيادي السلاطين، وأنتجتها تلك العقول التي لا تحمل سوى الحقد والكراهية لآل البيت[٦٤].

لقد ركز مجموعة من المستشرقين على الجانب المادي في مسالة انتقال السلطة في النظام الاسلامي والشيعي منه على وجه الخصوص وذلك يعكس مقدار الجهل بالحقائق التاريخية والعقائدية لنصف الامة الاسلامية فالمؤرخ **فيليب حتي** في كتابه تاريخ العرب يوضح هذا الراي عندما يرجع الوقائع التاريخية التي تلت استشهاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى النزاع حول خلافة المسلمين وهو بذلك يدخل الامام الحسن كطرف في نزاع وليس كصاحب حق مكتسب من بيعة الامة والطرف الاخر (معاوية) خارج على ارادة الامة وطالب الاستعلاء بغير وجه حق، ولعل بيان ماأراده يتضح من خلال الاطلاع على كلام فيليب حتي حول معنى الخلافة وهل هي منصب سياسي ام ديني وماكان من راي الطرفين الاموي والهاشمي حول هذا المنصب، وذلك ان (حتي) يُرجع اصل النزاع الى تنافس قبلي بين ابناء هاشم وابناء امية، في خلط واضح لمفاهيم لم ينادي بها اهل البيت، ولم تكن شعارا لهم في يوم من الايام.

ان هذا الخلط وسوء الفهم ولد تيار استشراقي جديد نشأ وترعرع بعد الحرب الكونية الثانية و بلحاظ التلاقح المعرفي بين الشرق والغرب ظهرت مدارس تنادي بضرورة فهم الاخر كطريق لفهم الذات[٦٥] ومن ثم اعادة النظر بمجموعة اليقينيات التي اسس لها الجيل الأول من المستشرقين والتي تعبر عن قناعات ذاتية لااكثر واختيارات ذوقية للاسانيد والتراث على حد سواء، فبلغ بذلك الدرس النقدي الاستشراقي أوْجَهُ خلال القرن الماضي لعدة عوامل موضوعية؛ أبرزها:

١ ـ استقلال الدول العالمثالثية التي خضعت للقُوى الاستعمارية الغربية.

٢ ـ تفسُّخ عقلية أغلب المستشرقين مع انتهاء عصر الاستعمار، وظهور جيل جديد من المستشرقين الشباب الذين أظهروا نقائصَ الهيمنة الغربية وحلقات الضعف في النموذج الحضاري الغربي، والخُصوصية القومية الحضارية وحقّها في التحرر والنمو الذاتي.

٣ ـ ظهور العلوم الإنسانية وتطورها الذي أحدث صدْمة في أذهان المستشرقين للوقوف على مدى قصور الاستشراق التقليدي وأدواته ومناهجه[٦٦].

(صلح)! الامام الحسن في الفكر الاستشراقي

حظيت مسألة (صلح) هدنة الإمام الحسن مع معاوية باهتمام كبير من قبل المستشرقين

باعتباره واحادٌ من تلكمُ التحولات الخطيرة التي شهدت وضعاً سياسياً مرتبكاً بين المسلمين، فهي ليست واقعة عابرة أو حادثة سطحية احتوت البساطة في مجرياتها، بل كان لها الأثر الأكبر عمقاً في امتداد الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيراً في سير خطّها الطويل.

ولامناص من الاعتراف بان هذه القضية كانت من أعظم الأمور التي ابتليت بها الشيعة في الكوفة فقد رفض كبار الشيعة هذا الأمر وعاتبوا الإمام الحسن على مثل هذه الخطوة وبعضهم جعل يشنع عليه، وقد وجد بعض المستشرقين ضالته في بيان استنتاجاته لتلك الفترة المشحونة بالاختلاف، واوضحوا بذلك مقدار البون الشاسع بين الحقيقة والوهم، كما في الاسباب التي وضعوها لجعل موضوع الهدنة بديل استراتيجي عن الحرب، ومنها:

١ ـ ان الامام الحسن بن علي لم يكن يهتم بأمور السياسة والحكم، بل كان مهتماً بحياته الشخصية، يقول **فيليب حتي**: « غير أن الحسن بن علي لم يكن يهتم كثيراً بأمور السياسة والإدارة والحكم، بل انقطع إلى أمور حياته الشخصية وما لبث أن نزل عن الخلافة لمعاوية واعتزل في المدينة»[٦٧].

٢ ـ ان الامام الحسن كان يؤثر العافية والسلامة[٦٨]، نظير الفكرة التي تبناها المستشرق الإنكليزي **أنطوني ناتنج** في كتابه (العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام)، إذ وقع في أخطاءٍ قد تعمّدَ في تدوينها، إذ يُشير أثناء حديثه عن الإمام الحسن وهدنته انه كان يؤثر العافية ويحب السلم[٦٩].

٣ ـ عدم اهلية الامام الحسن العرفية والشرعية لتولي امور الخلافة[٧٠] ومن ثم اعطاء المشروعية لمعاوية في خلافة رسول الله، وهو الراي الذي تبناه المستشرق الألماني **شتور ثمان** عند ربطه بين الإمامة والشيعة، وفترة خلافة الامام الحسن فقال في حقه: انه لا يمكن أن يسلك (بحق في عداد الخلفاء)[٧١]، إنّ هذا الكلام الاستنتاج من المستشرق الألماني يدل على عدم معرفة بمركزية اهل البيت في التراث الاسلامي من جهة وجهل بواقع حال القضية التاريخية وجذورها الممتدة الى اصل وجود الدين الاسلامي ومعركة الوجود التي خاضها مع الوثنية وحراس هيكلها من الامويين وغيرهم من الاعراب من جهة اخرى.

٤ ـ ان الامام الحسن دخل في الصلح مع معاوية مقابل اموال طلبها منه بواسطة سفير ارسله الى دمشق[٧٢]، وهو الراي الذي تفرد به المستشرق **جرهارد كونسلمان**[٧٣]، وكذلك فعل

بروكلمان عندما قال: والواقع أنه آثر مفاوضة معاوية وتنازلَ عن حقّه في الخلافة على أن يُترك له خمسة ملايين درهم كانت في بيت مال الكوفة».

ونظرة متانية الى سير الاحداث في تلك الفترة من تاريخ التشيع في الكوفة ينبأ بالاسباب التي آلت بالامام الحسن لاتخاذ القرار بالهدنة مع جيش الشام ومن تلك الاسباب:

١ ـ عصيان جيش الكوفة وتمرده على قيادته، بخلاف ما كان عليه جيش معاوية الذي ظل موالياً لحكومته نتيجة للجهل، وذلك لان الكوفيين علموا ان الامام الحسن سيسير على هدى ابيه، فلا غنائم من حرب الشام كما حصل في معركة الجمل عندما أمر الامام علي بجمع ما كان في المعسكر من غنائم بعد الواقعة وبعث به إلى مسجد البصرة حتى يأتي من عرف شيئاً فيأخذه[٧٤]، وهنا ياتي دور العامل الاقتصادي في احداث التغيير المطلوب.

٢ ـ اختراق جيش الامام الحسن من قبل الامويين فقد كان جيش الكوفة مخترقاً من قبل جيش الشام والخوارج اللذين كانا لا يريدان لخلافة الامام الحسن أن تقوم لها قائمة، وعمدوا الى بذل الأموال بسخاء للوجوه والأشراف والزعماء فغدروا بالإمام وانسحبوا من معسكره في غلس الليل وخذَّلوا عشائرهم وجبَّنوهم من البقاء[٧٥].

٣ ـ محاولات الخوارج المستمرة في اضعاف خلافة الامام الحسن باي وسيلة كانت، فقد أخذوا على أنفسهم الخروج على النظام القائم ووجوب الخروج على ولي أمر المسلمين إذا لم ينتم إليهم وهو عندهم جهاد ديني تجب التضحية في سبيله [٧٦].

٤ ـ قطع الطريق امام معاوية لتنفيذ هدفه بوئد الشيعة وانتزاع شأفتهم، وقتل إمامهم او اسره، وقد استشرف الامام الحسن ذلك من خلال حنكته وعظمة شخصيته قال: « والله لو قاتلت معاوية لأخلو بعنقي حتى يدفعونني اليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنُّ علي فتكون سنَّةً على بني هاشم إلى آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحي منَّا والميت» [٧٧]

فهل اتخاذ قرار الهدنة ينبأ بعد هذه البيانات بغير التعقل والحكمة فأين من يقول بضعف شخصية الإمام عن مثل هذه التصريحات والمواقف الثابتة التي تنم عن إنسان عظيم وقائد مرشد حكيم وقد أوتي العلم والحنكة السياسية بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

لان المنطق الاستشراقي يمر من خلال المنهج في نقده للتراث الاسلامي، ذلك المنهج الذي يوصف بانه مختلف جذريا مع اسس المناهج العربية والاسلامية، كما يرى المفكر عبد الله العروي والذي يقول، بحسه التاريخاني: «عندما أتكلم عن المنهج أعني في الواقع منطق الفكر الحديث بعد أن انفصل عن الفكر القديم[٧٨]، وهو بذلك يقصد المناهج التي اتبعت في نقد الاخر في اوروبا، ومنها المنهج الاستشراقي، فان حصول موائمة او فهم حقيقي او قريب الى الحقيقة للتراث العربي والاسلامي من قبل المستشرقين امر في غاية الصعوبة، ولعل يبدو نادرا في حالات كثيرة، ولعل السقوط في إيديولوجيا الاستشراق كان نابعا من الغياب المنهجي، وضعف التواصل مع الحداثة الفكرية ومستجداتها عند المسلمين انفسهم، وربما اتت محاولات بعض المفكرين مثل محمد أركون باعتبارها مدخلا لاستدراك هذا الخلل، خصوصا وأن المعضلة المفروضة بإلحاح هي: تفكيك الاستشراق، والذي أثبت قوته وجدارته في دراسة التراث العربي الإسلامي، ولو من خلال مناهج باتت حاليا كلاسيكية، أو لا توفي بالمطلوب في مجال التحليل والتركيب والإجابة عن الرهانات المعاصرة. وكما يقول محمد أركون عن طبيعة فهم الاستشراق الهيمني لنصوص التراث[٧٩]: «القراءة التي قدمتها الإسلاميات الكلاسيكية عن هذه النصوص (ومنها القضية الاكثر اهمية والانعطافة التاريخية المتمثلة بصلح الامام الحسن) تضل القارئ أكثر مما تضيء له الأشياء بخصوص الرهانات الحقيقية للأحداث الماضية والقوى المتنافسة حينئذ والمطامح الجماعية للقوى والتيارات السياسية والتوجهات الغالبة والمسيطرة المفروضة في المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة.

ومن هنا تكون تلك الدراسات قاصرة عن فهم حقيقة حصول حادثة الصلح باعتبارها خارج السياقات الموضوعية التي يؤمن بها الدارس للتراث الشرقي، وعزز هذا الشك في مجمل علل حصول الصلح ذلك المقدار من التراث الموضوع والمتعارض سندا ودلالة والذي يعطي في اطاره العام صورة غير واضحة عن طبيعة صراع القوى السياسية، وتفاعلات المكونات المجتمعية وارهاصات المذاهب الايدلوجية، ومواقفها كل على انفراد من حادثة الصلح، او خلاصة موقفها مجتمعة في الاطار العام من تلك الحادثة.

الخاتمة

تعتبر الدراسات الاستشراقية للتراث الاسلامي خطوة متقدمة في نقد هذا التراث والوقوف على بعض المحطات المهمة المسكوت عنها عند المسلمين ولكنه في ذات الوقت يساهم في التقليل من شأن هذا التراث باعتباره احد مرتكزات وجود الامة وعامل رئيسي في رسم ملامح نهضتها وتواصل محطاتها الفكرية والثقافية باعتباره ممثلا لحضارة اثبتت ديناميكيتها طوال القرون الماضية. فالنقد المعرفي لخطاب الاستشراق امر ضروري ومسألة جوهرية، لكن دون التنازل عن الرؤية التاريخية، حتى لا يبقى الاستشراق مجرد نصوص وبناءات لغوية وصروح من الدلالات والمعاني. ومن هنا ضرورة النفاذ لماهية الاستشراق كخطاب متداخل، بشكل تاريخي مع السياسة والاقتصاد والإيديولوجي وحتى المخيال الاجتماعي الغربي. فالعقل الاستشراقي هو محصلة تاريخ معقد ما زال يتفاعل ويتبنين من خلال مؤسسات مادية لها صورة هيمنة داخل الغرب وخارجه.

ان تناول المستشرقين للقضايا الاسلامية (التنراثية) الملحة بوجودها وهيمنة ذلك الوجود على ترشحات الحاضر ورؤى المستقبل لابد ان يكون وفق سياقات دقيقة ومناهج عالية الكفاءة لانها تتعلق بتراث امة ترى ان لاقطيعة مع هذا التراث وان وجودها مستمد منه فهو تراث لايشك في اسسه ومن ثم تكون متبنياته ذات تاثير مباشر في صنع صياغات الحاضر، لان القطيعة مع المناهج التراثية تمثل الثابت الإبستمولوجي الذي لا يمكن للفكر الاسلامي الراهن أن يتخلى عنه، اذا مؤسسة الاستشراق جسدت التحولات الفكرية الغربية، وتفاعلت مع ثورات العلوم والمناهج، وتسعى لتطبيق تجربتها في اندماج العقل والمنهج على التراث الاسلامي، لذلك كان تحليلها للتاريخ الاسلامي قاصرا عن مطابقة الواقع او اشارات النصوص.

وفي ظل هذا الاتجاه المادي فسر المستشرقون الحكمة التي من جرائها عقد الامام الحسن معاهدة الهدنة (الصلح) مع معاوية، فجاءت النتائج بذلك الكم الهائل من التهم الجزافية التي الحقت بمقام الامام وحنكته السياسية، باعتبارها حدثا تاريخيا مستقلا، لا بلحاظ النتائج التي ترتبت عليها، او الاسباب التي ادت الى وصول الامة الى هذه النتيجة من الانكسار، الذي وصل الى حد حصول الانعطافة التاريخية المتمثلة بحادثة الصلح، ونتيجة

لهذا المنهج وتمسك المستشرقون به لم يجدوا بدأ من ترديد ذات النصوص التراثية المتعلقة بهذه الحادثة التاريخية، والتي كانت تعبر عن مواقف ايدلوجية او عقائدية معينة، فانتفى بذلك شرط الموضوعية الذي تتمشدق به الدراسات الاستشراقية.

الهوامش

١) مينو صميمي، محمّد در اروپا (باللغة الفارسية)، ترجمه إلى الفارسية عباس مهر پويا، نشر اطلاعات ـ طهران، طبعة ١٣٨٤ هـ. ش، ص١٨٧.

٢) انظر: اليغييري، دانتي، الكوميديا الالهية، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة ١٩٥٤.

٣) شجاعي، علي رضا، عصر صدر الاسلام برؤية ماكس فيبر، ترجمة اسعد مندي الكعبي، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، شتاء ٢٠١٦ م.

٤) وليام شكسبير، مسرحية الملك هنري الرابع، تحرير تي. دبليو، كريك، لندن، ١٩٩٥، ص٣٩٥.

٥) لازال هذا الهاجس الى اليوم يسيطر على المخيال السياسي والاجتماعي في اوروبا، ويشير اليه بوضوح ليس فقط صعود تيارات اليمين المسيحي المتطرف في المانيا وفرنسا تحديدا وانما حالة الذعر من أي وجود اسلامي قريب للحدود او الشواطى الاوربية ولعل مجازر الجنرال راتكو ملاديتش الصربي في مسلمي البوسنة اواسط تسعينيات القرن الماضي دليل على مقدار الخشية من أي تمدد اسلامي داخل الرقعة الجغرافية المسيحية اذ تعتبر مذبحة سربرنيتسا إبادة جماعية شهدتها البوسنة والهرسك في يوليو ١٩٩٥ وراح ضحيتها حوالي ٨ آلاف شخص من المسلمين البوشناق أغلبهم من الرجال والصبيان في مدينة سربرنيتسا خلال حرب البوسنة والهرسك ونزح عشرات الآلاف من المدنيين المسلمين من المنطقة.

٦) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص٢٣٤. مارتن لوثر ضمن مواعظه حول سفر التكوين في سنة ١٥٤٥م.

٧) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص ٢٣٥. .

٨) جواد حديدي، اسلام فولتير، منشورات طوس ـ طهران، طبعة ١٩٧٦ م، ص ٢٣.

٩) شجاعي عصر صدر الاسلام برؤية ماكس فيبر، المصدر السابق.

١٠) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص ٣٩١.

١١) إذ إنهما كانا من مؤيّدي الحرّية الجنسية

١٢) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص٣٩٨.

١٣) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص٤٠٠.

١٤) صميمي، محمد در ارويا، المصدر السابق، ص ٤٠٢

١٥) شجاعي عصر صدر الاسلام برؤية ماكس فيبر، المصدر السابق.

١٦) بارسونز، مقدّمه كتاب علم اجتماع الدين پارسونز (باللغة الفارسية)، ١٩٦٥م، ص ٧.

١٧) برايان تيرنر، ماكس ويبر والإسلام، ترجمه سعيد وصالي، طهران، منشورات نشر مركز، ٢٠٠٠م. ص ٢٤٢.

١٨) مارتن كريمر: أميركي اسرائيلي، ألّف عدداً من الكتب المتواضعة المستوى عن الاسلام السياسي، مديراً سابقاً لمركز دايان في جامعة تل أبيب، القوي الصلة بالاستخبارات العسكرية الاسرائيلية. انظر: الموقع الالكتروني لجريدة الحياة: العدد ١٤٢٦٥، تاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٠٢، ص٩.

١٩) محاضرته بعنوان الإسلام الشيعي والتطرف الإسلامي، قدّمها خلال سلسلة محاضرات حول التطرف

أُقيمت في معهد فان لير في القدس في ٢١ نوفمبر ١٩٩٠

٢٠) عبدالرحمن أبو المجد: مارتن كرامر المستشرق الذي صبغ الدراسات الدولية بالنظرة الصهيونية، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثانية ربيع ٢٠١٥.

٢١) المطوري، محمد سعدون، الغرب لله. . الشرق للشيطان، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٧)، السنة الثالثة ربيع ٢٠١٦.

٢٢)عبد الجبار الناجي، التشيع والاستشراق، المركز الاكاديمي للابحاث، منشورات الجمل ـ بغداد ـ بيروت، ط١ ـ ٢٠١١م، ، ص ١١.

٢٣)تيودور نولدكه، اخبار وانتقادات، ترجمة قاسم العكيلي، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٤)، السنة الثانية ربيع ٢٠١٥. وهو بحث لثيودور نولدكه بعنوان: (أخبار وانتقادات) رداً على كتاب لامنس: (فاطمة وبنات محمد) المنشور في مجلة (الإسلام) الصادرة في شتراسبورغ عام ١٩١٤.

٢٤) تاكر، جورج، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢م، (مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢)، ص٤٨-٤٩.

٢٥) الشروط المذلة والتي لخصها القلقشندي فهي: على اهل الذمة دفع الجزية، وضيافة المسلمين، والانقياد لاحكامهم، والا يركبوا الحمير الا ويجعلوا ارجلهم من جانب واحد، وان ينزلوا المسلمين صدر المجلس وصدر الطريق، ولا يلبسوا لباس المسلمين، ولا يرفعوا جدران ما يبنونه على جيرانهم المسلمين، ولا يحدثوا كنيسة، وقد اضاف عمر الى تلك الشروط فقرة جديدة وهي: ان لا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا. انظر: ابن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥)، ٢: ١٧٤ وما بعدها.

٢٦)انظر: الجابري، محمد عابد، العقل الاخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ط١ ـ ٢٠٠١، ص١٥١. (القيم الكسروية).

٢٧)انظر: مارجيلوث، محمد وظهور الاسلام، طبعة لندن ـ ١٩٠٥ م، ص ١٨٥. يلاحظ على مارجيلوث في جملة استنتاجاته عن صدر الاسلام انه: يستبعد ان تصدر وصية من النبي بالولاية والخلافة على المسلمين لعلي بن ابي طالب.

٢٨) انظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٥ ـ ١٩٦٨م. ١: ٧٣.

٢٩) انظر: جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة وتحقيق محمد يوسف، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة، طبعة ٢٠١٣، ص ٢٩٣.

٣٠) وليم الصوري (١١٣٠-١١٨٥م) مؤرخ صليبي، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرابع) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسية أو إيطالية.

٣١)انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، طبعة ١٩٩٥، ٢: ١١٠.

٣٢) يعقوب دي فيتري (١١٧٠- ١٢٤٠ م) مؤرخ وقس ولاهوتي كنسي فرنسي الأصل.
٣٣) انظر: عاطف معتمد عبد الحميد، الشيعة في المشرق الاسلامي تصوير المذهب وتفكيك الخريطة، دار نهضة مصر للطباعة ـ القاهرة، ط١ ـ ٢٠١٣، ص ٩٤.
٣٤)ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكي إيطالي ومبشر شديد الخصومة على الإسلام، له كتاب (تفنيد آيات القرآن). .
٣٥)عاطف عبد الحميد (كاتب مصري)، مقال من الهرطقة الى السلطة الشيعة في عيون الغرب، www.aljazeera.net. .
٣٦) (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالوني، أنضم إلى رهبنة الفرنسيسكان، انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية قاصداً من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحية، له كتاب (الفن الأكبر) الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.
٣٧) بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتي اسباني، له كتاب (الفرقة المحمدية).
٣٨)جوزيف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢ م) أديب وديبلوماسي فرنسي اشتهر ببحوثه ودراساته حول الشرق، وأبرز نتاجاته الفكرية (التفاوت بين الأجناس البشرية) والذي تأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية، وله روايات ومذكرات عديدة منها (الثريا) و(قصص آسيوية) و(جدة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥- ١٨٥٨ م) ترجمة: مسعود سعيد عمشوش. أقام في إيران مدة خمس سنوات وكان مسؤولًا في السفارة الفرنسية بمدينة طهران. بين (١٨٥٥)و(١٨٥٨م)
٣٩)الفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مستشرق نمساوي، ألماني الجنسية، كان قنصلًا في مصر وبيروت.
٤٠) انظر: عبد الجبار الناجي، الامام علي واشكالية جمع القرآن ودراسات المستشرقين، دار الرافدين ـ بيروت، كندا، ط١ ـ ٢٠١٧، ص ١٤٥ ـ ١٩٢.
٤١)جهاد سعد، التطرف الشيعي في محاضرات الاستشراق الصهيوني (مارتن كريمر انموذجاً)، مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع، السنة الثانية، ربيع ٢٠١٥.
٤٢) برنارد لويس- ادوارد سعيد، الاسلام الاصولي في وسائل الاعلام الغربية من وجهة نظر امريكية، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤)، ص٧٢.
٤٣)رضا ياري نيا، الشيعة الاوائل في التاريخ والدراسات ل ايتان كوهلبرغ، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٢)، السنة الأولى خريف ٢٠١٤.
٤٤) مستشرق انجليزي ولد سنة ١٨٦٢ م درس في براون جلنلموند ومدرسة ايتون ودخل جامعة كامبرج لدراسة الطب في بريطانيا ١٨٧٩ م وكان مهتما باللغات الشرقية وخاصة الادب الفارسي اقام في ايران فترة من الزمن عاد منها سنة ١٨٨٨ م درس الفارسية في كامبردج توفي سنة ١٩٢٦ م له مصنفات: التاريخ الادبي الفارسي، الطب العربي وغيرها.
٤٥)ولد في بخارست عام ١٩٠٧م، حصل على الدكتوراه عن اليوغا في الهند، تنقل في عدة جامعات اوروبية، درس في السوربون، وفي عام ١٩٥٧م انتقل الى جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة، ليدرس المثلوجيا وتاريخ الاديان له عدة كتب منها، دراسة في تاريخ الاديان واسطورة العود الابدي وملامح من الاسطورة.

٤٦)الياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق ـ سوريا، ط١ ـ ١٩٨٧م، المقدمة.

٤٧)Dward Brown. Enchycloedia of religion and Ethics. vol. llp. 299 E.

٤٨)مستشرق امريكي معاصر له كتاب دراسة المناطق اعادة تقويم نقدية وله كتاب اعادة دراسة الاسلام.

٤٩)Leonaedo. Binder. The Ldeolocical. Revolution in the middle as Department of political science of university chiicago. p. 32.

٥٠). Soderblom. Encyclopaedia of religion and Ethics. vol. p. 183.

٥١)بشارة، جواد، المسألة الشيعية رؤية فرنسية، دار ميزوبوتاميا ـ بغداد، ط١ ـ ٢٠١٥ م، ص٥٠.

٥٢)كان من ميزات المستشرقين الالمان اضافة الى تحليهم بالمنهج الموضوعي، وغزارة المصادر التي يرجعون إليها، هي بدأهم بعملية الانتقاد للدراسات الاستشراقية السابقة، فقد نوه قسم من هؤلاء المستشرقين الى وجود العديد من الدراسات الاستشراقية المتعصبة، والمتحاملة على الاسلام، واصفين اياها بانها متعجلة في احكامها وفقيرة على مستوى المصادر، نجد هذا الحس عند رايسكه، ورودي باريت، ومؤخرا ورزنثال الذي طالما انتقد بعض الدراسات الاستشراقية

٥٣)الحساني، كريم جهاد، الامام زين العابدين في فكر المستشرقين دراسة وتحليل، مجلة دراسات استشراقية العدد (١٥) السنة الخامسة صيف ٢٠١٨.

٥٤)ناجي، التشيع والاستشراق، المصدر السابق، ص٢٩٨.

٥٥)ولد ايتان كوهلبرغ (ETAN Kohlberg) عام ١٩٤٣م في فلسطين المحتلّة وواصل دراسته في إحدى جامعات إسرائيل وجامعة أكسفورد، ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٧١م من جامعة أكسفورد. وقد تخصّص كما يلوح من آثاره ودراساته بتاريخ التشيع ومصادره وآرائه سيما الشيعة الإمامية. وهو الآن رئيس قسم اللغة العربية في جامعة هبرو باورشليم.

٥٦)انظر: ايتان كوهلبرغ، الشيعة الاوائل في التاريخ والدراسات، المطبوع في مقدمة كتاب shiism يتكون من سبعة عشر بحثاً بخصوص التشيع في التاريخ الإسلامي الأوّل، وقد كتب كوهلبرغ مقدمة عامة لهذا الكتاب فيما يخص التشيع الأول والدراسات المطروحة حوله، مع الإشارة إلى ملخّص كل بحث، كما هي مذكورة في القسم الثاني من هذا البحث.

٥٧)انظر: دونالدسن، دوايت. م: عقيدة الشيعة، تعريب: ع. م. ، مؤسسة المفيد ـ بيروت، ط٢ ـ ١٩٩٠، ص ٣٥٩ – ٣٦٣.

٥٨)مثل كتاب: (روضة الشهداء وهو كتاب يتصف بالكشكول كما وصفه الشيخ آقا بزرك الطهراني بالملمع. انظر: آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مراجعة وتصحيح وتدقيق: رضا بن جعفر مرتضى العاملي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، طبعة - ٢٠٠٩، ١١: ٢١٢. فهو كتاب غير تاريخي وكتب لغرض القراءة على المنابر... وكتاب: جنات الخلود وهو يتصف بالكشكول أيضاً وهو من تأليف الميرزا محمد رضا بن محمد مؤمن الإمامي المدرس المتوفى بعد سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م باللغة الفارسية يحتوي على سبعين صفحة وقد صدره باسم الشاة السلطان حسين الصفوي. انظر: آقا بزرك، الذريعة، المصدر

السابق، ٥: ١٠٧... وكتاب: خلاصة الاخبار للسيد محمد مهدي بن محمد جعفر الموسوي التنكابني المتوفى بعد سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م باللغة الفارسية والملاحظ أنه أيضاً يتخذ الكتاب الطابع القصصي... وكتاب: عقائد الشيعة تأليف الحاج ميرزا آقاسي وزير السلطان محمد شاه الثاني القاجاري (١٢٥٠ - ١٢٦٤هـ/ ١٨٣٤ - ١٨٤٨ م) ذكره الشيخ آغابزرك الطهراني باختصار شديد لكنه لم يذكر ما إذا كان له من مخطوط) وهذه كتب كلها متاخرة وكتبت للعامة لاثارة العاطفة وليست كتب مرجعية، واغلب مؤلفيها من المشتغلين في بلاط الملك او تدريس ابناء الملوك وكان حرياً بالمستشرقين أن يستقوا معلوماتهم من المصادر القديمة من كتب الشيعة الروائية والتي ذكرت تواريخ المعصومين لا أن يستعينوا بكتب قصصية متأخرة صنفت لفهم العوام.

٥٩)انظر: دونالدسن، دوايت. م: عقيدة الشيعة، المصدر السابق، ص٨٩.

٦٠)لم يحظى موضوع الاستشراق والمستشرقين ببلجيكا بالاهتمام المطلوب من قبل الدارسين العرب والسبب في ذلك يعود في جزء مهم منه الى انعدام المصادر التي تؤرخ لهذه الظاهرة، وتُعَرِّفُ بأعلامها. وكذلك الى أن بلجيكا بلد صغير، ولم يسبق له أن احتل بلداً عربياً أو مسلماً. بالاضافة الى أن عدد الباحثين البلجكيين المهتميين بالإسلام وحضارته قليل بالمقارنة مع دول غربية أخرى (هولندا)، مما لا يسهل أي دراسة للاستشراق البلجيكي.

٦١)انظر: لامانس، هنري: دائرة المعارف الإسلامية، نقله الى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، دار المعرفة ـ بيروت ـ د. ت، ٧: ٤٠٠ ـ ٤٠٣؛ مادة: (الحسن بن علي بن أبي طالب).

٦٢)ذكره عبدالرحمن بدوي فقال: ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين. من أهم مؤلفاته: «مدينة الطائف العربية عشية الهجرة»، و كتاب «فاطمة وبنات محمد». انظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات وللنشر ـ بيروت، ط٤ ـ ٢٠٠٣، ص٥٠٣ ـ ٥٠٥.

٦٣) نولدكه، اخبار وانتقادات المصدر السابق.

٦٤)استخدمت القنوات الإعلامية الاموية الأساليب المعتمدة في ذلك العصر من إطلاق الشائعات والأراجيف والعمل على نشرها بين أوساط العامة التي كان يغلب عليها طابع الجهل والبساطة، وكذلك أسلوب وضع الأحاديث لإسباغ الصفة الشرعية عليها، وانتشرت الأقلام المأجورة في عصر الإمام الحسن الذي كان الصراع والتناحر فيه على أشده في ظرف سياسي صعب على أمة الإسلام، بالإضافة إلى محاولة الحزب الأموي ترسيخ دعائم دولته على خلفية حراك داخلي شرس لأبناء الطلقاء وأتباعهم من خلال حياكة المؤامرات والدسائس التي حاولوا فيها الانتقاص من شخصية الإمام الحسن المجتبى، فاتّبعوا الحيل والمكائد بإطلاق سلاح الشائعات لتأليب الرأي العام ضد الإمام الحسن في ظرف تاريخي حرج لتعدد التوجهات والتيارات الدينية والفكرية والعقائدية والسياسية وانعكاساتها على الأمة الإسلامية ككل، فعمدوا إلى تشويه سمعة الإمام لإبعاد قواعده الشعبية الملتفّة حوله في محاولة بائسة منهم لإضعاف خط الإمام وهو خط الإسلام المحمدي الأصيل الذي حرفه بنو أمية وفق أهوائهم ومصالحهم، فاتهموا الإمام الحسن بالعديد من التهم والافتراءات ووضعوا فيها الأحاديث المكذوبة وغالطوا الحقائق وخلطوا الأوراق على عوام الأمة ليشككوا بالإمام. في ذلك انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص٧٧، تاريخ

الاسلام للذهبي ص٤٩٨، البدء والتاريخ لابن المظهر ج١ ص٢٨١، البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٣٨، نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار للشبلنجي ص ٢٤٧، قوت القلوب لابي طالب المكي ج٢ ص٢١٩.

٦٥)إدوارد سعيد: «الاستشراق: المعرفة ـ السلطة ـ الإنشاء»، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط. ٥، ٢٠٠٣، ص ٣٧.

٦٦)مفيد الزيدي: «الاستشراق والمستشرقون: نحو رؤية منهجية»، مجلة «شؤون عربية»، جامعة الدول العربية، ع. ١٤٧، خريف ٢٠١١، ص ص ١١١-١١٢، بتصرف.

٦٧)حتي، فيليب تاريخ العرب، ترجمة: ادوارد جرجي وجبرائيل جبور، ط لبنان - ١٩٧٤، ، ص٢٤٤-٢٤٦.

٦٨)وهذه تهمة جابه بها عبد الله بن الزبير الإمام الحسن و عاب عليه تسليم الأمر و صلحه مع معاوية، ولم يخف على الإمام ما يستبطنه ابن الزبير من عداء لآل الرسول فردعه قائلاً: « و تزعم أني سلمت الأمر و كيف يكون ذلك، ويحك و أنا ابن أشجع العرب و قد ولدتني سيدة نساء العالمين لم أفعل ذلك ويحك جبناً و لا ضعفاً و لكنه بايعني مثلك و هو يطلبني البترة و يداجيني المودة ولم أثق بنصرته ». انظر: باقر القرشي: حياة الإمام الحسن: ٢ / ٢٧٣.

٦٩)ناتنج، انطوني، العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام، ترجمة: راشد البراوي، ط مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة، طبعة ١٩٧٤م، ص٩٢.

٧٠)انظر: هشام جعيط: الفتنة: ٣١٣ـ٣١٦. الذي يفسر التحولات السياسية السياسية الحاصلة بعد استشهاد علي عليه السلام و انتقال الخلافة إلى معاوية بالقصور القيادي عند الحسن فهو كما يدعي البعض لا يمكن أن يقوم مقام علي: « فإنه عندما غاب علي لم يكن أحد على المسرح جديراً بأن يقوم مقامه » و يعقب « لقد صمم على عقد السلام مع معاوية لأنه وهن و ضعف و تاه فقد كانت أية مجابهة حربية فوق إمكاناته و وسائله النفسية و ربما كانت المسؤولية الخليفية تفوقها أيضا فلم يكن لديه قوة داخلية كافية لمعاودة صفين ».

٧١)كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، ط ١ ـ- مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤٥.

٧٢)وأصحاب هذه الفرضية يقولون: « و لكن الحسن الذي كان يميل إلى الترف و البذخ لا إلى الحكم و الإدارة لم يكن رجل الموقف فانزوى من الخلافة مكتفياً بهبة سنوية منحه إياها » انظر: فيليب حتى: العرب: ٧٨. و هذه تهمة أغرب من سابقتها فالحسن الذي عاش في بيت العطاء و التضحية و الزهد في هذه الدنيا و إيثار الآخرة حتى بقي أهل البيت بدون طعام ثلاث و قدموا إلى رسول الله يرتعشون من الجوع كالفراخ، فنزل القرآن يخلّد الموقف و يعدهم بجنان و ملك لا يبلي: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

٧٣)بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب العربية (العرب والامبراطورية العربية)، ترجمة: د. نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط الثانية - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٣م، ١: ١٤٥. .

٧٤)الطبري، أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة - ١٩٦٣، ٢: ٥٣٨ - ٥٣٩.

٧٥)اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، طبعة - ١٩٩٣، ٢: ١٢١ - ١٢٢.

٧٦)الإصفهاني. أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: أحمد صقر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ط ٣ - ١٩٩٨، ص٦٢ - ٦٣.

٧٧)الطبرسي، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣ - ٢٠٠٠)، ١: ٢٩٠. وقد ذكر الشيخ الصدوق(رحمه الله) رواية تدل على أن معاوية لم يرعَ في الله ذمة لشيعة الإمام الحسن أبداً ولولا صلحه لما بقيت لهم من باقية حيث روي عنه: «لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل». ينظر: الصدوق، علل الشرائع، صححه وعلق عليه وقدم له: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، طبعة - ١٩٨٨)، ١: ٢٤٩.

٧٨)عبد الله العروي: مفهوم العقل (مقالة في المفارقات)، المركز الثقافي العربي، بيروت-البيضاء، ط١، ١٩٩٦، ص١٢.

٧٩)محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، دار الساقي، ترجمة هاشم صالح، ط١، ١٩٩٠، ص١٦٦.

المصادر

*ابن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥).

*إدوارد سعيد: «الاستشراق: المعرفة ـ السلطة ـ الإنشاء»، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط. ٥، ٢٠٠٣.

*الإصفهاني. أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: أحمد صقر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ط ٣ – ١٩٩٨.

*بارسونز، مقدّمه كتاب علم اجتماع الدين پارسونز (باللغة الفارسية)، ١٩٦٥م.

*بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربية للدراسات وللنشر ـ بيروت، ط٤ ـ ٢٠٠٣.

*برايان تيرنر، ماكس ويبر والإسلام، ترجمه سعيد وصالي، طهران، منشورات نشر مركز، ٢٠٠٠م.

*برنارد لويس– ادوارد سعيد، الاسلام الاصولي في وسائل الاعلام الغربية من وجهة نظر امريكية، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤).

*بروكلما ن، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٥ ـ ١٩٦٨م. وايضا: بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب العربية (العرب والامبراطورية العربية)، ترجمة: د. نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط الثانية – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٥٣م

*بشارة، جواد، المسألة الشيعية رؤية فرنسية، دار ميزوبوتاميا ـ بغداد، ط١ ـ ٢٠١٥ م.

*تاكر، جورج، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي الى عام ١٩٢٢م، (مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢).

*تيودور نولدكه، اخبار وانتقادات، ترجمة قاسم العكيلي، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٤)، السنة الثانية ربيع ٢٠١٥.

*الجابري، محمد عابد، العقل الاخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ط١ ـ ٢٠٠١.

*جهاد سعد، التطرف الشيعي في محاضرات الاستشراق الصهيوني (مارتن كريمر انموذجاً)، مجلة دراسات استشراقية، العدد الرابع، السنة الثانية، ربيع ٢٠١٥.

*جواد حديدي، اسلام فولتير، منشورات طوس ـ طهران، طبعة ١٩٧٦ م.

*جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة وتحقيق محمد يوسف، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة، طبعة ٢٠١٣.

*حتي، فيليب تاريخ العرب، ترجمة: ادوارد جرجي وجبرائيل جبور، ط لبنان – ١٩٧٤.

*الحساني، كريم جهاد، الامام زين العابدين في فكر المستشرقين دراسة وتحليل، مجلة دراسات استشراقية العدد (١٥) السنة الخامسة صيف ٢٠١٨. .

*دونالدسن، دوايت. م: .

*رضا ياري نيا، الشيعة الاوائل في التاريخ والدراسات ل ايتان كوهلبرغ، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٢)، السنة الأولى خريف ٢٠١٤. .

*شجاعي، علي رضا، .

*الصدوق، علل الشرائع، صححه وعلق عليه وقدم له: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، طبعة – ١٩٨٨).

*الطبرسي، الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، منشورات مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، ط ٣ – ٢٠٠٠).
*الطبري، أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة – ١٩٦٣.
*عاطف عبد الحميد (كاتب مصري)، مقال من الهرطقة الى السلطة الشيعة في عيون الغرب، www. aljazeera. net.
*عاطف معتمد عبد الحميد، الشيعة في المشرق الاسلامي تصوير المذهب وتفكيك الخريطة، دار نهضة مصر للطباعة ـ القاهرة، ط١ ـ ٢٠١٣.
*عبد الجبار الناجي، الامام علي واشكالية جمع القرآن ودراسات المستشرقين، دار الرافدين ـ بيروت، كندا، ط١ ـ ٢٠١٧.
*عبد الجبار الناجي، التشيع والاستشراق، المركز الاكاديمي للابحاث، منشورات الجمل ـ بغداد ـ بيروت، ط١ ـ ٢٠١١م.
*عبد الله العروي، مفهوم العقل (مقالة في المفارقات)، المركز الثقافي العربي، بيروت–البيضاء، ط١، ١٩٩٦.
*عبدالرحمن أبو المجد: مارتن كرامر المستشرق الذي صبغ الدراسات الدولية بالنظرة الصهيونية، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثانية ربيع ٢٠١٥.
*عصر صدر الاسلام برؤية ماكس فيبر، ترجمة اسعد مندي الكعبي، مجلة دراسات استشراقية، السنة الثالثة، شتاء ٢٠١٦ م.
*عقيدة الشيعة، تعريب: ع. م. ، مؤسسة المفيد ـ بيروت، ط٢ ـ – ١٩٩٠.
*كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، ط ١ ـ– مكتبة مدبولي – القاهرة، ١٩٩٢م.
*لامانس، هنري: دائرة المعارف الإسلامية، نقله الى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، دار المعرفة ـ بيروت ـ د. ت.
*مارجيلوث، محمد وظهور الاسلام، طبعة لندن ـ ١٩٠٥ م.
*محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، دار الساقي، ترجمة هاشم صالح، ط١، ١٩٩٠.
*المطوري، محمد سعدون، الغرب لله. . الشرق للشيطان، مجلة دراسات استشراقية، العدد (٧)، السنة الثالثة ربيع ٢٠١٦.
*مفيد الزيدي: «الاستشراق والمستشرقون: نحو رؤية منهجية»، مجلة «شؤون عربية»، جامعة الدول العربية، ع. ١٤٧، خريف ٢٠١١.
*مينو صميمي، محمّد در اروپا (باللغة الفارسية)، ترجمه إلى الفارسية عباس مهر پويا، نشر اطلاعات ـ طهران، طبعة ١٣٨٤ هـ. ش.
*ناتنج، انطوني، العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام، ترجمة: راشد البراوي، ط مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، طبعة ١٩٧٤م.
*وليام شكسبير، مسرحية الملك هنري الرابع، تحرير تي. دبليو، كريك، لندن، ١٩٩٥.
*وليم الصوري، الحروب الصليبية، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، طبعة ١٩٩٥.
*الياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق ـ سوريا، ط١ ـ ١٩٨٧م.
*اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، طبعة – ١٩٩٣.
*اليغييري، دانتي، الكوميديا الالهية، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف ـ القاهرة، طبعة ١٩٥٤.

شبهات المستشرقين للإمام الحسن عليه السلام
والرد عليها

أ.م.د. رحاب نذير الصفار
م. م. ميسون يونس محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الرحمن والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد...

تعد كتابات المستشرقين واحد من اهم المواضيع في وقتنا الحاضر، وذلك لان العديد من الباحثين ينظرون الى المستشرقين جزء من الحركة التاريخية التي تركت اثرها في الحضارة العربية الاسلامية، كما يعود لهم الفضل في مد جسور التواصل والتفاعل الحضاري بين حضارات العالم القديم، ولكن هذه كتابات لا تخلو من الشطحات والتفاسير التي لا تستند على روايات صحيحة، ولا يفكر بعض المستشرقين في دراساتهم وبحوثهم بعمق حول القضايا، ولا يحيطون بكل أبعادها، ويتوصلون من مقدمات ضعيفة إلى نتائج يعتقدون أنها متينة، قوية في رأيهم، ويعتمدون على تذوقهم في تفسيرها. ولكن، لو كان هؤلاء يدرسون بعمق النصوص الأصلية الّتي تتحدث عن تاريخ تلك المرحلة، مع ملاحظة كل جوانب القضية وابعادها، فمن المحتم أنهم لا يصلون لمثل هذه النتيجة والحكم، كما قادتهم نتائجهم الى قول الزور والباطل عما نسبوه الى الامام الحسن عليه السلام.

وذلك لان الإمام الحسن بشهادة التاريخ، أمضى أيام حياته على عكس ما وصفوها وتحدثوا عنها ونسبوا الى الامام شبهات وطعن هو أشد البعد عنها

لذلك تعد دراسة كتابات المستشرقون في التاريخ الإسلامي من أهم الموضوعات وذلك للوقف على ما تضمنته تلك الكتابات، لاسيما وان عدداً منها قد كتبت لأغراض معينة منها المساس بالدين الإسلامي والتشكيك به، ومهاجمة رموز الإسلام ومحاولة الدس والافتراضات غير المنطقية، لكثرة ما حاولوا تشويهه من التاريخ الإسلامي، من هذا المنطلق، ولغرض بيان هذا النوع من الكتابات ومحاولة الرد عليها، كان اختياري لهذا الموضوع (شبهات المستشرقين للإمام الحسن والرد عليها)

وقد تضمن البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. وقد تضمن

المبحث الأول: السيرة الاجتماعية للإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الثاني: السيرة العلمية للإمام الحسن عليه السلام.

المبحث الثالث: أقوال المستشرقين في الامام الحسن عليه السلام والرد عليها.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الحسن بن علي عليه السلام

المطلب الأول: ولادته ونشأته

الحسن بن علي أبي طالب الهاشمي القرشي هو أول أسباط نبي الإسلام محمد بن عبدي الله صلى الله عليه وآله وحفيده، وخامس الخلفاء الراشدين، والإمام الثاني عند المسلمين، أطلق عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله لقب سيد شباب أهل الجنة فقال : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[١]، وكنيته أبو محمد، أبوه علي بن أبي طالب ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وآله، ورابع الخلفاء الراشدين، وأول الأئمة عند المسلمون، أمه هي السيدة فاطمة بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقيل إنه أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله[٢].

ولد في النصف من شهر رمضان عام ٣هـ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله يحبه كثيراً ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[٣]، وكان يأخذه معه إلى المسجد النبوي في أوقات الصلاة، فيصلي بالناس، وكان الحسن يركب على ظهره وهو ساجد، ويحمله على كتفيه، ويُقبّله ويداعبه ويضعه في حجره ويَرْقيه، كما كان يعلمه الحلال والحرام، توفي جده النبي محمد صلى الله عليه وآله سنة ١١هـ وكذلك توفت أمه فاطمة في نفس السنة

المطلب الثاني: نسبه

الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدرك بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[٤] أبوه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين عند المسلمين، والإمام الأول عند المسلمين، وابن عم النبي محمد صلى الله عليه وآله[٥].

أمه: فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله، لذلك يُعرف ب «سبط رسول الله»،[٦] والسبط كلمة تُطلق على الأولاد بشكل عام، وقيل: أولاد الأولاد، وأولاد البنات، وقيل معناه الطائفة أو القطعة، فيكون معنى « سبط رسول الله» أي قطعة منه دلالة على شدة حبه له وللحسين[٧].

إخوته: للحسن بن علي العديد من الإخوة والأخوات من أبيه، فقد بلغ عدد إخوته من الذكور حوالي عشرين أخا، ومن الإناث ثماني عشرة، أما الإخوة الأشقاء من أبناء فاطمة الزهراء فهم: الحسين والمحسن وزينب وأم كلثوم.[٨] والحسن هو الابن الأكبر لعلي وفاطمة.[٩]

المطلب الثالث: زوجاته وذريته

اختُلف في عدد زوجات الحسن بن علي، وذكروا أنه كان كثير الزواج والطلاق، فقيل إنه تزوج حوالي سبعين امرأة، عن جعفر الصادق: أن عليًا قال : يا أهل الكوفة ! لا تتزوجوا الحسن فإنه مطلاق، فقال رجل: والله لنزوجناه، فما رضي أمسك، وما كره طلق. »[١٠] وقال ابن كثير الدمشقي:» قالوا: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقاً مصداقاً. يقال: إنه أحصن سبعين امرأة. وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم، واحد من بني أسد، وأخرى من بني فزارة وبعث الى كل واحدة منها بعشرة الاف، وبزقاق من عسل. «وذكر ابن أبي الحديد أن عدد زوجاته اكبر من ذلك، وشكك البعض في هذه الأرقام لعدم معرفة اسماء زوجاته إلا القليل منهن، وذكروا أن الروايات التي ذكر بها أعداد زوجاته ذات أسانيد ضعيفة.[١١]

لأمام الحسن عليه السلام اثني عشر ابناً ذكراً للحسن ولم يذكر الإناث، وذكر أنه ولم يعقب منهم سوى الحسن المثنى وزيد بن الحسن، وذكر الفخر الرازي ان له من الأولاد ثلاثة عشر ذكراً وست بنات[١٢].

المطلب الرابع: وفاته

أكثر الآراء تذكر أنه توفي سنة ٤٩هـ وهو قول الواقدي وخليفة بن خياط، وقيل سنة ٥٠ هـ وهو قول المدائني وابن الكلبي والزبير بن بكار، وقيل ٥١هـ وهو قول محمد بن إسماعيل البخاري ورجَحه خالد الغيث. ومات وهو ابن سبع وأربعين سنه، أو ثمان وأربعين سنة، ورُوى أنه قبل مماته رأى رؤيا كأنّ بين عينيه مكتوب قُلْ هُوَ

اللهُ أَحَدُ، ففسرها سعيد بن المسيب أن أجله قد اقترب. «لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع، فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد، ما هذا الجزع؟ ما هو إلا ان تفارق روحك جسدك، فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جديك النبي صلى الله عليه وآله وخديجة، وعلى

أعمامك حمزة وجعفر، وعلى اخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وام كلثوم وزينب، قال: فسري عنه. وفي رواية: ان القائل له ذلك الحسين، ان الحسن قال له: يا اخي اني ادخل في امر من امر الله لم ادخل في مثله، وأرى خلقا من خلق الله لم ار مثله قط. قال: فبكى الحسين عليهما السلام».

ودفن بالبقيع عند قبر فاطمة بنت أسد. واجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسمع أحداً من الزحام.[١٣]

ويعتبر يوم ٧ صفر هو يوم العزاء الذي حددته الحوزة العلمية في النجف. فرحمة الله رحمة واسعة وجعلنا من احبائه في الدنيا والاخرة.

المبحث الثاني: أقوال المستشرقين في الإمام الحسن عليه السلام والرد عليها. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: شبهة المستشرق يوليوس فلهاوزن والرد عليها.

يختلف المستشرقون في تناولهم للتاريخ السياسي للإسلام. فمنهم من اتخذ جانب الحياد ومنهم من انجاز الى ذلك الطرف او ذلك في عرضه للتاريخ السياسي للإسلام انطلاقاً من دوافع عنصرية او عقيدية او لمجرد هوى يدعوه التحيز السقوط في مبالغات غير مقبولة وتقديم طروحات وتأويلات غير صحيحة.. ويقع تحت هذه الطائلة العديد من المستشرقين، ومن هؤلاء المستشرقين:

المستشرقين الألماني يوليوس فلهاوزن[١٤] يعد من المستشرقين المشهورين الذين تخرجوا من جامعة (غتنغن) في قسم اللغات الشرقية، وكان على اتصال دائم بالتاريخ الإسلامي، قترجم قسماً من كتاب (المغازي) إلى اللغة الألمانية.

والمستشرق يوليوس كغيره من المستشرقين الذين اثاروا الشبهات على الأمام الحسن رضي الله عنه، وهي شبهات باطلة عارية عن الصحة، يقول يوليوس فلهاوزن عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: (وأحس.... الحسن أنه أضعف مما يقتضيه منه الموقف، فباع حقه في الخلافة لمعاوية، وتمكن معاوية من دخول الكوفة، واضطر أهل العراق إلى أن يبايعوه، وانتهت بذلك الحرب الأهلية)[١٥]

الرد على الشبهة:

أولاً: إن الإمام الحسن ع كإمام وخليفة كان يتصف بأعلى درجات الشجاعة، وكان لا يتردد في قول الحقّ وفي فعل الحقّ، ور تأخذه في الحقّ لومة لائم.

فقد روي أن معاوية سأل السن ع بعد الصلح أن يخطب الناس، فامتنع، فناشده أن يفعل، فوُضع له كرسيٌّ، فجلس عليه، ثم قال: ((وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت ساداتهم وقادتهم في بني أمية، ولقد وجّه الله إليكم فتنه لن تصدروا عنها حتى تهلكوا؛ لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم))[١٦].

ثانياً: إن أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع يشترط شرط الشجاعة في الإمام ويعلل ذلك بقوله: ((وإذا لم يكن أشجع الناس سقط فرض إمامته؛ لأنه في الحرب فئة للمسلمين، فلو فرّ لدخل فيمن قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١٧]

أما عن شروط كون الإمام أشجع الناس، فيقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع: (((لأنه لا يصح أن ينهزم، فيبوء بغضب من الله تعالى، وهذه لا تصح أن تكون صفة الإمام)) هذه وغيرها من الأدلة والروايات تدل على شجاعة الإمام المعصوم عموماً، وشجاعة الإمام الحسن ع بشكل خاص.

رابعاً: أما تصويرة للحرب التي دارت ما بين الإمام الحسن ع، وبين معاوية بن أبي سفيان بالحرب الأهلية، فإن هذا منتهى الشطط، والخلط، والتجني. إنها حرب ما بين فئتين، وجانبين مختلفين، وبين مكانين، ودولتين، إنها حرب بين فئة مسلمة وأخرى متأسلمة، وما بين الإيمان والكفر، وما بين الجزيرة وتوابعها، والشام وتوابعه، وحرب ما بين دولة الرسول الأكرم ودولة بني أمية.

المطلب الثاني: شبهة المستشرق دونالد دوايت والرد عليها.

كتاب المستشرق دونالدسن عن الإمام الحسن السبط المجتبى عليه السلام في الباب السادس من كتابه (عقيدة الشيعة) سرداً تاريخياً بأحداث عصره وسيرته وقد أخذ معلوماته عن بعض

المصادر المعتبرة والقصصية غير المعتبرة لكنه لم يخف انطباعاته العامة عن شخصية الإمام الحسن عليه السلام وسيرته وملابساتها فقد وقع في أخطاء جسمية ونسب لشخصه الكريم مجموعة من الأباطيل والأكاذيب من دس أقلام السلطة وقد دخلت بعضها التراث الشيعي فذكر هذه المداخيل الزائفة في المصادر الشيعية دليلاً على صحة كلامة وهي في الحقيقة عارية عن الصحة متناً وسنداً كما سنبين ذلك ونقف على المصادر العامة والخاصة ونرى أنها تتعارض مع سمو شخصية الإمام عليه السلام وعلو شأنه ومنها:

الشبهة الأولى:

حاول المستشرقين دونالدسن التركيز في صفحات بحثه عن الإمام الحسن عليه السلام هي عدم صلاحيته وكفاءته للخلافة وقيادة الأمة الإسلامية، وقد صرح بالسبب الذي دعاه إلى أن يعتقد بذلك بعد أن بيَّن بعض الروايات الدالة على شبه الإمام عليه السلام بجده المصطفى جسدياً، قائلاً: (إلا أنه مهما كانت درجة التشابه الظاهري مع النبي صلى الله عليه وآله فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط النفسي والقابلية العلية لقيادة شعبة..)

الرد على الشبهة:

إنّ مسألة هدنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية كانت من أعظم الأمور التي صدرت من شخصية مهمة لها شأن كبير في الإسلام ليكون رأيه قريباً من الصواب وبعيداً عن الخطأ لا سيما إذا علم أنه من أهل البيت عليهم السلام الذين سياستهم كانت لا تتذرع بالوسائل التي شجبها الإسلام في سبيل الوصول إلى الحكم. وفي تحليل أسباب هدنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام نعلم عظم شخصيته وثبات مواقفه ومن الأسباب التي دعت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى مهادنة معاوية:

١.كانت جيوش الكوفة قد أصيبت بالسأم والكلل جراء الحروب المتتالية التي فرضت عليهم في عهد الإمام علي عليه السلام بعد ما أنصبت جهودهم في الفتوحات الإسلامية فقد طحنت الحروب المتكررة فيها جمعاً غفيراً منهم حتى أصبحوا يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية مضافاً لقلة الغنائم التي حصلوا عليها[١٨].

٢.حنكته السياسية وعدم مجازفته بعد أن رأى الأمور جميعاً ليست في صالحه وأن حقن دمه ودماء الشيعة أولى، وقد أكد على هذا الأمر تكراراً عندما اعترض عليه حتى خلص الشيعة حينما أسفوا أن تكون أمورهم قد أوصلتهم الى مهادنة معاوية فتجرَّأ بعضهم على سيدهم وإمامهم ووصفه بمذل المؤمنين فكان قد أجابه بكل صبر وملء قلبه الأسى وبخطى ثابتة متأكد من تصميمه على ما فعله من حقن لدماء المؤمنين قلائلاً: (ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أرفع عنكم القتل)[١٩].

الشبهة الثانية:

التهمة الكبرى الأخرى التي حاول دونالدسن لصقها بالإمام الحسن عليه السلام من دون وجه حق وافتراء عليه جاءت في كتابه: (وقد قضى زهرة شبابه في الزواج والطلاق حتى بلغ من تزوجهن المائة، وسمِّي المطلاق وخلق لعلي أعداء خطرين)[٢٠]. وقد استدل على كلامه ببعض الأباطيل المدسوسة في بعض كتب الشيعة قائلاً: (ويعترف الشيعة أنفسهم أنه كان للحسن ستون زوجة وعدد كبير من السرايا فنقرأ أن عدد نسائه الشرعيات بلغ الستين عدا السرايا أو اللواتي تمنع بهن، وقد ذكر أن عددهن كان بين الثلاثمائة والتسعمائة وقد طلق كثير منهن فسمي بالمطلاق. وقد بلغت علياً عدة شكايات من أناس بارزين في أن الحسن كان يتزوج بناتهم ولا يلبث أن يطلقهن، وكان الجواب الوحيد لعلي هو أن لا ينكحونه بناتهم)[٢١]

الرد على هذه الشبهة:

أن سند هذه الروايات ضعيف لوجود كذابين ووضاعين مثل محمد بن عمر الواقدي[٢٢]، والمدائني[٢٣]، وأبو القاسم علي بن إبراهيم[٢٤] وغيرهم، ومن ناحية المتن ففي مثل تلك الروايات إشكالات عديدة وأنها متناقضة، فمنها أن أسماء أزواج الإمام عليه السلام اللواتي قام بطلاقهن وأنسابهن غير معلوم وفيها دلالة واضحة على أن هذا الاتهام قد أطلق جزافاً، فأبو الحسن المدائني الذي أطلقت عليه المصادر لقب النسابة العالم نسب للإمام الحسن عليه السلام سبعين زوجة[٢٥]، وسمّى إحدى عشرة منهن فقط، أضعف الى ذلك أنّ الخلاف العجيب والشاسع بين تعداد أزواجه عليه السلام أيضاً دليل على اختلاف مثل هكذا

روايات فقد عدت زوجاته من الحرائر وأمهات الأولاد من سبعين زوجة الى ثلاثمائة[٢٦] وذريته عليه السلام قد سجلها المؤرخون ما بين سبع[٢٧] وخمس وعشرون وهو رقم طبيعي غير دال على كثرة زوجاته أبداً.

وإذا كان الإمام الحسن السبط عليه السلام مطلاقاً فلم يطلق إحدى زوجاته التي أودت بحياته التي اعترف دونالدسن بما كانت تكن من عداء له[٢٨] وكان عليه السلام صابراً محتسباً يتحمل أذاها وهي التي قامت باغتياله مرات عدّة[٢٩] فأين صفة الملاق من الإمام الحسن عليه السلام.

الشبهة الثالثة.

وفي معرض الرد على هذا الكلام نقول: على النقيض تماماً فإنّ العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانت على أحسن ما يرام ولم تكن علاقة والد وولد بل كانت علاقة معلم وتلميذ وهذا واضح تماماً من خلال الوصية الخالدة التي تركها لولده الحسن عليه السلام بعد منصرفة من صنفين.

وكان الإمام علي عليه السلام يتعامل مع ولده الإمام الحسن عليه السلام كوزير له وتشهد له ذلك وقائع عصر خلافته (٣٥- ٤٠هـ) فهو الذي حرّض أهل الكوفة لقتال أصحاب الجمل واستطاع أن يجمع لأبية تسعة آلاف شخص[٣٠] وكان حاضراً في حرب صفين وقد بذل فيه أقصى درجات التفاني في الدفاع عن الحق.

المطلب الثالث: مجموعة من الشبهات التي ذكرها المستشرقين.

أنحى الباحثون المستشرقون باللائمة على الحسن عليه السلام لآنه صالح وتنازل عن الحكم لخصمه معاوية بشروط ولم يف له بشيء منها، وقد وصفوه بأنه لم يكن رجل الساعة المطلوب، ولم يكن ابنا جدير لعلي عليه السلام، وانه كان شخصية متخاذلة انصرف إلى ملذاته وشهواته، وفيها يلي ما عثرنا عليه من كلماتهم في هذا السبيل:

الدكتور فيليب حتي اللبناني.

قال: (ولكن الحسن الذي كان يميل إلى الترف والبذخ لا إلى الحكم والإدارة لم يكن رجل الموقف فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها معاوية)[٣١].

جرهارد كونسلمان الاماني المعاصر:

قال جرهارد كونسلمان في كتابه (سطوح نجم الشيعة) (Gerhard Konslman) لقد باع (الحسن) المنصب الذي تركه محمد صلى الله علية وسلم وآله لنسله من اجل المال .... ويقال انه مات بالسل والهزال.

وقد حاولت شيعة علي في القرون اللاحقة تجميل صورة هذا الزعيم الضعيف التعس، فقد اجتهد في جعل الحسن ضمن شهداء المذهب الشيعي، فنشأت لذلك رواية تقول ان الحسن قتل بتدبير معاوية .... ولكن من المستبعد ان يكون معاوية ضالعا في موت الحسن، فمثل هذه الجريمة غير الضرورية لن يقدم بها الخليفة أدراك تماما أين الرجل المهم وأين الرجل الذي صار في الظل)[٣٢].

بروكلمان الالماني ١٩٥٦ – ١٨٦٨.

وقال (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) : (ان الحسن لم يكن رجل الساعة الذي تحتاجه الدول فقد رفض ان يقود جنده في هجوم على خصمه)[٣٣].

بيرسي سايكس.

ويرى (سايكس) ان الحسن غير جدير بان يكون ابنا لعلي لأنه شغل بملذاته بين نسائه واكتفى بإرسال اثني عشر ألف جندي كطليعة لجيشه بينما احتفظ بقلب الجيش في المدائن حيت ظل يبتزه في الحدائق وخاف ان يجرب حظه في ميدان القتال[٣٤]

هوامش البحث

١) فضل الحسن والحسين، الموسوعة العقدية.

٢) البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، الجزء الثامن، الحسن بن علي بن أبي طالب.

٣) صحيح البخاري، كاتب اللباس، باب السخاب للصبيان، بالرقم(٥٥٤٥)

٤) الكتب العقائدية، آية الله السيد علي الحسيني الميلاني، قادتنا كيف نعرفهم (الجزء الثالث)، نسب علي بن أبي طالب.

٥) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، سير الخلفاء الراشدين، سيرة أبي الحسنين علي رضي الله عنه، ترجمة أبي الحسنين علي ومناقبه، طبعة مؤسسة الرسالة.

٦) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ومن صغار الصحابة، الحسن بن علي بن أبي طالب، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

٧) لسان العرب لأبن منظور، حرف السين، دار صادر، ٢٠٠٣م.

٨) ابن كثير الدمشقي. البداية والنهاية. ويكي مصدر.

٩) احمد ثريا (٢٠١١)، علي بن أبي طالب سياسياً.

١٠) علي محمد الصلابي (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م). كتاب أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره. (الطبعة الأولى). القاهرة- مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١١) مدخل الإمام الحسن، دائرة المعارف بزرك إسلامي، مدخل الإمام الحسن.

١٢) سنن الدارقطني، كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، باب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره، دار المؤيد ٢٠٠١م.

١٣) ولادة الإمام الحسن المجتبى.

١٤) ولد يوليوس فلهاوزن في مدينة هملين في المانيا عام ١٨٤٤، تخصص في البداية بدراسة التوراة واللغات السامية لينتقل بعد سنتين من التدريس الى دراسة اللغات الشرقية مع هاينريش ايفالد (١٨٠٣- ١٨٧٥)، وبالإضافة الى العبرية اطلع على اللغات السنسكريتية والتركية والفارسية، وعلى الرغم من تخصصه باللاهوت وتدريسه العبرية كان يكرس جهدا كبير لدراسة اللغة العربية، توفي في جتنجن في المانيا عام ١٩١٨م، ينظر: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات: صلاح سليم علي، الحوار المتمدن، العدد ٥٦١٩، ٢٤/٨/ ٢٠١٧.

١٥) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن، مراجعة: حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة- ١٩٦٨م.

١٦) شرح نهج البلاغة: عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية- دمشق.

١٧) رسالة المحكم والمتشابه المنسوبة الى الشريف المرتضى علم الهدى (ت٤٣٦هـ): أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن ابراهيم بن جعفر النعماني، تحقيق: السيد عبد الحسين الغريفي البهباني، الأستانة الرضوية المقدسة، ط٢.

١٨) ينظر: مقاتل الطالبيين: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو

الفرح الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
١٩) الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ) تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة- ١٩٦٠م، ط١.
٢٠) عقيدة الشيعة: دونالدسن، دوايت. م: تعريب: ع.م.، مؤسسة المفيد - بيروت- ١٩٩٠م، ط٢.
٢١) عقيدة الشيعة
٢٢) محمد بن عمر الواقدي السهمي الأسلمي المدني (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) أبو عبدالله من أقدم المؤرخين في الإسلام ولد بالمدينة وانتقل الى العراق في أيام الرشيد وأتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة فولي القضاء ببغداد واستمر إلى أن توفى فيها، من أشهر كتبه: المغازي النبوية، ضعفة أهل الحديث ورموه بالكذب تارة وبالوضع تارة أخرى وحكموا بعدم حجيّة رواياته المسندة فضلاً عن التي يرسلها أو يحدثها عن نفسه بلا إسناد. ينظر: القول الحسن في عدد زوجات الامام: الشيخ وسام برهان البلداوي.
٢٣) علي بن عبدالله، أبو الحسن المدائني (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) مولى عبدالرحمن بن سمرة: رواية مؤرخ كثير التصانيف من أهل البصرة سكن المدائن ثم انتقل الى بغداد فلم يزل بها أن توفي. من المتهمين بالكذب في الحديث وذكر أن مسلم في صحيحة قد امتنع من الرواية عنه وأن ابن عدي قد ضعفة ويروي عن عوانه بن الحكم المعرف بولائه لعثمان والأمويين بالإضافة إلى أن أكثر رواياته من المراسيل. للتفاصيل ينظر: القول الحسن.
٢٤) أبو القاسم علي بن إبراهيم (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٤م) من أشد المبغضين للشيعة إذ أوصى قبل أن لا يحضره ولا يتولاه أحد من الشيعة. قال الذهبي: (وأوصى أن لا يتولاه أحد من الشيعة) ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ) دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٥) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٢.
٢٦) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت٤٣٦هـ) حقيق: يوسف بقاعي، دار الأضواء -بيروت- ١٩٩١م، ط٢.
٢٧) ينظر: البدء والتاريخ: المقدسي، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ) اعتنى بنشره: كليمان هيوار، مكتبة المثنى - بغداد.
٢٨) عقيدة الشيعة.
٢٩) المصدر نفسه.
٣٠) تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير بن زيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الكتاب العلمية - بيروت- ١٤٠٧هـ، ط١.
٣١)العرب: حتي، فيليب، كتبه بالإنجليزية وطبع لأول مرة لندن سنة ١٩٣٧م.
٣٢) ينظر: سطوع نجم الشيعة (Star shia surface): جرهارد كونسلمان، ترجمة من الالمانية محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي - القاهرة- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ط٢.
٣٣) تاريخ الشعوب الاسلامية: كارل بروكلمان، دار العلم للملايين- ١٩٦٨م.
٣٤) ينظر: تاريخ فارس: السير بيرسي مولسورث سايكس، المكتبة الرقمية العالمية -١٩٢١.

المصادر والمراجع

١.الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي – عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة- ١٩٦٠م، ط١.

٢.أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: شخصيته وعصره: علي محمد محمد الصلابي (الطبعة الأولى). القاهرة – مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣.البدء والتاريخ: المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ) اعتنى بنشره: كليمان هيوار، مكتبة المثنى- بغداد.

٤.البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، الجزء الثامن، الحسن بن علي بن أبي طالب.

٥.تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٧هـ، ط١.

٦.تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: المستشرق الألماني يوليوس فلهوزن، مراجعة: حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٦٨م.

٧.تاريخ الشعوب الاسلامية: كارل بروكلمان، دار العلم للملايين – ١٩٦٨م.

٨.تاريخ فارس: السير بيرسي مولسورث سايكس، المكتبة الرقمية العالمية – ١٩٢١.

٩.دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات: صلاح سليم علي ، الحوار المتمدن، العدد ٥٦١٩، ٢٤/ ٨/ ٢٠١٧.

١٠.رسالة المحكم والمتشابه المنسوبة الى الشريف المرتضى علم الهدى (ت٥٤٣٦) : أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني، تحقيق: السيد عبد الحسين الغريفي البهباني، الآستانة الرضوية المقدسة، ط٢.

١١.سطوع نجم الشيعة (Star shia surface): جرهرد كونسلمان، ترجمة من الالمانية محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي – القاهرة – ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ط٢.

١٢.سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن نعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (٣٨٥هـ) تحقيق : شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان – ١٤٣٤ هـ - ٢٠٠٤م.

١٣.سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) دار الحديث –القاهرة – ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٤.شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسن بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت ٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية- دمشق.

١٥.صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله (ت٢٥٦هـ) تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليامة – بيروت- ١٤٠٧- ٢٩٨٧، ط٣.

١٦.العرب : حتي، فيليب، كتبه بالإنجليزية وطبع لأول مرة لندن سنة ١٩٢٧م.

١٧.عقيدة الشيعة: دونالدسن، دوايت. م: تعريب: ع. م.، مؤسسة المفيد- بيروت – ١٩٩٠م، ط٢.

١٨.فضل الحسن والحسين وضي الله عنهما، الموسوعة العقدية.

١٩.القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن: الشيخ وسام برهان البلداوي.

٢٠.الكتب العقائدية، آية الله السيد علي الحسيني

الميلاني.
٢١.لسان العرب لآبن منظور.
٢٢.مدخل الإمام الحسن: دائرة المعارف بزرك إسلامي.
٢٣.مقاتل الطالبيين: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت.
٢٤.مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٤٣٦هـ) حقيق: يوسف بقاعي، دار الأضواء- بيروت- ١٩٩١م، ط٢.
٢٥.ولادة الإمام الحسن المجتبى.

المحور الرابع:

الآخر في خطاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

الاخر في شخصيّة الامام الحسن المجتبى عليه السلام
((القيم العربية الاسلامية أنموذجا))

ا . م . د حيدر نزوين

ملخص

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، تعد القيّم العربية الأصيلة من الصفات والخصال التي جبل عليها العرب فكانوا منذ قديم الزمان يحملون هذه السمات والخصائص النبيلة التي كانت تقدمهم على الأقوام المجاورة (كالفرس والروم) وقد تغنى الشعراء بهذه الخصال النبيلة وكانوا يشيدون بقبائلهم لما انتشر عنها وسمع من أبنائها وعلى الرغم من وجود هذه الصفات الكريمة إلا أنه يوجد إلى جنبها صفات أخرى رديئة وشائنة انتقدها القرآن الكريم بعد نزول الوحي على النبي الأكرم ﷺ وقد دعا الرسول الكريم مراراً وتكراراً الى خلعها ونبذها؛ كي يكون العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ومن تلك الصفات وأد البنات والغارات التي كنت تشن بين القبائل بين الفينة والفينة وقد نهى الباري عز وجل العرب في آيات كثيرة عن ارتكاب هذه الأعمال والممارسات بل أنّه هذب العرب فحثّ على الصفات الحميدة وشجع عليها ونسخ الرديئة وحثهم على اجتنابها وقد قسمنا بحثنا الموسوم بـ((الاخر في شخصية الامام الحسن، القيم العربية الانسانية انموذجا)) على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة فضلا عن قائمتين إحداهما لهوامش البحث والأخرى لمظانه الرئيسة وقد تناول المبحث الأول محورين الأول منهما درس فيه الباحث:

القيّم لغة واصطلاحا، والثاني منهما تضمن دراسة لنبذة عن سيرة الامام الحسن المجتبى عليه السلام، ووسم المبحث الثاني بـ((القيّم العربية لدى الامام الحسن المجتبى عليه السلام وتضمن هذا المبحث: الكرم والشجاعة فيما أطلقت على المبحث الثالث: القيّم الإسلامية في شخصية الإمام الحسن عليه السلام، وقد درست فيه: العلم والعبادة والوقار

وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها:

مصادر التاريخ ومراجعه

مصادر اللغة

مصادر العقيدة

مصادر الأدب

المصادر القرآنيّة

والباحثان لم يدخرا جهداً من أجل انجاز هذا البحث المتواضع الذي يضعه بين أيديكم خدمة للدين والمذهب والعلم فهو لا يدعي الكمال لأنه من صفات العزيز الكريم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد توصّل الباحثان في خضم هذه الدراسة إلى مجموعةٍ من النتائج يمكن تلخيصها على النحو الآتي

هنالك اختلاف كبير بين القيّم العربيّة والقيّم الاسلاميّة فالأولى نشأت قديما أي قبل الإسلام والثانيّة نشأت في صدر الاسلام

من القيّم العربيّة التي توافرت في شخصيّة الامام الحسن عليه السلام هي الشجاعة والكرم فضلا عن خصلة الهيبة التي ورثها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله

من القيّم الإسلاميّة التي لمسناها في شخصيّة الامام الحسن عليه السلام هي: (العلم والفصاحة والبلاغة فضلاً عن خصلة التواضع.

استطاع الإمام الحسن عليه السلام أن يجيب عن الأسئلة التي وجهت إليه وبعض منها كانت موجهة الى الخلفاء وقد انقذهم الامام في اللحظة المناسبة.

صاغ الإمام الحسن آثاره الأدبيّة والتي تنقسم على صنفين هما الشعر والنثر صياغة أدبيّة عاليّة قلّ نظيرها.

الآثار النثريّة التي تمثلت بالرسائل الأدبيّة وظفها الإمام الحسن عليه السلام توظيفاً فعالاً للإبلاغ عن المقصود بالدلالة فهي تمثل قمة الفصاحة والبلاغة.

احتوت الخطب التي ألقاها الإمام الحسن على آيات من القرآن الكريم والتي كانت تشير الى فضائل آل البيت ومنزلتهم ومناقبهم ومآثرهم الخالدة فضلاً عن الصفات التي ورثوها عن سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله.

الآثار الشعريّة التي نظمها الإمام الحسن عليه السلام في مناسبات مختلفة مثلت موضوعات الزهد والموعظة والنصح وابتعاد النفس عن الشهوات والملذات خدمة للإسلام الحنيف

معظم القيّم العربيّة والاسلاميّة للإمام الحسن عليه السلام وصلت إلينا من خلال الروايات التاريخيّة المسندة من خيرة الرواة فهي تمثل صورة ناصعة لتراث آل البيت عليهم السلام خاصة و للمسلمين بصورة عامة.

Abstract

Praise be to Allah, prayer and peace be upon the best of His creation wholes Muhammad and his family and companions and after, authentic Arab values of attributes and qualities that mount the Arab longer They were since ancient times have these features and noble characteristics that were put themselves on neighboring tribes Calvers and rum were poets such qualities noble and they hail Bakbailhm to spread them and heard from their children and in spite of the existence of these precious qualities, however, beside her other recipes poor and infamous criticized the Koran after the revelation to the Holy Prophet (Allah bless him and his family) has the Holy Prophet repeatedly called for the deposed and discarded in order Arabs have the best nation out of people enjoin good and forbid evil, and those qualities female infanticide and raids that you are waging between tribes forbade Bari Almighty Arabs in many verses from committing such acts and practices, but it is styled Arabs urged on the good qualities and encouraged them and copy shoddy and urged them to offs were divided research is marked by ((Arab values inherent in the personality of Imam Hassan Mujtaba p)) on the three sections preceded the introduction and ended with a conclusion as well as two lists, one of the margins of research and other suppositions president has addressed the first part, the first two axes of them a researcher: the values he studied the language and idiomatically, the second of them included a study of the brief biography of Imam Hassan Mujtaba (aS), and the marking of the second section (b (Arab values of Imam Hassan Mujtaba (aS) and included this section: generosity and courage in launched on the third section of Islamic values in the personality of Imam Hassan (aS)،has been studied in it: science and worship and reverence

The researcher used the range of sources and references mention them:

1 .sources of history and Review

2 .Language sources

3 .sources of faith

4 .sources of literature

5 .Quranic sources

And researcher in this research has spared no effort in order to accomplish

this research modest puts it in your hands the service of religion and doctrine and science, it does not claim perfection because of the qualities of Aziz Karim and Praise be to Allah, prayer and peace be upon the best of His creation Muhammad and his family and companions

المقدِمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن والاهم الى يوم الدين وبعد، تعد القيّم العربيّة الأصيلة من الصفات والخصال التي جبل عليها العرب فكانوا منذ قديم الزمان إذ يحملون هذه السمات والخصائص النبيلة التي كانت تقدِمهم على الأقوام المجاورة كالفرس والروم وقد تغنّى الشعراء بهذه الخصال النبيلة وكانوا يشيدون بقبائلهم لما انتشر عنها وسمع من أبنائها وعلى الرغم من وجود هذه الصفات الكريمة إلا أن بجانبها صفات أخرى رديئة وشائنة انتقدها القرآن الكريم بعد نزول الوحي على النبي الأكرم ﷺ وقد دعا الرسول الكريم مراراً وتكراراً الى خلعها ونبذها؛ كي يكون العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ومن تلك الصفات ظاهرة وأد البنات التي انتشرت في أيام الجاهليّة والغارات التي كنت تشن بين القبائل بين الفينة والفينه، وقد نهى الباري عز وجل العرب في آيات كثيرة عن ارتكاب هذه الأعمال والممارسات بل أنه هذّب العرب فحث على الصفات الحميدة وشجّع عليها ونسخ الرديئة ودعاهم إلى اجتنابها وقد قسّمتُ بحثنا الموسوم بـ((الاخر في شخصيّة الامام الحسن المجتبى عليه السلام، القيم العربية الاسلامية انموذجا)) على ثلاثة مباحث سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة ذكرت فيه لأهم النتائج التي توصّل اليها الباحثان فضلا عن قائمتين إحداهما لهوامش البحث والأخرى لمظانه الرئيسة وقد تناول المبحث الأول الذي وسم بـ((دراسة العناصر الأساسيّة لعنوان البحث)) إلى محورين الأول منهما درس فيه الباحثان: القيّم لغةً واصطلاحاً، والثاني منهما تضمّن دراسة لنبذة عن سيرة الامام الحسن المجتبى عليه السلام، ووسم المبحث الثاني بـ((القيّم العربيّة في شخصيّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام)) وتضمّن هذا المبحث: الكرم والشجاعة فضلاً عن الهيبة فيما أطلقتُ على المبحث الثالث بـ: ((القيّم الإسلاميّة في شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام))، وقد درست فيه: العلم والعبادة علاوة على التواضع وقد استعان الباحثان بمجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها:

١.مصادر التاريخ ومراجعه

٢.مصادر اللغة

٣.مصادر العقيدة

٤.مصادر الأدب

٥.المصادر القرآنيّة

والباحثان في هذا البحث لم يدخرا جهداً من أجل انجاز هذا البحث المتواضع الذي يضعه بين أيديكم؛ خدمةً للدين والمذهب والعلم، فهما لا يدعيان الكمال لأنه من صفات العزيز الحكيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحثان

المبحث الأول

دراسة العناصر الأساسيّة لعنوان البحث

أولاً: القيّم في اللغة والاصطلاح

أ) القيّم من الفعل الماضي الثلاثي الأجوف: قام، يقوم، قياماً وهو المصدر وقيماً وتقييماً والأصل في الفعل أنه أجوف واوي وقد طرأت عليه بعض التحولات(الإعلال) حتى أصبح (قيّم)[١] وهو على الرأي الأقل شهرة، وقد تعرف لغةً بأنها جمعٌ لكلمة قيمة، وهي الشيء ذو المقدار، أو الثمن[٢].

ب) وتُعرّف اصطلاحاً بأنها مجموعة الصفات الأخلاقيّة، التي يتميّز بها البشر، والتي تقوم الحياة الاجتماعيّة عليها، ويتمّ التعبير عنها باستعمال الأقوال والأفعال[٣]، وتُعرّف أيضاً: بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربيّة الإسلاميّة في توجيه السلوك البشري للقيام بكل عمل، أو قول يدلّ على الخير. وقد تُعرّف القيّم بأنّها معاييرٌ، وأسسٌ متعارفٌ عليها من ضمن المجتمع الواحد، وتُشير إلى طرق تعامل الأفراد معاً، والموافقة على السلوك المقبول ورفض غير اللائق من ذلك السلوك[٤]

ويرى الباحث أنّ التعريف الأخير هو الأعمق مضموناً والأوسع صلةً من الحدود الأخرى التي سبقته؛ فهو يحقق الشمول والاتّساع المعنوي فضلاً عن الدقّة في الوصف. ولم ترد هذه اللفظة بالصيغة نفسها في القرآن الكريم وإنما وردت بصيغة أخرى مثل قوله تعالى: ((ذلك الدين القيّم))[٥] وقيّم هنا بمعنى مستقيم لا زيغ فيه ولا ابتعاد عن جادّة الصواب وفي قوله تعالى في موضع آخر: ((فيها كتب قيّمة))[٦] أي مستقيمة تعزل الحق عن الباطل ومن السمات التي تتسم بها القيّم العربيّة: أنها تعد صفةً من الصفات الإنسانيّة، والتي يسعى كل فرد للمحافظة عليها إذ تحتوي على جانبين أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، ويعتمد تقسيم كل قيمة بناءً على رأي الناس فيها ونظرتهم إليها. فهي التي تجعل الإنسان يتصرّف على وفق سلوك معين[٧]. وفي الوقت نفسهِ تمنع الأفراد من القيام بتصرفات لا تتناسب مع القيّم الحسنة التي اكتسبت صفة الاستمراريّة؛ بسبب محافظة الناس على تطبيقها. وتختلف القيّم عن بعضها البعض في مجال تأثيرها في الأفراد. فهي التي تبرر السلوك الذي يتّبعه الشخص

في أثناء التعامل مع الأشخاص الآخرين. والقيّم على أنماط متعددة منها: (القيّم الأخلاقيّة والقيّم الاجتماعيّة والقيّم النفسيّة والقيّم الروحيّة، وغيرها [٨] فطبيعة تقسيمها يعتمد على العلم الذي ترد فيه والمنهج الذي يروم الباحث الدراسة فيه وتنماز الأخلاق بوصفها جزءاً لا يتجزأ من القيّم؛ لأنّها من أهم أنواع القيّم البشريّة. وللقيَّم أهميّة كبرى في المجتمعات البشريّة، إذ لا يوجد اختلافٌ بين الناس على دورها المؤثّر والفعّال في الحياة البشريّة فهي التي تسهم في تغيير السلوك السيئ، وتحويله إلى سلوك جيد؛ كي ترتبط بالإرادة البشريّة والتي تدفع الإنسان للالتزام بالقيّم. فهي تُعَدُ وسيلةً من وسائل نهوض المجتمعات[٩]

ثانياً: نبذة عن حياة الامام الحسن المجتبى عليه السلام: الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام هو الإمام الثاني من أئمة الرحمة وينابيع الهدى وآل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا؛ فهم موضع الرسالة ومختلف الملائكة بهم فتح الله وبهم يختم وهو أحد أصحاب الكساء الخمسة ولد سلام الله عليه في الليلة الخامسة عشرة من شهر رمضان الكريم من السنة الثالثة للهجرة النبويّة الشريفة على أغلب الروايات[١٠] فيما ذهب بعضهم الى أنه ولد في السنة الثانيّة للهجرة[١١] وتشير معظم مصادر التاريخ إلى أن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله أول من سماه بهذا الاسم بعد أن أنزل الله على رسوله قوله: ((إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون))[١٢]، فقال الرسول إن لساني عربي، فقال جبرائيل عليه السلام ((سمه الحسن))[١٣] ويطلق النحويون مصطلح الألف واللام الداخلة للمح الصفة على كل ألف ولام تدخل على الصفة لتحولها إلى اسم ومثال ذلك الحسن والعباس والحسين وغيرها[١٤].

وللإمام الحسن عليه السلام علاقة وطيدة وقويّة بجده رسول الله صلى الله عليه وآله منذ ولادته والذي يثبت ذلك أنه تلقاه بيده المباركتين وسماه وأذّن في أذنيه الكريمتين[١٥] فضلًا عن كون رسول الله قد قام بحلق شعر الامام وتصدق بوزنه من الذهب أو الفضة[١٦]. تولّى الإمام الحسن عليه السلام مقاليد الخلافة بعد استشهاد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة[١٧] ولكن خلافته لم تستمر لأكثر من ستة أشهر فاتّفق الطرفان العلوي والأموي على معاهدة الصلح سنة (٤١هـ)[١٨] وكان استشهاده عليه السلام في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٥٠ هـ على يد زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي

بعد أن دّست له السم في اللبن وقيل أنه كان صائماً في تلك الليلة[١٩]. وفي رواية أخرى قيل أن وفاته عليه السلام في نهايّة شهر صفر من الشهر نفسه[٢٠].

المبحث الثاني: القيّم العربيّة في شخصيّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

والفارق الأسلوبي بين القيّم العربيّة والقيّم الاسلاميّة بصورة عامة أن الأولى كانت موجودةً في عصر الجاهليّة؛ وعندما نزل الاسلام في جزيرة العرب أكّد على العمل الصالح منها وحرَص على تطبيقه وأشاد به رسول الله صلى الله عليه وآله في حين أن القيّم الإسلاميّة جاء بها الإسلام بعد دخوله الى أرجاء الجزيرة العربيّة؛ ولم تكن معروفة فيما سبق وسنتطرق في هذا المبحث الى محورين هما: (الكرم والشجاعة).

أولاً: الكرم / وهي من الصفات الحميدة في جميع الأحوال وفي شتى الظروف، ويعد انتصاراً على النفس والغلبة على الشهوة؛ لأنّ النفس الانسانيّة مرتبطة بأعباء الدنيا، فلا يتعالى الإنسان على هذه الأثقال إلاّ بالكرم والجود، والذي يحفِز الإنسان إلى الكرم والإنفاق هو دافع أقوى من شهوة المال وقيود الحرص، والطمع ألا وهو دافع التقوى وحب الخير وحب الكمال والسمو، والتقرب إلى الله عزّ وجلّ[٢١]. والكرم صفة ملازمة للقيادة الصالحة الناجحة؛ فبها يستهوى الناس ويشدّهم إلى ما يمليه عليهم من مفاهيم وقيّم ومن نصائح وإرشادات، ويدفعهم لمراجعة أفكارهم وعواطفهم وممارساتهم وإصلاحها حياءً أو قناعة ويقابل ذلك الكرم والجود والإحسان إليهم. وقد انماز الإمام الحسن عليه السلام بهذه الصفة وكان قمّةً في الكرم والجود والإحسان إلى الآخرين. فقد روى أنّه: ((لم يقل لسائل قط: لا، وكان لا يأنس به أحد فيدعه حتى يحتاج إلى غيره، حتى عُرِفَ عليه السلام بكريم أهل البيت عليهم السلام. واشترى حائطاً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف فبلغه أنّهم احتاجوا ما في أيدي الناس فردّه إليهم)) [٢٢]. وهذه من الممارسات نادرة إذ لم يحدّثنا التاريخ أنّ كريمًا ـ من غير أهل البيت عليهم السلام لم يقل لسائل قط: (لا). ومن كرمه وجوده أنّه يوصل بعض الذين يكرمهم إلى مرحلة متقدّمة من العيش الرغيد إذ لا يحتاج إلى الآخرين؛ لأنّ ما يحصل عليه يسعفه للاعتماد على نفسه وامكاناته. ويشهد على تلك الروايات التاريخيّة معظم المؤرخين وفي خضم هذا المضمار نذكر رأي ابن كثير إذ قال:

((وقد كان من الكرم على جانب عظيم))[٢٣]، وقول محمد بن سيرين الذي يقول: ((رُبّما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف))[٢٤]. وقال ابن منظور في كتاب التاريخ: ((وذكروا أنّ الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا ؟ فقال: أنّي أستحي منه أن أأكل ولا أطعمه، فقال له الحسن عليه السلام لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فاعتقه وملّكه الحائط))[٢٥]. وروي أنّه ((وقف رجل على الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا بن أمير المؤمنين بالّذي أنعم عليك بهذا النعمة الّتي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك إلاّ ما انصفتني من خصمي فإنّه غشوم ظلوم، لا يوقّر الشيخ الكبير ولا يرحم الطفل الصغير، وكان متّكئا فاستوى جالساً وقال له: من خصمك حتى أنتصف لك منه؟ فقال له: الفقر، فأطرق عليه السلام ساعة ثم رفع رأسه إلى خادمه وقال له: أحضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم، فقال: ادفعها إليه، ثم قال له: بحق هذه الأقسام الّتي أقسمت بها عليّ متى أتاك خصمك جائراً إلاّ ما أتيتني منه متظلّماً))[٢٦]. وقال ابن شهراشوب: ((ومن سخائه عليه السلام ما روي أنّه سأل رجل الحسن بن علي عليهما السلام فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: ائت بحمّال يحمل لك، فأتى بحمّال فأعطاه طيلسانه، فقال: هذا كري الحمّال، فقال: اعطوه ما في الخزانة، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعها إلى الأعرابي))[٢٧]. وقيل له عليه السلام: لأي شيء نراك لا ترد سائلًا وإن كنت على فاقة ؟ فقال: ((إنّي لله سائل وفيه راغب وأنا أستحيي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً، وإنّ الله تعالى عوّدني عادة؛ عوّدني أنْ يفيضَ نعمه عليّ، وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى أن قطعت العادة أن يمنعني العادة))[٢٨]، وأنشأ

إذا ما أتاني سائل قلتُ مرحباً ... بمن فضلَه فرضٌ عليّ معجّلُ

ومن فضلهِ فضلٌ على كلِ فاضلٍ ... وأفضلُ أيام الفتى حينَ يُسألُ))[٢٩].

وقال فيه حبر الأمة عبدالله بن عباس: ((قاسم الله ماله ثلاث مرّات، حتى أنّه يعطي الخفَّ ويمسك النعل))[٢٩]. وهذا ما قاله علي بن زيد[٣٠] بن جدعان أيضاً[٣١]. وقال سعيد بن عبدالعزيز[٣٢]: ((سمع الحسن بن علي رجلًا إلى جانبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم،

فانصرف، فبعث بها إليه)) [٣٣]. وقال القاسم بن الفضل الحدّاني[٣٤]: ((حدّثنا أبو هارون قال: انطلقنا حجّاجاً، فدخلنا المدينة، فدخلنا على الحسن، فحدّثناه بمسيرنا وحالنا، فلما خرجنا بعث إلى كل رجل منّا بأربعمائة فرجعنا فأخبرناه بيسارنا، فقال: لا تردّوا عليّ معروفي فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيراً، إنّ الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة)) [٣٥].

ثانياً: الشجاعة وهي من القيّم التي كانت سائدة في مجتمع قبل الإسلام وفي حديث رسول الله ﷺ: ((علموا أبناءكم الرمايّة وركوب الخيل))[٣٦] دليل على عناية الإسلام واهتمامه بهذه الصفة إنّ هدايّة الناس واصلاحهم بحاجة إلى الشجاعة والاقدام؛ لأنّها تصطدم بشهوات البعض وبالضعف النفسي لهم، وتصطدم بالجاهلين الذين يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، وبالمنحرفين الذين يبغضون الهدايّة والسمو، وبالأعداء والمتآمرين؛ ومعالجة كل هذا بحاجة إلى التسلّح بالشجاعة، من دون خوف أو وجل أو تردد أو تراجع. والإمام الحسن عليه السلام كإمام وخليفة كان يتصف بأعلى درجات الشجاعة، وكان لا يتردد في قول الحقّ وفي عمله إذ لا تأخذه في الحقّ لومة لائم[٣٧].

روي أنّ معاويّة سأل الإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح أن يخطب بالناس فامتنع، فناشده أن يفعل، فوضع له كرسيّ، فجلس عليه، ثم قال: ((. . . وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أميّة، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا؛ لطاعتكم طواغيتكم، وانضوائكم إلى شياطينكم، فعند الله أحتسب ما مضى وما ينتظر من سوء دعتكم، وحيف حكمكم. . .)) [٣٨].

وفي ردّه على معاويّة قال[٣٩]: ((هيهات !! لشر ما علوت به يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان، بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنّك لا خير فيك، فإنّ الله قد برّأني من الرذائل كما برأك من الفضائل))[٤٠]

وفي مجلس لمعاويّة طعن عمرو بن العاص بالإمام الحسن عليه السلام، فخاطب الإمام عليه السلام معاويّة قائلاً: ((يا معاويّة لا يزال عندك عبد راتعاً في لحوم الناس، أما والله لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور، وتحرّج منه الصدور))[٤١]. ثم أنشأ يقول:

أتأمر يا معاوي عبد سهم بشتمي والملا مّا شهود [٤٢]

فهل لك من أب كأبي تسامى به من قد تسامى أو تكيد
ولا جد كجدي يا ابن حرب رسول الله إن ذكر الجدود
ولا أم كأمي من قريش إذا ما حصل الحسب التليد
فما مثلي تهكم يا ابن حرب ولا مثلي ينهنهه الوعيد
فمهلاً لا تهج منا أموراً يشيب لهولها الطفل الوليد

أمّا الشجاعة في ميدان القتال فقد شهدت له معارك الجمل وصفين، ففي معركة الجمل قال الإمام علي عليه السلام لمحمد: ((أي بنيّ خذ الرايّة، فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها، فأخرهما عنها))[٤٣]. وفي معركة صفين صّرح الإمام علي عليه السلام بذلك فقال: « ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت إلى هذين قد ابتدراني ـ يعني (الحسن والحسين)ـ ونظرت إلى هذين قد استقدماني ـ يعني (عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي) ـ فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأمة، فكرهت ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكا)) [٤٤]. وكان علي عليه السلام قد جعل الإمام الحسن على قلب جيشه، كما ورد في جمع من مصادر التاريخ [٤٥].

ثالثاً: الهيبة: الهيبة التي يتصف بها القائد لها تأثير واضح على الاقتداء به من قبل الناس، فهم يسعون للتشبه بمن له هيبة وسلطان عليهم، وقد كان الإمام الحسن عليه السلام يتصف بهذه الصفة إلى أقصى الحدود. قال محمد بن إسحاق: ((ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس، ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلاّ نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي)) [٤٦]. وقال واصل بن عطاء:

((كان الحسن بن علي عليهما السلام عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما بلغ الحسن. كان يُبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس على البساط انقطع الطريق، فما مرَّ أحد من خلق الله؛ إجلالاً له، فإذا قام ودخل بيته مرّ الناس واجتازوا. لقد رأيته في طريق مكة ماشياً، فما من خلق الله أحد رآه إلاّ نزل ومشى)) [٤٧]. وكان عليه السلام مهاباً من قبل كثير من الحكّام والولاة وعموم الناس، حتى أنّ معاويّة كان يهابه، ولهذا كبّر عند

موته، وقال: ((والله ما كبّرت شماتة لموته، ولكن استراح قلبي وصفت لي الخلافة)) [٤٨].

وفي ذلك يقول ابن عباس: ((أوّل ذلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام)) [٤٩].

المبحث الثالث: القيّم الإسلاميّة في شخصيّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أولاً: العلم / حث الإسلام الحنيف المجتمع على طلب العلم في كل زمان ومكان وقد وردت في العلم والحث عليه آيات عديدة كقوله عز وجل: ((قل هل يستوي الذين يعملون والذين لايعلمون))[٥٠]، وَ ((قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا))[٥١]، وقال تعالى: ((يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات))[٥٢]، وتنقل لنا الروايات المنزلة العلميّة للإمام الحسن عليه السلام إذ كان علمه عليه السلام لدني فقد ذكر القاضي النعمان في شرح الأخبار، بإسناده عن عبادة بن الصامت، ورواه جماعة عن غيره: أن أعرابيّاً سأل أبا بكر، فقال: إنّي أصبت بيض نعام، فشويته، وأكلته وأنا مُحرم، فما يجب عليّ ؟ فقال له: يا أعرابي، أشكلت عليّ في قضيّتك. فدلّه على عمر، ودلَّه عمر على عبد الرحمن بن عوف. فلمّا عجزوا قالوا: عليك بعلي، فقال أمير المؤمنين: سل أيّ الغلامين شئت وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام، فقال الحسن عليه السلام: يا أعرابي، ألك إبل ؟ فقال: نعم قال: فاعمد إلي ما أكلت من البيض نوقاً، فاضربهنّ بالفحول، فما فصل منها فأهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه[٥٣] فقال الحسن عليه السلام: إن من النوق السلوب[٥٤] ومنها ما يزلق

فقال أمير المؤمنين: إن يكن من النوق السلوب وما يزلق، فإن من البيض ما يمرق[٥٥]

قال: فسمع صوت: أيّها الناس، إن الذي فهّم هذا الغلام هو الذي فهّمها سليمان بن داود)) [٥٦]

وثمة قضيّة أخرى، وهي قضيّة الشخص اذي اعترف على نفسه بالقتل، حينما رأى: أن بريئاً سيقتل، فحكم عليه أمير المؤمنين عليه السلام بعدم وجوب القَود، فإنّه إن كان قتل فعلاً، فقد أحيا نفساً، ومن أحيا نفساً، فلا قَوَد عليه[٥٧] قال ابن شهراشوب: ((وفي الكافي والتهذيب: أبو جعفر: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل فتوى ذلك الحسن، فقال: يطلق كلاهما والديّة من بيت المال، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ولِمَ، فقال الحسن: ((ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً))[٥٨]

فضلا عن أسئلة الإمام عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام عن السداد، والشرف، والمروءة، وغير ذلك من الصفات[٥٩]

علاوة على ذلك، فهناك أسئلة ذلك الرجل عن الناس، وأشباه الناس، وعن النسناس، فأحاله الإمام علي[٦٠] ولده الإمام الحسن عليه السلام: فأجابه عنها. وتذكر المصادر أن الإمام علي عليه السلام سأل ولده الحسن عليه السلام: كم بين الايمان واليقين ؟ قال: الإيمان كل ما سمعته أذناك، فقال: كيف، فقال: بين الإيمان واليقين أربعة أصابع[٦١] وأرسل معاويّة إلى أمير المؤمنين يسأله: كم بين الحق والباطل ؟ وعن قوس قزح، وما المؤنث ؟ وعن عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض، فأحال ذلك أمير المؤمنين عليه السلام على الإمام الحسن عليه السلام، فأجابه عنها جميعاً[٦٢] وأرسل قيصر يسأل معاويّة عن بعض المسائل، فلم يعلم جوابها، فأحالها إلى الإمام الحسن عليه السلام[٦٣]

ومن الجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه يرجع السؤال تارةً إلى الإمام الحسن عليه السلام ليجيب عنه كما تشير الى ذلك الروايات[٦٤] وقد طلب منه الإمام علي عليه السلام يوماً أن يكتب إلى جندب بن عبد الله[٦٥]، فكتب إليه:

((أنّ محمّداً كان أمين الله في أرضه، فلمّا أن قبض محمّداً كنّا أهل بيته، فنحن أمناء الله في عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام ونحن أفراط الأنبياء وأبناء الأوصياء ونحن خلفاء الأرض، وإنا لنعلم الرجل المؤمن من المنافق)) [٦٦]

ثانياً: البلاغة والفصاحة: من الصفات المحبّبة لدى القائد أن يكون بليغاً وفصيحاً في أقواله وكلماته التي يخاطب بها العقول، والمشاعر؛ لتنفتح أمام الحقائق وأنوار الهدايّة. وهي ضروريّة في استجاشة عناصر الخير والصلاح، ومطاردة عناصر الشر والانحراف، واستثارة حالة الحذر من مزالق الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، وكان الإمام الحسن عليه السلام أفضل الناس بلاغة وفصاحة في زمانه؛ يحث الناس من خلالها على تبني المفاهيم السليمة وممارسة القيّم الصالحة. وكان عليه السلام يمارس الخطاب البليغ والفصيح لتحريك العقل الجمعي وتوجيهه الوجهة الصالحة. وفي هذا يقول ابن كثير: ((وكان علي (صلوات الله عليه) يكرم الحسن اكراماً زائداً ويعظمه ويبجله، وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك ؟ فقال: إنّي أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في

الناس خطيباً وعليّ يسمع، فأدّى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل عليّ يقول: (ذُرِّيّة بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عليم)[٦٧]))[٦٨]

ورُوي أنه: ((طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي عليهما السلام ، فقالوا: إنّه عيّ لا يقوم بحجّة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الحسن فقال: يا بن رسول الله إنّ أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالة أكرهها ؟ قال: وما يقولون يا أمير المؤمنين ؟ قال: يقولون: إنّ الحسن بن علي عيّ اللسان لا يقوم بحجة، وإن هذه الأعواد فاخبر الناس فقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّي متخلّف عنك، فناد أنّ الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون فصعد عليه السلام المنبر، فخطب خطبة بليغة وجيزة فضجّ المسلمون بالبكاء ثم قال: أيّها الناس اعقلوا عن ربّكم إنّ الله عزّوجلّ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذريّة من آدم، والاسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل من محمد صلى الله عليه و آله نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوة والشمس الضاحيّة، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقيّة ولا غربيّة التي بورك زيتها، النبي أصلها، وعلي فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى))[٦٩] .

فقد تمكن الإمام عليه السلام من صياغة الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة الشريفة التي تتحدث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام صياغة بلاغيّة جميلة، وتمثلت بلاغته بالخطاب ومن الشعر المنسوب إليه:

أغن عن المخلوق بالخالق ... تغن[٧٠] عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... ليس غير الله بالرازق
مَن ظن أن الناس يغنوه ... فليس بالرحمن بالواثق
مَن ظن أن الرزق مِن كسبه ... زلت به النعلان من حالق ()

فقد بيّن في هذا الشعر جملة من المفاهيم والقيّم الصالحة بغيّة ايصالها إلى مسامع الناس لتنفذ إلى عقولهم وقلوبهم، وفي شعر آخر يتحدث عن الدنيا الزائلة والأيام المنقرضة فيقول:

[٧١]ذري كدر الأيام إنّ صفاءها ... تولى بأيام السرور الذواهب
وكيف يفرّ الدهر من كان بينه ... وبين الليالي محكمات التجارب ()

وقال عليه السلام :

قل[٧٢] للمقيم بغير دار إقامة حان الرحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترابا ()

ويشير عليه السلام إلى الزهد في الدنيا؛ في المأكل والمشرب والملبس، وهو من الشعر الذي يمثل الحكمة وفيه يقول:

[٧٣] لكسرة من خسيس الخبز تشبعني وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني حياً وإن متّ تكفيني لتكفيني ()

ويتحدث عليه السلام عن الشدّة والرخاء، وعدم دوامهما، فيقول:

[٧٤] لئن ساءني دهر عزمت تصبراً وكل بلاء لا يدوم يسير
وإن سرّني لم أبتهج بسروره وكلّ سرور لايدوم حقير ()

التواضع: إنّ مهمة القائد أو الإمام هي هدايّة الناس واصلاحهم وتقرير مفاهيم وقيم الإسلام في عقولهم وقلوبهم وارادتهم وممارساتهم، وقد حث القرآن الكريم المسلمين على التواضع وشجعهم الى ذلك ودليل ذلك قوله عز من قائل: ((ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله إن الله لا يحب كل مختال فخور))[٧٦]

وهذه المهمة تتطلب الاختلاط معهم ومشاركتهم في نشاطاتهم وفعالياتهم، وهي بأجمعها تعبير عن التواضع وعدم التعالي، وبهذا التواضع يمتلك القائد عقول وقلوب الناس بعد اطلاعه على همومهم ومشاكلهم وعلى درجة قربهم وبعدهم عن المنهج الإسلامي، وقد اتصف الإمام الحسن عليه السلام بهذه الصفة حتى كانت خلقاً دائماً له، ومن تواضعه أنّه ((مرّ على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء، فنزل وقال: إنّ الله لا يحب المتكبرين، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته عليه السلام ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم[٧٧]. ومرّ بصبيان يأكلون كسراً من الخبز فاستضافوه فنزل وأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال: ((اليد لهم لأنّهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد كثيراً مما أعطيناهم))[٧٨].

الخاتمة

في نهايّة هذا البحث المتواضع لابد من عرض لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

١.هنالك اختلاف كبير بين القيّم العربيّة والقيّم الاسلاميّة فالأولى نشأت قديما أي قبل الإسلام والثانيّة نشأت في صدر الاسلام

٢.من القيّم العربيّة التي توافرت في شخصيّة الامام الحسن عليه السلام هي الشجاعة والكرم فضلا عن خصلة الهيبة التي ورثها عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله

٣.من القيّم الإسلاميّة التي لمسناها في شخصيّة الامام الحسن عليه السلام هي: (العلم والفصاحة والبلاغة فضلاً عن خصلة التواضع.

٤.استطاع الإمام الحسن عليه السلام أن يجيب عن الأسئلة التي وجهت إليه وبعض منها كانت موجهة الى الخلفاء وقد انقذهم الامام في اللحظة المناسبة.

٥.صاغ الإمام الحسن آثاره الأدبيّة والتي تنقسم على صنفين هما الشعر والنثر صياغة أدبيّة عاليّة قلّ نظيرها.

٦.الآثار النثريّة التي تمثلت بالرسائل الأدبيّة وظفها الإمام الحسن عليه السلام توظيفاً فعالاً للإبلاغ عن المقصود بالدلالة فهي تمثل قمة الفصاحة والبلاغة.

٧.احتوت الخطب التي ألقاها الإمام الحسن على آيات من القرآن الكريم والتي كانت تشير الى فضائل آل البيت ومنزلتهم ومناقبهم ومآثرهم الخالدة فضلاً عن الصفات التي ورثوها عن سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله.

٨.الآثار الشعريّة التي نظمها الإمام الحسن عليه السلام في مناسبات مختلفة مثلت موضوعات الزهد والموعظة والنصح وابتعاد النفس عن الشهوات والملذات خدمة للإسلام الحنيف

٩.معظم القيّم العربيّة والاسلاميّة للإمام الحسن عليه السلام وصلت إلينا من خلال الروايات التاريخيّة المسندة من خيرة الرواة فهي تمثل صورة ناصعة لتراث آل البيت عليهم السلام خاصة و للمسلمين بصورة عامة.

هوامش البحث

١) ينظر: لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ١٢/ ٢٤٣ و ينظر: **الصحاح في اللغة** للجوهري: مادة (قوم).

٢) ينظر: **القاموس المحيط** للفيروز أبادي مادة (قوم).

٣)ينظر: **لسان العرب** لابن منظور، ١٢/ ٢٤٥ و **الصحاح في اللغة** للجوهري مادة (قوم)

٤) ينظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، د- طه عبد الرحمن، (٦٨-٦٩).

٥) (سورة الروم، الآية، ٢٣).

٦) (سورة البينة، الآية، ٣).

٧) ينظر: مفهوم القيّم وفلسفتها واشكالية الواقع والمثال في منظور الاسلام (من أعمال ندوة أزمة القيّم ودور الأسرة في تطور المجتمع، د- عباس الجراري، ١٢٦.

٨) ينظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، د- طه عبد الرحمن، ٢٧.

٩) ينظر: مفهوم القيّم وفلسفتها واشكالية الواقع والمثال في منظور الاسلام (من أعمال ندوة أزمة القيّم ودور الأسرة في تطور المجتمع، ١٢٨.

١٠) ينظر: الاختصاص، الشيخ المفيد و ينظر: جلاء العيون، ١/ ٢٩٧

١١) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني، ١/ ٢٩٧.

١٢) الأمالي للشيخ الصدوق، ١٩٧ وبحار الانوار للمجلسي، ٤٣/ ٢٣٨.

١٣) المصدر نفسه، ١٩٧ والمصدر نفسه: ٤٣/ ٢٣٨.

١٤) ينظر: قطر الندى وبل الصدى: ١٥١.

١٥) مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ٣٩١.

١٦) ينظر: طبقات ابن سعد، ٣٠.

١٧) ينظر: الإرشاد، للشيخ المفيد ٢٧٨.

١٨) ينظر: المصدر نفسه، ٢٧٩.

١٩) ينظر: منتهى الآمال: للشيخ عباس القمي، ١/ ٣٢٥.

٢٠) ينظر: الإرشاد، ٣٠١.

٢١) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، : د- شوقي ضيف، ٣٥.

٢٢) إسعاف الراغبين / الصبّان: ١٩٦، (مطبوع بهامش نور الأبصار).

٢٣) البداية والنهاية ٨/ ٣٨

٢٤) تفسير الأحلام في كلام الأئمة والأعلام: أحمد بن محمد بن سيرين الشافعي البصري، المتوفى سنة ١١٠ للهجرة، منشورات: دار صادر (د. ت)، بيروت- لبنان، ١٢٣.

٢٥) مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور، ٧/ ٢٥

٢٦) بحار الأنوار ٤٣: ٢٢/ ٣٥٠.

٢٧) مناقب آل أبي طالب: ابن شهراشوب، ٤/ ٢٠.

٢٨) نور الأبصار / الشبلنجي: ١٣٥.

٤٢) نور الأبصار / الشبلنجي: ١٣٥.

٢٩)سير أعلام النبلاء: الذهبي، ٣/ ٢٦٠(

٣٠) ابن جدعان، الإمام العالم الكبير أبو الحسن القرشي، من الطبقة الثالثة في رواية الحديث التيمي البصري الأعمى ولد في دولة يزيد ، وحدث عن أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وأبي عثمان النهدي ، وعروة بن الزبير ، وأبي قلابة ، والحسن ، والقاسم بن محمد وعدة. حدث عنه شعبة ، وسفيان ، وحماد بن سلمة ، وعبد الوارث ، وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وإسماعيل ابن علية ، وشريك وعدة، المصدر نفسه، ٥/ ٢٠٦- ٢٠٧.

٣١) حلية الأولياء ٢/ ٤٢.

٣٢) ابن أبي يحيى الإمام القدوة، مفتي دمشق أبو محمد التنوخي الدمشقي، من الطبقة الرابعة في رواية الحديث ويقال: أبو عبد العزيز. ولد سنة تسعين، في حياة سهل بن سعد ، وأنس بن مالك ، رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على ابن عامر ، ويزيد بن أبي مالك ، تلا عليه الوليد بن مسلم وأبو مسهر . وحدث عن مكحول ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، وربيعة بن يزيد القصير ، وإسماعيل بن عبيد الله ، ويونس بن ميسرة بن حلبس ، وعمير بن هانئ ، وأبي الزبير المكي، وزيد بن أسلم ، وبلال بن سعد وعدة. ودخل على عطاء بن أبي رباح ، وسأله عن مسألة، وليس هو بالمكثر من الحديث. ، **سير أعلام النبلاء، ٨/ ٣٢.**

٣٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٦٠.

٣٤) الإمام المحدث أبو المغيرة الأزدي، الحداني، البصري، يعد من الطبقة الرابعة في رواية الحديث كان ينزل في بني حدان ، فعرف بهم. ولد في خلافة الوليد حدث عن: محمد بن سيرين ، وأبي نضرة ، وثمامة بن حزن القشيري ومعاوية بن قرة ، والنضر بن شيبان ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وسعيد بن المهلب ، ونافع العمري ، وطائفة، . حدث عنه: (ابن المبارك ، وأبو داود ، وحيان بن علي ، وعلي بن الجعد ، وشيبان بن فروخ ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأبو نصر التمار ، وخلق سواهم.) وقال ابن مهدي : هو من مشايخنا الثقات. وقال علي بن المديني : ذكرته ليحيى بن سعيد ، فأثنى عليه، المصدر نفسه: ٧/ ٢٩١.

٣٥) تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤/ ٢١٨.

٣٦) مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٣.

٣٧) مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٢٣.

٣٨) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٨.

٣٩) ينظر: المصدر نفسه ١٦/ ١٠

٤٠) حياة الإمام الحسن ٢/ ٣٠٦.

٤١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ١٠.

٧٠) حياة الإمام الحسن عليه السلام ٢/ ٣٠٧.

٤٣) الإمامة والسياسة ١ / ٧٥.

٤٤) وقعة صفين: ٥٣٠.

٤٥)الإمامة والسياسة ١/ ١٠٤.

٤٦)المناقب: ٤١/ ٣٣٩.

٤٧)أصول الكافي: ١/ ٤٤٧.

٤٨)مروج الذهب: المسعودي، ١/ ٣٤٧.
٤٩)مقاتل الطالبيين: ١/ ٢٣١.
٥٠)(سورة الزمر: الآية، ٣٨).
٥١)(سورة طه: ١١٤)
٥٢)(سورة المجادلة: ١١)
٥٣)محاضرات الراغب ٢/ ٣٤٣.
٥٤)الناقة السلوب: التي مات ولدها، أو القته لغير تمام، وأزلقت الفرس: أجهضت، أيّ ألقت ولدها قبل تمامه، ينظر: لسان العرب، مادة (سلب)
٥٥) مرقت البيضة: فسدت، ينظر: المصدر نفسه، (مرق).
٥٦)فرائد السمطين: ١/ ٣٤٢- ٣٤٣، والغدير: ٦/ ٤٣.
٥٧) المناقب: ابن شهر اشوب ٤/ ٣٥٤-٣٥٥و٣٣٥ وحياة الامام الحسن: القرشي، ١/ ٨٦-٨٧.
٥٨) المناقب لابن شهر اشوب ٤/ ١١، (سورة المائدة: الآية ٢٤).
٥٩)ينظر: نور الأبصار ١٢١ وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٢١- ٢٢٢ وحلية الأولياء ٢/ ٣٦.
٦٠) ينظر: تفسير فرات ٨ و بحار الأنوار: ٧/ ١٥٠.
٦١) ينظر: العقد الفريد ٦ / ٢٦٨و ينظر: البحار ٤٣/ ٣٥٧.
٦٢) ينظر البحار: ٤٣/ ٣٢٥، وعيون أخبار الرضا ١/ ٦٦، وتحف العقول، (١٦٠-١٦٢).
٦٣) ينظر: ربيع الأبرار ١/ ٧٢٢.
٦٤) ينظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ٣٣٥.
٦٥) جندب بن عبد الله بن الأرقم بن ضب بن مسغب الغامدي أو البجلي تارةً قاتل مع أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين وشهد النهروان، وترى بعض المصادر أنه كان رسولاً لأبي محمد الحسن عليه السلام، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٥.
٦٦) ومعاني الأخبار: (٢٤٣ – ٢٤٥)وتحف العقول ١٥٨.
٦٧) (سورة آل عمران: الآية ٣٤)
٦٨) البداية والنهاية: ابن كثير، ٨/ ١
٦٩) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٤٢.
٧١) نور الأبصار: ١٣٤.
٧٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٤٠.
٧٣) مناقب ابن شهراشوب: ٢/ ١٤٥.
٧٤) المصدر نفسه: ١٠/ ٩٤.
٧٥)بحار الأنوار: ٤٤/ ٥٨.
٧٦)(سورة لقمان: الآية ١٨)
٧٧)ينظر: بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٢.
٧٨)المصدر نفسه: ٤٣/ ٣٥٢.

المصادر والمراجع

* الاختصاص: تأليف / فخر الشيعة عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد المتوفى (٤١٣هـ)، قدم له: العلامة الجليل السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي، مطبعة النعمان، ط١، النجف، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

* الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تأليف: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، نشر وتحقيق: مؤسسة ال البيتﷺلإحياء التراث، الطبعة: الأولى ١٩٩٥ م، (الجزء الأول - الجزء الثاني).

* إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين: محمد بن علي الصبان المصري من كبار العلماء المصريين في القرن الثالث عشر الهجري، طباعة ونشر وتوزيع: المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٩٢٩ م.

*أصول الكافي: تأليف / ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الشيخ الكليني، منشورات: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م

*أمالي الصدوق: تأليف / الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات: مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

* الامامة والسياسة المعروف بـ(تاريخ الخلفاء): العلامة أحمد بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، (ت: ٢٧٦ هـ)، تحقيق: علي شيري، منشورات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠ م

*بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: العلامة محمد باقر المجلسي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣، مصححة، ١٩٨٣م.

* البداية والنهاية للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٠١ - ٧٧٤ هـ، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، المملكة العربية السعودية

* تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، : د- شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف- القاهرة، ط٢، ١٩٨٧ م.

* تحف العقول عن آل الرسول، تأليف: أبو محمد الحسن بن علي الحراني، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د. ت)

* تفسير الأحلام في كلام الأئمة والأعلام: أحمد بن محمد بن سيرين الشافعي البصري، المتوفى سنة ١١٠ للهجرة، منشورات: دار صادر (د. ت)، بيروت- لبنان

* تفسير فرات: لأبي القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق: محمد كاظم، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ط١، ١٤١٠هـ.

*تهذيب تاريخ دمشق الكبير: تأليف / عبد القادر بن بدران الحنبلي، طبعة: دار المسيرة، عمان، ١٩٨٣م.

* جلاء العيون: المؤلف/ السيد عبد الله شبر، منشورات: مكتبة نصرتي، مشهد (د. ت).

* الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، د- طه عبد الرحمن، منشورات: المركز العربي للثقافة والعلوم والفنون، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧م.

*حلية الأولياء وطبقات الاصفياء: المؤلف / أحمد بن عبد الله الاصفهاني (ابو نعيم)، منشورات: مكتبة السعادة القاهرية، مصر، ١٩٩٦م-١٤١٦هـ.

*حياة الامام الحسن بن عليؑ، دراسة وتحليل:

باقر شريف القرشي، منشورات: مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
* ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تأليف/ جار الله الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، منشورات: مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
* سير أعلام النبلاء: الذهبي، منشورات: مكتبة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٢هـ.
*شرح نهج البلاغة: تأليف/ ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد ابراهيم، منشورات: دار الكتاب العربي، بيروت، ودار الأميرة، ط١، ٢٠٠٧م.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: اسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، القاهرة، ط٣، ١٤٠٤م-١٩٨٤.
* طبقات ابن سعد: المؤلف/ محمد بن سعد بن منبع الزهري، المحقق: علي محمد عمر، منشورات: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
* العقد الفريد: المؤلف/ ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحه، منشورات: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤م-١٩٨٣ م
* عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تصحيح وتذييل: السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، منشورات: رضا المشهدي ومكتبة طوس، مشهد- ايران، ط٢، ١٩٨٣ م.
* الغدير في الكتاب والسنة والأدب، تأليف: العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني، منشورات: مؤسسة الأعلمي للطباعة، ط١، ١٩٩٤م.
* فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم، منشورات مكتبة ذوي القربى، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٨٩ م.
* القاموس المحيط: للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، ، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، بيروت-لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
* قطر الندى وبل الصدى: لابي محمد جمال الدين محمد بن هشام الأنصاري، ط٦، قم –ايران، (د. ت).
* الكافي، الشيخ الكليني (محمد بن يعقوب بن اسحاق)، منشورات: دار إحياء التراث (د. ت)
*لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، سنة النشر، ٢٠٠٣م(د. ت)، منشورات: دار صادر، بيروت، عدد الاجزاء(١٥)
* مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبي الحسن بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، منشورات: المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
*محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: الراغب الأصفهاني، المحقق: ابراهيم زيدان، منشورات: مكتبة الهلال، ط١، سنة النشر: ١٩٢٠ م.
* مختصر تاريخ دمشق (لابن عساكر): تأليف/ محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، تحقيق: مجموعة من المحققين، سنة النشر، ١٩٨٤م- ١٤٠٤هـ.
* مسند أحمد بن حنبل: المؤلف/ ابو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب ارناؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
*معاني الأخبار: تأليف/ الشيخ الجليل الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي)، تحقيق: علي أكبر غفاري، منشورات: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت)
* مفهوم القيّم وفلسفتها واشكالية الواقع والمثال

في منظور الاسلام (من أعمال ندوة أزمة القيّم ودور الأسرة في تطور المجتمع، د- عباس الجراري، ٢٠٠٢م، مطبوعات: أكاديمية المملكة المغربية، ط١، مطبعة المعارف، الرباط.

* مناقب آل أبي طالب: تأليف/ أبو جعفر بن شهراشوب المازندراني الحائري، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعي، طبعة ونشر: دار الأضواء، لبنان- بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.

* منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ﷺ، تأليف: الشيخ عباس القمي، منشورات: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، قم، ١٩٨٩م.

* نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، منشورات: مكتبة السعادة القاهرية (د. ت).

*وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، (المتوفى سنة، ٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٣م-١٣٨٣هـ.